مجلة تراثية نصف سنوية مُحكّمة
العدد الثاني(الخاص) السنة السادسة والأربعون
٢٠١٩م / ١٤٤٠ هـ



الرقم المعياري الدولي
ISSN : 1606 - 4836

عنوان المراسلة: جمهورية العراق/ بغداد - الأعظمية
حي تونس/ دارالشؤون الثقافية العامة/ ص.ب ٤٠٣٢
هاتف ٤٤٣٦٠٤٤/ فاكس: ٤٤٦٧٦٠
البريد الإلكتروني :mail
info @ darculture.com
dar-iraqculture @ yahoo.com
رقم الايداع في المكتبة الوطنية (١٠٠) لسنة ٢٠١٤م

المحتوى

تاريخ علم المقاصد الإسلامي

أ.د رياض سعيد لطيف*

● المقدمة :

ان الحديث عن تاريخ علم من العلوم الشرعية - كعلم المقاصد الاسلامي - يلقي بظلاله على اهمية ذلك العلم، ومدى الفائدة من تطبيقاته العملية.

فعلم المقاصد الاسلامي علم له علاقة بالشريعة الالهية التي ارتضاها لعباده، ومما فهمناه نحن المكلفين المؤمنين بهذه الشريعة انها صامدة وراسخة وثابتة وشامخة، ومحكمة البيان ودائمة العطاء،كما في قوله تعالى: «كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي اكلها كل حين بإذن ربها»(سورة التوبة ، آية ٣٢)، فشريعة الله بأدلة القرآن العديدة هي عامة ومستمرة وحباها صاحبها بالبقاء والاستقرار، فأودع فيها من المقاصد والحكم والمصالح والفوائد ما يصلح للناس ويصلحهم في كل زمان ومكان فكانت تلك المقاصد والاحكام وتأريخها محل درس طلاب العلم من مختلف الاختصاصات، ومحط نظر العلماء المدققين الذين فهموا النصوص واستوعبوا دلالاتها، وكذلك تاريخها التشريعي ووقفوا عند ذلك لأهمية الزمان والدرجة في تثبيت الاحكام والمعاني المستخلصة من هذه الشريعة، فلا يزالون يغوصون في اعماقها ليكتشفوا اسرارها ومكنوناتها، فكان موضوع (تاريخ علم المقاصد الاسلامي) من الموضوعات التي اسس العلماء بنيانها، ووطدوا اركانها لاسيما علماء المقاصد والاصول الإسلاميين الذين اتصفت دراستهم بالضبط والتأصيل.

---

* جامعة بغداد - مركز احياء التراث العلمي العربي

● **تعريف المقاصد في كونها مركباً اضافياً:**
مقاصد الشريعة مركب اضافي، والمركب الاضافي هو كل اسمين نزل ثانيهما منزلة التنوين مما قبله مثل عبد الله ، وابي عمرو [١] .
والمقاصد جمع مقصد ، والمقصد مصدر ميمي مأخوذ [٢] من الفعل قصد ، يقال : قصد يقصد قصدا ومقتصدا ، اذن : فالقصد والمقصد بمعنى واحد ، والقصد في اللغة يأتي لمعان عدة:
الاول: الاعتماد، واتيان الشيء وامه ،والتوجه، ونقول قصده السهم بمعنى [٣] اصابه فقتل مكانه.
الثاني: استقامة الطريق، ومنه قوله تعالى «وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ» [٤]. وقال جرير: «والقصد من الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه».*
الثالث: العدل والتوسط وعدم الافراط، ومنها قوله تعالى «وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ[٥]»، ومنها قوله (ص): « القصد القصد تبلغوا»[٦].
الرابع: الكسر في أي وجه كأن تقول العرب: قصدت العود قصدا كسرته، وقيل الكسر بالنصف قصدته اقصده، والقصدة: الكسرة منه، والجمع قصد [٧].
وبعد استعراض المعاني اللغوية، يترجح لدينا المعنى الاول، وذلك: لأنه يتناسب مع المعنى الاصلاحي كثيرا كما سيأتي اذ فيه الأم، والاعتماد، واتيان الشيء والتوجه وكلها تدور حول ارادة الشيء والعزم عليه.
● **تعريف الشريعة لغة واصطلاحاً:**
الشريعة في اللغة هي الدين، والملة، والمنهاج، والطريقة والسنة، واصلها في استعمال العرب تدل على مورد الشارية [٨]. يقول ابن منظور: « الشريعة والشرع، والمشرعة المواضع التي ينحدر الماء منها، والشرعة والشريعة في كلام العرب شرعة الماء وهي مورد الشارب التي يشرعها الناس فيشربون منه ويستقون» [٩].
والعرب لا تسميها شريعة حتى يكون الماء عدا لا انقطاع له ويكون ظاهرا معينا، لا يسقى بالرشاء، قال تعالى:«ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ»[١٠].
● **الشريعة في الاصطلاح :**
اسم الشريعة ولفظها يطلق على كل ما ينتظم مما شرعه الله من القصائد والاعمال [١١].
وقيل ان لفظ الشريعة تعني كل ماله علاقة بطاعة الله ورسوله واولي الامر منا [١٢]. وقال التهانوي في كشافه : « ما شرع الله لعباده من الاحكام التي جاء بها نبي من الانبياء سواء كانت متعلقة بكيفية عمل وتسمى فرعية وعملية او كيفية الاعتقاد وتسمى اصلية»[١٣].
فالترجيح، بعد استعراضنا للتعريفات السابقة ، نجد انها تعرف الشريعة بالمعنى الشامل لجميع الشرائع ما عدا التعريف الثاني الذي يختص بشريعتنا، فالذي نراه في سياق قواعد الترجيح التعريف الثاني هو الاقرب لنا. تبقى مسألة تعريف الاسلام فيمكن ايجازها هنا بدون تخصيص مبحث خاص لها.
● **تعريف الاسلام :**
في الاصطلاح: (هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك) [١٤].

وهو دين جميع الانبياء ولكن المراد به هنا هو الدين المنزل على نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم واله) وهو اخر الاديان وخاتمها . اذن الشريعة الاسلامية هي ما سنه الله لعباده من الاحكام عن طريق نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم واله) وجعلها خاتمة لرسالاته.

● تعريف مقاصد الشريعة باعتبارها علما على علم معين :

بعد بحثنا وتفتيشنا لم نعثر على تعريف للمقاصد بهذا الاعتبار في كتب الاولين من الاصوليين وغيرهم حتى من له أو عنده اهتمام بالمقاصد. اذن نستطيع القول ان المتقدمين من الاصوليين لم يتعرضوا بالمباشرة لتعريف هذا المصطلح، فلم يبق لنا الا ان ننظر ذلك عند المتأخرين. فوجدنا:

١- ان ابن عاشور يعرفها بالمباشرة ، بقوله: «مقاصد التشريع العامة هي: المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع احوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من حكام الشريعة»[١٥]، ثم يردف ايضا فيقول: «فيدخل في هذا اوصاف الشريعة وغايتها العامة والمعاني التي لا يخلو التشريع من ملاحظتها، ويدخل في هذا ايضا معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر انواع الاحكام ولكنها ملحوظة في انواع كثيرة منها»[١٦].

٢- وايضا عرفها علال الفاسي:« المراد بمقاصد الشريعة الغاية منها والاسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من احكامها»[١٧]،وبهذاقد جمع المقاصد بنوعيها: العام والخاص فبقيده/ الغاية منها / أي من الشريعة، وهذا اشارة الى العامة، وقيده/ الاسرار التي وصفها/وفيه اشارة الى الخاصة.

٣- ثم نأتي بعد ذلك الى مرجعية المقاصد في الوقت المعاصر، الشيخ الدكتور احمد الريسوني، فله ايضا قول في التعريف، نلخصه « الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد» [١٨].

فهنا يقترب د. الريسوني كثيرا من تعريف الفاسي الا انه حذف الشطر الثاني من التعريف مكتفيا بالعام عن الخاص.

٤- اما زعيم المقاصد في سورية او الشام، ايضا كان له اسهام في ادلاء دلوه في المقاصد، وهو الاستاذ الدكتور وهبة الزحيلي فعرفها: «هي المعاني و الاهداف الملحوظة في جميع احكامه او معظمها او هي الغاية من الشريعة والاسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من احكامها» [١٩].

وهنا قد جمع الاستاذ الزحيلي بين الشطر الاول لابن عاشور مع الشطر الثاني للفاسي وانتج التعريف هذا.

اما التعريف الراجح وهو ما ذهب اليه جمهرة من المعاصرين ممن له باع في المقاصد احببنا ان نسوقه هنا لانه تعريف بحق يستحق الوقوف عليه ولا بأس ان تذوب الذات ولا تظهر في البحث، ونتنازل لصالح عالم من الاعلام له السبق اكثر منا وهو خدمة للقارئ الكريم فيقول: «المقاصد: هي المعاني والحكم ونحوها والتي راعاها الشارع في التشريع عموما وخصوصا، من اجل تحقيق مصالح العباد»[٢٠].

● شرح قيود التعريف

المعاني /هي العلل في اصطلاح معروف عند

الاصوليين، والعلة تطلق ويراد بها:
أ: المعنى المناسب لتشريع الحكم فهي مرادفة للحكمة، وهي المقصود هنا.
ب:الوصف الظاهر المنضبط الذي يحصل من ترتيب الحكم عليه مصلحة والحكمة هي التي لأجلها صار الوصف علة. ونحوها/ هي الاهداف او الغايات او الفائدة والثمرة وهي مقصودة للشارع. التي رعاها الشارع /أي التي عناها وقصدها وارادها في التشريع وفي ذلك اشارة الى ان احكام الله معللة. وقوله عموما وخصوصا / لتشمل التعريف المقاصد العامة والخاصة.
فالعامة /هي الغايات التي رعاها الشارع في احكام الشريعة عموما، من حكم ومقاصد تجتمع عليها الادلة جميعها. اما الخاصة/ هو ما قصده الشارع في كل حكم من الاحكام من حكم وعلل.
اما قيد/ من اجل تحقيق مصالح العباد/ فهو ليس بقيد وانما هو من قبيل المعنى الظاهر ، قصد به زيادة الايضاح.

● في تأريخ المقاصد

من الطبيعي لكل باحث او طالب علم عندما يدرس فنا من الفنون او علما من العلوم، ان تصبح عنده فكرة عن تأريخه، والمراحل التي قد مر بها ، وهو مقصود بحثنا صراحة، من اجله اخترنا الغوص و البحث في هذا الموضوع. فبعد استقرائنا لحيثيات الموضوع ، تجلَّت لدينا أهمية ان نقسم هذا الفصل الى مبحثين، الاول ما قبل بروز حدود هذا الموضوع في كونه علما، وهذا ما مر به كل علم من العلوم ، فقد تتناثر جزئياته في بطون الكتب واشارات ايضا على شكل كنايات لهذا العلم، من هنا احببنا ان نجمعها من بطون الكتب ثم نربطها بسلسلة بحثنا هذا حتى تصبح فكرة الموضوع واضحة جلية للقارئ وكل ذلك من خلال التاريخ والمراحل.

● قبل تميزها:

ان علم المقاصد الشرعية شأنه شأن العلوم الشرعية الاخرى لم يظهر للوجود دفعة واحدة، ولكنه مَرَّ بمراحل متتابعة حتى وصل الى مرحلة التدوين والتبويب في صورته المفهومة اليوم.
والناظر والمتابع لتاريخ المقاصد يجد انه في عصر نزول الرسالة المحمدية على صاحبها افضل الصلاة والسلام. وفي نصوص الوحي سواء اكانت القرآنية أم النبوية انها تضمنت الكثير من قواعد المقاصد الشرعية، فعلى سبيل المثال:

١- من نصوص القران الكريم قوله تعالى :

أ- «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ» [٢١].
ب- وقوله «مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» [٢٢] ليس فقط من ناحية قواعد المقاصد العامة ، وانما حتى القواعد الخاصة التي تخص الاحكام الجزئية .
ج- من مثل قوله تعالى: « إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ» [٢٣].
د- من موضوعه الزكاة قوله تعالى :«خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ (ص) إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ (ص) وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» [٢٤] الى غير ذلك من الآيات

الكثيرة التي يطول المقام بذكرها.

٢- وفي السنة :

أ- كقول النبي(ص): « فإنما بعثتم ميسرين ، ولم تبعثوا معسرين» [٢٥].

ب- كقوله (ص):«إن الدين يسر، ولن يشاد أحد الدين إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»[٢٦].

ج- وقوله (ص): « عِبَادَ اللَّهِ وَضَعَ اللَّهُ الْحَرَجَ، إِلَّا إمْرَأً اقْتَرَضَ مِنْ عِرْضِ أَخِيهِ شَيْئًا فَذَلِكَ الَّذِي حَرِجَ » قَالُوا :« يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا خَيْرُ مَا أُعْطِيَ الْعَبْدُ ؟ قَالَ : خُلُقٌ حَسَنٌ»[٢٧].

د- وقوله(ص): « لا ضرر ولا ضرار»[٢٨].

هـ - وفي المقاصد الجزئية: « انما جعل الاستئذان من اجل البصر» .

وقوله (ص):« يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ منكُم الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ» [٢٩].

والى غير ذلك من الاحاديث والاثار التي اقترنت ببيان الحكم والمصالح والمقاصد. و كذلك بالنسبة لأقوال الصحابة : فقول ابن عباس (رض) لما سئل عن الجمع ، فقال «اراد الا يحرج احدا من امته»[٣٠]. من هنا نستطيع القول حكما ان ما اشتملت عليه هذه الامثلة وغيرها الكثير والكثير جدا ولهذا لا أحد يمكنه القول ان النصوص القرآنية والسنة لم تحو على قواعد مقاصديه سواء اكانت عامة او خاصة .

فاذا قررنا هذا الامر نناقش الامر الثاني:

القاعدة الثانية موضوع العلة: العلماء تكلموا في القياس قبل تأليف علم الاصول أو أصول الفقه، بل حكموا بالاجماع عليه الا ما استثني من امامية مظاهرية بتحفظ [٣١].

ولو عدنا لأصل معادلة القياس نجد ان العلة هي أهم عناصر المعادلة، واهم ما في الموضوع هو كيفية استخراجها وطرق الدلالة عليها. ومن ثم الطرق التي نتبين منها ما يصلح ان يكون علة من غيرها والبحث في المناسبة، وطرق التعليل. كل ذلك مآله علم مقاصد الشريعة .

ومن خلال كلامنا عن العلة الأمر الثاني الذي نستطيع الحكم عليه من خلال استقرائنا لمصدر من مصادر التشريع وهو القياس، ان نقول ان لعلماء الاصول والذين اشتغلوا بالقياس لهم دور في تجلية هذا العلم الشرعي.

الامر الثالث: ان الكلام في المسائل الفقهية في هذا العصر الذي هو عصر قبل التميز لا يخلو من التنبيه على الحكم المفهومة من الاحكام، وذلك يعد تنبيها على مقاصد التشريع الخاصة والمتعلقة بمسائل معينة. وهذا عند الحنفية بالذات.

● **بعد تميزها :**

في هذا المبحث سنتحدث عن بداية تميز وظهور علم المقاصد وبطبيعة الحال نستطيع ان نثبت بداية ان عملية حصر كل لفظ كتب عن المقاصد عملية صعبة وصعبة جدا ، لذا نحن كل الذي فعلناه في منهجيتنا، هو اننا احصينا اعمال من كان لهم الاثر والباع في مباحث تأليف المقاصد.

المطلب الاول: المقاصد عند إمام الحرمين

يذكر العلماء ان اول مؤلف حمل عبارة المقاصد هو الامام الترمذي المتوفى (٢٨٥هـ)

من خــلال مؤلفه كتــاب الحكيــم، وفي فصل (الصلاة ومقاصدها) فهــو كتاب اذن يعد في بيان الحكم والمقاصد الجزئية.
وثنى بشكل اوضح عليه امام الحرمين الامام الجويني (رح) والــذي يعد أول عالم اصولي تميــزت في كتاباتــه بعــض قواعــد المقاصــد الشرعية واقســامها وبخاصة من خلال كتابه البرهان [٣٢].

ـ أهم الاشارات الدالة على تناوله المقاصد:

١- يعد الامام أول من نبه على تقسيم المقاصد الى (ضروريــة ، وحاجية ،وتحســينية) حيث انه قسم اصول الشريعة الى خمسة اقسام :
أ- ما يعقل معناه وهــو اصل، ويؤول المعنى المعقــول منه الى امــر ضروري لابــد منه مع تقدير غاية الرسالة .❋
وهــذا مثالــه بمنزلــة قضاء الــشرع بوجوب القصــاص في أوانــه، فهــو معلــل بتحقيــق العصمة في الدماء المحقونة.......
ب- مــا يتعلق بالحاجــة العامة، ولا يصل الى حــد الضرورة، ومثل ذلــك بتصحيح الاجارة، فانها مبنية على مســيس الحاجة الى المســكن مع القصور عن تملكها، وظنه ملاكها بها على سبيل العارية.
ج- مــا لا يتعلــق بضرورة خاصــة ولا حاجة عامــة، ولكن يلوح فيه غرض جلب مكرمة او في نفي نقيض لها .
كما في مثال الطهارة من الحدث وازالة الخبث تحسيني لا يخالف قياس كلي.❋
د- مــا لا يســتند الى ضرورة ولا حاجــة، وتحصيل المقصود فيــه مندوب اليه تصريحا ابتداءً. ومــن الملاحظ عنده ان القســم الرابع تميــز عن الثالث ان الرابع في تحصيله خروج عــن قياس كلي، وان القســم الثالث لا يخالف قياســا كليا، بل تحصيل المقصود فيه مندوب اليه تصريحا ابتداءً.
هـ - اما القســم الخامس فيصفــه هو: ما لا يلوح فيه للمســتنبط معنى اصلا ولا مقتضى من ضرورة او حاجة او استحثاث على مكرمة.
ومثــال ذلــك لهذا القســم: العبــادات البدنية المحضــة، فانه لا تعلق فيها اغراض دفعية او نفعية، ولكن لا يســتبعد ان يقال: ان تواصل الوظائف يدعم مرونة العباد على حكم الانقياد وتجديد العهد بذكر الله .
اذن ننفــذ الى القــول تقريبا ان القســم الاول يعد من الضروريات في تقســيمه.والثاني: هو من قبيل الحاجة، والثالث: التحسيني وكذلك الرابــع واســاس التميــز هــو ما لا تقــع فيه معارضة قاعــدة شرعية كالطهــارة وما تقع فيه معارضة شرعية، ومثلوا ذلك بالمكاتبة .
ومن اســتنباطاته الاخــرى، والتي تصدر من اصل المقاصد انه نبــه الى بعض الضروريات ووصفها بانها كلية.
قولــه «وبالجملــة الدم معصــوم بالقصاص ... والفــروج معصومة بالحــدود ... والاموال معصومة عن السراق بالقطع».
واشــار الى بعــض المقاصــد بقولــه ايضــاً: « ترك القياس الجلي اذا صادم القاعدة الكلية المســتندة الى ضروري، ومثل لــه بالمماثلة اذا ترتب عليها تــرك القصاص ، كما في الجماعة بالواحد»[٣٣].
ومنهــا ايضا انه ذكر بعــض مقاصد الاحكام مثــل مقصد العبــادات، ومقصــد القصاص،

والحدود كما سبق، ومقصد التكبير والبيع، والاجارة [٣٤].

وبعيدا عن ما تضمنته الاقسام، اعتبر الامام ان النظر في مقاصد الشريعة والتبحر بها يعد من الفطن في الدين، وذلك لما تحتاجه من ثقب في النظر، وتمعن دقيق، والتفاتة مركزة.

حيث يقول: «ومن لم يتفطن لوقوع المقاصد في الاوامر والنواهي، فليس على بصيرة في وضع الشريعة».

المطلب الثاني / المقاصد عند الغزالي

لو استقرأنا مؤلفات الامام الغزالي ، وهو تلميذ الامام الجويني – امام الحرمين – السابق الذكر، رأينا ما يأتي:

١- انه جعل المصلحة هي المحافظة على مقصود الشارع . حيث انه قسم هذه المصلحة بحسب قوتها في ذمتها الى الضروريات، والحاجيات، والتحسينات والحق بكل قسم ما يجري منه مجرى التكملة والتتمة .

٢- ذكر الضروريات الخمس ، وذكر انها مقصود الشرع :

قال في المستصفى:« ومقصود الشرع من الخلق خمسة: ان يحفظ عليهم دينهم ولغتهم وعقلهم ونسلهم ومصالحهم»[٣٥] ثم بين ما يحفظ به كل واحد منها وقال في شفاء العليل:«فقد علم على القطع ان حفظ النفس والعقل والبضع والمال مقصود في الشرع»*.

٣- انه ذكر الطرق التي تعرف بها المقاصد: حيث يقول:»ومقاصد الشرع تعرف بالكتاب والسنة والاجماع»[٣٦]. وقال ايضا: «وكل مصلحة رجعت الى حفظ مقصود شرعي علم كونه مقصودا بالكتاب والسنة والاجماع فليس خارجا عن هذه الاصول» [٣٧].

٤- ومنها ايضا انه ذكر بعضا من القواعد المتعلقة بالمقاصد قوله: «ان كل ما يتضمن حفظ الاصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الاصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة» [٣٨].

ومما لاشك فيه ان للغزالي اهتماما واسعا ببيان حكم الاحكام ومقاصدها خصوصا في كتابه احياء علوم الدين فقد بين حكم كثير من الاحكام واظهر فوائدها ومقاصدها. وايضا مما يدل على عناية الامام الغزالي بهذا الباب انه الف كتاب شفاء الغليل . وهو كتاب يختص ببيان العلل وقواعدها وطرقها وفي ذلك خدمة لمقاصد الشريعة وطرق اثباتها، وان كانت افكار الغزالي وآراؤه في المقاصد في كتابه المستصفى اوفى منها في شفاء الغليل و السبب في ذلك كونه اخر ما كتبه الغزالي اصوليا [٣٩].

المطلب الثالث: ما بعد ابن عاشور:

تبقى هناك جزئية متعلقة بهذا الموضوع قبل نهاية بحثنا هذا، هي اننا اهملنا المقاصد عند علمين مهمين وهما الشاطبي وابن عاشور لاسباب اجملها:

١- ان تسليط الضوء على أي واحد منهما يحتاج الى اطاريح ورسائل .

٢- كل من يقرأ في موضوعة المقاصد يبدأ بهما، فأحببنا ان نبين ولو بشكل سريع ملامح المقاصد عند من شاركهما في المسير .

وبفضل استقرائنا السريع، نستطيع القول ان هذه المقاصد بعد ابن عاشور اتجهت الى عدة مسارات :



المســار الاول: إعادة النظر والبحث بمنهجية علميــة متأنيــة، فظهــرت بحوث ودراســات جزئيــة مرتبطــة بفطاحل المقاصــد (امثال الشاطبي ، والعز بن عبد السلام ، والطوفي).
المسار الثاني: مسار يجمع بين علم المقاصد الفطــري مــع المنهــج التطبيقــي وصياغــة مفــردات ومصطلحات جديــدة متعلقة بهذا العلم .
المسار الثالث: محاولة ابراز دور المقاصد في حقول من الفقه محددة مثل فقه المعاملات أو العبادات أو في السياسة الشرعية .
المســار الرابع: مســار ناقد لــكل ما كتب في المقاصد بغية الوصول الى مسائل جديدة [٤٠].

الهوامش

(١) شرح الاشــموني: جــ١/ ص٣٤ ، التصريــح جــ١ / ص١١٩.
(٢) المصــدر الميمي: هو المصــدر المبدوء بميم زائدة لغير المفاعلة يدل على حدث مجردا من الزمن ويصاغ من الفعل الثلاثي عــلى زنة مفعل بفتح الميم، انظر: شــذور الذهــب ص٤٨٩ وشرح الاشــموني مجلد ٢ ،ص ٢٨٧.
(٣) ينظــر: معجــم مقاييس اللغة جـــ ٥/ص٩٥ ومتن اللغة جــ ٤/ص٥٧٦.
(٤) ينظر: كتاب العين جــ ٥/ص٥٤ وتهذيب اللغة جــ ٨/ص٣٥٨.
(٥) هو: مســلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، الامام الحافظ الحجة صاحب الصحيح، له مصنفات كثــيرة غير كتابــه الصحيح منها المســند والاســماء والكنــى والعلل والوحدان توفى ســنة ٢٦١هــ.انظر تذكرة الحفــاظ للذهبي جـــ ٢/ص٥٨٨ وطبقات الحفاظ للسيوطي، ص ٢٦٤.
(٦) الحديــث اخرجــه مســلم في صحيحــه ، كتاب الايمان باب تحريم قتل الكافر حديث رقم (١٦٠) جــ ١ /ص٩٧.
(٧) سورة النحل اية ٩.
(٨) تفسير ابن جرير ،جــ ٨/ص٣٨ .
(٩) سورة التوبة اية ٤٢ .
(١٠)هامــش اخرجــه البخاري كتــاب الرقاب باب القصــد والمداومة على العمل حديــث رقم (٦٤٦٣) جــ١١/ ص٢٦٤ .
(١١) مجمل اللغة جــ٢/ ص ٨٤٥.
(١٢) ينظر: مجمل اللغة جــ ٢/ ص٥٢٦ الصحاح، جــ ٣/ ص١٢٣٦ .
(١٣) ابن منظور لسان العرب جــ ٨/ ص١٧٤ .
(١٤)سورة الجاثية ايه ١٨.
(١٥) احمــد بــن عبــد الحليــم مجمــوع الفتاوى، جــ١٩/ ص٣٠٦.
(١٦) التهانــوي: كشــاف الاصطلاحــات، جـــ٢/ ص٧٥٩.

(١٧) هو محمد الطاهر ابن عاشـور ورئيس المفتين في تونس وشـيخ جامع الزيتـون عين عام ١٩٣٢ م، شـيخ للاسـلام مالكي، له مصنفات منهـا مقاصد الشريعـة الاسـلامية ، اصول النظـام الاجتماعي في الاسـلام، توفى سـنه ١٣٩٣ م، انظر: الاعلام، جـ٦/ ص١٧٤.

(١٨) مقاصد الشرعة، ص٥١ .

(١٩) تعريف علال الفاسي : هو محمد علال بن عبد الواحـد بن عبد السـلام الفاسي القهـري ولد بفاس وتعلـم بالقرويين مـن مصنفاته مقاصـد الشريعة الاسـلامية ومكارمها ،توفى سنة ١٣٩٤ م ينظر: الاعلام، جـ٤/ص٢٤٦ .

(٢٠) مقاصد الشريعة الاسلامية ومكارمها ص ٣.

(٢١) نظرية المقاصد عند الشاطبي ،ص٧.

(٢٢) اصـول الفقـه الاسـلامي للزحيـلي، جـــ٢/ ص١٠١٧.

(٢٣) سورة العنكبوت، آية (٤٥).

(٢٤) سورة التوبة، آية (١٠٣).

(٢٥) اخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء – حديث (٢٢) جـ ١/ص٣٢٣.

(٢٦) اخرجـه البخاري في صحيحـه، كتاب الايمان، ٣٩ ١جــ/ص٩٣.

(٢٧) اخرجـه ابـن ماجـه ، كتـاب الطـب ، ٢/ ص١١٣٧.

(٢٨) اخرجه مالك في الموطأ مرسلاً –كتاب الاقضية – حديث (٣١) ج ٢ـ/ص٧٤٥.

(٢٩) اخرجه البخاري في صحيحه – كتاب النكاح – حديث (٥٠٦٥) جـ ٩/ص١٠٦.

(٣٠) اخرجه مسـلم في صحيحه – صلاة المسافرين – حديث (٥٠) جـ ١/ ص٤٩٠.

(٣١) كتاب اصول (عله).

(٣٢) الجويني : كتاب البرهان ج٢/ص٨١٠.

(*) المصدر السابق.

(٣٣) المستصفى ص٢٥١ .

(٣٤) شفاء الغليل ص١٦٠.

(*) المصدر السابق.

(٣٥) المستصفى، ص٢٥٨.

(٣٦) المصدر نفسه، ص٢٥١.

(*) المصدر السابق.

(٣٧) المصدر نفسه،ص٢٥٣.

(٣٨) المصدر نفسه، ص٢٥٣.

(٣٩) يُنظر مقدمة شفاء الغليل للدكتور حمد الكبيسي، ص٢١.

(٤٠) مقاصد الشريعة لابن عاشور، ص٩.

History of the Islamic knowledge

By: Dr. Riyad Saeed Latif

Abstract

The idea of research is based mainly on the existence of some kind of non-knowledge by specialists in science this important science, the science of Islamic purposes, it did not stop at this limit, but the writer added another restriction also ignorance by the reader is a series of episodes of this science or what we call it On the date of that science, the title (history of Islamic knowledge) became the same as the boat of the author in order to arrive at what is appropriate for our scientific community to Allah to convey to him an appropriate and acceptable message.



النجف في كتابات الرحالة والمستشرقين

م.د.سندس زيدان خلف الشجيري*

● المقدمة :

امتازت النجف عن غيرها من المدن بكونها مرقد باب العلم، الامام علي بن ابي طالب زوج البتـول وابن عم الرسـول، ومرقـد الانبياء ادم ونوح من قبـل، مما جعلها محط أنظار الزائرين من مختلف بقاع العالم في حياتهم او بعد مماتهم وامنياتهم بان يدفنوا بجوار امير المؤمنين حبا وتقربا.

لقـد اصبحت مدينة النجف منـبرا حضاريا للعلـم بمختلف العلوم العقليـة والنقلية، وصارت مركزا للحوزة العلمية للمذهب الامامي.

لـم يقتصر زائـرو مدينة النجف على العرب والمسـلمين بل كانت محـط انظار وجذب للمستشرقين بمختلف اجناسـهم ودياناتهم وقومياتهم،متحملين المشاق في رحلاتهم في ذلـك الوقت للوصول الى الشرق والاطلاع على المعالم الروحية والحضارية للمدينة،ما خلـف لنا ارثا من ادب الرحلات في مختلـف جوانبه العمرانية والحضارية والاجتماعية والاقتصادية.

● مدينة النجف / الموقع التاريخي للمدينة

لم يكن موضع النجف محدداً بذاته وانما كان يذكر عند ذكر الحيرة او الكوفة، يحدثنا اليعقوبـي (ت٢٩٢هـــ) بقوله: "الحـيرة منها على ثلاثـة اميال والحـيرة على النجف والنجف كان سـاحل بحر الملح، وكان في قديم الدهر يبلغ الحيرة وهي منازل ال بقيلة وغيرهم".

قال السـهلي:بالفرع عينـان يقال لاحدهما الربض وللاخرى النجف تسـقيان عشرين الف نخلة وهو بظاهر الكوفة كالمسـناة تمنع مسـيل المـاء ان يعلو الكوفة ومقابرها يحـدد ياقوت الحموي موضع مدينة النجـف بقوله:"مدينة كانت على ثلاثة اميال من الكوفة على موضع يقال له النجف، زعموا ان بحر النجف كان يتصل به ".



---

* جامعة بغداد – مركز احياء التراث العلمي العربي

و"على ثلاثة اميال من الكوفة كانت منازل النعمان بن المنذر وبها تنصر المنذربن امرئ القيس وبنى بها الكنائس العظيمة والحيرة على موضع يقال له النجف".
وجاء في تاريخ الطبري:"جلس النعمان يوما مجلسه من الخورنق فأشرف منه على النجف ومايليه من البساتين والنخيل والجنان والانهار مما يلي المغرب وعلى الفرات مما يلي المشرق وهو على متن النجف في يوم من ايام الربيع ". فكل المصادر متفقه على هذا الموضع:" كانت الحيرة على شاطيء الفرات يدنو من اطراف البر حتى يقرب من النجف فلما تبسط النعمان في العيش رأى ان يتخذ له مجلساً عاليا يشرف منه على المدينة فأتخذ الخورنق على مرتفع يشرف منه على النجف...".

● تاريخ مدينة النجف

تعد النجف من المدن القديمة، وهي مدينة الانبياء والاولياء والصالحين، يحدثنا عن اخبارها بمعجمه بقوله:" وفي اخبار ابراهيم خرج من بابل على حمار له ومعه ابن اخية لوط يسوق غنما ويحمل دلوا على عاتقة حتى نزل بانيقيا وكان طولها اثني عشر فرسخا وكانوا يزلزلون في كل ليلة فلما بات عندهم ابراهيم لم يزلزلوا.فقال لهم الشيخ الذي بات عنده ابراهيم(عليه السلام) والله ما دفع عنكم الا بشيخ عندي فاني رأيته كثير الصلاة فجاؤوه وعرضوا عليه المقام عندهم وبذلوا له البذول، فقال: انما خرجت مهاجرا الى ربي وخرج حتى اتى النجف فلما رأوه رجع تباشروا وظنوا انه رغب فيما بذلوا له فقال لهم لمن تلك الارض يعني(النجف) قالوا:هي لنا، قال: فتبيعونها:قالوا هي لك.فوالله ما تنبت شيئا فقال لا أحبها الا شراء فدفع اليهم غنيمات....".
وفي ايام التنوخيين واللخميين والمناذرة كانت عاصمتهم الحيرة وافرة بالحضارة والعمران ولقرب النجف منها فقد استوطنها عدد من الاقوام العربية وكان منهم من يدين بالنصرانية، لذا تذكر المصادر اسماء عدد من الاديرة منتشرة ما بين النجف والحيرة: دير مارت مريم، الاسكول.
وعند الفتح الاسلامي عسكر خالد بن الوليد في الحيرة سنة ١٢هـ، ووقعت بينه وبين اهل الحيرة مناوشات كثيرة قتل عدد من المسلمين في النجف، فقال القعقاع بن عمرو:

سقى الله قتلى بالفرات مقيمة
واخرى باثياج النجاف الكوانف

ويؤكد لنا الدميري هذا الامر بقوله: "ان خالد بن الوليد لما تحصن من أهل الحيرة بالقصر الابيض وغيره من قصورهم نزل بالنجف وارسل اليهم ان ابعثوا الي رجلا من عقلائكم..".
وفيما بعد اقترن اسم مدينة النجف بقبر الامام علي (عليه السلام) بعد استشهاده في الكوفة عاصمة الخلافة الراشدية سنة٤٠هـ/ ٦٦١م.
أما عن معرفة القبر فيقول: "روى محمد بن زكريا، قال: حدثنا عبيد الله بن محمد بن عائشة، قال: حدثني عبد الله بن خازم، قال: خرجنا يوماً مع الرشيد من الكوفة نتصيد فصرنا إلى ناحية الغريين والثوية فرأينا ظباء فأرسلنا عليها الصقور والكلاب فجاولتها ساعة ثم لجأت الظباء إلى أكمة فسقطت الصقور عليها ورجعت الكلاب، فعجب الرشيد من ذلك ثم أن الظباء هبطت من الأكمة فهبطت الصقور والكلاب فرجعت الظباء إلى الأكمة فتراجعت عنها الكلاب والصقور ففعلت ذلك

ثلاثاً، فقال الرشيد: أركضوا فمن لقيتموه فأتوني به، فأتيناه بشيخ من بني أسد، فقال له هارون: اخبرني ما هذه الأكمة، قال: ان جعلت لي الأمان أخبرتك، قال: لك عهد الله وميثاقه ألا أهجيك ولا أوذيك، فقال: حدثني أبي، عن آبائه أنهم كانوا يقولون ان هذه الأكمة قبر علي بن أبي طالب(عليه السلام) جعله الله حرماً لا يأوي إليه شيء ألا أمن، فنزل هارون فدعا بماء فتوضأ وصلى عند الأكمة وتضرع عليها وجعل يبكي ثم انصرفنا".

في حين ينفي ابن كثير مكان قبر الإمام علي بقوله: "....وما المقصود ان عليا، لما مات صلى عليه ابنه الحسين، فكبر عليه تسع تكبيرات، ودفن بدار الإمارة بالكوفة، خوفاً عليه من الخوارج...." قال الواقدي....قلت أين دفن؟ قال: دفن بالكوفة ليلاً، وقد غبي عني دفنه وفي رواية عن جعفر الصادق....قيل ان علياً دفن قبلي المسجد الجامع من الكوفة. قال الواقدي، والمشهور هو انه دفن بدار الإمارة قيل بحائط جامع الكوفة وقد ذكر... أن الحسن والحسين حولاه فنقلاه إلى المدينة فدفناه بالبقيع عند قبر زوجته فاطمة أمهما.

والرواية السابقة للخليفة الرشيد تمثل المعرفة العلنية لقبر علي ويرفد الشيخ المفيد هذه الرواية بعدد من الروايات يبين فيها أن موضع القبر الشريف معروف من قبل العلويين دون العامة لتخوفهم من الساسة بدليل أن الشيخ الذي أتي به إلى الرشيد من بني أسد بقوله له: " الأمان حتى أفصح...ويقول حدثني أبي عن آبائه....".

ويذكر رواية أخرى روى محمد بن عمارة قال:" حدثني أبي، عن جابر بن يزيد، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي الباقر أين دفن أمير المؤمنين، قال: دفن بناحية الغريين....".

ما رواه عباد قال:" فلما مات أخرجناه.... حتى أتينا الغريين فإذا صخرة بيضاء تلمع نوراً فأحتفرنا فإذا ساجة مكتوب عليها: مما ادخر نوح لعلي بن أبي طالب فدفناه فيها فانصرفنا....أن الموضع قد عفي أثره بوصية منه"، وعن ذلك يقول الشيخ المفيد:" إذا زرت أمير المؤمنين فأعلم أنك زائر عظام آدم، وبدن نوح، وجسم علي بن أبي طالب،....أن الله عز وجل أوحى إلى نوح وهو في السفينة أن يطوف بالبيت أسبوعاً. فطاف بالبيت كما أوحى إليه، ثم نزل في الماء إلى ركبتيه فأستخرج تابوتاً فيه عظام آدم فحمله في جوف السفينة حتى طاف بالبيت ما شاء الله أن يطوف، ثم ورد إلى باب الكوفة في وسط مسجدها ففيها قال الله عز وجل للأرض (يا أرض ابلعي ماءك) فبلعت ماءها من مسجد الكوفة كما بدأ الماء منه،... فأخذ نوح التابوت، فدفنه في الغري...".

● اسماء مدينة النجف

١- النجف: في كتب اللغة لها معاني ومدلولات عده منها النجفة: أرض مستديرة مشرفة، والجمع نجف ونجاف. الجوهري: النجف والنجفة، بالتحريك، مكان لا يعلوه الماء مستطيل منقاد. ابن سيده : النجف والنجاف شيء يكون في بطن الوادي شبيه بنجاف الغبيط جدا، وليس بجد عريض، له طول منقاد من بين معوج ومستقيم لا يعلوه الماء وقد يكون في بطن الأرض، وقيل: النجاف شعاب الحرة التي يسكب فيها. يقال: أصابنا مطر أسال النجاف. والنجفة: شبه التل[١]، في المنطقة بحر يسمى بحر (النى) ثم جف بعد ذلك فقيل (ني



جف) فسـمي نيجف ثم صار بعد ذلك يسمونه (نجف) لأنه كان أخف على ألسنتهم [٢]، البكري، بقوله:"أرض بالنجف من دون الكوفة [٣]، حدد (ماسـنيون) المكان الذي كان يطلق عليه اسـم النجف قديماً بالجزء الغربي المطل على البصرة المالحة من ذلك اللسان [٤]، ذكرها حنين الحيري المغني بقوله:

انـا حنين ومنزلي النجـف
وما نديمي الا الفتى القصف[٥]

واوجز الشـاعر بابيات شـعرية معنى النجف بقولة:

النجف اسم للمكان المرتفع
او اسم عين بالمياه تندفع
او المسناة بجنب الشاطيء
أوني في لغـة (الانبـــاط)
فالـني ماء عـندهم وجـفا
واستعملوا اللفظ الذي قد خفا[٦]

٢- الحـيرة: مدينة كانت عـلى ثلاثة اميال من الكوفـة على موضـع يقال له النجـف[٧]، وقيل سـميت الحيرة لان تبعا الاكبر لما قصد خراسان خلـف ضعفـة جنده بذلـك الموضع وقـال لهم حـيروا بـه اي اقيمـوا بـه[٨]،وفي اللغـة يقـال اصبحت الارض حيرة:مخضرة مبقلة[٩].

٣- الطـور: الجبـل[١٠]،او مـا كان عـلى حـد الشيء[١١] ،الإمام علي (ع) بوصيته لأولاده حول موضـع مدفنه الشريف بقولـه: "أن أخرجوني إلى الظهـر فإذا تصوبت أقدامكم واسـتقبلتكم ريح فادفنونـي، وهو أول طور سـينا، ففعلوا ذلك" [١٢].

٤- الجـودي: قال تعالى:"وقيل يا أرض أبلعي مـاءك، ويا سـماء أقلعـي وغيض المـاء وقضي الأمر واسـتوت عـلى الجودي وقيل بعـداً للقوم الظالمين"[١٣].

المجلـسي أن الجـودي بقرب الكوفـة وربما هو الغري [١٤].

٥- الربوة: الربوة في اللغة ما ارتفع من الارض وكذا[١٥] ،عن سليمان بن نهيك عن أبي عبد الله الصادق (ع) في قـول الله عز وجل:"وآويناهما إلى ربـوة ذات قـرار ومعين، قـال الربوة نجف الكوفـة والمعـين الفـرات[١٦] ، وعـن محمد بن مسلم قال سألت الصادق (ع) عن قول الله عز وجل: "وجعلنا إبن مريم وأمـه آية، وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين" قال: الربوة النجف، والقرار المسجد، والمعين الفرات[١٧].

٦- الغـري: ذكر القزوينـي أن الغريين يقعان قرب مرقد أمير المؤمنين (ع) [١٨]، الغري نصب كان يذبح عليه الفنائر، والغريان طربالان،هما بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب مشهد أمير المؤمنين[١٩]،وفي معنى الغري يذكر الشاعر. وقد قال الشريف المرتضى:

وليلة بتنا بالغريين ضافنا
على الزاد موشي الذراعين اطلس[٢٠]

٧- المشـهد: وفي اللغـة المشـهد الحضور،وما يشاهد والمجتمع من الناس[٢١].

يحدثنـا صفـوان الجمـال يقول:خرجـت مع الصـادق من المدينـة اريد بالكوفـة، فلما جزنا بـاب الحيرة، قال يا صفوان: قلـت لبيك،يا ابن رسـول اللـه، فلتخـرج المطايـا الى القائم وجد الطريـق الى الغري. قال صفوان صرنا الى قائم الغري،أخـرج رشـاء معـة دقيقٌ قـد عمل من الكنبار ثم تبعد مـن القائم مغربا خطى كثيره ثـم مد ذلك الرشـاء حتى انتهـى اخره. فوقف ثـم ضرب بيده الى الارض فأخرج منها كفا من تراب فشمه مليا، ثم أقبل يمشي حتى وقف على

موضع القبر الآن، ثم ضرب بيده المباركة الى التربة فقبض منها ثم شهق شهقة حتى ظننت انه فارق الدنيا،فلما افاق، قال: ها هنا والله مشهد أمير المؤمنين(ع) ثم خط تخطيطا بذلك[٢٢].

وقد ارخ ابن الاثير كثيرا من الاحداث بذكره لاسم هذه البقعة بالمشهد[٢٣].

قال الشاعر:

وسمي المشهد حيث القاصد

يشهد ما ليس له بشاهد[٢٤]

٨- الظهر: ظهر الحيرة اوظهر الكوفة، هما من التسميات المعروفة عند المؤرخين والجغرافيين للدلالة على النجف، وأرتبط ظهورهما بمملكة الحيرة منذ القرن الثاني الميلادي[٢٥]، وفي اللغة: ما غلظ من الأرض وارتفع[٢٦].

٩- وادي السلام: ذكر الإمام الصادق (ع) موضع وادي السلام بقوله: "بين وادي النجف والكوفة"[٢٧]، أن تسمية وادي السلام لا تشير إلى وجود واد في المنطقة، بل إلى معنى أرض السلام وتعتبر مقبرة وادي السلام أكبر مقبرة إسلامية في العالم تقتصر على سكان مدينة النجف فحسب ولا العراق وحده بل الكثير من البلاد الإسلامية فهي تضم قبور الأنبياء والصحابة والملوك والسلاطين والتابعين والوزراء والشعراء والعلماء والعظماء[٢٨] ويقول الشاعر:

سل الحجر الصوان والأثر البادي

خليلي كم جيل قد أحتضن الوادي[٢٩]

١٠- براثا: البرث: جبل من رمل سهل التراب لينة، والبرث الارض السهلة اللينة والبرث اسهل الارض واحسنها[٣٠]، عن ابي الحسن الحذاء قال: " قال ابوعبد الله(ع)ان الى جانبكم مقبرة يقال براثا يحشر منها عشرون ومائة الف كشهداء يوم بدر" [٣١].

١١- بانيقيا: ويذكر الفيروزابادي انها في الكوفة[٣٢]، قال الحموي، ناحية من نواحي الكوفة [٣٣]، وقد ذكرها الاعشى بقوله:

قد سرت مابين بانيقيا الى عدن

وطال في العجم تكراري وتسياري[٣٤]

● كتابات الرحالة والمستشرقين عن النجف

مدينة النجف هي واحدة من المدن الاسلامية المهمة لاحتضانها جسد الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام) وزوج البتول فاطمة الزهراء(عليها السلام) وولي الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) من بعده،هذا كله اكسبها الاهمية لتصبح قبلة الناظرين من القاصي والداني بمختلف اصقاع العالم وبمختلف الاجناس والاقوام والجنسيات، فمنذ العصور الاسلامية الاولى كان لمدينة النجف الحظ الاوفر من الاهتمام في كتابات الجغرافيين والرحالة من مسلمين وغيرهم.

● النجف (الموقع)

اول من كتب عن مدينة النجف هو الرحالة ابن جبير(٦١٤هـ) في القرن السابع الهجري، يصف الطريق الى المدينة بقوله: "وهو بظهر الكوفة كأنه حد بينها وبين الصحراء، وهو صلب الارض منفسح متسع، للعين فيه مراد استحسان وانشراح»[٣٥].

اما ابن بطوطة فيصف المدينة بقوله: " نزلنا مدينة مشهد عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) بالنجف، وهي مدينة حسنة في أرض فسيحة صلبة من أحسن مدن العراق،..."[٣٦]، " ومن ذي الكفل إلى النجف أربعة فراسخ. وهو مزار حضرة الإمام عليّ، وفي الطريق يعبر من نهر الهندية لمرات. وهذا النهر يأتي من نهر الفرات.



يذهب إلى النجف. وفي موطنين عليه قناطر، وان النجف في محل مرتفع. وهو قلعة محكمة، فيها نحو ألفي بيت من العرب والعجم [٣٧]. وهواؤها في غاية اللطف والجودة، ولا سيما لياليها. وماء الآبار في النجف مالح جداً. ولا تصل الحبال إلى الماء إلاّ بعد عشرين لفة ؛ ليصل الدلو إلى الماء...[٣٨]".

ويصف تيخيرا ارتفاع المدينة بقوله: "... وكأنها تطل من موقعها العالي على بحر النجف نفسه..."[٣٩].

يحدثنا لوفتس[٤٠]عن تاريخ النجف فيقول: "...أنها أسست على أنقاض مدينة الحيرة القديمة، التي نشأت الأُسر العربية المالكة المعروفة فيها، وقد التجأ اليها خلال القرن الثالث للميلاد كثيرون من النصارى اليعاقبة هرباً من الاضطهاد والفوضى التي انتابت أحوال الكنيسة. وبهذه الوسيلة اعتنق ملك الحيرة ورعاياه الديانة المسيحية قبيل مولد النبيّ محمّد (صلى الله عليه وسلم).....أنها فتحت بسهولة بعد قتل ملكها في المعركة، وبذلك فرضت عليها الجزية التي كان مقدارها ٧٠٠٠قطعة ذهب في السنة. وتعد الحيرة أول بلد فتحه المسلمون خارج الجزيرة العربية؛ كما تعد الجزية التي فرضت عليها أول جزية فرضوها على أي بلد من البلاد الأجنبية..."[٤١].

ويصف لوفتس موقع النجف الجيولوجي وشكلها العام كذلك فيقول:"... أنها تقع فوق هضبة من الحجر الرملي الميال إلى اللون الأحمر، وترتفع إلى أربعين قدماً فوق السهول المحيطة بها...".ويتفق معة ويلنكس في انها هضبة من الحجر الرملي.." [٤٢].

اما المسز بيل[٤٣] فتتحدث عن المدينة عند زيارتها سنة١٩١١ م:"... بلدة مسورة تقوم على حافة الجرف المرتفع بجنب البحر الجاف، وتشير إلى القبة والمآذن والمقابر وقدسية البلد..." [٤٤]

وتؤكد هذا ستارك[٤٥]:"... أخذت النجف محل الكوفة، ومع ان سكانها قد استقروا وتمدنوا فإنها لا تزال تعد من مدن البادية، المحاطة بسور خاص ترتفع هي في داخله فوق هضبة واطئة من الأرض كأنها تاج يعلوه ذهب القبة المتلألىء"[٤٦].

● المشهد الشريف

"...وفي غربي المدينة على مقدار فرسخ منها المشهد الشهير الشأن لعلي ابن أبي طالب(رضي الله عنه)، وحيث بركت ناقته وهو محمول عليها مسجى ميتاً [٤٧].

ويصف ابن بطوطة المشهد بقوله: "ثّم باب الحضرة (يعني باب الصحن الذي يحيط بالمرقد) حيث قبر الامام عليّ عليه السلام....باب القبة.... صنع من الفضة، وكذلك العضادتان، ثّم يدخل القبة وهي مفروشة بأنواع البسط من الحرير وسواه، وبها قناديل الذهب والفضة منها الكبار والصغار، وفي وسط القبة مسطبة مربعة مكسوة بالخشب عليه صفائح الذهب المنقوشة المحكمة العمل مسمرة بمسامير الفضة قد غلبت على الخشب بحيث لا يظهر منه شيء، وارتفاعها دون القامة، وفوقها ثلاثة من القبور ذكر ان أحدها قبر آدم عليه الصلاة والسلام، والثاني قبر نوح عليه الصلاة والسلام، والثالث قبر عليّ (رضي الله تعالى عنه)، وبين القبور طسوت ذهب وفضة فيها ماء الورد والمسك وأنواع الطيب يغمس الزائر يده في ذلك ويدهن بها وجهه تبركاً وللقبة باب آخر عتبته أيضاً من الفضة وعليه ستور من الحرير الملون يفضي

إلى مسـجد مفروش بالبسـط الحسان مستورة حيطانه وسقفه بستور الحريروله أربعة أبواب عتباتهـا فضة، وعليها سـتور الحريـر...[٤٨]»، فهنا يحاول ابن بطوطة أن ينقل لنا صورة من عدم الثقـة في صحة مكان القـبر لكنه لم يفلح ومع ذلك فهـو ينقل لنا اقدم النصوص لوصف المشهد الشريف.

في حين ينقـل لنا الرحالة عبـاس المكي[٤٩]،عند زيارتـه النجـف ١١٣٢هــ ،صورة مـن اروع مايكون لقدسية المكان بقوله: ".. دخلنا مشهد علي بن أبي طالـب فتشرفنا بزيارة الإمام المؤيد بالنصر من ربه والفتـوح وضجيعيه الكريمين آدم ونـوح وقـد عقـدت عليهم قبـة عظيمة في زينة وسـيمة وأول من عقد هـذه القبة عبد الله بـن حمـدان في دولة بنـي العباس ثـم عمرها الملـوك من بعده، وكان الذهب الأبريز والجواهر وخالص اللجين وأنواع الفـرش الفاخر ما يكل عنه قلمـا لحاصر، والبلـدة رخيـة أمينة طيبة حصينة سـورها مكـين.. "[٥٠]، وكذلك الرحالة عبد الوهاب عزام: " مشهد الإمام عليّ، والمسجد إحدى آيـات البناء عظمة وأبهـة ونظاماً....فيه فنـاء عظيـم، تحيط بـه أبنية كثـيرة رفيعة.... يحيـط الفناء بمسـجد عظيم، يزيـغ البصر في جلالـه وأبهتـه. مقدم المسجد كلـه والمنارتان الشـامختان عـلى جانبيـه ـ كلّ هـذا مغـشى بصفائح الذهب الخالـص. ولكن أنّى للداخل ـ إلى حضرة أمير المؤمنـين عليّ ـ أن يعبأ بالذهب والزخرف....ولـم تمنعنـي روعـة المقـام مـن تسريح الطرف في القبـة الهائلة، تبهر الأبصار في حلل من البلور والذهب. تتدلى منها المصابيح تزري بالتيجان المعلقة هنالك. وقد رأينا تاجين أحدهما فـوق المرقد الشريف، وهو تاج الشـاه إسـماعيل. والآخر في زاوية مـن القبة؛ يقال إنه تاج نادرشاه، ويقال إنه تاج أحد ملوك الهند.... ثـم خرجنا إلى الـرواق المحيط بالقبـة، فمررنا بحجرة فيها قبر محمّد شـاه القاجـاري، عليه صفيحـة مـن المرمـر مزينة بنقـوش، وصورة مَلَكـين ذوي أجنحة يحمـلان بينهمـا تاجاً.... فعرجنـا على حجـرة في جانب منهـا مقصورة، أخبرنا أن فيها قبر السـيد كاظم اليزدي، وابنه، وقـبر أمير رامبور. ورأينا صورة الشـيخ كاظم (السـيد كاظم اليزدي) وصـورة ابنه معلقتين على سياج المقصورة" [٥١].

"... ان الروضة الحيدريـة كان فيها الكثير من النفائس الثمينـة ومنها ثلاث ثريات من الذهب المطعـم بالأحجـار الكريمـة. وكان عـدد مـن الأُمراء المسـلمين والملوك قد أهدوها إلى الحضرة المطهرة..." [٥٢].

ويصـف لنـا تافرنييـه المشـهد بقولـه: ".... بلدة صغـيرة كانت تدعى سـابقاً الكوفة والآن تعـرف بمشـهد عليّ، كانت تشـاهد مـن حوله أربعة شـمعدانات مضـاءة، وقناديل مدلاة من السـقف،... كان هنـاك قارئان يتلـوان القرآن الكريـم عـلى الـدوام..." [٥٣]، الا ان القـاريء يسـتنتج انـه وصف خارجـي ولـم يتجرأ على الدخول الى المشهد الشريف.

ويسهب نيبور[٥٤] ،في الوصف: "... كانت في تلك الأيام محاطة بسور غير عامر يمكن الدخول إلى البلدة من عدة فجوات فيه، وان هذا السور كان فيه بابـان كبيران هما "باب المشـهد" و "باب النهر" وباب ثالث يسـمى "باب الشـام"... ان الباب الأخير كان قد سُدَّت فتحته بجدار خاص مـن دون أن يذكر السـبب في ذلك...ان الشـكل الخارجي للبلدة يشبه شكل مدينة القدس، وان

سعتها تقارب سعة القدس أيضاً..." [٥٥].
ويقول ":... ان النجف كان فيها، عدا الجامع الكبير المشيد حول الضريح المطهّر، ثلاثة جوامع صغيرة أخرى.... ان سقفه قد صرفت مبالغ طائلة على تزيينه وطليه بالذهب بحيث لا يمكن أن يوجد مبنى آخر في العالم أجمع يضاهيه بكلفة تسقيفه الباهظة.... للقبة المذهبة منظر أخاذ، لا سيما حينما تسقط أشعة الشمس عليها، أو حينما تبين للرائي من بعد ستة أميال....ان القبة كان يعلو قمتها "كف عليّ" بدلا من الهلال الذي كان يشاهد فوق القباب الموجودة في الجوامع التركية عادة.... الجامع الكبير كان محاطاً بساحة واسعة يقام فيها السوق كلّ يوم. وكان هناك بين يدي الباب الكبرى شمعدان كبير جداً يحمل عدداً كبيراً من الأضواء. وقد كانت تطل على هذه الساحة من جميع الجهات بيوت السادة والخدم التابعين للحضرة المطهرة، الذين كان يتجاوز عددهم المئة على ما قيل له..." [٥٦].
ثم يعرج نيبور على عدم وصفه للروضة من الداخل: ".... انه لم يستطع التقرب كثيراً من الجامع والدنو منه بحيث يشاهد شيئاً منها بنفسه...»[٥٧].
ثم يشير الى وصف الضريح:"...ان رفيقه في السفر، وعدداً من شيعة النجف، قد أكدوا له ان الحضرة كانت فيها أشياء ثمينة جداً ينبهر بها الناظرون. فقد كان هناك عدا القبة المذهبة والآيات القرآنية المطعمة بالمينا كتابات كثيرة مكتوبة بحروف من ذهب، وعدد غير قليل من (الشمعدانات) الفضية والشمعدانات الذهبية المطعمة بالأحجار الكريمة.... قيل له عن خنجر من الطراز الهندي كان معلقاً في شباك الضريح المطهر، فإنه كان مرصعاً بأحجار كريمة نادرة لا تقدر بثمن . و قيل له ان أحد أسلاف (أورنك زيب) امبراطور المغول في الهند كان قد أهداه على سبيل التبرك قبل بضع مئات من السنين...." [٥٨].
ولشد انتباه القارئ يذكر نيبور:" ان (مشهد عليّ) لم يصل اليه أي أوروبي قبله هو " وهذا امر غير صحيح لان عدداً من الرحالة الاوروبيين قد سبقوه كالرحالة تيخيرا.
ويشاطر جون بيترز[٥٩] ،لوفتس الرأي: ".... لا يمكن أن يصف الشعور الذي يخالج الناظر إلى جميع ما كان في داخل الجامع من زينة في البناء وتناسق في الألوان، ويشير الى شكل الصحن الشريف والضريح المطهر و زينة القاشاني المحتوية على الرسوم المتناسقة للطيور والأوراق النباتية والكتابات المذهبة، ان أركاناً ثلاثة من أركان الصحن كانت تقوم فوقها مآذن ثلاث كسيت الاثنتان الأماميتان منها بالآجر المغلف بالذهب الذي يكلف تذهيب الواحدة منه مبلغ تومان واحد، أو ما يعادل باونين استرلينيين. وهذه مع القبة كانت تؤلف منظراً فخماً يعجز عنه الوصف. وكانت القبة الكبرى المكسوة بالذهب وهي تتوهج في نور الشمس تبدو للرائي من بعيد وكأنها تل من الذهب يقوم من البراري الممتدة من حوله. كما كانت توجد بين يدي الضريح المطهر بركة من النحاس تزيد في جمالها أشعة الشمس المتراقصة فوق سطحها الصقيل اللماع الذي يكاد يحاكي سطح القبة نفسه في بهائه وتلألؤه"[٦٠].
ويذكر انه لم يدخل الحضرة: " ان داخليتها كانت على النمط نفسه من البهاء والرونق الاخاذ. لأنه علم ان أرضيتها كانت مبلطة بقطع

منتظمة من الأبريز المصفى، وان عدداً غير يسير من الأعلاق الفنية المهداة من المسلمين المؤمنين كانت تزين الداخل كله... لفتت نظره على الأخص طيور الحمام الكثيرة كذلك..." [٦١] ويبدو انه لم يحاول الدخول للمشهد الشريف لنفس السبب الذي ذكره نيبور.

يتحدث جون بيترز عن شخصية الامام علي. " عرف في شبابه وكهولته بالكثير من المآثر وأعمال البطولة التي تخلد شجاعته الفائقة في التأريخ وتبرر لقب "الأسد" الذي لقبه به النبيّ الكريم، كما عرف في شيخوخته بورعه وزهده ودماثة خلقه. ولا يسع المرء غير المتعصب إلاّ أن يعجب بشخصيته الملهمة المحبوبة للغاية، لما عرف عنه من إخلاص تام وتفان متناه لمعلمه وسيّده النبيّ محمّد. وقد أدى قتله بالطريقة التي قتل فيها إلى انتشار شهرته وذيوع صيته في الخافقين"[٦٢].

● المدارس ودور العلم

المدارس ودور العلم في هذه المدينة تشد الناظر اليها لكونها قد اصبحت مدينة علم تغترف علمها من سيرة الامام علي ليبقى مناراً للاجيال ابد الدهر وهذا ما يذكره ابن بطوطة: "... وبازائه المدارس والزوايا والخوانق معمورة أحسن عمارة، وحيطانها بالقاشاني وهو شبه الزيج عندنا لكن لونه اشرق ونقشه أحسن... ولكلّ وارد عليها ضيافة ثلاثة أيام من الخبز واللحم والتمر مرتين في اليوم...يدخل من باب الحضرة إلى مدرسة عظيمة، يسكنها الطلبة، والصوفية من الشيعة " [٦٣].

يشير عزام الى نفس الوصف الذي اوردة ابن بطوطة من قبل الا انة يضيف:" وقد حُدّثت أن طلاب العلم في النجف يزيدون على عشرة آلاف..... ثم شرفنا بزيارة العلاّمة المحقق والمجتهد الكبير السيد محمّد حسين آل كاشف الغطاء. وهو أحد مجتهدين ثلاثة في النجف، هو عربي، والآخران ايرانيان. فلما استقر بنا المجلس في الطبقة الثانية من داره شرع يحدثنا فعاتب الأستاذ أحمد أمين على ما كتبه عن الشيعة في كتاب "فجر الإسلام" ولامه أن ما كتب غير راجع إلى أمهات كتب الشيعة. وتلك يقظة من اخواننا جديرة بالاعجاب والثناء، شاهدة باطلاعهم على كلّ ما يكتب في العالم الإسلامي..... جلس الأستاذ العلاّمة على كرسي، وأحاط به طلابه ـ وكلهم رجال تلوح عليهم سن الأربعين أو ما يقرب منها، وكلهم وقور في سمته وبزّته ـ تكلّم في مسألة من علم الكلام، مسألة واجب الوجود، ثم ثنى بتفسير الآية (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم..) والطلبة يسألون ويجادلون قد رفعوا الكلفة بينهم وبين شيخهم. وقد سمعنا المعجب من بيان الأستاذ، وغزارة علمه ـ على قصر الوقت ـ ثم نزلنا إلى المكتبة، فاطلعنا على نوادر الكتب المخطوطة. ووددنا لو اتسع الوقت لنقضي اللبانة من هذه المكتبة المعمورة...." [٦٤] .

توماس لايل:"... النجف كلها جامعة دينية واحدة يبلغ عدد طلابها حوالي (٦٠٠٠) طالب... أقدس المدن الشيعية ومقر أعظم المجتهدين وأكبرهم على الدوام. "[٦٥]

● العمارة في مدينة النجف

يبين لنا عزام طريقة بناء المنازل في المدينة بدقة:"..... هبطنا الى بعض السراديب هناك؛ فإذا طبقات ثلاث أو أربع تحت الأرض ينزل إليها نحو خمسين درجة. وكلّ طبقة تستمد الهواء من كوة صاعدة إلى ظهر الأرض. وفي السراديب



آبار مفضية إلى قنوات تتشعب تحت المدينة من مجرى واحد. والسراديب ـ كما رأينا ـ أعجوبة ناطقة بـذكاء أهل النجف ونشـاطهم وجدهم. وهـي مأواهم في الصيف لا محيـص لهم منها. فإن النجف الأشرف في صحراء جرداء شـديدة الحر. فـإذا متع النهار هبط النـاس جميعاً إلى هذه السراديـب فيجدون بلداً آخـر بارد الهواء وقـد حُدّثنا أن المقيم في السراديب يحتاج أحياناً إلى اتقـاء بردها بالغطاء بينمـا الحر على ظهر الأرض يأخـذ بأكظام الناس "[٦٦]، "... وتتصل كثير من الـدور بعضها ببعض عن طريق هذه السراديب ...» [٦٧].

لم ينـسَ الرحالة حتـى مادة البنـاء:"... يكثر فيهـا الكلس، الـذي كان يحـرق للحصول على مادة البناء منه، وان الخشـب كان يندر وجوده ويرتفـع ثمنه فيها. ولذلك كانت البيوت تشـيد كلهـا بالطابـوق والجص وتعقد سـقوفها على شـكل قبـب وعقـود ، فتكـون متينـة البنيان عادة.." [٦٨].

اما ويلنكس فيصف المدينة بالكامل:".... وهي محاطة بأسـوار يبلغ ارتفاعها خمسة وعشرين قدماً، وسـمكها خمسة إلى ستة أقدام، من دون أن يحيط بها أي خندق، ويكوّن محيط الأسوار كله شـكلا مربعاً تقريباً، يضـم في داخله كتلة كبـيرة من البيـوت المتحاشـكة..." [٦٩]. فيتفق معـه لوفتـس[٧٠] ،على هـذا الوصـف. في حين يغايرهـم كل مـن تيخـيرا[٧١] ،وبيـترز الـرأي لتقـادم الزمـن:".... ان البلـدة كانـت محاطة بسـور امتدت اليه يد الاهمال كذلك، فأصبحت تلاحـظ فيه الثغرات في عدة أمكنة، وقد علم من بعض الناس ان اهمالها وانحطاط شـأنها كان قد حصل بعد وفاة الشـاه طهماسب الصفوي (تـوفي في٩٨٤هــ) الـذي كان يرعاهـا ويعنى بشأنها عناية كبيرة"[٧٢].

● **الكوفة(الموقع)**

"... والفـرات مـن الكوفـة على مقـدار نصف فرسـخ ممـا يـلي الجانـب الشرقـي. والجانب الشرقي كله حدائق نخيل ملتفة يتصل سوادها ويمتد امتداد البصر.." [٧٣].

وبتحديـد ووصـف ادق:"...الكوفـة تبعد عن النجـف نحو فرسـخ واحـد وهي بلـدة كبيرة جدا.والان ليس فيها من العمارات غير مسـجد الكوفة، وباقيها خراب ويمر نهر الهندية قريبا مـن الكوفـة ثـم يمـضي الى ارض عاليـة ومن هنـاك حفروا له قناة فصـار يذهب الماء في تلك القنـاة يجري منها الى مسـافه حتـى يظهر الى الخـارج والمـاء الذي يخرج من القنـاة يقال له الفرع.."[٧٤].

ثم يشـير عزام لاهمية الكوفة:".... قبة الإسلام ومنـزل العـرب ومهد علـوم العربيـة وملتقى العـرب والعجـم في حضانـة الإسـلام، الكوفة التي خُط مسـجدها ليسـع أربعين ألف مصلٍّ، وذلـك عدة المقاتلة من أهلهـا إذ ذاك ثم ذخرت بالعمـران واسـتبحرت، الكوفـة التـي مهدت حجرهـا لعلـوم العربيـة وآدابهـا، وللعلـوم الإسـلامية عـلى اختلافهـا ..."[٧٥]، ومن ناحية تاريخية يوضح لوفتس:"....موقع الكوفة كان هـو الموضع الذي نزل فيـه جبرائيل إلى الأرض فصلى لله عزّ وجلّ، ومنه انبثقت مياه الطوفان الطاغية على عهد نوح (عليه السـلام) فاستقل فلكه هرباً منها. ويزعم العرب بالاضافة إلى ذلك ان الحيّة حينما أغوت حواء نفيت إلى هذا المكان عقوبة لها.."[٧٦].

ويذكر لنا بيترز رواية عن (كري سعدة):"......

ان هنـاك في غربـي الكوفة نهراً مندرسـاً كبيراً يسـمى "كري سـعدة". ويـروي الخرافة التي تروى عن تسـميته بهذا الاسـم، وهي ان تاجراً غنياً من تجار البصرة كان قد أحب امرأة جميلة اسمها "سعدة" من أهالي المنطقة الكائنة ما بين هيت وعانة في شـمال البـلاد. وكانت هذه المرأة تهوى ضفـاف الأنهر المظللة، فاشـترطت عليه حينمـا خطبها مـن أهلها أن تنقـل إلى البصرة في طريق النهر الـذي يمر بالأماكن التي يجللها الظـل. فما كان منه إلاّ أن يحفـر لها هذا النهر ويغـرس الأشـجار عـلى ضفافـه. ويعتقـد ان "كري سـعدة" هو الجـدول الكبير الذي حفره (نبوخـذ نصر) فمده مـن موقع يقرب من هيت إلى الخليـج ليحيـي به مسـاحات شاسـعة من الأرض الموات"[٧٧].

● **العمارة في الكوفة**

وصـف الكوفـة: "مدينة كبـيرة عتيقـة البناء، قد اسـتولى الخراب على اكثرهـا، فالغامر منها أكثـر من العامر... فهي لاتزال تضربها، وكفاك بتعاقب الايام والليالي محييا ومفنيا. وبناء هذه المدينة بالاجر خاصة، ولا سـور لهـا. والجامع العتيـق اخرهـا مما يـلي شرق البـلاد ولاعمارة تتصلبـه من جهة الشرق. وهـو جامع كبير، في الجانب القبلي منه خمسـة بلاطات، وفي سـائر الجوانب بلاطان. وهذه البلاطات على اعمدة من السواري الموضوعة من صم الحجارة، المنحوتة قطعة على قطعـة، مفرغـة بالرصاص ولاقسي عليهـا، على الصفـة التـي ذكرناها في مسـجد رسـول اللـه (صلى اللـه عليه وسـلم)، وهي في نهاية الطول، متصلة بسـقف المسـجد، فتحار العيون في تفـاوت ارتفاعها. فما ارى في الارض مسجداً اطول اعمدة منه ولا اعلى سقفاً [٧٨].

ويسـتطرد في وصـف الجامع: "....فمنهـا بيت بازاء المحراب عن يمين المستقبل القبلة، يقال:انه كان مصلى ابراهيم الخليل (صلى الله عليه وسلم)،.... وعـلى مقربة منه، مما يـلي الجانب الأيمن من القبلة، محـراب محلق عليه بأعواد السـاج مرتفع عـن صحن البلاط كأنه مسـجد صغير، وهـو محراب أمير المؤمنين علي بـن أبي طالب، رضي الله عنه،... وفي ذلك الموضع ضربه الشقي اللعين عبد الرحمن بن ملجم بالسـيف، فالناس يصلون فيه باكين داعين... وفي الزاوية من آخر هذا البلاط القبلي، المتصل بآخر البلاط الغربي، شـبيه مسـجد صغير محلق عليه أيضاً بأعواد السـاج، هو موضع مفار التنور الـذي كان آية لنوح (عليه السـلام) وفي ظهره، خارج المسجد، بيته الـذي كان فيه، وفي ظهـره بيت آخر يقال إنـه كان متعبد إدريس(عليه السـلام) ويتصل بهما فضاء متصل بالجدار القبلي من المسـجد، يقال إنه منشـأ السـفينة. ومع آخر هذا الفضاء دار عـلي بن أبي طالـب، رضي الله عنه، والبيت الذي غسـل فيه. ويتصل به بيـت يقال إنه كان بيت ابنة نوح، (عليه السلام) [٧٩].

"وفي الجهـة الشرقيـة من الجامـع بيت صغير يصعـد إليـه فيه قبر مسـلم بن عقيـل بن أبي طالـب (رضي الله عنـه)، وفي جوفي الجامع على بعد منه يسير سقاية كبيرة من ماء الفرات فيها ثلاثة أحواض كبا"[٨٠].

عـن اهميـة الجامـع:".... والمسـجد كان سرة المدينة. وهو الآن قائم وحده لا تحيط به إلاّ أكوام من التراب. فقد ذهبت الأحداث بالكوفة كلها إلاّ المسجد المبارك الذي يقوم كالشيخ الهرم اجتاح الدهر أهلـه وامتد به العمر. والمسـجد سـاحة واسـعة تحيـط بها أروقة ضيقـة تدعمها عَمَد



مبنية؛ مشــهد عظيم جليل يهولك بماضيه قبل أن يروعك بحاضره. وفي وســط المسجد سرداب يقال إنه الموضع الذي صنع نوح فيه الســفينة والذي فار فيه التنور، وعلى مقربة من السرداب أسـطوانة مـن حجـر منصوبة، أقامها السـيد مهدي الطباطبائي لتكون مَزْولة؛ ولكن الناس يـروون فيهـا أن علي بن أبي طالـب رضي الله عنه قذف بها إبليس فما زالت، كسهم النميري، تتبعــه حيثمــا ســار حتى عــاذ منها بمســجد الكوفة فســقطت هناك. تقدمنا إلى رواق القبلة فإذا في المحراب مقصورة صغيرة عليها شـبكة من الحديد هي، فيما يقال، المكان الذي قتل فيه أمير المؤمنين علي. وحسب الإنسان حسرة وحزناً أن يقف في مقتل علـي فيذكر تلك الضربة التي ما يزال الإسلام يدمى منها. وعلى المحراب كتابة بالفارسية ومعناه: "ضرب مفرق علي بالسيف في هذا المحراب، وهو سـاجد عـلى عتبة الخالق الوهــاب"... حجرتــان عــن اليمين والشــمال؛ إحداهما مدفن مسـلم بن عقيل بن أبي طالب، والأخــرى مدفن هاني بن عُــروة المرادي، الذي آوى مسلماً حين قدم الكوفة من قِبَل الحسين،... ولــم نر نحن في مــسرح الطــرف إلاّ أكواماً من التراب هي بقايــا الكوفة قبة الإســلام.... رأينا بلدة صغيرة هي الكوفة الحديثة " [٨١].

لكــن تيخــيرا يخبرنــا في رحلتــه: "... ان آثــار الأســواق العامــرة المبنيــة بالطابــوق كانت ما تزال شــاخصة للعيــان..." [٨٢]، "... أنها كانت خاليــة مــن الســكان تقريبــاً حينمــا زارهــا- نيبــور- وقــد شــاهد في طريقــه اليهــا مجرى كري ســعدة الجاف، يعتقد انه (اليالاكوباس) الــذي حفــره ســكان العــراق الأقدمــون"[٨٣]. وقد رسـم مخططا للمدينة واشـارفية الى باب الفيل، والسفينة، (والسـقاخانة) والموقع الذي كان الإمام الحسن والحســين (عليهما السلام) يصليــان فيه، والمحراب الــذي كان يصلي إزاءه الإمام موسى الكاظم (عليه الســلام). كما يشير إلى الأعمــدة الدالــة على مقامــات الأنبياء عيسى وموسى وإبراهيــم الخليل، والموضــع الذي من عــادة الإمام الســجاد (عليه الســلام) أن يصلي فيه، والمكان الذي شيد فيه نوح أول بيت له بعد مغادرته الســفينة على مــا يُعتقد، ومقام الإمام الصادق (عليه الســلام)، وضريحي مســلم بن عقيل وهانيء بن عروة [٨٤]......كانت منقوشــة عــلى البناء المشــيد فوق قبري مســلم بن عقيل وهانيء ان (محمّــداً بن محمود الرازي) و (أبا المحاسن بن أحمد التبريزي) هما اللذان شيداه سنة٦٨١هــ.." [٨٥] .

● الجانب الاجتماعي

وقد نقل لنا ابن جبير صورة عن مكانة مســجد الكوفة في نفوس ســاكنيه:" وعليه ســتر اسود صونا له،ومنه خرج الخطيب لابسا ثياباً سوداء للخطبــة. فالناس يزدحمون عــلى هذا الموضع المبارك للصلاة فيه". [٨٦]، اما اداب الزيارة:"... فعندمــا يصــل الزائــر- الروضــة الشريفــة - يقــوم إليه أحدهم أو جميعهــم؛ وذلك على قدر الزائــر يقفــون معه عــلى العتبة، ويســتأذنون لــه ويقولون: عــن أمركم يا أمــير المؤمنين هذا العبد الضعيف يســتأذن عــلى دخوله الروضة العليّــة فإن أذنتم لــه وإلا رجــع، وإن لم يكن أهــلاً لذلك فأنتم أهــل المكارم والســتر...وهذه الروضة ظهــرت بها كرامات ثبــت بها عندهم ان بها قــبر علي (ع)، فمنها أنّ في ليلة الســابع والعشرين من رجب وتسمى عندهم ليلة المحيا يؤتــى إلى تلك الروضة بكل مُقعد من العراقيين

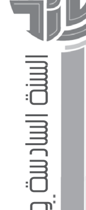


وخراسان وبلاد فارس والروم، فيجتمع منهم الثلاثون والأربعون ونحو ذلك، فإذا كان بعد العشاء الآخرة جعلوا فوق الضريح المقدس والناس ينتظرون قيامهم وهم ما بين مصل وذاكر وتال ومشاهد للروضة، فإذا مضى من الليل نصفه أو ثلثاه أو نحو ذلك قام الجميع أصحاء من غير سوء وهم يقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله،علي ولي الله. وهذا أمر يستفيض عندهم سمعته من الثقاة، ولم أحضر تلك الليلة، لكني رأيت بمدرسة الضياف ثلاثة من الرجال أحدهم من أرض الروم، والثاني من أصبهان، والثالث من خراسان، وهم مقعدون فاستخبرتهم عن شأنهم فأخبروني أنهم لم يدركوا ليلة المحيا وأنهم منتظرون أوانها من عام آخر، وهذه الليلة يجتمع لها الناس من البلاد ويقيمون سوقاً عظيمة مدة عشرة أيام... أهل شجاعة وكرم ولا يضام جارهم صحبتهم في الأسفار فحمدت صحبتهم، ومن الناس ـ في بلاد العراق وغيرها ـ من يصيبه المرض فينذر للروضة نذراً إذا برىء، ومنهم من يمرض رأسه، فيصنع رأساً من ذهب أو فضة ويأتي به إلى الروضة..."(٨٧)، يؤكد عزام هذاالامر:".... دخلنا إلى المشهد العظيم، وللناس حوله جؤار بالدعاء والقراءة..." (٨٨).

عبد الوهاب عزام:"...سمعنا دويّ طبل هائل وصلصلة سلاسل، فاطلعنا من الدار على موكب هائل فيه جماعة يضربون ظهورهم بسلاسل من الحديد معقودة ويصيحون: أي تشنه لب حسين واي. ومعناه: آه يا حسين الظمآن. وكان مرآهم وصخبهم في هدوء الليل رائعاً مهيباً. وأهل السلاسل أو أهل الزناجير جماعة من النادبين شهداء آل البيت رضوان الله عليهم. وطائفة أخرى تسمى اللطمية وهم الذين يلطمون صدورهم، وأخرى تسمى أصحاب السيوف وهم الذين يضربون أنفسهم بالسيوف ولهاً لذكرى مقتل الإمامين علي والحسين..."(٨٩).

ومما يذكره نيبور: "....ان الزيارة ليست لها أيام معيّنة كما هي الحالة في الحجّ إلى مكة المكرمة، ومع هذا فإن الشيعة يعتقدون أن دعاءهم تزداد الاجابة له في أوقات وأيام خاصة. ولذلك فهم يؤدون الزيارة في أيام رمضان المبارك، والعاشر من محرم الحرام، والسابع والعشرين من رجب، وغير ذلك"(٩٠).

اما توماس لايل فقد كتب عن محرم في النجف: ".... وإن يوم عاشوراء يعد من أقدس الأيام عند المسلمين لأن الله عزّ وجلّ خلق فيه آدم وحواء، والعرش والسماء، وجهنم ويوم الحساب، ولوح القدر والقلم والمعاد والموت.... شهد موكباً من مواكب "اللطمية"... قصة يشعر بفجيعتها المتناهية كلّ من يستمع إليها.... فيعجب بجماعة خدام الحضرة.. ما يقرب من مئتين وخمسين شخصاً.... اللطم على الصدور صوت فريد في بابه.... أما "التشابيه" إنها تمثل يوم عاشوراء، وتعتبر شيئاً موقراً... لكنها تكون كثيرة الواقعية..." (٩١)، يحلل لايل هذا بقوله: "...أيقنت بأن الورع الكامن في أولئك الناس والحماسة الدينية المتدفقة منهم يمكنهما أن يهزا العالم هزاً فيما لو وُجها في الطرق الصالحة والسبل القويمة. ولا غرو فلهؤلاء الناس عبقرية فطرية في الدين... ان الكثيرين من العرب، ولا سيما الصبيان منهم، هم أصدق معرفة بالديانة الحقة من مئات (الانكلوساكسونيين) الذين يحضرون صلاة الأحد في الكنائس ويشتركون في طقوسها. لأن كلّ عربي يعلم تمام العلم



بأن التدين..." [٩٢]، وتتحدث ستارك عن نهاية احزان عاشوراء"..... شاهدت وهي جالسة من بعيد شعلات من النار طافية في النهر،.. وترمى هذه في النهر في نهاية موسم العزاء (نهاية شهر صفر) لتأخذ معها أحزان السنة وتفرج الكربة عن الناس.... أن "الأفندية".. لمحوا هلال الشهر الجديد (هلال ربيع الأول) وأخذ كلّ منهم يتمنى الخير والموفقية لصاحبه..." [٩٣].

ان أول ما يدوّنه بيترز:"... كان يتوقع ان يلاقي صعوبة في الدخول اليها والتجول في أنحائها، بالنظر لما قرأه عنها وعن تعصب أهلها في رحلة لوفتس لكنه وجد ان الأمر بعكس ما كان ينتظر، لأنه استطاع التجول في البلدة بكل حرية وتمكن من تصوير مناظر عدة من بينها منظر الجامع الكبير نفسه"[٩٤].

وعن كرم اهل النجف فهو معروف للقاصي والداني:"....فخرج إلينا أهل النجف بأنواع المأكول الطيب والمشروب الهني والمشموم الذكر ولطائف التحف.....وهي جنة المتقين وأهلها سادة كرام ملجأ الخاص والعام لاعيب فيهم سوى ان النزيل بهم يسلو عن الأهل والأصحاب.... "[٩٥]،"....فاستضافها هناك رجل يقال له الشيخ علاوي، وقد أصبح صديقاً حميماً لتيخيرا على ما يظهر لأنه يسميه "صديقي العظيم"[٩٦].



يقول بيترز:"...وجد النجف مدينة مزدهرة، يتراوح عدد نفوسها ما بين العشرين والثلاثين ألف نسمة..."[٩٧]، اما في زيارة توماس لايل التي تلتها:" ان عدد نفوسها يقدر بخمسة وأربعين ألف نسمة..... ولما كان محيط سورها الخارجي يقل عن ثلاثة أميال....ويبلغ عدد الزوار الذين يمرون من أبوابها في بعض الأعياد الكبرى حوالي مئة وعشرين ألف شخص..... سكان النجف يجب أن يقسموا إلى طبقتين بارزتين، طبقة رجال الدين المحترفين وطبقة العوام الاعتياديين. "[٩٨].

ان الدين عند لايل:"... يتخلل حياة المجتمع النجفي من جميع نواحيه. فهو ينظم (نفسولوجية) الناس فيه، ويسيطر على أفكارهم وأعمالهم، وينساب أبداً ودوماً مع التيارات الخفية المتخللة في عقلهم الباطن. وبوسع المرء مهما ابتعد عنهم أن يسمع "نوطته"المدوية في قلب ذاتيتهم واضحة جلية..." [٩٩]، "...ان بعض سكانها كانوا من أهل السنّة، وإن العلاقة بين أهل السنّة والشيعة في النجف وكربلاء كانت علاقة حسنة إلى حد غير يسير"[١٠٠]، وتذكر فرايا ستارك:"... جماعة من فقراء الأفغان كانوا يعيشون على الكفاف، ويحصلون على قوتهم من حياكة بيوت الشعر، ينتزع كلّ منهم فلساً واحداً من وارده الشحيح بين حين وآخر فيعطيه للانفاق على العتبة.... من نكون نحن لننتقد عقيدة تعطي مثل هذا المقدار ياترى...."[١٠١].

يصف لايل احد شرائح المجتمع بقوله:"... القراء الذين يقرأون القرآن على الكثير من القبور لينيروا ظلمتها الموحشة ببركته وروحانيته، فيقول ان الزائر لوادي السلام في أمسيات الخميس من كلّ اسبوع يجد حوالي ألفي قارىء من هؤلاء القراء الذين يحصلون على قوتهم من هذه المهنة المصطبغة بالتقى والورع. ولا يحصل هؤلاء على الكثير من هذه المهنة، ولذلك فانهم يتقاضون أيضاً حصتهم من الصدقات التي يفرقها المجتهد الأكبر على المحتاجين من الناس عادة...". اما مقبرة وادي السلام:"...

يرقــد في أرجائــه رقدتهم الأبديــة الكثيرون من الملــوك والــوزراء والوجهاء والتجــار، والأغنياء والفقراء..." [١٠٢].

فرايا ســتارك:"...قد كان الإمــام عليّ هنا يعمل للخــير ويتمســك بالأمــور المثلى، فأفنى نفســه وهو مريض الفــؤاد ما بين أهل الكوفة ... وعلى مســافة غير بعيدة من هــذه البقعة جعجع ابنه الحســين إلى جهــة الباديــة وظل يتجــول حتى نــزل في كربــلاء، فقتــل قتلــة فظيعة مــع أهل بيتــه بعــد أن منع عنهم الماء. وقصــة قتله هذه من القصــص القليلة التي لا اســتطيع قراءتها مــن دون أن ينتابنــي البــكاء.... ان التاريخ قد توقــف في كربلاء والنجف منذ يــوم مقتله ذاك، لأن النــاس أخذوا يعيشــون فيهمــا على ذكرى الكراهية لأعــداء الحســين..." [١٠٣]،"...ان المرء لا يســعه ســوى أن ينحني خاشــعاً أمــام زهد الإنســان وورعــه وتعجــب كيــف ان الساســة الانكليز يعتقدون بأنهم يســتطيعون السيطرة على قلــوب الناس بالوســائل الماديــة وحدها... أمضــت أمســية... فكانت من أجمل الأمســيات التــي قضتها في حياتها كلهــا.... خرجت تقطع السوق الذي امتلأ بالأضوية، وهي تشعر بحبها للعالم بأجمعه.... ".

ويتفــق كل مــن ويلنكــس[١٠٤] ولايــل[١٠٥] وتافرنييــه[١٠٦] ان مــاء المدينة مــج غير صالح للــشرب، بينمــا بيترز يصــف ماء النجــف بانة أحســن ماء شربه[١٠٧] ونيبور ايضــا يغايرهما في الــرأي ويقول:"...أنها تقع في منطقة مجدبة لا يتيــسر فيها المــاء بســهولة... أن المــاء الذي كان الناس يحتاجونه للطبخ والاغتســال كانوا يســتقونه مــن قنــوات خاصــة تمتــد في باطن الأرض، لكــن المــاء الصالح للــشرب كان يؤتى بــه محملا على ظهور الحمير من مســافة ثلاث ساعات"[١٠٨].

● الجانب الاقتصادي

الاســواق هي احــدى المزايا التــي كانت تتصف بهــا النجــف لكونها محط رحــال الزائرين ابن بطوطــة يقول:"...ولها أســواق حســنة نظيفة دخلناها من بــاب الحضرة (باب ســور المدينة الخارجي). فاستقبلنا سوق البقالين والطباخين والخبازيــن، ثــم ســوق الفاكهــة، ثــم ســوق الخياطين والقســارية، ثم ســوق العطارين،... أهلها تجار يسافرون في الأقطار... " [١٠٩].

يصف لايــل التجــار بقوله:"....الــزوار والبدو الذين يأتــون للاكتيال وكأنهم فرائس شرعيون لــه. أما التاجر النجفي فهو من طراز التجار في القرون الغابرة، حينما كانت البضاعة تشــحن بواســطة القوافــل وتمر بأخطــار لا حصر لها فلا يُعرف ربحها أو خســارتها إلاّ بعد عدد من الســنين، ويكون أقل ربح لهم منها بنســبة مئة بالمائــة. ويعتبر الزائر الايراني المتشــبع بالروح الدينية، والبدوي الذي يذهله حتى منظر البيوت، تحت رحمتــه على الدوام. ومن عاداته أنه يحتفظ بوعاء صفيح الدهن ثلاثين سنة في سردابه بأمل أن يرتفع سعرها قرشاً واحداً" [١١٠].

لوفتــس:"..... ولقدســية النجــف هــذه كان يقصدها الزوار الشيعة من جميع الأنحاء، وعلى هؤلاء كانت تعيش البلدة بأجمعها. يقدر معدل عدد الزوار الذين كانوا يفدون عليها في كلّ سنة بمقدار ٨٠٠٠٠ شخص.

تافرنييه:".... ان الطعام كان شحيحاً في البلدة، وانــه لــم يجد فيهــا غــير شيء قليل مــن التمر والعنب واللوز مما كان يباع بأســعار عالية.... ان الزوار حينما كان يكثر وجودهم في مواســم



الزيارات كان الشيخ يوزع عليهم عند الحاجة الرز المطبوخ بالماء والملح، والمضاف اليه شيء قليل من السمن...".

تكسيرا:"... ان البلدة كانت بها حاجة ماسة إلى الكثير من الأشياء المهمة كالخشب والأغنام والدجاج والحنطة والشعير والفاكهة والخضراوات، ولذلك كان يؤتى بها من الخارج على الدوام. وعلى هذا كان طعام السكان معظمهم ينحصر في التمر والحليب وخبز الحنطة والشعير. ومع ان بحيرة النجف يتيسر فيها السمك فإن سكان البلدة لم يكونوا يستفيدون منه إلاّ بمقدار قليل....".

ويصف نيبور الاحوال الاقتصادية لبعض المدن القريبة من النجف بقوله:"...ان شيخ الخزاعل كان يتقاضى رسوماً كمركية طفيفة على البضائع التي كانت ترد اليها...".

ويورد لنا ابن بطوطة ذكر خزائن النجف التي تضم التحف والهدايا:" فيجعله النقيب في الخزانة. وكذلك اليد والرجل، وغيرهما من الأعضاء. وخزانة الروضة عظيمة فيها من الأموال ما لا يضبط لكثرته"(١١١)، ويقول نيبور:"...كان من المعتاد في كلّ سنة أن يوفد والي بغداد رجلا من كبار ضباطه الى النجف الأشرف للتحقق من وجود هذه الأعلاق النفيسة والتحف الثمينة التي كان يؤتمن عليها الكليدار، ويسأل عنها الباشا الوالي كذلك"(١١٢)، وعلق بيترز عليها:"...ان خزائن النجف التي لا تقدر بثمن كانت تتألف في الحقيقة من خمس خزائن: واحدة للجواهر الثمينة والأعلاق النفيسة، وأخرى للأموال، وثالثة للسجاد والطنافس، ورابعة للأسلحة الفاخرة، وخامسة لأنواع "البهارات"..."(١١٣)

في حين يركز تيخيرا على جوانب اخرى فيذكر:"....وبعد مسيرة يومين مرت في أثنائهما القافلة بأماكن تتوفر فيها المياه الغزيرة وتمتد من حولها حقول الشعير والقمح والقطن والخضروات" (١١٤).

هنا يجمع كل المستشرقين على احتساب دخول الجنائز الى النجف هو مكسب مادي دون التركيز على جانبيهِ الروحي والمعنوي من قبل الوافدين لمقبرة وادي السلام، يتحدث نيبور عن ذلك: "... رأى أربع جنائز تنقل للدفن في وادي السلام،... إن عددها كان يتجاوز الألفين في السنة أي بمعدل سبع جنائز في اليوم الواحد.... الذين يريدون الدفن بالقرب من الروضة المقدسة كان عليهم أن يدفعوا مبالغ كبيرة من المال، وان الذين يدفعون مبالغ معتدلة كان يسمح لهم بالدفن في داخل أسوار البلدة، أما الذين كانوا يدفعون مبالغ زهيدة فقد كانوا يدفنون موتاهم في خارج السور، وهؤلاء كان يتراوح ما يدفعونه عن الجنازة الواحدة بين أربعة وثمانية "ستوفرات". وكان ستون ستوفر يعادل "تالير" ألماني واحد، والتالير يساوي ثلاثة ماركات"(١١٥).

ويقدر كل من ويلنكس(١١٦) ولوفتس:"... عدد الجنائز التي كان يؤتى بها للدفن بشيء يتراوح بين٥٠٠٠و٨٠٠٠ جنازة..." (١١٧) .

يحلل بيترز حال مدينة النجف واسباب احتفاظها بسلامة ساكنيها رغم وجود اكبر مقبرة في المنطقة:"... ان النجفيين مع كثرة ما يرد إلى بلدتهم من الجنائز على الدوام فانهم لا تتسرب اليهم عدوى الأمراض، كما لوحظ بالفعل في أثناء انتشار الهيضة في العراق سنة١٨٧٩م لحصول نوع من المناعة..." (١١٨).

الهوامش

(١) ابـن منظـور، جمـال الديـن محمد بـن مكرم (ت ٧١١هـــ)، لسـان العـرب ، دار صـادر، (بيروت،٢٠٠٣م)، ج١٤، ص٢٠٠.
(٢) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي (ت٣٨١هــ)، علـل الشرائـع، المطبعـة الحيدريـة، النجـف، ١٩٦٣م،ص٢٢؛. المجلسي، بحار الأنوار،ج١٠٠،دار احيـاء الـتراث العربـي ، ط٣ (بـيروت ١٩٨٣) . ص٢٢٦.
(٣) البكـري، عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هــ)، معجـم ما أسـتعجم مـن أسـماء البـلاد والمواضع، تحقيـق مصطفى السـقا، ط١، طبعة لجنة التأليف والترجمة،(القاهرة،١٩٤٥م)،ج١، ص٢٢٢.
(٤) لويـس، ماسـنيون، خطـط الكوفـة وشرح خريطتهـا، ترجمـة تقـي المطبعي، تحقيـق كامل سـلمان، ط١، مطبعـة الغـري، النجـف، ١٩٩٧م، ص١٣٠.
(٥) الاصفهانـي، ابـو الفـرج عـلي بـن الحسـين (ت٣٥٦هـــ)، الاغاني، منشـورات دار الفكر، ط٢، (بيروت،١٩٥٥م)، ج٢، ص٢٣٥.
(٦) السـماوي، محمـد بـن طاهـر النجفي،عنوان الشرف في وشي النجف، مطبعة النجف، لا.ت، ص٣.
(٧) ياقـوت الحموي، معجم البلدان، ج٢،دار صادر (بيروت ١٩١٧م)، ص٣٢٨.
(٨) المصدر السابق، ج٢، ص٣٢٩.
(٩) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ،(القاهرة - لا. ت)ص٣٥٤.
(١٠)الرازي، محمد بن أبـي بكر بن عبد القادر(ت بعد٦٦٦هـ/١٢٦٧م)،مختـار الصحـاح، مكتبـة لبنان، (بيروت، ١٩٨٦م)،١٨٥.
(١١) المعجم الوسيط، ص٢٠٥.
(١٢) الطـوسي، أبـو محمد بن الحسـن (٤٦٠هــ)، تهذيب الأحكام، حققه وعلق عليه حسـن الخرسان، مطبعـة النعمـان، النجـف،١٩٦٢م، ج٦، ص٣٨، المجلسي، بحار الأنوار، ج١٠٠، ص٢٢٨.
(١٣) سورة هود،اية ٤٤.
(١٤) بحار الأنوار، ج١١،ص٣٣٣.
(١٥) الرازي، مختار الصحاح، ص١٢٣.
(١٦) الطوسي، المصدر السابق، ص٣٨ ، الطريحي، فخـر الدين (ت١٠٨٥هـ) مجمع البحرين، تحقيق: احمد الحسـيني ، مؤسسة التاريخ العربي، (بيروت، لا.ت) ، ج١ص١٧٤.
(١٧) إبن عسـاكر، أبو القاسـم علي بن الحسين (ت ٥٧١هــــ)،. تاريـخ مدينـة دمشـق، تحقيق صلاح الديـن المنجد، مطبعة الشرقي، (دمشـق،١٩٧١م)، ج١، ص٢٠٢.
(١٨) البراقــي، حسـون، اليتيمة الغرويـة والتحفة النجفيـة، مخطوط في مكتبة الحكيـم العامة، ورقة رقم٩٧.
(١٩) ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٢، ص١٩٤.
(٢٠) علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت٤٣٦هــ)، الامـالي، تحقيـق: محمد ابـو الفضـل ابراهيم، نشر عيسى البابي الحلبي (لا.م.،١٩٥٤م)، ج٤، ص١٢٠.
(٢١) المعجم الوسيط، ص٣١٥.
(٢٢) المجلسي، بحار الانوار، ج١٠٠، ص٢٣٦.
(٢٣) ابـن الأثـير، أبـو الحسـن بـن عـلي بـن أبي مكـرم محمد ابن محمـد بن عبد الواحد الشـيباني الجـزري (ت٦٣٠ هــ / ١٢٣٣م)، أسـد الغابـة في معرفـة الصحابـة، تحقيق وتعليـق: علي محمد معوض و عـادل احمد عبد الموجـود، قدم له:محمد عبـد المنعـم البري و عبـد الفتاح أبو سـنه و جمعه طاهر النجـار،دار الكتب العلميـة، (بيروت-لا.ت)، ج٩، ص١٨، ٦١، ٨٩، ٢١٩، ٢٤١، ٢٤٨،٥١٦، ج١٠،ص٤٢،٥٨،ج١١،ص٧٠،ج١٢،ص٣٠٢.
(٢٤) المقري،اسماعيل بن ابو بكر(ت٨٠٤هـ)،عنوان الـشرف في علم الفقـة والتاريخ والنحـو والعروض والقوافي،(مصر،١٨٩١م)،ص٣.
(٢٥)غنيمة ،يوسـف رزق الله، الحـيرة المدينة والمملكة



العربيـة، مطبعـة دنكـور الحديثـة، بغـداد، ١٩٣٦م،ص١١٦.
(٢٦) مسـعود، جبران،الرائـد،(لا.م، ١٩٦٥م)،ص١٤٥.
(٢٧) الديلمي، أبو محمد الحسن بن محمد، إرشاد القلوب، دار الفكر، بيروت، لا ، ت، ج٢،ص٢٣١.
(٢٨) فخـر الدين، محمد جواد نـور الدين، تاريخ النجـف حتى نهاية العـصر العبـاسي، طبع معهد العلمين، النجف، ٢٠٠٥م، ص٦٣ ؛ المظفر، محسن، وادي السـلام في النجف من أوسع مقابر العالم، ط ١،مطبعة النعمان، النجف،١٩٦٤م،ص٤٨-٤٩.
(٢٩) الشرقي، عـلي، الديوان، جمع وتحقيق:موسى الكرباسي، ط٢، طبع دار الشـؤون الثقافية العامة، بغداد، لا – ت، ص٢٢٦.
(٣٠) ابن منظور، لسان العرب،ج٢،ص٤٩.
(٣١) المجلسي،بحار الانوار،ج١٠٠،ص٢٣٠.
(٣٢) القاموس المحيط،ص١٣٤٠.
(٣٣) معجم البلدان،ج٢،ص١٩٥.
(٣٤) المجلسي،بحار الانوار،ج١٠٠،ص٢٢٦.
(٣٥) ابن جبير،أبو الحسين محمد بن احمد بن جبير الكناني الاندلـسي الشـاطبي البلنسي(ت٦١٤هـ)، رحلـة ابـن جبـير،دار صادر،(بـيروت،لا.ت)، ص١٨٧-١٨٩.
(٣٦) شـمس الدين ابو عبد اللـه محمد بن ابراهيم اللواتـي (ت٧٧٩هــ)،دار صادر، (بـيروت،لا.ت)، ص١٧٦.
(٣٧) المنشيء البغدادي، محمد بن احمد الحسيني، رحلـة المنشيء البغـدادي، نقلهـا من الفارسـية: عباس العزاوي،شركـة التجارة والطباعة المحدودة، (بغداد،١٩٤٨)،ص ٨٧.
(٣٨) المصدر نفسه .
(٣٩) تيخـيرا، بيـدرو، رحلـة بيـدروا تيخـيرا من البـصرة الى حلـب عـبر الطريـق الـبري (١٦٠٤-١٦٠٥م)، ترجمـة وتحقيـق: انيـس عبـد الخالق محمـود، المؤسسـة العربيـة للدراسـات والنـشر، (لا.م،٢٠١٣م)، ص٨٧.
(٤٠) وليـم كنت لوفتـس: عالم اثـار انكليزي زار العـراق ١٨٥٣م، كان عضوا دوليـا في لجنة تحديد الحدود وتثبيتها بين العراق وايران.
(41) Loftus, W.k.-Travels & Researches in Chaldeae & Susiaua, London، p 46 ،1857.
(٤٢) الدجيـلي، جعفر، موسـوعة النجف الاشرف، اشراف: لجنـة من رجال الفكـر والعلم والادب، دار الاضواء، ط١،(بيروت، ١٩٩٣م)،ج٤، ص ٢٣٣.
(٤٣) كريتـورد لويشـن بيـل مسـتشرقة ورحالة بريطانية،تخرجـت من جامعة اكسـفورد وتعلمت العربية،عملـت كمسـاعدة للمنـدوب السـامي السـير برسي كوكيـس في بغداد حتى وفاتها سـنة ١٩٢٦م،ودفنـت في مقـبره للمسـيحيين في سـاحة الطـيران ببغداد،وقـد عـدت من جواسـيس الدولة البريطانيـة، لها كتـاب مـراد الى المراد،ولها مذكرة عرفـت بمذكـرات المـس بيـل. الكرباسي،محمـد صادق، تاريخ المراقد الحسـين واهل بيتة وانصارة، (لندن،١٩٩٨م)،ج٢،ص٢١٨.
(٤٤) الكرباسي، تاريخ المراقد،ج٢، (لندن ،١٩٩٨م) ص٢١٨.
(٤٥) فرايا ستارك: فرايا مادلين ستارك مستشرقة ورحالة بريطانية درست اللاتينية ثم اللغة العربية والفارسـية في جامعـة لندن، أول مسـتشرق يزور صحـاري الجنـوب العربي. وتزوجت بالمسـتشرق سـتيوارت هنري براون. كتبت أكثـر من ٢٥ كتاب عن أسفارها الى الشرق وأفغانستان.
(46) freya stark, Baghdad sketches, London p45، 1937م.
(٤٧) ابـن جبـير، رحلـة ابـن جبـير، دار صـادر (بيروت،لا.ت) ، ص١٨٧-١٨٩.
(٤٨) رحلـة ابن بطوطة شـمس الدين أبو عبد الله محمـد بـن ابراهيـم اللواتي (٧٧٩هــ)دار صادر (بيروت، لا.ت) ،ص١٧٧.

(٤٩) عباس المكي:عباس بن علي المكي،حفيد حسين العاملي الموسوي ولد في مكة المكرمة،سنة ١١١٠هـ وفيها مات فقية واديب وشاعر ورحالة،من اثارة:نزهة الجليس،ازهار الناظرين. الخزرجي،نضير،اشرعة البيان:قراءة الموضوعية في الموسوعة الحسينية، (لا.م-لا.ت)، ص١٥٩.
(٥٠) الخزرجي، نصير، اشرعة البيان، (بيروت، ٢٠١٢م)، ص١٥٩.
(٥١)عزام، رحلة عبد الوهاب، ص٦٢.
(٥٢) تيخيرا،رحلة بيدرو،ص٨٨.
(٥٣) تافرنييه، رحلة الفرنسي تافرنييه الى العراق في القرن السابع عشر،ترجمة: فرنسيس وكوركيس عواد، الدار العربية للموسوعات، ط١، لا.م، ٢٠٠٦م، ص٧٤.
(٥٤) نيبور،كارستن،رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر،ترجمة:محمود حسين الامين، الدار العربية للموسوعات،(لا.م، ٢٠٠٦م)،ص٩٤. رحالة ألماني عام ١٧٣٣م. دراسة الرياضيات وعلم الفلك، في عام ١٧٦٠ ارسلة الملك فردريك الخامس في بعثة إلى بلدان الشرق وجنوبي الجزيرة العربية، لتقصي الأخبار والمعلومات عنها. نيبور،كارستون،رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر،ترجمة:محمود حسين الامين،ص٩٤.
(٥٥) نيبور، رحلة نيبور الى العراق،ص٩٤.
(٥٦) المصدر نفسة،ص٩٤.
(٥٧) نيبور، رحلة نيبور الى العراق،ص٩٦.
(٥٨) المصدر نفسة،ص٩٧.
(٥٩) جون بيترز:رحالة وعالم اثار امريكي تولى التنقيب عن الاثارفي بابل،الكرباسي،موسوعة النجف،ج٤،ص٢٢٧.
(60)Loftus، Travels & Researches in Chaldeae. p49،
(61)Loftus ، Travels & Researches in Chaldeae p49.
(٦٢) الدجيلي،موسوعة النجف،ج٤،ص٢٢٧.
(٦٣) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص١٧٧.
(٦٤) رحلة عبد الوهاب عزام مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة (مصر ،لا.ت)،ص٦٤.
(٦٥) توماس لايل:كاتب انكليزي اشتغل في العراق معاوناً للحاكم في عام ١٩١٨م حتى ١٩٢١م،ومعاوناً لمدير الطابو في بغداد وحاكماً في محاكمها المدنية. الخياط،جعفر،النجف في المراجع الغربية، مكتبة الروضة الحيدرية،(النجف،لا.ت)،ص٩٤.
(٦٦) توماس لايل:كاتب انكليزي اشتغل في العراق معاوناً للحاكم في عام ١٩١٨م حتى ١٩٢١م، ومعاوناً لمدير الطابو في بغداد وحاكماً في محاكمها المدنية.الخياط،جعفر،النجف في المراجع الغربية، مكتبة الروضة الحيدرية، (النجف،لا.ت)،ص٩٤ . (النجف،لا.ت)،ص٩٤.
(٦٧) الخياط،النجف في المراجع الغربية، مكتبة الروضة الحيدرية ،(النجف،لات) ،ص٩٥.
(٦٨) نيبور،رحلة نيبور،ص١٠٢.
(٦٩) الدجيلي،موسوعة النجف،ص٢٤٠.
(70) Baghdad sketches, freya stark .p49
(٧١) رحلة بيدرو،ص٨٩.
(٧٢) الدجيلي،موسوعة النجف،ص٢٣٠.
(٧٣) ابن جبير، رحلة ابن جبير، دارصادر (بيروت لا.ت)، ص١٨٧-١٨٩.
(٧٤) المنشيء البغدادي،رحلة المنشيء البغدادي،ص٨٨.
(٧٥) رحلة عبد الوهاب عزام،ص٦٤.
(76)Loftus Travels & Researches in Chaldeae p50 .
(٧٧) الدجيلي،موسوعة النجف،ج٤،ص٢٣١.
(٧٨) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٨٧-١٨٩.
(٧٩) المصدر نفسة،ص١٨٧-١٨٩.
(80) Baghdad sketches, freya stark.p187-189.
(٨١) رحلة عبد الوهاب عزام،ص٦٥-٦٨.
(٨٢) رحلة بيدرو،ص٩٠.

(٨٣) رحلة نيبور،ص٩٨.
(٨٤) نيبور،رحلة نيبور،ص١٠١-١٠٣.
(٨٥) المصدر نفسه .
(٨٦) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٨٧-١٨٩.
(٨٧) ابن بطوطة،رحلة ابن بطوطة،ص١٨١.
(٨٨) رحلة عبد الوهاب،ص٦٧.
(٨٩) رحلة عبد الوهاب،ص٦٧.
(٩٠) رحلة نيبور،ص١٠٣.
(٩١) الخياط، النجف في المراجع الغربية، ص١٠١.
(٩٢) المصدرنفسة،ص١٠٢.
(93) Baghdad sketches, freya stark.p51.
(٩٤) الدجيلي،موسوعة النجف،ج٤، ص٢٣١.
(٩٥) الخزرجي، نضير،اشرعة البيان (بيروت ،لا.ت)، ص١٦١.
(٩٦) الدجيلي،موسوعة النجف،ج٤،ص٢٤٥.
(٩٧) رحلة بيدرو،ص٩٣.
(٩٨) الخياط،النجف في المراجع الغربية،ص٩٤-٩٥.
(٩٩) الخياط،النجف في المراجع الغربية،ص٩٥.
(١٠٠) نيبور،رحلة نيبور،ص٩٩.
(101) Baghdad sketches ، freya stark. p 49-50.
(١٠٢) الخياط،النجف في المراجع الغربية،ص٩٧.
(103)Baghdad sketches, freya stark.p52-53.
(١٠٤) الدجيلي،موسوعة النجف،ج٤،ص٢٤٠.
(١٠٥) الخياط،النجف في المراجع الغربية،ص١٠٠.
(١٠٦) رحلة تافرنييه الى العراق،ص٧٥.
(١٠٧) الدجيلي، موسوعة النجف،ج٤،ص٢٣١.
(١٠٨) رحلة تافرنييه الى العراق،ص٧٥.
(١٠٩) رحلة نيبور،ص١٠١.
(١١٠) الخياط،النجف في المراجع الغربية،ص١٠٣.
(١١١) رحلة ابن بطوطة،ص١٨١.
(١١٢) رحلة ابن نيبور،ص٩٩.
(١١٣) الدجيلي،موسوعة النجف،ج٤،ص٣٠١.
(١١٤) الدجيلي،موسوعة النجف،ج٤،ص٣٠١.
(١١٥) رحلة نيبور،ص٩٢.
(١١٦) الدجيلي،موسوعة النجف،ج٤،ص٢٣٥.
(117) Loftus, Travels & Researches in Chaldeae.p49.
(١١٨) الخياط،النجف في المراجع الغربية،ص١٠٣.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- البروجردي،علي اصغر الجابقلي،طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال، تحقيق: مهدي الرجائي، مكتبة المرعشي، (قم-١٤١٠هـ).
- الحر ألعاملي، محمد بن الحسن(ت١١٠٤ه /١٦٩٢م)، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق:محمد الرازي، مطبعة مهر،(قم -لا.ت).
- الخطيب البغدادي، أبي بكر احمد بن علي ثابت (ت ٤٦٣ هـ/١٠٧٠م)،تاريخ مدينة السلام، تحقيق وضبط وتعليق: بشار عواد معروف، دار العرب الاسلامي(بيروت – ٢٠٠١ م).
- الدميري، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الكمال ابو البقاء (ت٨٠٨هـ)،حياة الحيوان الكبرى،ج١،دار الكتب العلمية،ط٢،(بيروت،١٤٢٤هـ).
- الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ/١٣٤٧م)،سير أعلام النبلاء، تحقيق وضبط: شعيب الأرنؤؤط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط١١، مؤسسه الرسالة، (بيروت – ١٩٩٦م).
- زيدان، جرجي، تاريخ العرب قبل الاسلام، (مصر،١٩٠٨م).
- الشريف الرضي،علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت٤٣٦هـ)، الامالي، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، نشر عيسى البابي الحلبي (لا.م.،١٩٥٤م).
- الشوكاني، محمد بن علي ابن محمد، نيل الأوطار عن أحاديث سيد الأخبار شرح منتقى الأخبار، (بيروت - م١٩٧٣).
- الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت٤١٣ه/١٠٢٢م)، مصنفات الشيخ

المفيد، الإرشاد، مؤسسة التاريخ العربي،ط ١، (بيروت-لا.ت).
- الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ /٩٢٢م)،تاريخ الرسل والملوك، تح:محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، (القاهره-١٩٧٩م).
- الطريحي، فخر الدين (ت١٠٨٥هـ)مجمع البحرين تحقيق:احمد الحسيني،ج١، مؤسسة التارخ العربي، (بيروت، لا.ت).
- عدة محدثين (من القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي)، الأصول الستة عشر، دار الشبستري، ط٢، (قم-١٤٠٥هـ).
-ابن الفقية الهمذاني، ابو عبدالله أحمد بن محمد بن إسحاق (القرن الثالث الهجري)، كتاب البلدان،عالم الكتب، (لا.م، ١٩٩٦م).
- القلقشندي، ابو العباس احمد (ت٨٢١هـ)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، دار الكتب المصرية، (القاهرة، ١٩٢٢م).
- ابن كثير، عماد الدين أبي الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤ هـ/ ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، ط١، (القاهرة-١٩٩٨م)
- الماردينـي، ابن التركماني علاء الدين (ت٧٥٠هـ /١٣٤٩م)، الجوهر النقي في الرد على البيهقي، دار الفكر، (لا.م-لا.ت).
- المزي (ت٧٤٢هـ/١٣٤١م)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، حققه وضبطه وعلق عليه: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط٢،(بيروت-١٩٨٣م).
- المظفر، محسن، وادي السلام في النجف من أوسع مقابر العالم، ط ١، مطبعة النعمان،) النجف،١٩٦٤م).
- اليعقوبي، ابو يعقوب اسحاق بن واضح (ت٢٩٢هـ/٩٠٤م)، كتاب البلدان، (ليدن،لا.ت).

Najaf in the writings of travelers and orientalists

By: Dr.Sandas Zeidan Khalaf Al-Shughairi
(Center of revival of Arabian science Heritage)
University of Baghdad

Abstract

Najaf of the old cities, the city of the prophets and the parents and the righteous, and became an important Islamic cities to embrace the body of Imam Ali bin Abi Talib (peace be upon him) and the husband Fatul Zahra (peace be upon him) and the Prophet Muhammad (peace be upon him) after him, The various parts of the world and the different races, nationalities and nationalities, since the Islamic times had the best luck of attention in the writings of geographers and travelers and orientalists of Muslims and others. The books of these travelers include Ibn Jubayr, Ibn Battuta, Tikhira, Lofts, Wilkins, Messes Bell, Fraya Stark and others.



المشهد الكاظمي في كتابات الرحالة الأجانب

أ. م.د.احمد عبد الواحد عبد النبي*

● مقدمة :

مدينة الكاظمية من المدن العراقية القديمة، لها اهمية في التأريخ قديماً وحديثاً، تعد من المدن المقدسة والمباركة وفيها مرقدا الإمامين موسى بن جعفر ومحمد الجواد (عليهما السلام) وتقع في جانب الكرخ من العاصمة بغداد[١] .

نالت هذه المدينة على مدى التأريخ إهتمام الملك الكشي (كور يكالزو الأول) في الدولة الكاشية التي حكمت العراق بعد سقوط الدولة البابلية الاولى ، وجاء اهتمامه بها كونها قريبة من مدينة (عقرقوف) التي كانت تسمى (دو- كور يكالزو) وما تزال آثارها باقية حتى اليوم قرب الكاظمية على نحو ستة أميال عنها من جهة الغرب . وتتميز بضخامة الابنية مما يدل على أنها كانت عاصمة السلالة الكشية منذ بداية القرن الخامس عشر قبل الميلاد والى نهاية السلالة الكشية، وتصبح (عقرقوف) ممثلة لعهد من عهود العراق القديمة [٢] .

وتظل (عقرقوف) الأثر الأول الذي وصل إليه علمنا حيث دعيت أحدى جوانبها الشمالية باسم (الكاظمية) بعد ذلك بعشرات القرون[٣]. بحيث بقيت هذه الارض غير معروفة في التاريخ الاخميني والسلوقي، والفرثي والساساني وكانت موضع اهتمام وعناية وغير خالية من الحياة والسكان [٤].

* جامعة بغداد – مركز احياء التراث العلمي العربي

● عن مدينة الكاظمية ونشوئها :

أسس الخليفة العباسي المنصور مدينة بغداد عام ١٤٥هـ ثم بنى سوراً وفرغ من خندقها[٥]، وانهى المنصور من عمارة مدينته بالجانب الغربي من بغداد عام ١٤٩هـ حيث اقتطع مقبرة الشونيزي الصغيرة فجعلها مقبرة خاصة باسرته واقربائه فأسماها (مقابر قريش) [٦].

وذكرت المصادر التأريخية القديمة أن الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور جعلها مقابر لقريش حيث أول من دفن فيها ابنه الاكبر جعفر الذي توفي عام ١٥٠ هـ ، قبل دفن الامامين عليهما السلام. كما ذكر المؤرخون ان لها تسميات قديمة في التأريخ منها (دورمكور يكالزو) . والتسمية الأخرى لمدينة الكاظمية (الشونيزية) ومعناها الحبة السوداء وجاءت هذه التسمية أثناء الحكم الساساني وبعدما دفن بها الامام موسى بن جعفر وحفيده الامام محمد الجواد بن علي الرضا ثم تحول اسم هذه المنطقة الى الكاظمية وباتت مكاناً مقدساً يقصده الزائر من جميع انحاء العالم لاسيما العالم الاسلامي[٧].

ومن الاهمية بمكان القول ان نشوء المدن وتطورها يعد من العناصر المهمة في النهوض الحضاري بوصفها الانموذج الواقعي للاستقرار الحضري .اذ تزاول العناصر البشرية المستقرة فيها الانشطة الحضارية كافة وعلى الرغم من العوامل السياسية فقد اسهمت اساسا في ان تبلغ المدن القديمة (الكاظمية) وغيرها ذلك الشأن من التقدم والشهرة لكن ينبغي الا نغفل او نقلل من حجم العوامل الاخرى التي ساعدت على نشوء الكاظمية وتطورها كالعامل الديني . وقد نالت مدينة بغداد أهمية كبيرة بمدنها الزاهرة، فكانت مدينة الكاظمية واحدة من إحدى المدن التي لفتت انظار الرحالة والمستشرقين ونالت أهتمامهم لأمور كثيرة لعل من أولها المرقد الشريف للإمامين (عليهما السلام)[٨].

ولفت هذا المشهد الايماني انظار المستشرقين اثناء رحلاتهم الى بغداد واخذ كل مستشرق يدون اثناء رحلته وزيارته للمشهد الكاظمي الجوانب التاريخية أو العمرانية أو الدينية فيه. وفيما يتعلق ببحثنا هذا ،فقد كرس لروايات الرحالة الذين زاروا بغداد وكتبوا عن المشهد الكاظمي ، لان الرحالة اول من نبه في مؤلفاتهم على اهمية بغداد والكاظمية بشكل خاص. فضلا عن الاثار الموجودة في البلاد ومنها الكاظمية .وقد ركزنا على الرحالة الاجانب الذين زاروا بغداد ونشروا كتبا ودراسات كثيرة عن الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية لبغداد والمشهد الكاظمي[٩].

وكان أمر طبيعي ان تكون بلاد ما النهرين محط انظار عدداً من السياح والرحالة والمستشرقين، لما لتلك البلاد العريقة من شهرة واسعة وصيت ذائع في عوالم الحضارات والآثار وما ورد عنها من اخبار وحوادث في الكتب المقدسة .حيث اسهم عدد كبير من الرحالة الاجانب اسهاما ايجابيا بتقديم معلومات جديدة ومفيدة عن مدينة بغداد وقت رحلاتهم، ولعل من ابرز تلك المعلومات هي الكشف عن الاثار والحضارة العربية والاسلامية والكشف عن حلقة مجهولة حول تلك المدينة [١٠] .

وأيا كانت دوافع الرحالة المعلنة منها والخفية



فقد اتصف اغلب الرحالة ولو بدرجات متفاوتة بدقة الملاحظة والوصف وتقصي الحقائق في تسجيل مشاهداتم بأمانه ، كما حرص معظمهم على التفريق بين المشاهدة والرواية عند تسجيل معلوماتهم وتبرز قيمة الرحلات بوصفها مصدرا من مصادر الثقافات الانسانية، ولرصد بعض جوانب حياة الناس اليومية في مجتمع بغداد خلال فترة زمنية محددة . لذا كان للرحلات قيمة تعليمية ثقافية.

وتجد الرحالة والمستشرقين قد حققوا انجازات كبيرة في اهتمامهم بالارث الفني من تراث مدينة بغداد بشكل عام والكاظمية بشكل خاص وفي القرون الاربعة الاخيرة اتسمت بنشاط كبير في ميدان الرحلات والسيادة، فقد زار بغداد بين عامي ١٥٥٣-١٩١٤ ثماني وتسعون رحالة من جنسيات مختلفة .حيث ان الرحلات قديمة قدم الانسان ذاته اذ عرفها منذ العصور القديمة، وان اختلفت اهداف الرحلة وتباينت وسائل السفر وتنوعت مادتها . ومع ذلك فأن كتابات الرحالة ايا كانت توجهاتهم ونزعاتهم الشخصية تصور الى حد كبير بعض ملامح حضارة العصر الذي عاشوا فيه . كما تصف الكثير من ثقافة البلدان التي ذهبوا اليها ، واحوال الشعوب التي اختلطوا فيها . وتتضح من هذا الفهم الحضاري أصالة عطاء مدن العراق عموما والكاظمية خاصة، نقوم بهذا البحث لمتابعة بعض ما سجله الرحالة الاجانب في مذكراتهم عن المشهد الكاظمي، وانها شهادات بحق هذه المدينة العظيمة وعطائها [١١].

● المشهد الكاظمي من خلال كتابات الرحالة ومشاهداتهم له :

١/ الرحالة الايطالي بيترو ديللافاليه Pietro DELLA VALLE :

بدأت تلك الرحلة في سنوات مبكرة من القرن السابع عشر اذ زار الرحالة الايطالي بيترو ديللافاليه العراق عام ١٦١٦ م ، وتحديد مكان المشهد الكاظمي اذ كتب "وصلنا بعد الظهر الى مكان يدعى الإمام موسى وهو مزار يكرمه المسلمون وتكثر النساء خاصة من زيارته يوم الجمعة ويأتيه المؤمنون من بغداد وهو يبعد عن المدينة المذكورة مسيرة ساعة كما يقصده الزوار من بلاد اخرى خاصة فارس لانه يضم الإمام المذكور [١٢] . توقفنا عند هذه البلدة منتظرين رجال المكوس وامضينا ليلتنا هناك فاقبل رجال الحكومة ليستوفوا الرسوم من القافلة لكنهم لم يجدوا فيها ما يجديهم نفعا، لان التجار المحتالين كانوا قد هربوا النقود الى مدينة بغداد اثناء الليلة السابقة وقسمٌ كبيرٌ من الاموال داخل احمال من الحشيش والقصب وما شاكل ذلك فوصلنا الى المدينة ولم يتركوا الا شيئا يسيرا لابعاد الشبهات عنهم كانوا من التجار المعروفين في الغنى[١٣]".

وفي اليوم التالي من الرحلة وتحديدا في العشرين من تشرين الاول عند الظهر يصف مغادرة المدينة ومنظر المشهد الكاظمي حيث يقول "تركنا منطقة الإمام موسى وسرنا باتجاه بغداد ونزلنا في دار اعدت لي ولم تكن الدار في جانب النهرين،الكرخ وانما في الجانب الاخر الرصافة وهو القسم الاكبر من بغداد والاكثر اهمية فاخذنا نصيبنا من الراحة بعد ذلك السفر الشاق للغاية" [١٤].



٢/رحلة كارستن نيبور Carsten Niebuhr عام ١٧٦٥ :

اما الرحالة نيبور والذي بدأت رحلته عام ١٧٦٥ فقد بين مانصه :" لم اتمكن من زيارة ضواحي بغداد والمناطق المحيطة بها ولاسيما تلك التي تقع في الجانب الغربي من دجلة لانها كانت في اثناء زيارتي لمدينة بغداد غرقت جمعاء فهي رطبة وفي هذه الجهة كثير من البساتين غير انها قليلة السكان بالنسبة الى الاقسام المسكونة الاخرى من المدينة وان طرفها الشمالي كان مشيدا من غير شك على بقعة من بغداد العتيقة وكانت تمتد بلا ريب من هناك الى مشهد موسى بن جعفر ، ففي هذه الارض جميعها اثار بنايات ومساجد وقبور مسلمين مشاهير ماتوا في المدينة" [١٥] . ولم يكتفِ كارستن نيبور بوصف مدينة بغداد بل زاد بالوصف ليصف لنا المشهد الكاظمي بشيء من الدقة حيث قال "هي قرية صغيرة تسمى الكاظم وهناك المسجد الكبير مع تربتين لامامين من أئمة الفرس[١٦] هما الامام موسى الكاظم -اي الصبور- وابن ابنه وحفيده محمد الجواد وهذا المشهد الاسلامي مدعاة للفخر . فأن قبتيه الشاهقتين والمنارة كانت قد زينت ظواهرها على الطراز الفارسي بحجارة مطلية وهي اليوم في تكسر مستمر[١٧].وموضع هذا المسجد ليس كما هو حال مشهد علي ومشهد الحسين ، فأن المنازل والدور قائمة ولكنها على حافة الهاوية .وقد قتل.موسى بن جعفر عام ١٨٥ هـ بأمر الخليفة القائم -الرشيد- [١٨] يزور هذا المسجد كل يوم ناس كثر منهم من اهل بغداد . وان اكثر الشيعة لا يستطيعون نقل امواتهم الى مشهد علي لعجزهم عن الانفاق او غير ذلك لذا يدفنوهم في مقبرة موسى الكاظم (مقابر قريش) وفي هذا ما يكسب المشهد اموالاً وفيرة" [١٩] .



٣/ الرحالة الفرنسي اوليفييه OLIVIER عام ١٧٩١ :

يصف الرحالة الفرنسي اوليفييه مدينة بغداد بشكل عام والمشهد الكاظمي بشكل خاص ، اذ يقول "كانت بغداد تمتد ايام العباسيين حتى الامام موسى الكاظم من جهة وحتى الامام الاعظم من الجهة الاخرى وهي قرية واقعة على بعد نصف فرسخ* الى الشمال الغربي من بغداد على الضفة الشرقية من دجلة واسمها الحقيقي Maadem وقد اعطي لها الاسم الاخر نسبة الى المسجد الذي دفن فيه ابوحنيفة احد علماء الاسلام والمسمى بالاعظم ... وعلى الجانب الاخر من دجلة وعلى بعد فرسخ من بغداد وربع الفرسخ من النهر تقع قرية موسى الكاظم المسماة كذلك ايضا بسبب الجامع الذي يضم رفاة هذا الامام المسلم ، فأن موسى الكاظم ينحدر من سلالة محمد (ص) من ابنته فاطمة زوج علي" [٢٠] .

٤/ رحلة ابي طالب خان * :

يحدثنا أبو طالب خان في رحلته عام ١٨٠٣ عن المشهد الكاظمي ومن خلاله عن المرقد الشريف فيصف لنا مانصه "واذا كانت غايتي بسلوكي هذا الطريق ان ازور بقايا اجساد الشهداء والاولياء من مذهبنا المسلمين الشيعة وزيارة قبور عدة لاجدادي الصالحين الاتقياء من ذرية النبي (ص) خصصت القسم الاكبر من وقت اقامتي ببغداد بقضاء هذا الواجب المقدس واشهر المشاهد هي المشاهد التسعة

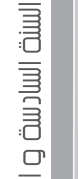
والسبعون اماما * في مشهد المشهورين باسم كازم-الكاظم- ومنه اسم الكازمين- الكاظمين- الذي اطلق على المشهد الذي هما فيه والقرية التي شيد فيها هذا القبر هي في مدينة الجزيرة على بعد اربعة اميال من بغداد، ودورها اجمل من دور بغداد نفسها" [٢١] .

كما ويصف الرحالة أبو طالب خان المشهد الكاظمي الشريف وقبته اذ يقول " ان قبة المشهد شيدت مجددا قبل عدة سنين وطبقت بطاباق-طابوق- مذهب بنفقات محمد اغا خان قاجار امبراطورالبلاد الفارسية ، اما الصحن والسور والابواب والسوق فقد اعيد تشييدها بنفقات النواب الاخير اصف الدولة وزير هندستان وليس السوق بكبير جدا ولكنه يشبهه سوق في نظافته وترافته ، والمشهد وان كان اقل فخامة من مشهد كربلاء لكن جميل وواسع والقبة التي تضيؤه ملبسة اوراقا من الذهب وسمكها يجعلها مرئية من مسافة خمسة فراسخ وداخل المشهد مرصع بالاجر الملون ، فلذلك يحدث تاثيرا جميلا في النظر ، وهذا النوع من الزينة البنائية مخترع في البلاد ولم يدخل بعد اوروبا ولا في الهند .واقسام المشهد المختلفة قد جمعت جمعا فنيا بحيث تمثل كلها ، كما يظهر كلا واحدا لايقربه اتلاف الزمان وفي صحن المدخل قبة مشتملة على رمم ابنين من ابناء الائمة وقد جرت العادة بالصلاة عند قبورهم وحراسة المشهد موكلة الى ناظر وعدة خدام " [٢٢] .

ويختتم وصفه للمشهد الكاظمي فيقول: "لم اجد مشهدا من هذه المشاهد التي ذكرتها – مشهد الامام علي والامام الحسين والكاظمين – مضاء بالليل ولايمكن ان ينسب هذا الاهمال الا الى العثمانيين لسوء نواياهم ومقاصدهم او تهاون الحراس وتغافلهم وان مشهد الكاظمين ومشهد النجف ومشهد كربلاء ليس فيها بالليل من الضوء الا وميض من مصابيح قليلة، وفي سامراء تسد ابواب المشهد عند غروب الشمس، وبذلك يمنع الاتقياء من الذهاب اليه للصلاة فيه في الساعات التي تجب فيها ، وقد ابكاني هذا الامر ، ولقد رأيت وفي من الالم قبر احد ائمتنا وقوادنا الروحانيين لايضيؤه الا مثل نصف الضياء الذي يعم دائما مشاهد اولياء مزعومي الولاية في هندستان" [٢٣].

٥/ رحلة الفرنسي لوي جاك روسو Jacques Rousseau عام ١٨٠٨:

اما رحلة الرحالة الفرنسي روسو والذي يتحدث عن مشاهداته عن المشهد الكاظمي والمرقد المقدس فيقول ما نصه " كانت الليلة الاولى التي امضيتها في خيمتي ذات متعة خاصة فالمكان جديد والهواء عليل فتضافرت الظروف لتجعل من رقادي هادئا ولذيذا. وكان صاحبنا – منصور- قد اقام عددا من الرجال على امتعتنا لحراستها اضافة الى خدمي الذين كانوا يتناوبوه الخفارة .في صباح اليوم التالي استيقظت مع بزوغ الشمس لتقع عيناي على قبة الكاظم المذهبة التي تقع على بعد نصف فرسخ من مكان خيامنا ، يطلق على هذا الموقع اسم الامام موسى وهي ضيعة كبيرة يسكنها الشيعة ،وهناك ضريح الامام موسى بن جعفر حفيده الامام محمد[٢٤] احد الائمة الاثني عشر من سلالة علي ويقال لتلك الجماعة قزلباش*. ان المشهد والضريح الذي يضم رفاته، جرى تشييدهما من جديد تقريبا، وزينا بنقوش كثيرة على حساب محمد اغا خان



وهو عم وسلف فتح علي شاه، وكان الرجل مزيجا غريبا من الورع المضطرم والقسوة الشنيعة يضم هذا المقام حاليا كنوزا طائلة كانت بالاصل مخبأة منذ اجيال طويلة في النجف ذاك الموضع المقدس الذي يضم ضريح علي وقد نقلت الى هنا منذ ان شرع الوهابيون بشن حملات على ذلك المكان بالذات اي النجف فنشبت معارك ضارية . ولابد من القول بان كل المجوهرات المعروضة امام انظار الزوار الذين يقصدون هذا المكان المقدس ما هي الا هدايا ثمينة من مختلف الامراء ومن الاثرياء من بلاد فارس ومن الهند، فهم اذ يريدون التعبير عن حبهم لأعظم اوليائهم يقدمون لهم اثمن ماعندهم واندر الاشياء التي يملكون "[٢٥] .

٦/ رحلة المنشي البغدادي الى العراق عام ١٨٢١ :

كانت تلك في العقد الثاني من القرن التاسع عشر حيث زار الرحالة المنشي البغدادي العراق وبغداد عندما وصل الى المشهد الكاظمي قال: "بنيت بغداد في جانبي نهر دجلة ويرتبط جانبها بجسر على وجه الماء مستقر على سفن يبلغ عددها ثلاثين عند قلة المياه . وتبعد الواحدة عن الاخرى خمس خطوات تفصل بينهما ، وعرض الجسر ست خطوات ايضا. وفي الجانبين نحو مائة الف بيت. وفيها مختلف الملل من كل مذهب بينهم الف وخمسمائة من اليهود وثمانمائة بيت من النصارى . هواؤها طيب وماؤها عذب ، ويشتد فيها الحر صيفا فتبلغ درجته ٤٢,٥ درجة مئوية وربما تزيد . والمواسم في الربيع والخريف والشتاء لطيفة، وفي الشتاء يجمد الماء احيانا وتقل الامطار، ولكن لا يسقط الوفر، والقرى في انحاء بغداد كثيرة وفي الجانب الغربي من بغداد مرقد الامام موسى الكاظم والامام محمد التقي وابي يوسف القاضي الحنفي ومن بغداد اليها مسافة فرسخ وهناك نحو ثلاثة الاف بيت من العرب والعجم كلهم شيعة اخبارية المذهب "[٢٦] .

٧/ رحلة الرحالة فيليكس جونز Felix Jones الى العراق عام ١٨٥٠ :

يقول الرحالة جونز في رحلته بالنصف الثاني من القرن التاسع عشر عن المشهد الكاظمي الآتي: "وبعد ان خرجنا من بغداد واجتزنا اسوارها المتهدمة سرنا في طريق لا بأس به مدة خمسين دقيقة فوصلنا الى الكاظمية ، التي كانت قبابها المطلية بالذهب ومنائرها الرشيقة تكون منظرا خلابا وهي ترتفع في الافق البعيد وتتلألأ مابين بساتين النخيل الخاشعة من حولها على ان ذلك المنظر سرعان ما تبين حقيقة حينما يدنو الناظر اليه من البلدة فيجد ذلك المشهد الجميل محاطا بمجموعة متراصة من البيوت الفقيرة المتهدمة المبنية بالطين والطابوق المفتت .ويسكن البلدة سكانها العرب مع عدد غير يسير من الايرانيين والهنود الشيعة المنفيين من بلادهم لأسباب سياسية او المقيمين للعبادة والتبرك. ويزور الضريح المقدس في هذه البلدة كل سنة عدد هائل من الزوار الذين يتواردون عليه من انحاء العالم الاسلامي كله، وحيثما يقدس الامام علي وذريته ولذلك يجتمع هنا خليط عجيب غريب يجمع بين مظاهر الثراء والابهة ، ومباذل الفقر والشحاذة، كما تجتمع بين الناس ملابس الحرير والاسمال



او الخـرق البالية. ومن المحظور على النصارى واليهود التقرب من المشـهد المقـدس، غير اننا استطعنا ان نشـاهد ما يعجب من الاشياء وما يجعـل المرء يأسـف على عدم مشـاهدة الكثير من امثال هـذا المبنى الجميـل الضخم في بلاد يمكن ان يبنى فيها على طرازه" (٢٧). ويضيف جونز عن مشـاهدته للمشهد الكاظمي قائلا:" فقد وجدنـا الصحن المربـع المحيط بالحضرة مزدانـا بزينـة الموزاييك الغنيـة بالقيم الفنية والجـدران مزوقـة بالايـات القرانيـة والجمل الدينية المكتوبة بالاحرف العربية الجميلة.ولما كنا ونحن نمر بالبلدة المقدسـة في عشـية يوم النـوروز فقد كان من الممكن للمرء ان يشـاهد في كل مـكان امـارات الفرح والحبور ترتسـم عـلى وجوه النـاس وتمتـزج بتعابـير العبادة والخشـوع الظاهرة عليهم. هـذا وقد مررنا في طريقنا بأنـاس قادمين من كل حدب وصوب، ومنتمـين الى كل عنـصر وعرق ، فمن سـكان التبـت وكشـمير والافغـان وايـران الى المغول والعرب . كانوا يغذون السير راكبين او راجلين ليصلـوا الى مبتغاهم فيسـتطيعوا اداء الزيارة في صبـاح اليـوم التالي مـن دون تاخـير .كما مررنـا بآخرين كانوا قد فرشـوا سـجادهم او عباءاتهم على قارعـة الطريق ، واخذوا يؤدون الصلاة بكل نشـاط واخلاص . وقد كانوا وهم يسـتقبلون القبلة للقيام بهـذا الواجب الديني المفـروض، تبـدو في وجوههم شـتى المشـاعر والاحاسيس ومختلف السمات .ومن الممكن ان يقال انه لايوجد اي مكان اخر في العالم يجتمع فيه مثل هذا الخليط من الناس وهذا الاختلاف في المشـاعر والتعبـير. عـلى ان تقاسـيم وجه العربي المعبرة ، اذا ما ضمت الى لباسه الجذاب وحدة نظره واستقلال شـخصيته مع سلاحه المطـروح الى جانبـه " (٢٨). ويختتـم فيلكـس حديثـه وانطباعاته عـن هذه المدينـة فيقول: " وبعـد ان يبتعـد المـرء قليلا عـن البلدة تبدأ منطقة التاجي التي تمتد البادية من حولها الى جانب بسـاتين النخيل التي لا تمتد عن ساحل النهـر الى ابعد من ثلاث مئة ياردة. وتأتي بعد ذلك مستنقعات عقرقوف المتكونة من فيضان الفرات الذي يبعد عنها بمسـافة خمسين ميلا ويتصل بدجلة عن طريقها، فتحاط الكاظمية وبسـاتينها على هذه الشـاكلة بالماء من جميع الاطراف وتصبح وكأنها جزيرة في وسـط بحر متلاطم الامواج " (٢٩) .

٨/ رحلـة الليـدي درور Lady Drur الى العراق :

امـا الرحالة الليدي درور في رحلته الى العراق، فقـد اعطـى انطباعـات واسـعة عن المشـهد الكاظمي جـاء فيه: "وانك لـترى فيها القباب المغشـاة بالذهب المطروق، والمنائر المسـتقيمة النحيفـة وكأنهـا زهـور السوسـن والابـواب المزينـة بالكاشـاني البديع وصحـون الجامع الجميلة. وتتلألأ القبـاب والمنائر وهي تلامس أشـعة الشـمس فتراها من بعيـد متعالية بين باسقات النخيل . ان جمالها ليسحر اهل الدنيا جميعـا. ولو دخلـت المدينة نفسـها وجدت في طرقاتهـا الضيقة الملتويـة وجوانبها المتعرجة ووصلت باب المسـجد الاكبر لما تسنى لك اكثر من ان تتشوف الى داخله ومن رواقه المكشوف بالذات ذلـك ان نظرات الاسـتنكار تلاحق كل مسـتطلع غريـب"(٣٠). ويصـف الليدي درور المرقـد الشريـف فيقول : "وفي المسـجد الكبير مرقد الامامين السـابع والتاسع، انه كالجوهرة



المكنونة ، وللمسجد هذا سبعة ابواب احبها الى قلبي الباب الشرقي الذي يصح ان نسميه – باب الزهور– فالزهور التي ترسم بزلاجة جد كبيرة. ويزدهي الباب باللونين الوردي والازرق ،وهو مطعم بالصدف في كثير من الجوانب. وقد تشاهد ايضا قطع المرايا وقد جعلت جزءا من بنائه . ان الطابع العام يبعث البهجة في النفس. وفي مقدور المرء ان يلاحظ من خلال الطاق الوسيع منظر الجامع الجميل بمنائره وقبابه الذهبية وصحنه. ان الكاشان على اختلاف الوانه يزين غرف الجامع كلها، وعلى جدرانها خشب محفور، وفسيفساء متلألئة ومرايا، وامام باب الزهور نافورة مغشاة بالكاشاني ولا ماء فيها لانها جميلة جدا،لكن الوانها اكل عليها الدهر وشرب وهي مسدسة الاضلاع ومزخرفة وفي مقدورك ان ترى منظرا جميلا اخر من الباب الشمالي . ان صحن المسجد وفيه المرقد والباب جميل ايضا .وعلقت عليها سلسلة ثقيلة من نحاس، ولا اعلم سببا لذلك . ويضاهي الباب الغربي الكبير الباب الشرقي روعة. ان جماله يطالعك على حين غرة لو نظرت اليه من جانب السوق القذرة. وفي مقدورك ان ترى المسجد بطابقيه من هذا الباب وان تستمتع ايضا برؤية الكاشاني اللطيف والزخرفة والنقوش والقبة الذهبية وهي تتوهج على صفحة السماء الزرقاء" [٣١]. ولم يكتف الرحالة درور عند هذا الحد، وانما اعطى تفاصيل اكثر فيقول: "وقد يتطوع احد المارة فيقودك الى سطح قريب تستطيع ان تشاهد منه منظر الجامع وعليك ان تبتهل الفرصة في مناسبة خاصة كيوم عاشوراء لتشاهد صحنه وقد ازدحم بالزوار والانصار وكل منهم يتابع –المأساة العاطفية– انه منظر حري بالرؤية شريطة ان لا يكون الرائي سريع الانفعال. هؤلاء رجال سعرت فيهم نار الحماسة والعصبية ودماؤهم تجري مدرارا ، واولئك رجال شبه عرايا وهم يلطمون على الصدور ببالغ التأثر، والجموع الغفيرة تتأسى بالبكاء والنشيج عن الحزن العميق. لقد وصفوا المشهد لي على مارويت ورأيته مصغرا ببغداد. وسمحت سيدة من الشيعة لخادمة الجيران المسيحية ان تشاهد المأساة وهي ممثلة وترقب طغيان الاسى على الجموع. وسرعان ما اخذت دموع الخادمة وهي لهيفة الصدر تنسكب غزارا .ويجود الزوار على مشهد الكاظمين ،شأن كربلاء والنجف بكثير من الهبات والمنح .وتنذر النسوة نذورهن له ثم يفدن على المشهد بنذورهن وترمى النقود والجواهر داخل المحيط بقبر موسى الكاظم والمعروف بـ –شباك الكاظم– وتجمع الهبات من قبل سدنة المرقد ثم تسلم الى كيم– الكليدار– ويعتبر القبر عندهم مقدما للغاية وهم ينسبون اليه كثيرا من الخوارق وابراء المرضى، وفي الكاظمية طائفة من الناس تعيش على الزوار، او تحصل على ما يقوم اودها بسبب من تقواها وقدسيتها. وفيها كثير من السادة ومنهم صديق حميم لي، ولقد ضيفنا مرات عديدة وهذا السيد ومشهد الكاظمين بالنسبة الي شيئان متلازمان وهو جليس حلو المعشر وهو يعتم بعمامة خضراء مخضوبة بالسواد"[٣٢]. ويختتم الرحالة درور حديثه عن المشهد الكاظمي فيقول: "والكاظمية تبعد اميالا قلائل عن بغداد وترتبط المدينتان بخط ترام تجره الخيول وقد مدت هذا الخط

شركة اهلية وتحت اشراف الوالي مدحت باشا والي بغداد الشهير وعربات هذا الترام واهية الوصلات وهم يحملونها اكثر مما تستطيع في ايام محرم والزيارة على وجه خاص. واجرة الراكب على ما اظن (٤ انات) ويمر طريقه بين البساتين الفيح على ضفة دجلة والطريق يبدأبالمقاهي وينتهي بها ، ولا تنسى ان كل شي في الشرق يبدأ بـ -مقهى- وينتهي بها"[٣٣].

٩/ رحلة الرحالة الألماني كارل ريتتر Karl Ritterعام ١٨٥٤ :

يقول كارل ريتتر في رحلته الى بغداد عن المشهد الكاظمي ما نصه "كانت بغداد المدينة برا ونهرا بالسور والابراج وان فيها ٩٦ برجا على دجلة وعلى البر ١١٤ برجا فيكون مجموعها ٢١٠ ابراج. ويقدر محيط المدينة بما يقارب عشرة الاف خطوة معتدلة وبين البرجين خمسون ثقبا مزغلا بين كل ثقب واخر خطوة واحدة . ومقابر المدينة الواقعة على الساحل الشرقي لدجلة توجد في الساحل الغربي للمحلة الامامية تسمى فوشلر قلعة سي – قلعة الطيور- وشمالها مرقد الامام موسى الكاظم ذلك الامام الذي عرف بكظمه للغيظ وهو من احد الاثني عشر اماما وقد استشهد بالسيف[٣٤] ودفن الى جنبه حفيده الامام التاسع محمد الجواد ".

ويضيف في وصفه تلك المدينة اذ يقول مانصه "لقد سكن كثير من المتدينين الفرس الكاظمية حيث يتوافد عليها كثير من الزوار فأصبحت مدينة مقدسة فأرتفعت قباب جوامعها المذهبة ولمعت بين النخيل المحيطة بالمدينة ، معظم سكان الكاظمية من الشيعة وبعد ان نهب الوهابيون العتبات المقدسة في الفرات الاوسط – الامام الحسين واخاه العباس والامام علي عليهم السلام – عام ١٨٠١ واصبحت المدينة المقدسة كبيرة ترتفع في وسطها قباب جوامعها المذهبة ويقصدها الزوار باعداد كبيرة" [٣٥].

١٠/ رحلة اديب الملك *عام ١٨٥٦ :

كان اديب الملك قد زار العراق وكتب في مذكراته عن رحلته الى الكاظمية، اذ يصف لنا الاوضاع في تلك المدينة بالنحو التالي "كان في الكاظمية بيت غير ان اهلها لايتوسدون مخدة الراحة والسارقون لا يعدون فيها خمسة رباطات – خانات- واربعة حمامات حدائقها كثيرة ونخيلها اكثر من القول والبيان. صحن الكاظمين المبارك ١٣٠ ذراعا والامام موسى والامام الجواد مدفونان في ضريح واحد من الفولاذ. القبة واحدة ولكنها في الخارج اثنتان وهما من الذهب وفيها اربع منارات كبيرة طول كل واحدة ٥٠ ذراعا واربع منارات صغيرة مذهبة من النصف الى الاعلى وكل ما كان من الجواهر فهو في محله ، خلف رأس الامام مسجد كبير جدا أحد ابوابه من وسط القبة المطهرة . وقد صنع القبة المطهرة سلاطين الصفريين. وايوانان مباركان واحد في طرف القبة والاخر في طرف المشرق . يأتي كل سبت نحو الفين او ثلاثة الاف امراة ورجل يزورونها ومن بغداد القديمة الى الكاظمين اكثر من فرسخ "[٣٦].

١١/مشاهدات جون اشر John Mallory Asher في العراق عام ١٨٦٤:

لجون ملري اشر انطباعات عن المشهد الكاظمي في بغداد يصفها كالآتي: " شاهدت قبيل الدخول الى منطقة الكاظمية عبارة من القفف الكبيرة كانت تنقل من الضفة اليسرى



الى الضفـة اليمنـى اعدادا من البغـال محملة بالجنائـز المنقولـة من ايران بقصـد الدفن في كربـلاء او مشـهد الامام الحسـين . وقد بانت منطقـة الكاظمية من بعيد وبانت معها منائر وقباب المشـهد الكاظمي المذهبة وهي تتوسط غابـة مـن النخيل المتدلي من جميـع الجهات . وان هذه المنطقة تعتبر مصيفا عظيما لسـكان بغـداد القريبة منها ويذكر انهم مروا بعد ذلك بمسـجد يقع على حافة النهر كان يبدو وكأنه قد قسم الى قسمين ، فتهدم نصف من قبته وما يحيـط بها من البنـاء " [٣٧]. ويضيف الرحالة أشر في مشاهداته عن المشهد الكاظمي فيقول: "وان هذه القباب التي تبدو مع سائر المساجد وانتشار البساتين والنخيل بين البيوت وامتداد الصحراء المحيطة بالمدينة الى حد عقرقوف " [٣٨].

١٢/رحلـة الرحالـة الهولنـدي انهولـت Aanholt عام ١٨٦٦:

في رحلـة الهولنـدي انهولـت الى الكاظميـة معلومـات قيمة عن تلك المدينـة اذ كانت هذه الرحلـة ممتعـة فيقول: "كانت مـن الزيارات المتعة التـي قمت بها زيـارة الكاظمية وهي بلـدة صغـيرة اقامهـا اخلاص الشـيعة حول جامـع الامـام موسى على مسـافة فرسـخ من بغـداد، ولأجـل الذهـاب الى الكاظميـة نخرج مـن السـوق الكبير الى شـاطئ دجلـة الايمن ونصعد عدة دقائق الى منحى النهر حيث نطل عـلى منظر جميـل لمدينة بغداد وبعد مسـيرة نصـف سـاعة عـلى الشـاطئ نصـل الى غابة صغيرة رائعة من النخيل ونلتقي في كل دقيقة بالعـرب والعجـم والهنـود ، ممـا يضفي على الطريق حركة عظيمة ويمتطي اكثرهم ظهور الحمـير، وهذه الـدواب تكرى قـرب قصر اخ شـاه ايران حيث يقف عـدد كبير منها . وهذه الحمـير مـن جنس ممتـاز اصله مـن جزيرة العرب.واذا ما تركنـا الغابة التي اشرت اليها، ادرنـا ظهورنـا الى دجلة ولاحت لنـا في البعيد قبتـان ذهبيتـان لجامع الامام مـوسى الاكبر . ولاتمر نصف ساعة حتى نصل الى اولى منازل الكاظميـة"[٣٩]. ويختتـم الرحالـة الهولندي انهولت حديثه عن المشـهد الكاظمي فيقول: " الكاظمية بلدة صغيرة حسنة البناء ،فيها سوق كامل التجهيز والشـيعة هنا شديدو التعصب، وقد تحملت سـيلا من الشـتائم لمجرد تقربي من ابواب السـور الذي يحيط بالبناء الواسـع الذي يقوم المسـجد العظيـم في داخله. وابواب السـور مغلقة بالسـلال التي يقبلها المؤمنون باحترام عند الدخول والخروج، ومما سـمح لي برؤيتـه ، ظهر لي ان هـذا الاثر المقدس يتألف من المسـجد الـذي تزينه منـارة جميلة في كل ركن من اركانه الاربعة ومن مشتملات واسعة تضم المساكن والمدارس وحجر الدرس للملالي وتلاميذهم. ويقال ان داخل المسجد جميل جدا ولكـن محاولة الدخول تـؤدي مؤكدا الى القتل في الحال ، ومع انني وقفت على مسـافة بعيدة، فـان احد ابناء الشـعب رأى ان وقوفي قد طال في رأيـه فأخذ يسـبني ويهددنـي حتى رأيت الافضل ان انسحب. وقد عدت من هذه الزيارة بالطريق نفسه الذي سلكته في الذهاب"[٤٠].

١٣/ رحلة ناصر الدين شاه في الكاظمية:

لـم يكن ماكتبه ناصر الدين شـاه شـبيها بما كتبـه الرحالـة الأوروبيون اذ جـاء الى العراق بجولة الى الاماكن المقدسة فكتب انطباعاته عن المشهد الكاظمي ومرقد الامامين عليهما السلام فيقـول: "اول اثـار العمـران التي شـاهدتها

منائر الكاظمين وبقاعها، جاء اهالي الكاظمية لاستقبالي وكانت النسوة يهلهلن. ترجلت قبل باب الصحن وخرج الشيخ الكليدار وجمع من الخدم وقد شاهدت طرفي القبلة المطهرة والايوان والعمود والسقف ، صنعت بجودة والكاشي جيد جدا ويعنون الان بتذهيب الايوانات من فاضل ذهب قبة العسكريين عليهما السلام لم يكن فرش الروضة والرواق جيدا . فأمرت ان تقاس وان يجلب لها من الزوالي. وكانت الجدران حول الصحن تحتاج الى ترميم . وقلت لأخي المرحوم الشيخ عبدالحسين الطهراني ان يحسب نفقة ذلك الذهب المحيط بالقبة من الشاه محمد الشهيد وبناء القبة الاصلي صنعه الشاه اسماعيل الصفوي وكان التزجيج وسط القبة من الميرزا شفيع الصدر الاعظم للخاقان المغفور له" (٤١). ولم يكتفِ بهذا القدر من الوصف بل اخذ ناصر الدين شاه يصف المشهد الشريف بالقول: "الكاظمان الامامان في ضريح فولاذ واحد كبير جدا والصندوقان الفضة في وسط الضريح الجديد بينهما فاصل صغير وازار الروضة من الكاشي المعرق الممتاز جدا والذي يمكن ان يعد من الجواهر" (٤٢).

١٤/ رحلة مدام ديولافوا Mdam Dyoulafwa الى العراق عام ١٨٨١ :

جاءت رحلة مدام مارسيل ديولافوا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حيث زارت الرحالة العراق مع زوجها، ومن ثم المشهد الكاظمي في بغداد ، فتركت لنا انطباعاتها عن المكان بالقول: "عند خروجنا من بغداد كانت تبدو عن بعد بين قمم النخل السامقة رؤوس اربع منائر ذهبية متلألئة وهي منائر مقبرة الامام موسى الكاظم وعندما قربنا منها رأيت بين اغصان واوراق الاشجار المتكاثفة التي تملأ طريقنا قبتين جميلتين متلالئتين تشبهان الى حد بعيد مدينة قم في ايران من حيث الشكل وطليهما بالذهب البراق من الخارج واخيرا بلغنا الكاظمين وهبطنا من الترامواي في محطته التي تقع قرب بوابة المدينة الكبرى وسمعنا خادم القنصلية الذي كان معنا يدعونه بصوت مرتفع وبلهجة تركية لانفهمها جيدا الى مقهى قريبة وقال ينبغي ان نمكث هنا في انتظار الذي سيقدم بعد ساعتين من بغداد .لقد كان يظن صاحبنا المسكين هذا اننا لم نقدم الى هنا الا لنتنزه في ركوبنا بهذه الحافلة المهشمة وبهذا الطريق المهدم ولعله كان يحسبنا على هذا الاساس اناسا معتوهين ولكننا افهمناه بالايماء تارة وبالالفاظ تارة اخرى اننا لم نقدم هنا الا لكي نزور المسجد والمقبرة التي هناك ، وينبغي لنا بغير تردد ان نذهب لرؤيتهما .وما ان علم بقصدي هذا حتى بدا الاضطراب والقلق على وجهه واضحين جليين بيد ان اصراري اجبره على الاذعان لمشيئتنا" (٤٣) .

وتضيف مدام ديولافوا عن المشهد الكاظمي اذ تووردت في حديثها ما نصه: "تظهر ازقة الكاظمين انظف من ازقة بغداد وان اغلب اهالي هذه المدينة وكسبتها هم من الايرانيين الذين جاؤوا لزيارة العتبات المقدسة في العراق وبقوا فيها ، وبعد ان جبنا قسما من الأزقة والاسواق سار بنا الدليل الى فسحة كبيرة من الارض وضعت في الجهات الثلاث منها كميات كبيرة من الخضروات والفواكه، اما الجهة الاخيرة التي كانت تقابل باب المقبرة فانها كانت خالية من كل شيء، وكان العمال

يدخلون منهــا زرافات ووحدانــاً ولقد دخلت انا كذلــك منها وعــبرت خلال اكــوام البطيخ والرقــي والكلــم بصعوبة وألــم ولكنني كنت فرحة على رغم ذلك ، لانني كما اقول لنفسي ها انذا اطلع الان على تلــك المقبرة التاريخية التي طالمــا تمنيت رؤيتهــا . ولكنــي اي وهم كنت اعيــش واي خيال ، فمــا كاد باعة الخضروات يعرفون بغيتنا حتى تجمهروا حولنا ومنعونا من الدخول وقالــوا، الدخول الى ضريح الامام موسى الكاظم ممنوع، انتم نصارى وليس لكم حــق الدخول الى مثل هذا المرقد الشريف فأنتم اجــدر ان تعــودوا ادراجكم وتصرفــوا النظر عن تحقيق هــذه الرغبة" [٤٤]. وتنقل لنا مدام ديولافوا صورة عن الواقع الديني في تلك المدينة حيث لم يسمح لهما من دخول المرقد الشريف فتقول: "دهشــنا نحــن لهذه الاقــوال ووقفنا مأخوذين كالمســمرين في مكاننا لانبدي حراكا لا للهجتهم واســلوب حديثهــم ، فالواقع انهم كانوا يتحدثــون معنا بأدب ولطف جم ولكننا دهشــنا للسبب التافه في منع دخولنا، وعلى اي حــال تجمهر الناس يزيد فــترة بعد فترة علنا وأخــذ جماعة يلومــون خــادم القنصلية على مرافقتــه لنا لتحقيق رغبتنــا هذه، ورد عليهم الخــادم بألفاظ لــم نفهمها كانت الســبب في هيجان الجمهور المحتشــد وابعاده عن المكان بالقوة وبألفاظ نابية جارحة"[٤٥].

واســتمرت مــدام ديولافــوا بوصفهــا للمدينة والمشــهد الكاظمــي قائلــة: "وفي اثنــاء تلــك الحــوادث التــي كان زوجي مارســيل يتحمل ضربات والفاظ ذلك الجمع المتجمهر الحانق، لم اضــع الفرصــة من يــدي فلقد اســتغللت فرصة انشــغال الجمهور واخــذت اتطلع من شــق بــاب المقــبرة التــي كانــت مفتوحة على النصف الى داخلها واستطعت ان اشهد بعض مرافــق المقــبرة. والبــاب الــذي كان في نهايته صحن واســع جميل، وهذا البــاب كما تراءى لي عــن كثب مصنوع من الــكاشي الملون الذي زوق بالمينــا بشــكل اخــاذ ، وامام هــذا الباب يقع رواق طويل تحيط به من الجوانب اعمدة مزينة بقطع من المرايا على اشــكال هندســية مختلفة. وعــلى العموم لو لم تكن لهذه البناية قبتان ذهبيتان لكان منظرها يعيد الى الاذهان منظــر قصر جبل ســتون* وفي زوايــا البناية اربع منائــر مرتفعة مطليــة اعاليها بالذهب. اما الباقية اقســامها فهي من الكاشي الاخضر. وهذه المــآذن حيث يقــف المؤذنــون ويدعون المؤمنــين الى الصــلاة . وفي جوانــب القبتــين كانــت تتراءى لي ابراج صغيرة شــبيهة الى حد بعيــد بمحــلات الرقابــة التي في اعــالي القلاع الحربيــة . والخلاصــة ما ان نجونــا من حلقة ذلــك الجمهور المحتشــد وابتعدنــا عنه حتى اخذنــا نجــول في اطراف المقــبرة ونتفرج على جدرانهــا من الخــارج متحررين مــن كل قيد او خــوف، ثــم كان ان تشــجعنا بعض الشيء فاخذنا ننظر خلال شــقوق ابــواب المقبرة الى داخلها بكثــير من الحذر والوجل واســتطعنا ان نرى مــا تحتويه البنايــة فكانت الى جانب المقبرة والمســجد هناك مدرسة وبعض حانات وحمامات انشــئت خصيصا للزوار والمصلين . اما مســجد الكاظمية هذا فقد أنشئ في العهود الاسلامية الأولى بصورة بسيطة ولكن الشيعة اضافــوا اليــه قســما مــن المرافق كمــا زينوا جدرانه بنقوش وبفسيفســاء على حسب الفن المعمــاري الايرانــي منذ قريب بحيــث ما زال

البلاط نديا. كما ان قسما من تلك الجدران يتم عمله حتى الان. وان اقساما من القبب المذهبة تبدو متهدمة وقد تشوه منظرها الجذاب" (٤٦).

١٥/ مذكرات فيتال كونيه VITAL CUINET عام ١٨٩٤:

زار الرحالة الفرنسي فيتال كونيه العراق اواخر القرن التاسع عشر ومن ثم مدينة الكاظمية والمشهد الشريف حيث يصف تلك المدينة بالشكل الآتي: "مركز قضاء الكاظمية وفيها مقر القائم مقامية والدوائر الادارية وهي مدينة صغيرة تقع شمال غرب بغداد على الضفة اليمنى لنهر دجلة على مبعد ٥ كم. ويطلقون عليها تسمية الامام موسى نسبة الى ضريح الامام موسى الكاظم المدفون في الضريح الكبير. ويقطن هذه الضاحية اغلبية فارسية مطلقة ويعد هذا الضريح شأنه شأن اضرحة الحسن العسكري وابي يوسف قبلة للزوار الشيعة والسنة القادمين من جميع اقصية الولاية وخصوصا من بلاد فارس .ويتوافد عليها ولو بنسبة اقل زوار سنة ويفضل غالبية هؤلاء التوقف عند منطقة الامام الاعظم الذي يقع على الضفة الاخرى من نهر دجلة ويربطه بجسر بمدينة الكاظمية . ومدفون في هذه داخل المسجد الكبير الامام ابن حنبل وهي بأيدي السنة. كما ان ضريح الكاظمين بأيدي الشيعة والذي يحظى بتقديس وتبجيل منهم حتى ان جلالة شاه بلاد فارس ناصر الدين، عمل على تغليف واكساء القبة الرئيسة وسطوح منارات الضريح الستة بورق الذهب الخالص عند زيارته الى الاضرحة الشيعية المقدسة عند عودته من ولاياته وسفرته الاولى الى اوروبا عام ١٨٧٣ ، وجراء تزاحم الزوار الشيعة والسنة المتوافدين على الكاظمية وخصوصا السنة منهم عند الامام الاعظم تم انشاء طريق للمركبات والعربات من بغداد والى هذه الضاحية منذ اعوام برعاية المشير هداية باشا وتم تشغيل خدمة العربات المستأجرة على هذا الطريق وعلى طول هذا الاخير وعلى شاطئ نهر دجلة كان العديد من الشخصيات المعروفة تشيد مساكن للنزهة تدعى القصور . وفي عام ١٨٧٠ وفي ظل حكومة مدحت باشا تم تسيير خط العربات الترامواي بين بغداد والكاظمية وهو الخط الوحيد الموجود في العراق . ويقوم السكان المحليون وخصوصا الفرس القاطنين حول ضريح الكاظمين وخلال العشرة الاولى من محرم بأداء الشعائر الدينية احياء لذكرى استشهاد الامام الحسين، ويحظر على غير المسلمين دخول الضريح الكبير في هذه الايام. ويتميز هؤلاء الفرس بالمهارة والحذاقة بشكل عام وهم يصنعون الامشاط الجميلة وبعض المواد المصنوعة من العاج ومن الاصداف وقشرة المحار والمواد المصنوعة من خشب الابنوس والصندل" (٤٧).

١٦/ رحلة ميهاي فضل الله الى بلاد الرافدين وعراق العرب ١٩٠١-١٩٠٢:

بدأت تلك الرحلة في مطلع القرن العشرين، اذ زار الرحالة ميهاي فضل الله الحداد العراق ومدينة الكاظمية التي وصفها بهذا الشكل: "انطلقنا الى مدينة الخلفاء العرب بغداد وتمنينا ان يحالفنا الحظ هناك فنعثر على خيول مناسبة يمكن شراؤها . قطعنا مسافة طويلة ونحن نتطلع الى الطريق قبل ان نلمح في البعد القباب الذهبية الاربع لجامع موسى الكاظم. وتمتد بغداد على ضفتي دجلة . كانت



في الماضي عاصمة الخلافة ، اما اليوم فهي مركز ولاية عثمانية تربط جانبي المدينة اربعة جسور عائمة تمر عليها زحمة بغداد الشديدة وهناك قوارب رأسية على الضفة، وهناك واسطة نقل مبتكرة قوارب غريبة الشكل مكورة تصنع من سعف النخيل وتطلى بالقار المجلوب من هيت يشبه شكلها نصف بطيخة. والمدينة بعض شوارعها مزدحمة وتعطي بساتين النخيل والبرتقال المحيطة بالمدينة القديمة الممتدة نحو خمسة كيلو مترات منظرا جميلا . ولم يبقَ هناك من اثار الخلفاء سوى مرقد زبيدة زوجة هارون الرشيد المفضلة وحتى مراقد الائمة المسلمين التي كانت يوما محجا للزائرين تتداعى اليوم . وبين الابنية الحديثة الجميلة هناك دار الكمارك والقصر الانكليزي" [٤٨].

١٧/ مذكرات نيل افراتس Averatec Nile :

يقول المستشرق نيل افراتس في مذكراته عن المشهد الكاظمي والمدينة القديمة ما نصه: "توقفنا عند مقهى انعشنا جدا وكنا قادرين على اتخاذ قرار افضل وعلى السد الذي يؤدي الى بغداد من الجسر رأينا طابوراً من العربات تنتظر وعلمنا بان هنالك مقابلة للأمير فرمان فرما وهو نسيب الشاه الذي يسكن بغداد وبسبب هذه الزيارة لم نستطع ايقاف عربتنا في اي مكان على اكثر الاحتمالات وكم كان مريحا ان نلمح منظر المنارات والقبة المرصعة بالذهب لمسجد الكاظم الجميل، وكان منظرا لطيفا دائما، وبدت المنارات رائعة لعيوننا المتعبة بينما تنعكس عليها اشعة الشمس المشرقة، وبعد هذا بقليل كنا قادرين على اكتشاف بعض القبب ومنارات اخرى مضطجعين في وسط حدائق النخيل وبعد ذلك وجدنا انفسنا وسط حشد من البائعين المسرعين الى المدينة لبيع منتجاتهم وكانت توجد هناك نساء يحملن جرارا وسلطانية الحليب واخريات يحملن سلالا من الخضراوات او حزما من الحشيش وكان الرجال يركبون حميرا مثقلة بالوقود وجلود الحيوانات" [٤٩].

١٨/ مذكرات وليم ويلكوكس William Willcocks في العراق عام ١٩٠٥:

اما الرحالة وليم ويلكوكس فيقول في مذكراته عن تلك المدينة ما مفاده: "في ايلول وتشرين الاول عام ١٩٠٥ تفشت الكوليرا في كل مكان فأنتهز العثمانيون الفرصة الممتازة لمضايقة جميع الناس، فوضع العراق الوافدين من جميع دول العالم تحت الحجر الصحي . واذا اراد المرء الانتقال من بغداد الى الضواحي كالكاظمية فانه كان يوضع في المحجر خمسة ايام ثم خمسة ايام اخرى عند العودة. وكان الزوار الإيرانيون المساكين تسلب منهم جميع نقودهم بالاحتيال او التهديد. وقد وضع احد المهندسين التابعين لي خمسة ايام في المحجر في البصرة عند مجيئه من انكلترا وخمسة ايام اخرى للوصول الى بغداد وخمسة ايام للخروج منها . ولو انه جاء متاخرا اسبوعين لوضع خمسة ايام اخرى في سدة الهندية لان الجانب الايمن من السدة وضع الجانب الايسر تحت الحجر. وقد خفض الوالي اجور الاطباء الى النصف قائلا انهم اصبحت لديهم فرصة لمدخولاتهم" [٥٠].

١٩/ رحلة الرحالة الفرنسي اميل اوبليه Emile Obley الى بغداد :



اما الرحالة الفرنسي اميل اوبليه والذي بدأت رحلته الى العراق في اثناء الحرب العالمية الاولى فيقول: عن المشهد الكاظمي مانصه: "يوجد في بغداد كلها مائة وواحد مسجد صغير وكبير. ففي منطقة الكاظمية نجد ضريح الامام موسى واضرحة ابنائه ، ويعد المسجد الذي يرقدون فيه مكانا للزيارة يؤمه المسلمون. ويتميز هذا المسجد الرائع بثرائه المدهش، اذ تتجاوز عوائده السنوية كهبات مقدمة اليه مبلغ اربعين الف جنيه تركي اي ما يعادل تسعين الف فرنك فرنسي. اما منطقة الاعظمية المقابلة للكاظمية فهي تضم مسجدا رائعا من وجهة النظر المعمارية ، حيث يرقد فيه الامام ابوحنيفة المسمى بالامام الاعظم، الذي كان فقيها كبيرا له شهرة واسعة في عهد هارون الرشيد" (٥١). وينقل لنا صورة عن شهر محرم الحرام في مدينة الكاظمية الذي شهده بنفسه فيقول: "وفي الايام العشرة من محرم تزخر بغداد بنشاط غير اعتيادي ومنظر بديع بسبب كثرة الناس الزائرين وتنوع العادات والتقاليد التي نشاهدها هنا ،ويتجاوز عدد سكان المدينة في هذه الايام اربعمائة الف نسمة في حين ان سكانها الاصليين لا يتجاوز المئتي الف وخاصة في موسم الزوار الشيعة القادمين لزيارة الاماكن المقدسة في الكاظمية وسلمان باك وسامراء وكربلاء والنجف حيث يتدفق الزوار الفرس وقسم كبير من المسلمين والهنود والعرب شبه البدو وهم ينتشرون على جانبي دجلة والفرات. اما بالنسبة لمدينة الكاظمية ، وبسبب مجاورتها لبغداد نشاهد فيها ولعدة اسابيع وخصوصا خلال ايام الزيارة نشاطا ملحوظا للزائرين حيث تتراوح اعداد الزائرين لتصل إلى خمسة وعشرين الف وتزداد الى حدود سبعين الف زائر في المناسبات الدينية" (٥٢).

الهوامش

(١)حسـين علي محفوظ ، بيوتات الكاظمية ، ص ١٩، موسوعة العتبات المقدسة – قسم الكاظمين ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٨٧.

(٢)سـتيفن هيمسلي لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق ، ترجمة جعفر الخياط ، ص ٢٠١ ، منشورات مكتبة اليقظة العربية ،بيروت، ١٩٨٥ .

(٣)محمد حسن ال ياسين، تاريخ المشهد الكاظمي في بغداد، ص ٥٦، مؤسسة دائرة معارف الفقه الاسلامي، قم ، ٢٠٠٤ ، دار الكتب العلمية، بغداد، ٢٠١٣ .

(٤)ريتشـارد كـوك، بغـداد مدينـة السـلام ، ترجمة مصطفى جواد وفؤاد جميل، ص ٣٨، بغداد، ١٩٦٢

(٥)محمد حسن ال ياسين، المصدر السابق ، ص٦٤.

(٦)الخطيـب البغدادي، تاريخ مدينة السـلام (تاريخ بغداد)، تحقيق :بشـار عواد معـروف، ص١٢٣، دار الغرب الاسلامي، طرابلس ، ٢٠٠١ .

(٧)حسين علي محفوظ ،المصدر السابق ،ص ٢٩.

(٨)وقائع المؤتمر السنوي الثالث الدولي، الجزء الثاني، الامانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة ، ص٣٦٠، دار المرتضى، بيروت ، ٢٠١٣ .

(٩)مجيد السـامرائي، صور المستشرقين في العراق في القرن التاسع عشر ، ص ٦٧ ، بغداد ، ١٩٩٩ .

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٦٨–٦٩ .

(١١) يوهان فك ، تاريخ حركة الاسـتشراق الدراسات العربية الاسلامية ، ترجمة عمر لطفي ص١٨٩، ط٢، دار المدار الاسلامي، بيروت ، ٢٠٠٠ .

(١٢) رحلـة ديللافاليـه الى العـراق ، ترجمة بطرس حداد ، ص ٢٢ ،شركة الديوان للطباعة ، بغداد،٢٠٠١

(١٣)المصدر نفسه ، ص٢٣ .

(١٤) المصدر نفسه ، ص٢٤–٢٥.

(١٥) بغـداد في رحلة نيبـور، ترجمة مصطفى جواد، ص ١٢ ، بغداد ، ١٩٨٢.

(١٦) وقــع الرحالة نيبور في خطأ عندما قال من ائمة الفـرس فالامامـان موسى بـن جعفر ومحمـد الجواد يرتبط نسـبهما الى الرسـول الاعظـم (ص) وهما من نسـل عربي هاشـمي ، انظر: وقائع المؤتمر السـنوي الثالث الدولي ، المصدر السابق ، ص ٢١١.

(١٧) في ترجمـة مصطفـى جواد اعـدم وذلك لتأمره وتعاونـه مـع العلويـين بينمـا الحقيقة هـو أنه مات مسموما ، المصدر نفسه ، ص٢١٢.

(١٨) المصدر نفسه.

(١٩) بغـداد في رحلـة نيبور ، المصدر السـابق ، ص ١٣–١٤ .

(*) الفرسخ = ثلاثة اميال – الميل= ١٦٠٩،٣٤٤ متر.

(٢٠) رحلة اوليفييه الى بغداد ، ترجمة يوسـف حبي، ص ٣١، بغداد، ١٩٨٢.

(*) ابوطالـب بـن محمـد خـان وكان ابـوه يلقـب بالحاجـي وبالبيـك اصله عثماني وهو سـائح واديب زار العـراق في القرن الثامـن عشر لمزيد من التفاصيل ينظر:رحلـة ابـي طالـب خـان الى العـراق واوروبا ، ترجمة مصطفى جـواد ، ص١٢ ، دار الوراق للنشر ، لندن، ٢٠٠٧ .

(*) ان هـذا التعـداد غـير وارد عند الشـيعة فموسى الكاظـم (ع) هـو الامـام السـابع وحفيـده الامـام محمـد الجـواد (ع) هو الامام التاسـع، ينظر :صائب عبدالحميد، معجم مؤرخي الشيعة ، ص ٢٤٣.

(٢١) رحلـة ابـي طالب خـان الى العـراق واوروبا ، المصدر السابق ، ص١٥ .

(٢٢) المصدر نفسه ، ص١٦ .

(٢٣) المصدر نفسه ،ص١٧–١٨ .

(٢٤) لعـل المقصود هو ضريح الامام موسى بن جعفر وحفيـده الامام محمـد الجواد ، ومن غـير المعقول أن الرحالـة جاك روسـو كان يقصد الامـام محمد الباقر لانه قال انه من سـلالة الامام علي (ع)، ينظر : صائب عبدالحميد ،المصدر السابق ، ص٣١١ .

(*) قزلباش كلمة تركية وتعني قزل اي الاحمر وباش اي الـرأس وهـو كغطـاء رأس لبعض جنـود الفرس ولرمـاة النبال ، ينظر : وقائع المؤتمر السـنوي الثالث الدولي ، المصدر السابق ، ص ٤٠٩ .

(٢٥) لـوي جـاك روسـو ، رحلة من بغـداد الى حلب

عـام ١٨٠٨ ، ترجمة بطرس حداد، ص ١٠٨، مطبعة ديوان ، بغداد، ٢٠٠٤ .

(٢٦) رحلة المنشي البغدادي الى العراق ،ترجمة عباس العزاوي ، ص٨٩، دار الوراق، لندن ،٢٠٠٨.

(٢٧) عبدالجبار ناجي وحسين البهادلي، بغداد في كتابات الرحالة العرب والاجانب من القرن التاسع عشر الى القرن الخامس الميلادي، ص ١٩ ، بيت الحكمة ، بغداد، ٢٠٠٣.

(٢٨) المصدر نفسه ، ص٢٠-٢١ .

(٢٩) المصدر نفسه ، ص٢٢ .

(٣٠) الليدي درور ، في بلاد الرافدين صور وخواطر، ترجمة فؤاد جميل ، ص٣٣، بغداد ، ١٩٦١.

(٣١) المصدر نفسه، ص ٣٤ -٣٥ .

(٣٢) الليدي درور، على ضفاف دجلة والفرات، ص١٢٢ ،دار الوراق للنشر ، بيروت ،٢٠٠٨ .

(٣٣) المصدر نفسه، ص١٢٣ .

(٣٤) توهم الرحالة كارل ريتتر عندما اشار الى ان الامام استشهد بالسيف والمعروف وحسب الروايات التاريخية المشهورة انه استشهد مسموما ، ينظر : صائب عبد الحميد ، المصدر السابق ، ص ٨٧.

(٣٥) مذكرات ورحلات الى بغداد ، ترجمة كاظم سعد الدين ، ص ٢٤٥، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ٢٠٠٩.

(*) عضو الجمعية الملكية في لندن وقد بدأ رحلته الى ديار بكر والشام والموصل مرورا بالمدن العراقية الاخرى عام ١٨٦٠، ينظر: رحالة اوروبيون في العراق، دار الوراق، لندن ٢٠٠٧ ،ص١٨٩ .

(٣٦) المصدر ،ص١٩٠-١٩١ .

(٣٧) بغداد في القرن التاسع كما وصفها الرحالة الاجانب ، ترجمة سعاد هادي العمري ، ص٣٨٨ ، ط١، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ،٢٠٠٢ .

(٣٨) المصدر نفسه ،ص٣٨٩ .

(٣٩) ابراهيم امين المميز ، الاستشراق ورمانسية الشرق ،دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٧٩ ص١٣٤-١٣٥ .

(٤٠) المصدر نفسه ، ص١٣٦ .

(٤١) علي خضيرالمشايخي ، ايران في عهد ناصر الدين شاه ١٨٤٨-١٨٩٦ ، ص ٦٨ ، بغداد ، ١٩٨٧.

(٤٢) المصدر نفسه، ص ٦٩-٧٠ .

(٤٣) رحلة مدام ديولافوا من المحمرة الى البصرة وبغداد ١٨٨١ ، ترجمة علي البصري، ص ٩ ، الدار العربية للموسوعات ، ط٢ ،بيروت ،٢٠٠٧.

(٤٤) المصدر نفسه ، ص١٠ .

(٤٥) المصدر نفسه ، ص١١-١٢ .

(*) قصر تاريخي قديم ومعنى اسمه القصر ذو الاربعين عمودا ويقع في اصفهان ، ينظر: علي خضير المشايخي ، المصدر السابق ، ص٨٧ .

(٤٦) رحلة مدام ديولافوا ، المصدر السابق ، ص ١٥.

(٤٧) بغداد في مذكرات الرحالة الفرنسيين ، ترجمة وليد كاصد ، ص ٦٩ ، دار المناهج للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٩.

(٤٨) ميهاي فضل الله الحداد ، رحلتي الى بلاد الرافدين وعراق العرب، ترجمة ثائر صالح ص١٢-١٣، بيروت ٢٠٠٤.

(٤٩) مذكرات ورحلات الى بغداد ، ترجمة كاظم سعد الدين ، المصدر السابق ، ص ١٢٢.

(٥٠) ويليم ويلكوكس ، جنة عدن ، ترجمة محمد الهاشمي ،ص٥٦، دار الوراق ، لندن ،٢٠٠٦.

(٥١) بغداد في مذكرات الرحالة الفرنسيين ، المصدر السابق ، ص٢٠٧ .

(٥٢) المصدر نفسه ، ص٢٠٨-٢٠٩ .

Al _ Kadhimi spectacle in the writings of foreign travelers

By: Dr. Ahmed Abdel Wahid Abdel Nabi

Abstract

• The emergence and development of cities is an important element in the advancement of civilization as a realistic model of urban stability.

• Al-Kadhimi drew attention to Orientalists during their trips to Baghdad and took every orientalist to write a visit to the scene of Kazemi chronicled the historical, urban and religious aspects.

• Foreign travelers first to warn in their writings on the importance of Baghdad in particular, as well as the effects in the country, including the scene Kazimi.

• The foreign travelers who visited Baghdad and published many books and studies focused on the political, economic and social conditions of Baghdad and the Kadhimi scene.

• It was natural that Mesopotamia was the focus of attention to a number of tourists, travelers and Orientalists, because of that country's long-standing fame and reputation in the worlds of civilizations and relics and the news and incidents in the Holy Scriptures.

Most of them traveled to varying degrees of observation, description and fact-finding in the recording of their observations. Most of them were keen to differentiate between viewing and narration when recording their information, highlighting the value of trips as a source of human cultures and monitoring aspects of people's daily lives in the Baghdad community over a period of time Specific. So the trips had cultural value.

• We found that travelers and orientalists have made great achievements in their interest in the rich heritage of the city of Baghdad in general and the Kadhimiya in particular, and in the last four centuries has been characterized by great activity in the field of trips and tourism.



الأهمية الثقافية لشارع الرشيد ١٩٢١- ١٩٥٨م

أ. م.د. كمال رشيد خماس العكيلي*

● المقدمة :

يُعد شارع الرشيد في مدينة بغداد من أقدم وأعرق الشوارع كما يقول مؤرخوها في التاريخ الحديث ، كان يُعرف خلال الحكم العثماني باسم شارع « خليل باشا» حاكم بغداد وقائد الجيش العثماني حيثُ أفتتح عام ١٩١٦م وعند مجيء البريطانيين إلى بغداد عام ١٩١٧م أطلقوا عليه اسم « الشارع الجديد» وأستمرت هذه التسمية حتى عام ١٩٣٢م بأنتهاء الإنتداب البريطاني وأستقلال العراق حيث أطلقوا عليه اسم « شارع الرشيد» ومازال ، وهذا الشارع الذي يشكل لفترة طويلة من الزمن عصب الحياة السياسية والأجتماعية والتجارية والثقافية لمدينة بغداد.

وقد آثرت مختلف الأحداث التي شهدها الشارع في تطور مدينة بغداد وفي نضوج الوعي السياسي والأجتماعي والثقافي لدى البغداديين ، ويفتخر بهِ الأدباء والشعراء الذين عاشوا في بغداد وأجتمعوا في مقاهيهِ والنوادي والجمعيات ودور السينما حيثُ مقرات الصحف والمطابع.

● المعالم الأثرية والعمرانية لشارع الرشيد :

الحديث عن شارع الرشيد يعني الحديث عن مدينة بغداد الحديثة، فمع بواكير القرن العشرين بدأت حاضرة المنصور تتنفس من جديد أنسام التطور والتغيير والحياة الجديدة بعد قرون مظلمة حالكة مرت بها منذُ إنطفاء شُعلة الدولة العباسية وتعاقب شتى الأدوار والعهود المتخلفة المظلمة عليها .

وبخصوص الشوارع فمدينة بغداد مشهورة بضيق شوارعها وقلتها ولولا وجود بعض الشوارع الجديدة لكانت مدينة بغداد عديمة الشوارع [١] .

---

* جامعة بغداد – مركز احياء التراث العلمي العربي

تُشير المصادر التاريخية بأن الوالي العثماني عبد الوهاب باشا ١٩٠٤ـ ١٩٠٥م أوجد جادة(*) مستقيمة من مقر الحكومة في السراي إلى منطقة رأس القرية ، في حين يعتبر البعض أن أول شارع في مدينة بغداد هو شارع النهر الذي إفتتحهُ الوالي العثماني الفريق ناظم باشا في عام ١٩١٠م، (٢) والذي لايستحق أن يُسمى شارعاً لضيقه وكثرة إلتواءاتِهِ ، ويبدو أن هذهِ كانت دروباً أكثر من كونها شوارع بالمعنى الصحيح لكنها دروب واسعة نسبياً ومن الثابت أفتتح الشارع في ٢٢/ تموز/ ١٩١٦م وهو يوم إعلان الدستور وكان يمتد من منطقة باب المعظم إلى منطقة السيد سلطان علي في أول الأمر ، وقد سُمي باسم «جادة خليل باشا» و «الجادة العامة» أو «الجادة إختصاراً». وثبت ذلك على قطعة من الكاشي المزجج كانت موضوعة فوق قاعدة منارة جامع السيد سلطان علي في الزاوية المستقبلة للجنوب وعليهِ يُعد بأنهُ أول شارع حقيقي بالمعنى الصحيح في تاريخ مدينة بغداد الحديث .ويظهر أن أهم أثرين للألمان في تحديث وتطوير مدينة بغداد ، كانا سكة حديد بغداد عام ١٩١٢م، في الجانب الغربي وجادة خليل باشا هذان الاثران أقرهما الوالي العثماني عملاً بنصيحة بعض الأستشاريين العسكريين الالمان وذلك بضرورة فتح شارع في مدينة بغداد. أما الدوافع الكامنة وراء فتح هذا الشارع فهي المتطلبات العسكرية والأعتبارات الاقتصادية إضافةً إلى الدوافع الشخصية (٣).

وكان عرض الشارع «١٦» متراً في أول الأمر إلاّ إنهُ أُهمل ولم تُعمر أغلب الأبنية التي هُدمت فاصبحت خرائب ، وأستمر إهمالهِ إلى العشرينات .

وبعد دخول البريطانيين إلى مدينة بغداد عام ١٩١٧م، عملوا على تبليط الشارع المذكور كباكورة للعمل العمراني وللأستفادة منهُ حيثُ أوصلوه إلى منطقة الباب الشرقي بعد أن حشدوا لهُ جمهرة من السجناء المحكومين بالأشغال الشاقة المؤبدة وهم بملابس السجن (٤).

ويبدو أن من الأهتمامات الرئيسية للبريطانيين كانت الشوارع وتسويتها وتبليطها ومنها جادة خليل باشا التي أصبحت تُعرف باسم « الشارع الجديد» وهو أول شارع ظهرت فيهِ الإضاءة الكهربائية في مدينة بغداد ، (٥) وبعد تأسيس الحكم الملكي في العراق عام ١٩٢١م بفترة سُمي «شارع الرشيد» (٦) حتى الوقت الحاضر وتحديداً بعد إنتهاء الأنتداب البريطاني عام ١٩٣٢م ودخول العراق إلى عُصبة الأمم (٧) .

ويُذكر إن أول سيارة عراقية مرت في شارع الرشيد هي سيارة الملك فيصل الأول بعد عودتهِ من أوروبا (٨).

يقول المؤرخ عبد الرزاق الحسني « إن شارع الرشيد لم يعرف التبليط الحقيقي إلاّ في أواخر عام ١٩٢٨م حيثُ شرع في تعبيد الشارع وتزفيته»(٩).

وبمرور الزمن أصبح شارع الرشيد مفتاح تطور مدينة بغداد ، فقد عينت على طريقتهِ إتجاهات العمران ، بل وإتجاهات شق الشوارع اللاحقة ، دخلتهُ السيارات كمنافس خطير للخيول والعربات ، ثم تغلبت عليها في النهاية، وأصبحت سيدة الشارع بدون منازع (١٠).

وقد إخترق هذا الشارع الجانب الشرقي من بغداد عبر عصورها الزاهرة وأطلت عليهِ العديد من المباني الأثرية التي لايزال بعضها شامخاً ، كما إنهُ قطع الكثير من الدروب والأزقة

والأسـواق . يبدأ شارع الرشيد من منطقة باب المعظم وكانت هـذه المنطقة موضع أحد أبواب سـور بغداد العباسـية الذي كان يسمى بباب السـلطان ، وقد نُقض هـذا الباب عام ١٩٢٥م لتوسـيع الشـارع ، ويمتد شـارع الرشـيد إلى منطقة البـاب الشرقي حيـثُ موضع آخر باب من أبواب سـور بغداد الذي كان يسمى « بباب البصليـة» أو بـاب كلـواذا والذي أزيـل في عام ١٩٣٧م [١١] .

ولغـرض التعريـف ببعـض الأبنيـة الآثريـة والشـواهد التراثية الشـاخصة التـي تطل على شارع الرشيد لإعطاء صورة واضحة عن الأهمية التاريخية لهذا الشـارع العريـق . وعند مدخل شارع الرشيد على الجهة اليمنى «جامع الازبك» الذي عمرهُ والي بغداد داود باشا» عام ١٨١٨م والـذي جُددت عمارتهُ أكثـر من مرة . ثم نتجه إلى منطقة سـوق الميدان حيثُ «جامع المرادية» على الجهة اليسرى مقابل وزارة الدفاع والذي شـيد عمارتهُ الوالي مراد باشا عام ١٥٦٦م، ثُم جُددت عمارتهُ عام ١٩٠٣م. وتطل على سـاحة الميـدان واجهة « جامع الأحمدية» الذي نُسـبت عمارتهُ إلى أيام سليمان باشا عام ١٧٩٦م [١٢].

أما على الجانب الأيسر من شارع الرشيد فيوجد معلـم تاريخي آخر هو «جامـع الحيدر خانة» الـذي شـهد صفحات مشرقـة من أيـام بغداد المعـاصرة حيـثُ كان مركـزاً لثـورة العشرين يلتقي فيـهِ الخطباء والشـعراء ليثيروا حماس جماهـير بغـداد من أجـل الثورة وسـقط عند بابهِ أول شـهيد في ثـورة العشرين وهو النجار الأخرس . لقد شـيد هذا الجامع « داود باشـا » آخر ولاة المماليك في بغداد عام ١٨٢٧م ويتكون من بناء مربع يشـتمل على ساحة واسعة وحرم للصلاة تعلوه قبـة كبيرة تكتنفها قبتان أصغر منهـا ، وقد حُليت هـذه القباب بزخارف ملونة وكتابـات ، وكان هـذا الجانـب يضم مدرسـة سُميت بالمدرسـة الداودية نسبةً إلى داود باشا، وقد جرت للجامع عـدة تعميرات، غيرت بعض معالمِهِ إلاّ أنها لم تغير من شكلِهِ المعماري [١٣] .

بينمـا في الجهـة اليمنـى مـن الشـارع يوجد مدخل سوق الصفارين الذي تعمل فيه الأواني والأدوات النحاسـية والمعدنيـة التـي تحتاجها عوائل بغداد قديماً وحديثاً .ومدخل هذا السوق يناسب موضع دار السكة التي كانت تُضرب فيهِ النقود في بغداد ولم يبق منهُ أثر شاخص اليوم، وهذه السـوق واحدة من أسـواق محلة الثلاثاء التي كانت أعظم سـوق في بغداد الشرقية حيثُ موضعها اليوم تقع أسـواق البزازين والسجاد والكمرك القديم والصاغة وغيرها [١٤] .

وفي الجانـب الأيـسر من الشـارع توجـد بوابة مرتفعـة تطـل عـلى مدخل سـوق الشـورجة وهـي بوابـة المدرسـة المرجانية التي شـيدها أمـير الديـن مرجـان في حـدود عـام ٧٥٨هـ ـ ١٣٥٦م وكانـت هـذه المدرسـة مـن أضخم وأجمل مدارس بغـداد في حينها حُليت بوابتها بزخارف نباتية وهندسية رائعة تحكي أسلوب الزخرفـة البغداديـة التي إنتقلـت من العصر العبـاسي إلى العصـور التي تلتهـا وآثرت فيها وبـإزاء البوابـة منـارة عالية لاتـزال قائمة إلى الآن ، وكانت لهذه المدرسـة قبتان إسطوانيتان تتكونان من أنصاف أعمدة إسطوانية مستديرة حـول القبة وهي من الأسـاليب الفريدة في بناء القباب في العالم الأسـلامي ويُحـلي جدار حرم المدرسة من الخارج شكل بارز على هيئة منارة صغـيرة ملصقة بالجدار ، أما مداخل المدرسـة وواجهاتهـا والأقواس والعقـود والجدران فقد زُينـت بزخـارف وكتابـات صنعت مـن الآجر

والقرميد الملون وكان محراب المُصلى متكوناً من قطعة زخرفية رائعة[١٥] .
إلاّ إنّ هذا البناء الرائع والأثر البغدادي النفيس الذي عُرف فيما بعد بجامع مرجان إمتدت لهُ يد التهديم عام ١٩٤٧م لتعريض شارع الرشيد وتعديل إستقامتهِ ونُقلت أغلب زخارفهِ وأقواسهِ وكتاباتهِ وواجهاتهِ الزخرفية إلى مديرية الآثار وتُزين بعضها القاعة الاسلامية الأولى في المتحف العراقي[١٦] . ويظهر أن عملية الهدم تلك لم تكن ضرورية وإنّ من الممكن أن يبقى هذا الأثر متالقاً في بغد اد .
وبمقابل المدرسة المرجانية يقع خان مرجان الذي شيدهُ أمين الدين مرجان عام ٧٦٠هـ ــ ١٣٥٨م الذي تطل بوابتهِ الأصلية التي مازالت قائمة على سوق البزازين والذي هو مدخل سوق الثلاثاء العباسي ، وبناء الخان يُعد من العجائب المعمارية المتميزة في العالم الاسلامي سواء بعقودهِ الشاهقة وزخارفهِ الآجرية الجميلة وغرفهِ المقسمة على أضلعهِ الأربعة بطابقيه الأعلى والأسفل [١٧].
وبعد أن نتجاوز المدرسة المرجانية تأتي محلة « رأس القرية وهي محلة عباسية كانت تُعرف باسم القرية». وعلى الجهة اليمنى من شارع الرشيد وبالقرب من محلة المربعة يقع جامع السيد سلطان علي ، لقد شُيد الجامع عام ١٣١٠هـ ــ ١٨٩٢م وبُنيت فيهِ مدرستان وتم تجديد عمارتهِ عدة مرات [١٨] .
وبالقرب من منطقة السنك وعلى الجهة اليمنى يقع مرقد ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ) مجاور دار عبد الرحمن النقيب أول رئيس وزراء في العراق في العهد الملكي ، وإلى جانب مرقد ابن الجوزي تقع البئر التي يُرفع منها الماء إلى سقاية الشيخ عبد القادر الكيلاني حيثُ يتصل بهذا البئر بناء مرتفع تجري فوقه سقاية طُليت بالقار تنقل الماء الذي يُرفع بواسطة ناعور كان موضوعاً على هذه البئر لنقل الماء إلى محلة الشيخ عبد القادر الكيلاني والمحلات المجاورة لها ، وقد بقيت أجزاء من هذه السقاية شاخصة مرتفعة على عقود مبنية من الآجر [١٩] .
إنّ السائر مشياً في شارع الرشيد لايكاد يشعر بطول الشارع بسبب الرواق الطويل على جانبي الشارع وهو العلامة الفارقة للشارع وسر جماليتهِ ، وللرواق أهمية في تصميمهِ حيث يحمي المشاة على جانبي الشارع من الشمس والمطر والضجيج ، ويعطي الرواق شخصية موحدة لجميع أبنية الشارع . والملاحظ أنّ معظم الأبنية التقليدية المشيدة على الشارع سوى الأثري منها ، يرجع تاريخها إلى مابعد عام ١٩٢٠م ، فقد أستعمل فيها نظام العقادة بالحديد «الشيلمان» وهذا ما أثر على نظام أعمدة الرواق ، فالمسافة بين عمود وآخر لا تزيد عن أربعة أمتار تقريباً أما الأبنية التي هي أقدم من ذلك فكانت غير متقدمة بأعمدة أو رواق . وفي الصور لشارع الرشيد نرى عدداً من الأماكن الخالية من الرواق وأعمدتهِ . غير أن بعض الدور القديمة التي أصبحت مطلة على الشارع بعد أن شُيدت إضافات جميلة من الغرف بشناشيل بغدادية رائعة ، إستندت إلى أعمدة وأستمر من تحتها رواق الشارع مثل بيت عارف أغا ، وبيت القيماقجي ، وبيت ملا حمادي . أما بناية شركة لنج للملاحة النهرية المشيدة عام ١٩٠٦م ، فقد كان بابها الكبير في شارع النهر ، ولكن بعد أن فتُح شارع الرشيد ضم أضافات مثل مانراه اليوم مطلاً على الشارع ، وإن كانت أعمدة رواق بيت لنج على

غير ما ألفناه من أعمدة الشارع الأسطوانية، وهو ما يتميز بهِ الشارع[٢٠] .
وقد صمم المهندس المعماري الأنكليزي «جي أم ولسن» مخططات لشارع الرشيد ورد فيهِ نمط الشارع العراقي الذي إقتبس فكرتهُ عندما كان يعمل في الهند . ويقول المؤرخون إن الرواق ولد مع ولادت الدولة العباسية وظهر في الأسواق وفي أروقتها التي كانت عبارة عن مسقفات للحماية من الحر والبرد والمطر ، كما كان الرواق بارزاً في الجوامع وفي البيوت العباسية [٢١].
ومن الأبنية المهمة التي تقع في شارع الرشيد بناية المقيمية البريطانية التي شُيدت عام ١٩٠٥م وتحتوي على رواق جميل في مدخلها الرئيسي هو عبارة عن سقف مسنود بأعمدة خشبية كبيرة تحتوي على تيجان بغدادية مقرنصة . كما توجد بناية ثالثة مهمة فيها رواق بغدادي هي سينما « علاء الدين »التي بُنيت عام ١٩٢٠م المعروفة برواقها الخارجي المعقود ، ومن هذا نفهم إن هذه الأبنية التي أشرنا إليها ساعدت على إنتشار الشارع الرواقي كنمط معماري حتى كاد أن يصبح عرفاً إعتمدت عليه أغلب الأبنية التي تقع في شارع الرشيد. غير أن هذا النسيج المعماري الجميل بات يتلاشى منذُ الخمسينيات نتيجة ضغوط الأستثمارات القوية من القطاعين العام والخاص التي جعلت أمانة العاصمة تجنح إلى إعطاء رخص لأبنية عالية جداً ألغت ظاهرة الرواق مما أفسد الكثير من خصوصية هذا الشارع التراثي[٢٢].
ولأجل الحفاظ على أهمية شارع الرشيد حددت أمانة العاصمة المهن التي تزاول في الشارع المذكور ، بشكل يحافظ على تراثية الشارع ويمنع المهن الطارئة عليهِ ، فاصدرت قرارات مهمة بهذا الخصوص منها القرار الذي أصدرهُ مجلس أمانة العاصمة بتاريخ ٥/ أذار /١٩٣٥م حيث ينص « قرار المجلس على منع تعاطي الحرف والمهن المُبينة أدناه في شارع الرشيد وشارع الملك غازي ، وإعطاء أصحاب المهن مُهلة ثلاثة أشهر ليتمكنوا خلالها من إيجاد محلات لهم في أماكن آخرى وإعلان ذلك وتبليغهم ، والمخالف يُعاقب وفق المادة ١٢٦من قانون العقوبات البغدادي ، وهي مهنة الفواكه والخضروات من جامع مرجان إلى الساحة المستديرة الواقعة في باب المعظم»[٢٣].
وأصدر مجلس أمانة العاصمة قراراً آخر في ٨/ آذار/ ١٩٣٨م ،منع بموجبهِ القصابين والصفارين والحدادين والندافين والتنكجية وباعة الخضروات وباعة الفحم وباعة الخشب وباعة الكباب من مزاولة هذه المهن في شارع الرشيد . وفي ١٥/ آيلول / ١٩٤٥ م ، أصدر قراراً لاحقاً لقرار ١٩٣٧م منع بموجبهِ مزاولة مهنتي الجزارة وبيع الفواكه والخضروات من باب المعظم إلى جامع مرجان وشارع المامون وساحة الأمين « الرصافي» وأستثنى من ذلك سوق باب الأغا [٢٤].
وهكذا ينتهي شارع الرشيد عند جسر الجمهورية الذي يوافق موضع الباب الشرقي أو الباب البصلية من أبواب سور بغداد العباسية، وهذا الشارع المزدهر بماضي بغداد عاصمة الخلافة العباسية[٢٥].
ويبدو إن شارع الرشيد بالنسبة لمدينة بغداد للفترة ١٩٢١ــ١٩٥٨م العمود الفقري والمحور الأساس الذي إستقرت عليهِ ففي هذه الحقبة التاريخية المهمة عُد الشارع أول شارع بالمعنى المفهوم للشارع الحديث في العراق ومحور نشاطهِ بمختلف المجالات .



● **الدور الثقافي لشارع الرشيد :**

على الرغم من الدراسات والمقالات الكثيرة التي تناولت شارع الرشيد ، قلب بغداد النابض، وأغلبها تتحدث عن الجوانب التاريخية والأجتماعية و الثقافية لهذا الشارع الفريد فما أن تُذكر بغداد حتى يُذكر شارع الرشيد بأبنيتهِ الجميلة وأسواقهِ العامرة ومساجدهِ القديمة ومحلاتهِ العريقة إضافةً إلى الدور الثقافي الذي لعبهُ هذا الشارع الحيوي منذُ تأسيسهِ في حياة مدينة بغداد والبغداديين .

وللأهمية الثقافية التي تمتع بها هذا الشارع بأعتبارهِ الشريان الحيوي لمدينة بغداد فقد ضم العديد من المعالم الثقافية التي كانت ملتقى النخبة المثقفة من البغداديين المتمثلة بالمقاهي ، وإدارات الصحف والمطابع ، وأبرز المعاهد والمنتديات في زواياها ، المنتشرة في هذا الشارع الذي كان يعج بالنشاطات الثقافية المتعددة .

أولاً: المقاهي :

وحول وجود المقاهي يؤكد الباحث يعقوب سركيس أن أول إشارة وردت عن وجود مقهى في بغداد جاءت في كتاب «كلشن خلفا » في عام ١٥٩٠م ، وقد كانت تُدعى أنذاك « قهوة جغالة زاده» في موضع خان الكمرك قرب سوق الخفافين حالياً ، بينما ثاني مقهى هي مقهى «حسن باشا» جوار جامع الوزير في مدخل سوق السراي وقد زارهُ الرحالة «بيدرو تكسيرا» وجلس فيه عام ١٦٠٤م،[٢٦]

وللمقاهي وظيفتان أساسيتان في الحياة الأجتماعية أولأهما أنها كانت أماكن للراحة والتسلية وأن الذين يرتادون المقاهي كان يزداد عددهم في ليالي الصيف ونهارات الشتاء، أما الوظيفة الآخرى فهي إن المقاهي وحتى وقت متأخر كانت منتدى لقراءة الشعر والقصص وكانت بغداد مشهورة بمنتدياتها ومجالسها الأدبية والعلمية فلا تخلو محلاتها من مجلس أو مقهى يجتمع إليها الناس من وجوه شتى وأنحاءء مختلفة يقضون أوقاتهم فيها [٢٧].

لقد إشتهرت في شارع الرشيد مقاه شهدت حوادث وعاصرت شخصيات سياسية وأدبية وفنية ففي منطقة الميدان المتصلة بشارع الرشيد كانت هناك مقهى « الماجستيك»وهذه المقهى كانت تستقبل المطربات «ماريكا دمتري» و «روزة نومة» فكان يتخذ من سطح المقهى مكان لتقديم العروض الشيقة ومن المقاهي أيضاً مقهى« سبع» ومقهى« عزاوي» وكان يرتادها المغنون والفنانون والشعراء . وكان المرحوم أحمد الزيدان يقرأ بها المقام ، كما كانت تقدم بها حفلات «خيال الظل» و « قرقوز» و «القصخون» ومقهى « حمادي» التي تقع مقابل سينما الشعب وتسمى اليوم مقهى « المربعة» و مقهى « حسن عجمي» و مقهى «الزهاوي»التي كان يجلس فيها الشاعر جميل صدقي الزهاوي ، والشاعر معروف الرصافي وغيرهم من الشخصيات المعروفة.

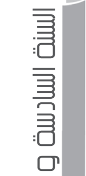
بعدها تأتي مقهى « عارف أغا» ومقهى « البلدية» التي أُزيلت والمقهى «البرازيلية» التي لم يسمح بها بسماع الموسيقى بل كانت مخصصة للقراءة والمناقشات الثقافية الهادئة ، ومن المقاهي أيضاً مقهى « أم كلثوم» قرب سوق الهرج، ومقهى « سيد سلطان علي» ومقهى «شط العرب» ومقهى «البرلمان» ومقهى « الحاج خليل القيسي» قرب جامع الحيدر خانة[٢٨].

ويشير المؤرخ سالم الألوسي إلى أهم الأماكن في شارع الرشيد مُعرجاً على مقاهي الشارع ومنها مقهى « حسن عجمي» وهو مقهى

تراثي عريق شـهده هذا الشـارع حيثُ إشتهر بنظافته ومجموعة أدوات المقهى كالسـماورات القديمـة والنواركيـل وأكثـر رواد هـذا المقهى العريقـة من الأدباء ورجـال الصحافة وبعض الشخصيات المرموقة، ولاتزال تستقبل روادها [٢٩] .
ويظهر أن المقاهي في شارع الرشيد كانت مراكز للثقافة ونوادي لرواد الفكر والفن والأدب فأدت بذلـك دوراً كبيراً في نشر الوعـي والثقافة حيثُ رسـخت أسـس الحركة الأدبية وثبتت أساليب الشعر والغناء[٣٠] .
وبالتـالي كانـت المقاهي في تلك الفـترة تُمارس دوراً ثقافيـاً وإجتماعيـاً مهمـاً بحيـث يمكن القول عـن هذه المقاهـي إنها كانـت منتديات ثقافية لمختلف الطبقات الأجتماعية .

ثانياً: إدارات الصحف والمطابع :

إن شارع الرشـيد لايمثل جادة مرصوفة يسير عليها الناس من السـابلة والمركبات والعربات، إنما يُمثـل حياة وصـوراً وتاريخـاً لملايين من البـشر ، وعشرات من الأحـداث التاريخية التي مرت عليها في تطور الثقافة وحضارة المجتمع. وهو الشـارع الذي جرت فيـه مظاهرات ثورة العشريـن وما رافق وصاحب أحداث فلسـطين العربيـة ، وما عبرت عنـهُ الصحافة العراقية في حينها من قضايا ذات أهمية لإسـتقلال وحرية البلاد[٣١].
لقد سمع شارع الرشيد قصائد الشاعر معروف الرصـافي والشـاعر جميـل صدقـي الزهاوي والشاعر محمد مهدي البصير والشاعر ملا عبود الكرخي والشـاعر عبد الرحمن البناء والشاعر عدنـان الـراوي . لقد إسـتمع إلى خطب رجال الصحافـة الحـرة من حملة الـروح الإصلاحية والانسـانية وبهذه المناسبة ونحن نسجل ونبين تاريخ شـارع الرشـيد الذي أصبح أثراً وتراثاً مـن آثار وتراث مدينة بغداد دار السـلام في أن ننعطف نحـو مراكز بعض الصحف البغدادية ممـا كان لها بعض الأصدارات في هذا الشـارع منهـا[٣٢] : ـ جريـدة اليقظـة ـ وهـي جريدة يومية سياسية جامعة مسائية تصدر عصر كل يوم صاحبها ورئيس تحريرها السـيد سلمان الصفوانـي / جريدة الأنقاذ ـ للأسـتاذ المحامي هشام الدباغ / جريدة التقدم ـ للأستاذ الأديب محمـد البريفيكاني / جريدة العدل ـ للأسـتاذ السيد الفاضلي / جريدة الشرق ـ للأستاذ محمد العاني / جريـدة الحرية ـ وهي جريدة يومية سياسـية صباحية صاحبهـا ورئيس تحريرها الأسـتاذ قاسـم حمـودي أحـد أقطـاب حزب الأستقلال جريدة اليوم / جريدة الزمان : وهي جريدة يومية سياسـية صباحية تصدر بثماني صفحات صاحبها توفيق السـمعاني ومديرها المسـؤول المحامـي محمـود نديم إسـماعيل/ جريدة الحوادث : وهي جريدة سياسـية يومية مسـائية تصدر بأربع صفحات صاحبها السيد عادل عوني/جريـدة الوادي/ جريـدة البلاد: وهي جريـدة يومية سياسـية صباحيـة وتُعد من الصحف القديمة أسسـها المحامي روفائيل بطـي/ جريدة الاسـتقلال/ جريدة كل شيء/ جريد الهاتف/ جريدة الدفاع / جريدة البلد/ جريدة الشـعب : وهي جريدة يومية سياسـية صباحية صاحبها المحامي يحيى قاسم وتصدر بثماني صفحات.
وهنـاك بعض المجلات مثـل المنار والثغر وفتى العـراق وقرندل وهي مجلات إقتصادية ثقافية فكاهية إسبوعية صاحبها صادق الأزدي[٣٣].
وإن أحسـن من سـجل من الكتاب المعاصرين لنا عن شـارع الرشـيد وما رافقهُ من تغيير في



الاسم والمظهر هو المرحوم الشاعر «عبد الكريم العلاف» في كتابـهِ « بغداد القديمة» وقد يكون غـيرهِ مـن المؤلفين من أشـار إلى هذا الشـارع وبين أحوالـهِ . لكن أغلب كتابنا اليوم يرجعون إليهِ لما ضمهُ كتابهُ من مناح ومواضيع شـعبية ووثائقية وتاريخية عامة [٣٤].

فيمـا يخص شـارع المتنبـي كان يسـمى هذا الشـارع بشارع الإكمك خانة نظراً لوجود فرن للصمـون ينتج للجيش « الأكمـك معناه الخبز ياللغة التركية» [٣٥].

وللحديث عن سـوق الكتب في بغداد لابد لنا أن نذكر شارع المتنبي كان في بداية تأسيسه يُشكل إمتـداداً لسـوق الـسراي منذُ أن نقـل المرحوم محمـود حلمي مكتبته العصريـة عام ١٩٤٦ـ ١٩٤٧م فبدأت بعد ذلك تُفتح المكتبات فيه [٣٦].

وفي عام ١٩٣٦م تأسست لجنة برئاسة الأديب طه الراوي لتغيير أسماء شوارع بغداد فأعطت اسـم شارع المتنبي لكون الشـارع فيه المطابع وبعض المكتبات ومجلد الكتب [٣٧].

لذا يُعتبر شارع المتنبي الوريث الشرعي لسوق السراي الذي يعود تاريخ تأسيسـه الى نهايات العهد العثماني . أن تأسـيس سـوق الكتب في الـسراي أولاً وتوسـعه وإمتـداده إلى شـارع المتنبي كانت لهُ أسباب كثيرة لعل أهمها وقوعهِ قـرب مبـان مهمة منهـا سراي الحكومـة أولاً والدفـتر خانة ثانياً والسـبب الثالث هو موقعهِ الفريـد والمهم الذي تُحيط بـهِ من كل الجهات تقريبـاً الجوامـع التـي كانت في نفـس الوقت مـدارس دينية إضافةً إلى المـدارس الحكومية، مثـل مدرسـة إعداديـة العسـكري والصنائع ومدرسـة الحقوق وبعض عوائل المدارس التي أنشـئت في بغداد في تلك الفـترة وما بعدها مثل المدرسة المركزية وكذلك وجود الأقسام الداخلية قربه فيما بعد لغايـة الثلاثينات أو الأربعينات من القرن العشرين [٣٨].

وفضلاً عـن ذلك كانت هناك مـدارس بمفترق شارع الرشيد لعبت دوراً في نشر الثقافة منها: المدرسـة الرشـدية الملكية أسست هذه المدرسة عندمـا تـولى مدحت باشـا ولايـة بغـداد عام ١٨٧٠م وبقيـت هـذه المدرسـة قائمة إلى حين إعلان الدسـتور في الدولـة العثمانية ١٩٠٨م . واقتضـت الحاجة إلى تحويل هذه المدرسـة إلى مدرسـة الحقوق . وفي عـام ١٩٢٣م نُقلت إلى بناية المتحف العراقي القديم في شارع المأمون، وقد نقضت البناية وحلـت محلها بناية حديثة لمصرفية بغداد ، وبعدها إتخذتها دائرة النفوس العامـة مكاناً لإدارتها . ومن الجدير بالذكر أن المـؤرخ العراقي الكبير عبـاس العزاوي تخرج من مدرسة الحقوق هذه في عام ١٩٠٣م[٣٩] .

المدرسة الرشدية « الإعدادية العسكرية» تقع إلى جنوب بناية القشلة شُيدت على الضفة اليسرى عـام ١٨٧٩م في زمن والي بغـداد عبد الرحمن باشـا . وكانت الرشـدية « الإعدادية» تستقبل خريجي المدرسة الرشـدية الملكية وبعد إكمال الدراسـة يتم إرسـالهم إلى الكلية العسكرية في إسطنبول . وقد بقيت هذه المدرسة قائمة حتى إحتـلال الأنكليـزي بغداد عـام ١٩١٧م وبعد تأسـيس المملكة العراقية عام ١٩٢١م أُتخذت البناية مقراً للمحاكم المدنية والجزائية[٤٠] .

وهنالك مدرسة التهذيب البدرية تقع في الزقاق المؤدي إلى بناية أمانة العاصمة القديمة بشارع السراي وهي من المدارس التعليمية كان يديرها السـيد محمود البدري ومن بعدهِ نجله العلامة السـيد شـاكر البدري ، وظلت المدرسـة قائمة حتى أواخر الخمسينات منالقرن العشرين[٤١].

ثالثاً: أبرز المعاهد والمنتديات في زواياها :
إن من أبرز المعاهد التي ضمها شارع الرشيد في بداية الحكم الملكي في العراق عام ١٩٢١م:-
١ـ المعهد العلمي : وذلك عام ١٩٢١م والذي قام بهذا العمل هو الأستاذ ثابت عبد النور وهو من الشخصيات السياسية العراقية ، وممن رافقوا الملك فيصل الأول . وأشار اليه المؤرخ ساطع الحصري في مذكراته ، كما إن السائح والكاتب المهجري اللبناني أمين الريحاني أشار إليه وإلى المعهد العلمي في كتبهِ « قلب العراق» و« ملوك العرب» (٤٢) .
وكانت أسرة «المعهد العلمي» تتألف من خمسة عشر عضواً. وكان مقر المعهد مقابل جامع الحيدر خانة في مدخل الزقاق القريب من مقهى «البرلمان». ومن أشهر أعمال هذا المعهد (٤٣):-
اـ مكافحة الأمية في العراق وبغداد خاصةً .
ب ـ إحياء الماثر والمحافل العربية القديمة ومنها إقامة « سوق عُكاظ» بجانب الكرخ ـ الصالحيةـ عام ١٩٢٢ ، حيثُ ألقت فيهِ أول فتاة عراقية هي « صبيحة الشيخ داود» من شعر الخنساء .
ج ـ درس فيه الأستاذان مصطفى علي وتوفيق الفكيكي .
د ـ طلب مؤسسهِ ثابت عبد النور من وزارة المعارف عام ١٩٢٥م تأسيس مجمع علمي. وتأسست لجنة تضم الأساتذة طه الراوي، معروف الرصافي ، عبد اللطيف الفلاحي ، وإنستاس ماري الكرملي وهي برئاسة طه الراوي ولكن مشروعها لم ير النور .
هـــ أقام المعهد العلمي إحتفالات أدبية في ذكرى وفاة الأديب «مصطفى لطفي المنفلوطي». وفي إستقبال « أمين الريحاني» في زيارتهِ الأولى للعراق .
٢ـ منتدى التهذيب: أجازتهُ الحكومة في السابع من شهر آذار ١٩٢٢م ، وأُفتتح رسمياً في السابع من آيار عام ١٩٢٢م . وكان عدد المشتركين فيه « ١٢٠» عضواً ، ومن أهدافهِ تهذيب الشباب أخلاقياً وعلمياً ، ونشر العلم والمعرفة ، ولهُ رئيس ونائب رئيس وسكرتير ونائب سكرتير وأمين صندوق ونائبهِ وستة أعضاء شرف لإدارتهِ . وفيهِ مكتبة للمطالعة ضمت« ٥٠٠ »كتاب باللغات العربية والأنكليزية بموضوعات مختلفة . وكان دخلهُ المادي من التبرعات عام ١٩٢٢م مايزيد على «٨٠٠٠» الاف روبية ومصاريفه «٥٠٠٠» روبية. ولهُ نظام وقانون. وقد أسهم بتشجيعهِ الشعراء البارزون في العراق منهم الزهاوي والرصافي والبناء والباجي(٤٤).
وأقيمت للمنتدى حفلة سنوية كبرى في عام ١٩٢٢ـ ١٩٢٣م وألقى فيها الشاعر جميل صدقي الزهاوي قصيدة عندما كرمهُ «منتدى التهذيب» في بغداد .
وكذلك أنشد الشاعر معروف الرصافي قصيدة في حفلة إفتتاح « منتدى التهذيب» . ومن أنشطة هذا المنتدى أقام حفلات أدبية للشاعر أحمد شوقي ، وحفلة تأبين للكاتب العراقي شكري الفضلي عام ١٩٢٦م وغيرهما(٤٥) .
ومن الجدير بالذكر أن هناك آثراً لمقهى « الزهاوي» كمنتدى صغير غير رسمي للشاعر الفيلسوف « جميل صدقي الزهاوي»وما كان يدور فيهِ وينظم من أشعار لهُ ولغيرهِ ، ولازال المقهى موضع عناية وملتقى الادباء وغيرهم. كما أن هناك نوادي أخرى لها أثر وتاريخ كالإصلاح ، والمثنى ، والقلم (٤٦).
● المراكز الترفيهية والثقافية:
إنّ شارع الرشيد هو الشارع الأول في تاريخ مدينة بغداد الحديث ولايكفي أن نقول ان هذا



الشـارع هو الشريـان الأقتصـادي والتجاري لبغـداد ، لأن القضيـة تتعـدى بكثـير هـذه التسميات. إنها مسألة تتعلق بالوعي وبالذاكرة بالتربيـة وإلتقاط الأشـياء وإختزانهـا. وهكذا أصبح شارع الرشـيد مركزاً للوعي والذكريات وتحول فيما بعد إلى محور دائم للثقافة واللهو والترفيـه والسياسـة والتجارة ليصبـح ذاكرة العاصمـة الفلكلوريـة بـكل مخزونهـا الرائع الجميـل . وهذا يُفسر على وجه التحديد إهتمام السينما بشارع الرشـيد. ولأنّ موضوع شارع الرشـيد والسـينما لايتعلق بمجرد إحصائيات وشـواهد ، عليهِ سـنجد مدى تشعب الموضوع لمجـرد طرح فكـرة واضحة كتلـك التي تتعلق بـدور العـرض السـينمائي التـي أطلـت على الشارع [٤٧].

تُشـير المصادر التي تُوثق للعروض السينمائية الأولى في العراق إلى ان العرض السينمائي الأول قـد تم في دار الشـفاء الواقعـة في جانب الكرخ ليلة الأحد المصادف ٢٦ تموز من عام ١٩٠٩م. وقـد نظمت هذا العـرض جهة لانعـرف عنها شيئاً [٤٨].

وقـد إنبهـرت تلـك الجمهـرة التـي حضرت العرض مما شـاهدت من « الألعاب الخيالية» كما دُعيت في ذلك الوقت[٤٩] . ويظهر ان مدينة بغداد سـبقت غيرها مـن العواصـم المجاورة من خـلال أول عرض سـينمائي جرى في عام ١٩٠٩م [٥٠].

ويُذكـر في نفـس المصادر ان شـارع الرشـيد لم يشـهد العروض السـينمائية إلاّ بعد مرور سـنتين من العرض الأول ، أي في شـهر أيلول مـن عـام ١٩١١م ، حيـثُ أشـارت جريدة « صدى بابل» إلى الخبر التالي[٥١] : ـ

يبتـدأ أول تمثيل بالسـينما توغـراف في يوم الثلاثاء مسـاء منذُ السـاعة الواحدة والنصف في البستان الملاصقة بالعبخانة . وهذا التمثيل الاولي يكون بالأشكال اللطيفة التهذيبية المُبهجة الآتية: ـ صيد الفهد/ الرجل الصناعي/ بحر هائج / التفتيش عن اللؤلؤة السـوداء / سباق مناطيد/ طيور مفترسـة في أوكارها/خطوط حيّة « متحركة»/ تشييع جنازة أدوارد السابع ملك إنكلترا .

كان هذا أول إعلان يُنشر في الصحافة العراقية عـن عروض سـينمائية تُقـدم في دار للعرض بموجـب تذاكر . وفيه إشـارة لعناوين الأفلام المعروضة . وقد حضر هذا العرض السينمائي ما ينيف عن ٢٠٠ شـخص يمثلون علية القوم من موظفـي الحكومة ووجهاء المدينة صاحب العرض عزف الموسـيقى العسـكرية . فكانت لهذا الحـدث غير الأعتيادي أصداء واسـعة في الأوسـاط الإجتماعية والثقافيـة وظهرت عنهُ مقـالات وتعليقـات . وقد ضم العـرض الذي حضرهُ الوالي العثماني « جمال باشـا» ثمانية أشرطة قصيرة [٥٢].

ويُذكر إن ذلك المكان « البستان» الذي عُرضت فيهِ تلك الأفلام هو نفسـه الذي دُعي فيما بعد بـ «سـينما بلوكي» نسـبة إلى تاجر مسـيحي مسـتورد للمكائـن كان معروفـاً في العـراق . وبذلـك تكون هذه السـينما أي « بلوكي» هي أول دار عرض سينمائي تُفتتح في مدينة بغداد عام ١٩١١م[٥٣].

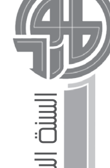
وكان أول من تنبه إلى أهمية السينما في العراق هم التجـار اليهود الذين سـارعوا إلى تشـييد دور العـرض ، وكان أيضـاً للصحافة دورها في التنويه بأهمية السـينما والإعلان عن الأفلام وتقديـم القـراءات النقدية ، حيثُ شـجع ذلك إقبال الناس على مشاهدة العروض السينمائية[٥٤].

وقد شـهد شـارع الرشـيد تأسـيس سينمات جديـدة في الفترة التـي سـبقت وأعقبت قيام

الحــرب العالميــة الاولى مثــل[٥٥] : ـ ســينما عيســائي/ ســينما أولمبيا / ســنترال سينما / السينما العراقي / السينما الوطني .
ومنذُ بداية العشرينات وحتى نهاية الأربعينات شهد شــارع الرشيد إنشاء الســينمات التالية [٥٦]: سينما مابين النهرين ١٩٢٠م / سينما سنترال ١٩٢٠م قــرب جــسر الأحــرا ر «جــسر مــود سابقاً» / سينما الوطني ١٩٢٧م .
وفي الثلاثينــات شــهد الشــارع التأسيســات التالية [٥٧]: ـ سينما الرافدين في منطقة السنك / ســينما الزوراء /ســينما الرشــيد / ســينما الحمراء/ســينما روكــسي ١٩٣٦م / ســينما ريكس ١٩٣٦م / ســينما ريجنــت ١٩٤٩م / ســينما الكرنك / ســينما الأوبرا / سينما علاء الدين .
ويُلاحــظ ان الغالبيــة العظمى مــن هذه الدور الســينمائية في مدينــة بغــداد كانــت تقع في ـ الشــارع الجديد ـ أي الرشــيد حالياً . أو على مقتربــة منه على الأقــل بأعتبارهِ مركــز مدينة بغداد العمراني ونشاطها التجاري والتسويقي والثقافي حيث يكثر المارة والإزدحام .
ومع إتســاع ظاهرة السينما في شــارع الرشيد أخــذ الشــباب يهربــون مــن المقاهــي إلى دور العــرض الســينمائي تشــبهاً بتلــك النخبة من المتنورين التي وجدت في السينما مصدراً جديداً يُضاف إلى مصادر ثقافتها [٥٨].
ويُذكر ان الأفلام كانت صامتة ولم تشهد مدينة بغداد السينما الناطقة إلا في أوائل الثلاثينات[٥٩] ولعــل أهم حدث فني شــهدهُ العراق مع مطلع الثلاثينــات كان ذلــك الــذي جرى في «ســينما الوطنــي» يوم عيــد الفطر الموافق ١٩ شــباط ١٩٣١م ففي ذلك اليوم بالذات نطقت السينما الصامتة وتكلمت لأول مرة في العراق من خلال الفيلم الغنائي « ملك الموسيقى» وقد تخصصت الســينما الوطني في تقديم الأفلام الناطقة أول الأمر [٦٠].
وفي مطلــع الأربعينــات أصبــح الفيلم المصري منافســاً قوياً للفيلم الأجنبي على شاشــات دور الســينما العراقية ، على عكس فــترة الثلاثينات عندما كانت ســيادة الفيلــم الأجنبي كاملة على دور الســينما والجمهور ، ليس فقط بالنســبة لعــدد الأفــلام المعروضة بــل وأيضاً بالنســبة لقيمتها الفنية والفكرية[٦١] .
وبالتالي صنعت دور الســينما في شارع الرشيد بالعهــد الملكــي تراثــاً وتاريخاً فنيــاً كبيراً فقد كانت هذه الدور تشــكل معلمــاً من معالم هذا الشارع الثقافي العريق ومنبراً من منابر الثقافة فيــهِ ، يوم كانت بعض هذه الدور الســينمائية الرصينة تهتــم بشراء وعرض الأفــلام العربية والأجنبية ذات القيمــة الفنية والثقافية وفوزها في مهرجانــات عالميــة وحصولهــا عــلى جوائز عالمية أو إعداد سيناريوهات عن روايات عالمية.
وعليــهِ أصبحــت دور الســينما في مدينة بغداد عموماً وشــارع الرشــيد خصوصاً من الوجاهة والتأثير والتأثر وذوق مؤسسيها وهم من رجال الأعمــال والمشــهود بتذوقهم للفن الســينمائي وروعة ما كانوا يعرضون . لذا كانوا بحق رجالاً لهم الفضل بوصول السينما إلى عصرها الذهبي بعــد أن وصلــت إلى مايســمى بواحــة ومحطة للثقافة [٦٢].

● **الخاتمة:**

عــلى الرغــم مــن الدراســات والمقــالات والنبذ الكثيرة التي تناولت شــارع الرشيد قلب بغداد النابض وأغلبها تتحدث عن الجوانب التاريخية والأجتماعيــة ، فــأن الحديث عن هذا الشــارع الفريد جملــةً وتفصيلاً لاينقطــع فما أن تذكر مدينة بغداد حتى يُذكر شــارع الرشيد بأبنيتهِ التاريخيــة الأثريــة الجميلة وأســواقهِ العريقة



ومساجدهِ القديمة ومحلاتهِ الأصيلة ومطابعهِ والصحـف والمـدارس العلمية التـي كانت على جانبي الشـارع أو مقترباتـهِ ، وتكمن الأهمية الثقافيـة لهذا الشـارع فترة العهـد الملكي من خلال نـشرهِ عنـاصر الثقافة ووجـود المراكز العلمية والأدبيـة والترفيهيـة والثقافية فضلاً عن الجانـب التاريخي والتراثـي العريق الذي لعـب دوراً مهماً في نشر الثقافة في مدينة بغداد وعموم العراق بأعتبارهِ مركزاً عمرانياً وتجارياً وثقافيـاً وبالتـالي أصبح لزامـاً إحياء مشروع تطوير شـارع الرشـيد من أجل إحيائهِ وعودة أيام مجدهِ العريقة .

الهوامش

(١) مكي ، طه ، تاريخ بغداد الحديثة ، مطبعة دنكور الحديثة ، بغداد ، ١٩٣٥م، ص٤٢.

(*) وهي كلمة عثمانية تعني الشارع.

(٢) مهدي ، سـعاد ، شـخصيات بغداديـة معاصرة ، مجلة أمانة العاصمة ، العدد (١٩)، ١٩٧٩، ص٤١.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الحجيـة ، عزيز جاسـم ، بعـض المعالم الترفيهية في شارع الرشـيد قديماً ، مجلة التراث الشعبي ، العدد الفصلي الثاني ، ربيع ، ١٩٨٨، ص١٦.

(٥) مهدي ، سعاد ، مصدر سابق ، ص٤٢.

(٦) مجلة أمانة العاصمة ، العدد (١٣) ، تشرين الثاني ، ١٩٧٧، ص١٣.

(٧)فتحي ، إحسـان ، شارع الرشـيد حكاية معمارية مثيرة ، مجلة الرواق ، العدد ،(١٤) ، ١٩٨٣، ص٢٣.

(٨) العرداوي ، عادل ، آراء في ولادة شـارع الرشـيد ، مجلة التراث الشـعبي ، العدد الفصـلي الثاني ، ربيع ، ١٩٨٨، ص٩٦.

(٩) الحسـني ، عبـد الـرزاق ـ عبد العزيـز الدوري، بغـداد ، ط١، دار الكتـاب اللبنانـي ، بـيروت ، ١٩٨٤، ص٥٥.

(١٠) السـامرائي ، عبد الجبار محمود ، شارع الرشيد تاريخه وبعض تراثه ، مجلة التراث الشـعبي ، العدد ، الفصلي الثاني ، ربيع ، ١٩٨٨، ص٢٤.

(١١)الجبـوري ، جميـل ، شـارع الرشـيد محاولـة لإسترجاع ماضيه القريب ، ملحق جريدة المدى، بتاريخ ١٨/ كانون الثاني ، ٢٠١٦/ ص٢.

(١٢)النقشـبندي ، أسامة ناصر ، إطلالة تاريخية على شـارع الرشـيد ، مجلة التراث الشعبي ، العدد الفصلي الثاني ، ربيع ، ١٩٨٨، ص٩ـ ١٠ .

(١٣)الآلـوسي ، سـالم ، جولـة في شـارع الرشـيد ، ملحـق جريـدة المدى ، تاريـخ ، ١٣/ تشريـن الثاني / ٢٠١٧، ص٦ .

(١٤) محمد ، خلود جاسـم ، محطات في ذاكرة شارع الرشـيد ، جريـدة الدسـتور ، بتاريـخ ، ١٣/ أيـار / ٢٠١٢، ص١٨.

(١٥) الحجية ، عزيز جاسـم ، شارع الرشيد حكايات وطرائـف ، ملحق جريدة المدى ، بتاريخ ، ١٨/ كانون الثاني / ٢٠١٦، ص ١٣.

(١٦) النقشـبندي ، أسامة ناصر ، إطلالة تاريخية على شارع الرشيد ، مصدر سابق ، ص١٢.

١٧ـ محمـد ، رفعت عبد الرزاق ، شـارع الرشـيد بين الإبقـاء والتجديد ، ملحق جريدة المدى ، بتاريخ ، ١٨/ كانون الثاني / ٢٠١٦، ص١٤.

(١٨) الحجية ، عزيز جاسـم ، شارع الرشيد حكايات وطرائف ، مصدر سابق ، ص١٣.

(١٩) المصدر نفسه.

(٢٠) محمد ، رفعت عبد الرزاق ، شـارع الرشـيد بين الإبقاء والتجديد ، مصدر سابق ، ص١٥.

(٢١) محمد ، خلود جاسـم ، محطات في ذاكرة شارع الرشيد ، مصدر سابق ، ص١٨.

(٢٢) المصدر نفسه .

(٢٣) السـامرائي ، عبد الجبار محمود ، شارع الرشيد تاريخه وبعض تراثه ، مصدر سابق ، ص٣٢.

(٢٤)محمد ، خلود جاسـم ، محطات في ذاكرة شـارع الرشيد ، مصدر سابق ، ص ١٨.

(٢٥)النقشـبندي ، أسامة ناصر ، إطلالة تاريخية على شارع الرشيد ، مصدر سابق ، ص ١٥.

(٢٦) سركيـس ، يعقـوب ، مباحـث عراقية ، القسـم الثانـي ، شركة التجـارة والطباعة المحـدودة ، بغداد ، ١٩٥٥م، ص١٨٠.

(٢٧) الحمدانـي ، طـارق نافـع ، ملامـح سياسـية وحضاريـة في تاريخ العراق الحديـث والمعاصر ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٩٨٩، ص٤٢.

(٢٨) سـالم ، كمـال لطيـف ، شـارع الرشـيد ذاكرة

بغداد، مجلة التراث الشعبي ، العدد الفصلي الثاني ، ربيع ، ١٩٨٨، ص١٧٣.
(٢٩) الآلوسي ، سالم ، جولة في شارع الرشيد في الثلاثينات ، ملحق جريدة المدى ، مصدر سابق ، ص٧.
(٣٠) الوردي ، حمودي ، الحياة الشعبية على شواطىء دجلة ، مطبعة أسعد ، بغداد ، ١٩٧٠، ص٢٧.
(٣١)الحمداني ، طارق نافع ، بغداد في كتابات المؤرخين العراقيين المعاصرين، دار الكتب العامة ، بغداد ، ٢٠١٣، ص٥١٠.
(٣٢) الحمداني ، طارق نافع ، بغداد في كتابات المؤرخين العراقيين المعاصرين ، ص٥١٠ـ ٥١١، سالم، كمال لطيف ، شارع الرشيد ذاكرة بغداد ، مصدر سابق ، ص١٧٦.
(٣٣)الداغري ، فاخر ، الصحافة في العهد الملكي ، جريدة الصباح ، بتاريخ ٥/ أيلول / ٢٠١٦، ص٣.
(٣٤) جمال الدين ، محسن ، شارع الرشيد ، مجلة التراث الشعبي ، العدد الفصلي الثالث ، صيف ، ١٩٨٨، ص١١٤.
(٣٥) الملاك ، قحطان حبيب ، ضمن مجموعة بحوث بغداد المتنبي والناس ، دار المرتضى للطبع والنشر ، بغداد ، ٢٠٠٨، ص٩٢.
(٣٦) النقشبندي ، زين ، تفجير المتنبي أكبر جريمة في عصر الديمقراطية ، ضمن مجموعة بحوث بغداد المتنبي والناس ، مصدر سابق ، ص١٢١.
(٣٧) المصدر نفسه، ص٩٢.
(٣٨)المصدر نفسه ، ص١٢١ـ ١٢٢.
(٣٩)الآلوسي ، سالم ، معالم في شارع الرشيد ، ملحق جريدة المدى ، بتاريخ ١٨/ كانون الثاني ، ٢٠١٦، ص١١.
(٤٠) الألوسي ، سالم ، جولة في شارع الرشيد في الثلاثينات ، مصدر سابق ، ص٧.
(٤١) المصدر نفسه.
(٤٢) الحمداني ، طارق نافع ، بغداد في كتابات المؤرخين العراقيين المعاصرين ، مصدر سابق ، ٥٠٠.
(٤٣) الحمداني ، طارق نافع ، بغداد في كتابات المؤرخين العراقيين المعاصرين ، مصدر سابق ، ص ٥٠١ ـ ٥٠٢.
(٤٤) الآلوسي ، سالم ، جولة في شارع الرشيد في الثلاثينات ، مصدر سابق ، ص٧.
(٤٥)المصدر نفسه .
(٤٦) الحمداني ، طارق نافع ، بغداد في كتابات المؤرخين العراقيين المعاصرين ، مصدر سابق، ص ٥٠٤.
(٤٧) علي، مهدي علي ، شارع الرشيد والسينما ، مجلة التراث الشعبي ، العدد الفصلي الثاني ، ربيع ، ١٩٨٨، ص٥٨.
(٤٨) المصدر نفسه .
(٤٩)المفرجي ، أحمد فياض ، المسرح والسينما حضارة العراق ، ج١٣، دار الحرية للطباعة ، بغداد، ١٩٨٥، ص٤٧٤.
(٥٠) سينمات بغداد ، جريدة المشرق ، بتاريخ ، ١٤/ ١٠/ ٢٠١٣، ص٧.
(٥١) العاني ، يوسف ، حديث عن السينما في العراق، جريدة المدى ، تاريخ ، ٢٠/ تشرين الثاني / ٢٠١٤، ص١٦.
(٥٢) بدران ، نبيل ، صفحات من تاريخ السينما العراقية ، مجلة آفاق عربية ، العدد (٦) ، شباط ، ١٩٨٢، ص٧٨.
(٥٣) لونكريك ، ستيفن ، العراق الحديث ١٩٠٠ـ ١٩٥٠ ، ترجمة سليم طه التكريتي ، ج١، مطبعة حسام ، بغداد ، ١٩٨٨، ص٩٨.
(٥٤) جلوب ، حسام عباس ، من أرشيف السينما العراقية ، جريدة المشرق ، تاريخ ، ٢/ شباط / ٢٠١٢، ص٧.
(٥٥) علي ، مهدي علي ، شارع الرشيد والسينما ، مصدر سابق ، ص٥٩.
(٥٦) المصدر نفسه ، ص٦٠.
(٥٧) الجادر ، عبد المنعم حامد ، من تاريخ النهضة الفنية في العراق الحديث ، مطبعة بغداد ، بغداد ، ١٩٥٠، ص٢٤.
(٥٨) المفرجي ، أحمد فياض ، السينما في العراق ، مطبعة دار الصياد ، بغداد ، ١٩٨٠، ص٣.
(٥٩) الجادر ، عبد المنعم حامد ، من تاريخ النهضة الفنية في العراق الحديث ، مصدر سابق ، ص٢٢٤.
(٦٠) بدران ، نبيل ، مصدر سابق ، ص٧٩.
(٦١) المصدر نفسه .
(٦٢) الثقافة والفنون في العراق ، السينما العراقية، منشورات وزارة الثقافة والفنون ، بغداد ، ١٩٧٨، ص٧٧.




The Cultural Importance of Al Rasheed Street
1921- 1958

By: Dr. Kamal Rashid Khamas Al-Ukaili
(Center of revival of Arabian science Heritage)
University of Baghdad

Abstract

Despite the studies and articles and the many ostracism that dealt with Rashid Street heart of Baghdad spring and most talk about the historical and social aspects, the talk of this unique street completely and completely without interruption, remember the city of Baghdad to mention the Rashid Street beautiful historic buildings and ancient markets and mosques and original shops and printing presses And the scientific newspapers and schools that were on either side of the street or its approaches. The cultural importance of this street lies in the period of the royal era through the dissemination of elements of culture and the existence of scientific, literary, recreational and cultural centers, The historical and heritage aspect which played an important role in spreading culture in the city of Baghdad and the whole of Iraq as an urban, commercial and cultural center, and therefore it is necessary to revive the development project of Rashid Street in order to revive it and return the days of its glory.



ما تفرد إستعماله من ألفاظ في القرآن الكريم

أ. م. د. زينب كامل كريم *

● المقدمة :

كان القــرآن الكريــم ومــازال معينا لا ينضــب لكل باحث يــود الغوص في أعمــاق اللغة لاستخراج مكنوناتها.
لاريب في ذلك وهو المعجزة الربانية والتحدي المحمدي لجهابذة اللغة ، فهو الحجة القوية عند أهل العربية من النحويين واللغويين يلوذون به في اثبات ما يثبتون أو نفي ما ينفون وعنده ينقطع الجدال وينحسر الخصام.
ويقينــا أننا لا نســتطيع أن نهتدي الى فهــم صحيح للعربية ما لم نضــع النص القرآني موضع الصدارة في مباحثنا، فهو الكلام الذي انتهت عند بابه الكلمات وسجدت بين يديه العبارات فظهرت العربية في أبهى حللها وكامل زهوها .
ولا عجب في أن يتســابق العلماء الى دراســة ألفاظه ومعانيه فيقعــدوا القواعد النحوية ويسنوا قوانين اللغة ويتباروا في اظهار الإعجاز القرآني .
وأول اهتمامهــم بــــ (المفردة) التي جعــل لها القرآن الكريم قدســية خاصــة وأوردها في أجمــل مواقعها مــن الكلام ، فمن خصائــص القرآن الكريم اســتعماله الحقائق من المفردات فهو لايركن الى الالفاظ المجازية إلا قليلا أو نادرا .
والعلماء المســلمون أدركــوا هذه الحقيقة إذ منحوا المفــردة كل اهتمامهم وكونوا منها مادة مهمة لمباحثهم في أصول اللغة وعلومها .

* جامعة بغداد –مركز احياء التراث العلمي العربي



وهــذه الفكــرة البســيطة (الدقــة والعمــق في الاستعمال القرآني للألفاظ) كثيرا ما شغلتني ودفعتنــي لأبحث في المفردات التي اســتعملها القــرآن الكريم مــرة واحدة في ســورة ما ، ما خصائــص هــذه اللفظــة ومــا الــذي يميزها لتحظى بصفة التفرد ؟
هــل يعود لصفــة تركيبية في اللفظــة ذاتها أم لمؤثر ما كان التفرد في الاستعمال ؟
ألسياق أثره ؟
ماذا لو اســتعمل الســياق لفظــة مرادفة كثر استعمالها في القرآن ؟
ما أســباب التفــرد ، الدقة، العمــق، التركيب، طلــب المعنى ، مــا يفرضه الســياق؟ كل تلك الأمور وجملة من قضايا لغوية سترافق البحث طلبــا للتقصي جمعت الالفاظ التي وردت مرة واحــدة في القرآن الكريم وشرعت بدراســتها لغة ودلالة واسلوبا وسياقا

● **الألفاظ:**

إي : ورد لفظ إي في قوله تعالى : (ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق)(يونس/٥٣)
إي بالكسر كلمة موضوعــة لتحقيــق كلام متقــدم ، وبالفتح (أي) كلمــة ينبه بها على أن ما يذكر بعدها شرح وتفسير لما قبلها [١] ؛ وأيا من حروف النــداء ينادى بها للقريب والبعيد، تقول: أيا زيد أقبل[٢] ، وعن الخليل: إي بمعنى نعــم ، وأي مثقلة فإنها بمنزلة (مَنْ) ، تقول : (أيُّهم أخوك وأيتهن أختك)[٣] .
وهي بمعنى نعم ، جاء في الكليات[٤] : إي وربي بمعنــى نعــم ، وهو مــن لوازم القســم ولذلك وصــل بــواوه في التصديق ، تقــول :إي والله ، ولا يقــال إي وحده ؛ ومــن هنا قالوا : كون إي بمعنــى نعم مــشروط بوقوعه في القســم، فلا يستعمل إلا قبل القسم[٥] .
ويذهــب الزبيــدي الى أن (إي) كلمــة تتقــدم القســم ومعناها بلى [٦]، عــن مقاتل: يعني بلى وربي إنه لحق [٧] لاشك فيه[٨].
ومعنــى الآيــة ويســتخبرونك يا محمــد هؤلاء المشركــون : أحق ما تعدنا بــه من الآخرة ومن المجــازاة عــلى أعمالنا قل لهــم (إي)، أي: نعم وربــي إنه لحــق ، أي الــذي يعدكــم من ذلك لحق آت لاشــك فيــه [٩] وما أنتــم بفائتين من العذاب لأن من عجــز عن الشيء فقد فاته [١٠]، وقيــل : إنه لحق نــازل بكم فأخــبر بأنه لحق بقوله : إي[١١].
والجملة الخبرية الضمير المنفصل (هو) ابتداء وخبره (أحــق)، وعن ســيبويه : (أحق) ابتداء و(هو) فاعل يســد مســد خبر، لاحتمال الشك الواقــع هــا هنا طلب قــول هذا الحــرف الذي كان جوابــا لطلب الشــاكين في ذلــك إذ طلبوا منه ، إنــه حق ذلك أو لا ؛ وطلب من المعاندين اســتعجال العذاب الذي كان يعدهم رســول الله (ص) استهزاء به وتكذيبا له ومن المتبعين له والمطيعين التصديق له والايمان به ، فكانوا فرقا ثلاثة : فرقة قد آمنوا به وفرقة شكوا فيه وفرقه كذبوه[١٢] .
واختلفــوا في الضمير في قولــه : أحق هو ، قيل أحق ما جئتنا به من القرآن والنبوة والشرائع، وقيــل ماتعدنا مــن البعث والقيامــة وقيل ما تعدنــا من نزول العــذاب علينا في الدنيا ثم إنه تعــالى أمره أن يجيبهم بقوله قل إي وربي إنه لحق والفائدة فيه أمور : أحدها أن يســتميلهم ويتكلم معهم بالــكلام المعتاد ومن الظاهر ان

مــن أخبر عن شيء وأكده بالقســم فقد أخرجه عــن الهــزل وأدخله في بــاب الجــد ، وثانيها : إن النــاس طبقــات فمنهم مــن لا يقر بالشيء إلا بالبرهــان الحقيقــي ومنهــم مــن لا ينتفع بالبرهان الحقيقي بل ينتفع بالأشياء الاقناعية نحو القســم ؛فإن الأعرابي الذي جاء الرســول (ص) وســأله عن نبوتــه ورســالته اكتفى في تحقيق تلك الدعوى بالقسم فكذا ها هنا [١٣] .

وهــذا جار مجــرى الإقناعيات فلمــا ذكر ذلك أتبعــه بماهــو البرهــان القاطــع عــلى صحته وتقريــره فالقول بالنبوة والقول بصحة المعاد يتفرعان على اثبات الالــه القادر الحكيم، فلما تقدم ذكر هــذه الدلائل القاهرة اكتفى بذكرها ثم أمر الله تعالى رسوله بأن يقول: إي وربي [١٤].

ولمــا كان المقــام يتطلــب الاقنــاع كان التوكيد مطلوبا لحصول فائدة الاثبات والاقناع ، وهي: إي حــرف جواب بمعنى نعــم ولكنها تختص بالقســم وهي تعني نعم في القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة [١٥] ولا ريب القسم توكيد.

دخول (إن) المؤكدة واللام للتوكيد أيضا، أضف اسمية الجملة التي تدل على الاثبات والتقرير ، وذلك يدل على أنهم قد بلغوا في الانكار والتمرد الى الغايــة التي ليس وراءهــا غاية ثم توعدهم أشــد توعد ورهبهم بأعظم ترهيــب فقال وما أنتم بمعجزين ،أي بفائتين العذاب بالهرب [١٦].

● بسل:

ورد صيغتــان فعليتــان في موضــع واحــد في الســورة والأيــة ذاتهمــا ، قــال تعــالى في (الانعــام/ ٧٠) (أن تبســل نفس بما كســبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أُبســلوا بما كســبوا لهم شراب من حميم وعــذاب أليم بما كانوا يكفرون).

بســل الرجل بُسُــولا بالضــم فهو باســل[١٧] ، والباسل المستسلم ؛يقال أبسل الرجل بجريرته إذا أسلم لها ومنه قوله: (أن تبسل نفس...)[١٨] وقيل معناه في هذا الموضع ، أي : تسلم للهلاك ، والمعنى :أي لئلا تسلم نفس الى العذاب بعملها والمستبســل الذي يقع في مكروه ولا مخلص له منه فيستسلم موقنا لهلكه [١٩].

قال أبوعبيدة : أن تسلم والمستبسل الذي يوطن نفسه على الموت أو الضرب ، وقد استبسل ،أي: اســتقتل وهو أن يطرح نفسه في الحرب ويريد أن يقتل لا محالة قال ابن منظور : عن الحسن أبســلوا أســلموا بجرائرهــم وقيــل أي ارتهنوا وقيل أهلكوا ، وقال مجاهد فضحوا وقال قتادة حبسوا[٢٠].

وأصل البســل : الضم ، ضم الــشيء ولتضمنه معنى الضم اســتعير لتقطيب الوجه ولتضمنه معنى المنــع قيل للمحرم والمرتهن بســل، وبه فسر قولــه: (أولئك الذين أبســلوا) أي: حرموا الثــواب وفسر بالارتهان لقولــه (كل نفس بما كسبت رهينة)(المدثر/٢٨) وفي (الطور/ ٢١) جاء قوله: (كل امرئ بما كسب رهين).

والفرق بــين الحرام والبســل ، إن الحرام عام فيما كان ممنوعا منه بالحكم والقهر ؛ والبسل وهــو الممنــوع منه بالقهــر ؛ وقيل للشــجاعة البســالة وللشــجاع باســل لما يوصــف به من عبوس وجهه ولكون نفسه محرمة على أقرانه لشجاعته أو لمنعه ما تحت يده من أعدائه [٢١]، يقال: تبســل في وجهه ،كــره منظره وانما قيل

للأسد باسل لكراهة وجهه وقبحه ، قال أبو زيد الباسل الشجاع والجمع بُسلاء[22] .
وقيل تبسَّل : عبس غضبا أو شجاعة أو تَبسّل فلان إذا كرهت مَرآته وفظعت [23].

● ومما تقدم نود أن نقف على :

١- استعمل القرآن الكريم الصيغة الفعلية من بسل وخصها في مجالها الدلالي الخاص ليصف فعل الكفار بأنهم مبسلون في أفعالهم وأقوالهم وكل شيء دوما في كل وقت ، وصيغة الفعل تناسب فعل الكفار وعملهم .

٢- هذا من جانب ومن جانب آخر خص الدلالة وقرنها بالكفار حينما ختم الآية بقوله: (لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) إذن المقصد من (نفس) ها هنا النفس الكافرة ، ولما أراد القرآن الكريم عموم النفس قال :(كل نفس بما كسبت رهينة) وقال: (كل امرئ بما كسب رهين) ولم يعقب أو يخصص من المقصود من الأنفس المؤمنة أو الكافرة وإنما قصدهما معا.

٣- ولذا استعمل بسل الذي من بعض دلالاته كره المنظر وقبح الوجه وهذا حال أصحاب النار قطعا ولو أريد أن يجمع هذه الدلالات كلها لم يجد أدق وأروع وأفضل لوصف وجوه الكفار من هذه الصيغة والتي ضمت معاني تسليم النفس حتى لا تقدر على التخلص أو الارتهان أو التحريم والمنع ،يقال :أبسل عليك ، أي : حرام عليك أضف دلالات القبح والعبوس وما الى ذلك.

● حنذ:

قال تعالى : (قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ)(هود/ ٦٩)

الحنذ أصل واحد وهو انضاج الشيء ، يقال : شواء حنيذ ، أي : منضج [24] ، جاء في العين : الحَنَذ والحَنْذ مصدر والحَنيذ والحَنْذ اسمان للحم ؛ وقد يسمى الشيء بالمصدر إلا أن هذا لم يرد به المصدر في قوله: (بعجل حنيذ) [25]، وهو من مثل طبيخ للمطبوخ وقتيل للمقتول، وعن الاعرابي ، الحانذ: المنتهي النُضج ، عن أبي عبيدة : حنيذ في موضع محنوذ ، وهو المشوي [26] .

وقد اختلف أهل العربية في معناه ، فقال بعض أهل البصرة معنى المحنوذ المشوي ، قال : ويقال منه حنذت فرسي بمعنى سخنته وعرقته ، وقال بعض أهل الكوفة كل ما انشوى في الأرض إذا خددت له فيه فدفنته وغممته فهو حنيذ ،قال والخيل تحنذ إذا ألقيت عليها الجلال بعضها على بعض لتعرق، وقيل هو الشواء الذي أنضج بحر النار من غير أن تمسه النار بالحجارة تحمى وتجعل في سرب فتشوى [27].

وقيل المشوي حتى يقطر، يقال احنذ الفرس،أي: اجعل عليه الجل حتى يقطر عرقا [28]وأصله محنوذ صرف من مفعول الى فعيل[29] فصار وصفا ثابتا لكل ما يشوى بذلك الوصف أو الطريقة .

وبعض المفسرين ذهب الى أن الحنيذ السمين[30] وهو ما ذكر في موضع آخر من القرآن الكريم ، قال تعالى: (فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين) (الذاريات /٢٦) ويبدو أن الاستعمال القرآني يفرق بين اللفظين من حيث الاقتضاء[31] والدلالة وإلا لاستعمل اللفظ ذاته في الموضعين.

ومـن مراجعتنـا للاسـتعمالين في السـورتين ومعـاودة النظر لمـا جاء في تفسـير اللفظين ، توصلنا الى :

١- أن لفـظ (سـمين) واضح المعنـى ومألوف الاستعمال ولا يتصور أن أحدا لا يعرف معنى سمين ، وهو واضح ومباشر.

٢-لفـظ (حنيذ) غير معروف ونـادر الدوران واختلف في معناه ، وربما كان مما اسـتعمل في زمن القصة وفي وقت النبي ابراهيم(ع).

٣- وعليـه فقـد ورد لفـظ سـمين في سـورة الذاريـات والتـي تتضمن الحديـث عن التوعد بالكفـار الذين ينكرون ما ينكرون ، ويذكرهم القـرآن الكريم بمـا كان من أقوام سـبقتهم ، في حـين أن في سـورة هود جـاء اللفظ (حنيذ) مخصوصـا بالذكر في معرض السرد القصصي الكامل والمفصل للحادثة ولذا كان أن استعمل لفـظ حنيذ المسـتعمل والمعروف آنـذاك ، فلما كان الاجمـال قـال سـمين ولمـا كان التفصيل اسـتعمل حنيـذ ، وحينمـا كانـت الغاية سرد القصـة والتركيـز عليهـا وبيـان أحداثها جاء القرآن بلفظ حنيذ .

٤- دلالة سـمين دلالة واحـدة لاتحتمل دلالات أخرى ، في حـين حنيذ تضمنت دلالات مختلفة وكثيرة ايضا اقتضاها السـياق والاسـتعمال ، وقد توقفنا عليها

٥- ناسب لفظ سمين ذو المعنى الواحد الواضح مقام الاجمال ومقتضى الحال ، فالحال يقتضي الايجازوالتلخيص في حين لفظ حنيذ بالضرورة قد ناسـب مقام التفصيـل، فالتفصيل يقتضي بيـان أن ابراهيم (عليه السـلام) جـاء بعجل سـمين وقيل الصغير الذي كان غذاؤه اللبن لا غير [٣٢] ، وقد شـواه بالحجارة أو بوضع الجل عليـه أو قـد يكـون وضعه في خد مـن الأرض وشـواه دون النار وشـوي حتى صـار يقطر عرقـا ، وبذلك فقد تضمـن لفظ حنيذ كل هذه المعاني وسمين حتما لا تتضمن ذلك .

٦- الجـرس الموسـيقي في سـورة الذاريـات يقتضي استعمال لفظ (سمين) فخواتيم الآيات مـن ١١ - ٢٦ النون وبذلك يوافق الاسـتعمال الدلالي الاسـتعمال السياقي والبلاغي ومقتضى الحال يرجح استعمال سمين دون حنيذ .

٧- وعليه فلفظة حنيذ لها خصوص الاستعمال ومجالهـا الدقيق والمتفـرد في القرآن الكريم في حين أن مادة (سمن) كانت أوسع في الاستعمال فجـاءت منهـا الصيغـة الفعليـة في قوله: (لا يسمن ولايغني من جوع) (الغاشية/٧) وجاء في (يوسـف/٤٣) قوله : (وقـال الملك إني أرى سبع بقرات سمان) .

● صيّب:

قال تعالى: (او كَصَيّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعدٌ)(البقرة / ١٩).

الصيب من صاب، وصـاب إذا انصب وصيب، قال الزجاج: الصيب في اللغة المطر ؛ وكل نازل الى أسفل فقد صاب يصوب [٣٣].

وأصـل صيـب صيـوب اجتمعت الـواو والياء وسـبقت أحدهما بالسـكون فقلبت الـواو ياء وادغمت كما فعل في سيد وميت [٣٤].

وصـاب السـهم يصيـب كيصوب مـن أصاب وسـهم صيوب والجمـع صُيُـب [٣٥] ، وأصاب اسـتعمل للماديـات وللعقلانيـات ، فيقـال : أصـاب السـهم إصابة وصـل الغـرض فيه ؛ وأصاب الـرأي فهو مصيـب ، وأصاب الرجل

الـشيء أراده ؛ ومنـه أصاب الصـواب فأخطأ الجواب،أي : أرادالصواب في قوله وفعله [٣٦] .
جـاء الصيـب في موضـع واحد مـن القرآن في قولـه (أَو كَصَيِّبٍ) والمعنى كمثل صيب، حذف المضـاف وأقـام المضـاف اليه مقامـه ، وقيل المعنـى كأهل والأهـل مضمر فيـه، أي: كأهل صيب وهـو كقوله واسـأل القريـة ، أي: أهل القرية [٣٧].
وقيل أن ذلك عطف على المعنى وذاك أن التشبيه تارة يؤتى به مطابقا للمشـبه في اللفظ، وتارة يؤتـى به على مـا يقتضيه المعنـى دون اللفظ وعلى ذلك، قوله (مثل ما ينفقون في هذه الحياة كمثل ريحٍ فِيهـا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَومٍ ظَلَمُوا أَنفسـهُم) (آل عمران /١١٧) ومعناه كحرث قـوم ظلمـوا أنفسـهم أصابته ريـح ، فروعي المعنى دون اللفظ [٣٨] .
وقرئـت كصائب والصيب أبلـغ [٣٩] ، واختلف في معنـى الصيـب ؛ فعن ابن عبـاس الصيب: السـحاب [٤٠] ،مـن صـاب يصـوب ، أي: نزل مـن السـماء أي مـن السـحاب ، وقيـل هـي السـماء بعينها [٤١] ، وقيل هو القرآن وشـبهه بالمطر لما فيـه من حياة للقلوب [٤٢] ، وعن أبي اسـحاق الصيب هنـا المطر وهـذا مثل ضربه اللـه للمنافقين كأن المعنى أو كأصحاب صيب فجعل دين الاسـلام لهم مثـلا فيما ينالهم فيه من الخوف والشدائد وجعل ما يستضيؤون به من البرق مثلا لما يسـتضيؤون به من الاسـلام ومـا ينالهـم من الخـوف في الـبرق بمنزلة ما يخافونه مـن القتل ، وصابت السـماء الأرض جادتها وصاب الماء وصوَّبه صبّه وأراقه [٤٣].

● **مما تقـدم بـه اللغويـون والمفسرون ، يمكننا قول الأتي:**
١-ورد الصيـب في موضـع واحد مـن القرآن الكريـم ؛ وخص بالموضع الآنف الذكر؛ ويعني المطـر في حين اسـتعمل لفظ المطـر في ثمانية مواضـع مـن القـرآن ، وجيء بصيغـة الفعل الماضي سـبع مرات ؛ والمواضـع كلها في نزول العـذاب ؛ ويدل ذلك أن المطراسـتعمل في الشر ونـزول العـذاب ، وورد لفظ الغيـث في ثلاثة مواضع مـن القـرآن الكريم وكلهـا في دلالات الخير ونشر الرحمة .
٢-مـن النقطة الأولى التي ثبتناها نذهب الى أن الصيب أعم دلالة في معناه من المطر المخصوص في الشر وأعم من الغيث المخصوص في الخير.
والصيـب مخصـوص الدلالة لكـن معناه أعم فهـو يتضمن معانــي المطر والماء والسـحاب والسـماء وهذه دلالات لا يتضمنها لفظاً المطر والغيـث، ولذا فقد ضرب بـه المثل للدلالة على الدين والاسلام والقرآن.
٣- يتضمن لفـظ الصيب دلالة القوة والسرعة في النـزول ، فهو يدل على صـب الماء ، فحينما نقول صببت الماء نلمس فيـه القوة والتواصل في النـزول والانحدار ،وهـذه دلالة لا يتضمنها لفظ الغيث الذي نلمس في معناه الخفة والدعة في النزول، ومن هنا كان لفظ الصيب الأنسـب دقة وتعبيرا عن المراد من الآية الكريمة.

● **ضنكا:**
قـال تعالى: (وَمَـن أَعْرَضَ عَن ذِكْـرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكَاً)(طه/ ١٢٤)
الضنك في اللغة : الضيق والشـدة [٤٤] ، وضنك الـشيء إذا ضاق وضنكت المـرأة ضنكا امتلأت

شحما فهي ضناك، وهو مما يستوي فيه المذكر والمؤنث [٤٥] ، وضنك الرجل ضناكة فهو ضنيك: ضعف في جسـمه ونفسـه ورأيه وعقلـه[٤٦] ، وضنـك عيشـه يضنك ضنـكا ، وضنكـه الله يضنكه ضنكا وهو في ضنك من العيش وعيشة ضنك وصف بالمصـدر[٤٧]، فيقال منزل ضنك وعيش ضنك وهو الضيق المتوعد به في القبر أو في الآخـرة أو في كل ذلك أو أكثـره[٤٨] ، ويقال: إن المال الحرام ضنك وإن كثر واتسـع فيه[٤٩] ويفسره قوله تعالى : (فإن له معيشـة ضنكا) وهـوكل ما لم يكن حلالا فهـو ضنك وإن كان موسـعا عليـه[٥٠] ، يقـول الطـبري: (الضنك الضيق وهو الكسـب الخبيث أو العمل الخبيث والـرزق السيء المعيشـة الضنـك في الدنيا إنما قيل لها ضنك وإن كانت واسعة لأنهم ينفقون مـا ينفقـون مـن أموالهم عـلى تكذيـب منهم بالخلـف مـن الله ويأس من فضل الله وسـوء ظن منهم بربهم فتشتد لذلك عليهم معيشتهم وتضيـق)[٥١]، وذلك أنهم كانوا يـرون أن الله ليـس بمخلف لهم معائشـهم من سـوء ظنهم بالله والتكذيب به ، فإذا كان العبد يكذب بالله ويسيء الظن به اشـتدت عليه معيشـته فذلك الضنك ، عن سعيد بن جبير سلبه القناعة حتى لا يشبع[٥٢] .

وقيل الضنك جهنم ؛ فعن قتادة المعيشة الضنك في نـار جهنم، وعن الضحاك الكسـب الحرام ، وعن عبد الله بن مسعود المعيشة الضنك عذاب القـبر [٥٣] جـاء في مشـارق : (الضنك الشـقاء وإنمـا هـو الضيـق والشـدة وإن كان المعنى متقاربا شيئا وقد جاء في حديث آخر أنه عذاب القبر) [٥٤] .

عن ابـن عباس يفـسر الضنك : قـال كل مال أعطيتـه عبدا من عبادي قل أو كثر لا يطيعني فيـه فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشـة [٥٥]. وبعـض المفسرين يربطـون المعيشـة الضنك بين جهنم اليوم الاخر وبين المعيشـة في الحياة الدنيـا الـذي هو المعيشـة الحرام، يقـول ابن أبـي حاتم: (عـن عكرمة الضنك من المعيشـة إذا وسـع الله على عبده أن يجعل معيشته من الحرام فيجعلـه الله عليه ضيقا في نار جهنم ، عـن مالك بن دينار: يحول الله رزقه في الحرام فلا يطعمه الا حراما حتى يموت فيعذبه عليه، وعـن أبي زرعة : ضمة القـبر ، عن الضحاك : العمل السيء والرزق الخبيث، عن أبي زيد ،قال في النار شرك وزقوم وغسـلين والضريع وليس في القـبر ولا في الدنيا ما المعيشـة والحياة إلا في الآخرة) [٥٦] .

وقـريء ضنكى كسـكرى وذلك لأن الانسـان تكـون مجامـع همتـه ومطامـع نظـره على أعراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف المؤمـن الطالب للآخرة، مع أنه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع ببركة الايمـان[٥٧] ، كمـا قال (وضربـت عليهم الذلة والمسكنة).

فمـع الدين التسـليم والقناعـة والتوكل تكون حياته طيبة أما مع الاعراض الحرص والشـح فعيشه ضنك وحاله مظلمة[٥٨].

واسـتعمل القـرآن الكريـم لفـظ (عيشـة) في موضعـين وخصهـا بأهـل الجنـة إذ قـال تعـالى: (فَهُوَ فِي عِشَـةٍ رَاضِيَةٍ فِي جَنَـةٍ عَالِيَةٍ) (الحاقـة/ ٢١) وفي (القارعـة /٧) قال تعالى: (فَأَمَا مَن ثَقُلتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ).



ومـن هنا يترتـب وفقا لذلـك أن ميـز القرآن الكريم بين العيشــة والمعيشة، وَمَعْنَى: (عِيشَةٍ رَاضِيَـةٍ): مرضيـة يرضاهــا صاحبهــا. قال الزجاج: أي ذات رضى وقِيلَ: (عِيشَــةٍ رَاضِيَةٍ) أَي: فاعلة للرضى، وهــوَ اللين،والانْقِيَاد لأهلها والعيشــة: كلمة تجمع النعم في الجنة[٥٩] أوهي بمعنى: يرضاها من يعيش فيها وأن نفسه في حياة ترضى بها؛ كقولـه: (مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ)، أي: مدفــوق، ومثله في الـكلام كثير[٦٠] ذكر الفاعل وأراد المفعول.

ويجوز أن يكون المراد: نفس الجنة قد رضيت بأهلهــا، وأظهــرت رضاها بهــم، كما وصفت الجحيم بالســخط والتغيظ عــلى أهلها، فجائز مثلــه في الجنــة رضــاء واستبشــارًا، أي: على معنــى أن الجنة تظهر لهم من أنواع الكرامات والخــيرات ما لو كان ذلك من ذي العقل يكون ذلـك دليـل الرضاء، كمــا يضاف الغــرور إلى الدنيــا، وهي أنها تظهر من نفســها ما لو كان ذلـك ممن يملك التغرير، يكون ذلك غرورًا من نفسها[٦١].

وجعلت مرضية نعتاً ؛ لأن ذلك مدح للعيشــة، كمــا يقــال: ليل نائم ، وسرٌّ كاتــم وماء دافق ، بمعنى مفعــول؛ لأنه فيه بمعنــى المدح، فكان نقله مــن بناء إلى بناء يدل عــلى المدح أو الذم، ولــو قلت: رجـل ضارب بمعنــى مضروب لم يجــز؛ لأنه لا مدح فيــه ولا ذم، فلا يقع بناء في موقع بناء إلا لمعنى زائد[٦٢].

أمــا المَعيشــةُ فجمعهــا معايِشُ بلا همــز، إذا جمعتهــا عــلى الأصـل وَقَـدْ (عَــاشَ) يَعِيشُ (مَعَاشــا) بِالْفَتْحِ وَ (مَعِيشا) بِوَزْنِ مَبِيتٍ. كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَــا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرا وَاسْــما كَمَعَابٍ وَمَعِيــبٍ وَمَمَالٍ وَمُمِيلٍ. وَأَعَاشَــهُ اللَّهُ عِيشَةً رَاضِيَةً. وَتَقْدِيرُهَا مَفْعِلَةٌ وَالْيَاءُ مُتَحَرِّكَةٌ أَصْلِيَّةٌ فَلَا تَنْقَلِبُ فِي الْجَمْعِ هَمْزَةً. وَكَذَا مُكَايِلُ وَمُبَايِــعُ وَنَحْوُهُمَــا. وَإِنْ جَمَعْتَهَا عَــلَى الْفَرْعِ هَمَــزْتَ وَشَــبَّهْتَ مَفْعِلَــةً بِفَعِيلَةٍ كَمَــا هَمَزْتَ الْمَصَائِبَ لِأَنَّ الْيَاءَ سَاكِنَةٌ[٦٣] وَفِي النَّحْوِيِّينَ مَنْ يَــرَى الْهَمْزَ لَحْنًا. وَ (التَّعَيُّش) تَكَلُّفُ أَسْــبَابِ الْمَعِيشَــةِ. وَ (عَائِشَــةُ) مَهْمُــوزَةٌ. وَلَا تَقُــلْ: عَيْشَةُ[٦٤].

وقولهم معيشــة فــلان من كذا يعنــون مأكله ومشربه مما هو سبب لبقاء حياته [٦٥].

وصيغــة مفعلة من صيــغ التكثيرعلى ســبيل المبالغــة في العربية ، يقال أرض مســبعة ، أي كثيرة الســباع طلبا للمبالغــة في ذلك الوصف وناسب ذلك للمبالغة في وصف معيشة الكافر بالضنك والضيق والشــدة في حين نجد وصف عيش المؤمن وصف بصيغــة فعيلة ضمت كل الوان العيش الرغيد في الجنة .

لظى – تلظى: ورد كل من لفظي لظى وتلظى مرة في القرآن الكريــم ، قال تعالى: (فأنذرتكم نــارا تلظى)(الليل/ ١٤) وقال أيضا: (كلا إِنَّهَا لظَى نَزَّاعةً للشَّوى) (المعارج/ ١٥).

● **لــظّ:**

الإلظــاظ الإلحاح على الــشيء ، وألظ به ومنه المُلاظة في الحرب ، ورجل مِلظاظ مُلظ شــديد الإيلاع بالــشيء مُلح ؛ يقال: رجل كظ لظ ،أي: عسر متشــدد ؛ والتلظــظ واللظلظة من قولك: حيــة تتلظظ من شــدة اغتياظها وحية تتلظى من خبثها وتوقدها والحر .

وتتلظى كأنها تتلهب مثل النار وســميت النار لظى من لزوقها بالجلد ، ويقال اشــتقاقه من

الإلظاظ، فأدخلوا الياء كما أدخلوها على الظن فقال تظنيت وإنما هو : تظننت [٦٦] ، وقيل الياء مبدلة من ظاء كأنها لظظت ؛أي :لصقت بالجلود [٦٧] .

وتلظيت تلظيا إذا التهبت ، سميت جهنم بهذا لشدتها وتوقدها وتلهبها يقال هو يتلظى علي ، أي : يتلهب ويتوقد وكذا النار تتلظى[٦٨] ، جاء في الصحاح: وهو اسم من اسماء النار معرفة لا ينصرف والتظاء النار التهابها وتلظيها : تلهبها [٦٩] وقيل هي اللهب الخالص [٧٠] أو إنها لظى أكالة للشوى واختلف في الشوى ، قيل :هو الشحم وقيل البشرة وقيل أطراف الاصابع [٧١] قال الضحاك : نزاعة للشوى فيه خمسة تأويلات ، أحدها : أنها أطراف اليدين والرجلين ، الثاني : هي جهنم تفري اللحم والجلد عن العظم قاله الضحاك ،الثالث وقاله مجاهد : هي جلدة الرأس أو أنه العصب والعقب والرابع قاله ابن جبير : إنه مكارم وجهه ، والخامس قاله الحسن: إنه اللحم والجلد الذي على العظم لأن النار تشويه [٧٢].

ولظى من طبقات النار التي ذكرها المفسرون، وهي: جهنم ، لظى ، حطمة ، سعير، جحيم، الهاوية، فعدت علماً واسماً من اسماء جهنم لا ينصرف لأنه مؤنث معرفة [٧٣] .

قال القرطبي في تفسيره: (والنيران بعضها فوق بعض فأسفلها جهنم وفوقها الحطمة وفوقها سقر وفوقها لظى وفوقها السعير وفوقها الهاوية وكل باب أشد حرا من الذي يليه سبعين مرة) [٧٤] وعن الطبري: (والنار كلها لظى تأجج ثم الحطمة والنار كلها تحطم عظامهم وتأكل كل شيء إلا الفؤاد ثم السعير والنار كلها سعير سعر بهم ثم الجحيم والنار كلها جحيم ثم سقر والنار كلها سقر)[٧٥] وعن مقاتل أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية ثم سقر[٧٦].

وقيل يعني بلظى استطالتها وقدرتها عليهم ونزاعة يقول تنزع النار الهامة والأطراف فلا تبقي تدعوا من أدبر يعني تدعو النار يوم القيامة الكافر بـ(يا كافر) قال المفسرون تدعو الكافر بإسمه والمنافق بإسمه وقيل ليست كالدعاء : تعال ولكن دعوتها إياهم ما تفعل بهم من الأفاعيل [٧٧].

وفي (نزّاعة) آراء وقف عليها النحويون، فقالوا: كلا ردع وتنبيه ، أي لا يرجع أحد من هؤلاء فاعتبروا ، وقرئت نزاعةً للشوى نزاعةٌ والقراء عليها وهي في النحو أقوى من النصب، والرفع من ثلاث وجهات ، أحدها أن تكون لظى ونزاعة خبرا عن الهاء والالف كما تقول : إنه حلو حامض تريد أنه جمع الطعمين فيكون الهاء والالف اضمارا للقصة وهو الذي يسميه الكوفيون المجهول والمعنى أن القصة والخبر لظى نزاعة للشوى والشوى الأطراف اليدان والرجلان والرأس جمع شواة وهي جلدة الرأس ، فأما النصب نزاعةً فعلى أنها حال مؤكدة كما تقول وهو الحق مصدقا وكما تقول أنا زيد معروفا فيكون نزاعة مؤكدا منصوبا لأمر النار ويجوز أن ينصب على معنى أنها تتلظى نزاعة كما قال (فأنذرتكم نارا تلظى) والوجه الثالث في الرفع يرفع على الذم باضمار هي على معنى هي نزاعة للشوى ويكون نصبها أيضا على الذم[٧٨].

ونود أخيرا أن القرآن الكريم استعمل كل

مــن اللفظين (لظــى وتلظــى) في موضع أراد منــه الغاية وتوخــى الدقــة في موضعه فحين أراد في ســورة المعارج تســمية النــار أو طبقة مــن طبقات النــار قال كلا أنهــا لظى فعرفها بالعلمية التي فيها وكأنه عرف ماهي للســؤال مجهول قد يســأل عنه المســلمون فيقولون ما لظى فقال انها لظى نزاعة للشوى ، بينما حين أراد الابــلاغ بالنذار قال تلظــى فجيء بالفعل مــن لظ وذكــر النار ذلك لأنه لم يــرد العلمية لذكره النــار وإنما أراد أن يصــف النار بأنها تتلظى وتتلهب وتتوقد ، كيف النار نارا تلظى.

● **ماعون:**

قــال تعــالى: (الذِّيــن هُــم يُــرَاءُون ويَمْنَعُون المَاعُون)(الماعون/٧).

اشــتقاق الماعــون مــن المَعْــن ، أي: الــشيء اليســير[٧٩] ،وأصل الماعون من المعونة والألف عوض من الهاء [٨٠] .

والماعــون : وعــاء أو آنية مفــرد مواعين[٨١] ، والماعون كل ما يســتعار من قــدور أو قصعة وغــيره [٨٢] ، قال أبو عبيدة الماعون في الجاهلية كل منفعة وعطية ، وفي الاسلام الطاعة والزكاة [٨٣]

وقال الفراء : ســمعت بعض العــرب ، يقول : الماعــون هو الماء بعينه [٨٤] ، وقال الزجاج: من جعل الماعون الزكاة فهو فاعول من المعن وهو الشيء القليل [٨٥] وإنما ســميت الزكاة بالشيء القليل لأنه يؤخذ من المال ربع عشره فهو قليل من كثير [٨٦] .

ولم يختلف المفسرون عن اللغويين في تفســير الماعــون يقــول الطــبري: ويمنعــون الماعون يمنعون الناس منافع ما عندهم، وأصل الماعون من كلّ شيء منفعته، يقال للماء الذي ينزل من السحاب ماعون[٨٧] وفي البحر المحيط: الماعون فاعول من المعن وهو الشيء القليل تقول العرب: مالــه معن ، أي: شيء قليل، وقاله قطرب وقيل أصله معونة والألف عــوض من الهاء ، فوزنه مَفْعَلٌ فِي الْأَصْلِ عَلَى مَكْرَمٍ، فَتَكُونُ الْمِيمُ زَائِدَةً، وَوَزْنُــهُ بَعْدَ زِيَادَةِ الألف عوضا ما فعل.وقيل : هو اســم مفعول من أَعَانَ يُعِــينُ، جَاءَ عَلَى زِنَةِ مَفْعُــولٍ، قلب فصارت عينه مكان الْفاء فصار مَوْعُونَ، ثم قلبت الــواو أَلفا، كما قَالوا فِي بوب باب فصــار ماعون ، فَوَزْنُهُ على هــذا مَفْعُولٌ. وقال أَبُو عبيــدة وَالزجاج والْمُبرِد: الْمَاعُونُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ: كُلَّ مَا فِيهِ مَنفَعة حتى الفاس والدلو والْقدر وَالقداحــة وكل ما فيه منفعة من قليل أو كثير[٨٨].

ويبدو أن لفظ الماعون انتقل بالمعنى الاسلامي مــن الدلالة العامــة ليكون أكثــر تخصصا في دلالته التي اكتســبها بالاسلام فانتقل بالدلالة مــن العــام الى الخاص وكذا كثــير من الالفاظ الاســلامية التــي تغــيرت دلالتهــا في العــصر الاســلامي عما كانت عليه في العصر الجاهلي ، الماعون في الجاهلية كل عطية ومنفعة.

● **وقب:**

قال تعالى:(وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) (الفلق/ ٤). وقــب وقوبا وهــو الدخول في الــشيء[٨٩] و(إذا وقــب) يعني إذا دخل ويعني غروب الشــمس إذا دخلت ظلمة الليل في ضوء النهار [٩٠] ، وعن مقاتل : إذا غابت الشــمس فاختلط الظلام [٩١] من وقبت عيناه غارتا [٩٢]فالوقب إذن إذا دخل في كل شيء وأظلم فالغاسق الليل وإذا وقب إذا غاب الشفق أقبل الغسق [٩٣].

واختلفــوا في وقــب قيل إذا جــاء ودخل، وقيل

ذهب ، وقيل معناه القمر إذا خسف ، أمر بالاستعاذة من ذلك إذ هو من اعلام الساعة لهذا قال: إذا وقب إذا القمر لا يخسف الا في الليل[٩٤] ، وقد يعني الشمس إذا غربت قاله ابن شهاب والقمر إذا ولج أي : دخل في ظلام [٩٥].
وعن ابن فارس : وقب كلمة تدل على غيبة شيء في مغاب ، يقال وقب الشيء دخل في وقبة وهي كالنقرة في الشيء [٩٦] واريد به في القرآن إذا نزل ووقع.
ويذهب الزمخشري الى أن وقب يعني تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل وانكشف بطلوع الشمس[٩٧].
فمن شر غاسق ، أي: ليل عظيم ظلامه من قوله الى غسق الليل وأصله الامتلاء ، يقال غسقت العين إذا امتلأت دمعا وقيل السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعه، وقب دخل ظلامه في كل شيء وتخصيصه لأن المضار فيه تكثر ويعسر الدفع وقيل المراد القمر ، فإنه يكشف فيغسق ووقوبه دخوله في الكسوف [٩٨].
يقول: ومن شرّ مظلم إذا دخل، وهجم علينا بظلامه ، ثم اختلف أهل التأويل في المظلم الذي عُنِي في هذه الآية، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة منه، فقال بعضهم: هو الليل إذا أظلم[٩٩].

● وليجة:

قوله تعالى:(الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) (التوبة/١٦).
الولوج الدخول والوليجة بطانة الرجل ودخلته؛ والتولج كناس الظبي وقد اتلج الظبي في تولجه وأتلجه الحر وأتلجه: أدخلته كناسه ؛ ويقال أعوذ بالله من كل نافث ورافث وشر كل تالج ووالج[١٠٠].
قال أبو عبيدة : الوليجة البطانة وهي مأخوذة من ولج يلج ولوجا إذا دخل أي: يتخذون بينهم وبين الكافرين دخيلة مودة ، ووليجة كل شيء أدخلته في شيء وليس منه فهو وليجة ، والرجل يكون في القوم وليس منهم فهو وليجة فيهم [١٠١] وعليه فالوليجة البطانة والدخيلة وخاصتك من الرجال تطلق على الواحد وغيره ، وفيل هي البطانة بلغة كنانة[١٠٢].
يقال ولج في البيت وتولج وامرأة وخراجة ولاجة ودخلوا الولج والولجة وهو ما كان من كهف أو غار يلجأ اليه[١٠٣] وفي آل عمران استعيرت لمن اختص بك بدليل قولهم لبست فلانا إذا اختصصته فهو إذن مجاز والوليجة من اتخذته معتمدا عليه من غير أهلك وبه فسر بعض المشركين ، وهو وليجتهم ، أي: لصيق بهم [١٠٤] .
واختلف المفسرون في توجيه معنى الوليجة، فسرها مقاتل بالبطانة [١٠٥] ، وعن الربيع دخلا، عن الحسن الكفر والنفاق أو قال أحدهما[١٠٦] وقيل : وإنما عني بها هنا البطانة من المشركين ونهى الله تعالى المؤمنين أن يتخذوا من عدوهم من المشركين أولياء يفشون اليهم أسرارهم [١٠٧] الا أن يكون الكفار ظاهرين فيظهرون لهم ويخالفونهم في الدين[١٠٨] وقيل خليطا ودودا من المشركين ، وفسرها البعض بالخيانة قاله قتادة وعن مقاتل إنه الدخول في ولاية المشركين[١٠٩].



● الهوامش والمصادر:

(١)التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي: ج ١/ص٦٨.
(٢) لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر: ج١٤/ص٥٨.
(٣) العين، الخليل بن احمد الفراهيدي :ج ٨/ ص٤٤٠، التهذيب:ج ١٥/ص٤٧٢.
(٤) ينظر الكليات، أيوب بن موسى الكفوي:ص ٢٢٢، تاج العروس:ج ٣٧/ص ١٣٣، أبو الفيض الزبيدي .
(٥) ينظر المعجم الوسيط ، ابراهيم مصطفى واخرون: ج١/ص٣٤، معجم الصواب اللغوي: ج ١/ص٩٣.
(٦) مختار الصحاح ، زين الدين أبو عبدالله الرازي: ج١/ص٢٧.
(٧) تفسير مقاتل، ابو البركات عبد الله بن احمد:ج ١/ص٨٥ – ج ١/ص٣٧٤، معاني القرآن ،ابو الحسن المجاشعي المعروف بالاخفش: ج١/ ص٢٤١- ٣٧٤.
(٨) ينظر تفسير الطبري:ج ١٢/ص١٩١- ج١٥/ص١٠٢ .
(٩) الهداية الى بلوغ النهاية، أبو محمدمكي بن ابي طالب حموش :ج ٥/ص٣٢٨١ ، الوسيط للواحدي ، ابو الحسن علي بن احمد بن محمد : ج٢/ص٥٥٠.
(١٠) السمعاني ،: ابو المظفر منصور بن محمد بن احمد المروزي السمعاني التميمي ج ٢/ ص٣٨٨ ، وينظر تفسير البغوي، ابو محمد الحسين بن الفراء البغوي : ج١/ ص١٦٠ ، ابن عطية:ج ٣/ ص١٢٥، أبو محمد بن عطية الاندلسي تح : عبد السلام عبد الشافي محمد.
(١١) الماتردي ، محمد بن محمد بن محمود ابو منصور الماتريدي:ج ٦/ص٥١ .
(١٢) ج٦/ص٥٢.
(١٣) تفسير الرازي:ج ١٧/ص٢٦٤،،أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي.
(١٤) المصدر تفسه:ج ١٧/ص٢٦٦، تفسير العزيز، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري المعروف بابن زمين المالكي: ج٢/ ص٧٠، البحر المحيط ابو حيان محمد بن أثير الدين الاندلسي تح: صدقي محمد جميل ،دار الفكر ،ط١،بيروت،١٤٢٠: ج٦/ص ٤٠- ٧١ ، النسفي:ج٢/ ص ٢٧.
(١٥) ينظر اللباب في علوم الكتاب، ابو حفص سراج الدين الحنبلي الدمشقي :ج١٠/ص ٣٥٣، أبي السعود :ج٤/ص٥٤، ابو السعود العمادي محمد بن محمد .
(١٦) ينظر فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني : ج٢/ ص٥١٢-٥١٤.
(١٧) تاج العروس :ج٢٨/ص٨٢-٨٤.
(١٨) ينظر غريب الحديث للخطابي : ج٢/ ص٩٥.
(١٩) ينظر تهذيب اللغة: ج١٢/ ص٣٠٤ ، الصحاح:ج ٤/ص١٦٣٤، ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري، تح: احمد عبد الغفور عطار .
(٢٠) ينظر مختار الصحاح: ص٣٤، المخصص،لابن سيدة : ج١/ص٢٧٤.
(٢١) ينظر التوقيف على مهمات التعاريف :ج ١/ ص٧٧.
(٢٢) لمخصص: ج١/ص٢٧٤، شمس العلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني: ج١/ص٥٢٨.
(٢٣)ينظر كتاب الالفاظ لابن السكيت، ابو يوسف بن اسحاق:ص ١٢٣ – ١٧٠.
(٢٤) ينظر المقاييس، لابن فارس القزويني: ج٢/

ص١٠٩ ، الصحاح : ج٢/ ص٥٦٢ ، مشارق الانوار، عياض بن موسى بن عياض: ج١/ص٢٠٣.
(٢٥) العين:ج ٣/ص٢٠١ ، تهذيب اللغة : ج ٤/ص ٢٦٨ .
(٢٦) الجمهرة، ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي :ج١/ص٥٠٩ ، وينظر غريب الحديث للحربي: ج٢/ص٤٧١.
(٢٧) مقاتل:ج ٢/ص ٢٩٠ ، عبد الرزاق، ابو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميدي اليماني:ج ٢/ص ١٨٨ ، وينظر معجم ديوان الأدب ،ابو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفارابي:ج ٢/ ص١٥٣، مجمل اللغة لابن فارس القزويني :ج ١/ص ٢٥٣.
(٢٨) معاني القرآن للزجاج، أبو اسحاق ،ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج :ج ٣/ص٦١.
(٢٩) ينظر الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ابو جعفر الطبري :ج١٥/ص ٣٨٤.
(٣٠) الماتردي:ج٩/ص٣٨٥، ابن ابي حاتم:ج ٦/ ص٢٠٥٣، أبو محمد بن ادريس التيمي الرازي ابن ابي حاتم تح : أسعد محمد الطيب نشر مكتبة نزار مصطفى الباز ،ط٣ ، السعودية .
(٣١) يقصد بالاقتضاء ما يقتضيه السياق والاستعمال البلاغي.
(٣٢) الوسيط:ج ٢/ص٥٨١.
(٣٣) تهذيب اللغة:ج ١٢/ص١٧٧، محمد بن أحمد الأزهري الهروي تح: محمد عوض مرعب ، دار احياء التراث العربي ،ط١، بيروت.
(٣٤) ينظر تفسير ابن عطية : ج١/ص١٠١ ، زاد المسير :ج ١/ص٣٩.
(٣٥) المحكم والمحيط الاعظم ، ابو الحسن علي بن اسماعيل:ج ٨/ص٣٦٦.
(٣٦) ينظر تاج العروس:ج ٣/ص٢٢٤، المصباح المنير، احمد بن محمد بن علي الفيومي :ج١/ ص٣٤٩.
(٣٧) تفسير السمعاني:ج ١/ص٥٣.
(٣٨) تفسير الراغب: ج١/ص ١٠٨، ابو القاسم الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني تح: محمد بن عبد العزيز بسيوني ،كلية الاداب جامعة طنطا ،ط١.
(٣٩) تفسير الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن احمد الزمخشري جار الله:ج١/ص٨٢.
(٤٠) غرائب التفسير وعجائب التأويل: ج١/ص١٢٣.
(٤١) تفسير البغوي:ج١/ص٩١.
(٤٢) الوسيط:ج ١/ص.٩٦
(٤٣) ينظر أساس البلاغة: ١ج/ ص٥٦٢، أبو القاسم الزمخشري تح : محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ،ط١ ،بيروت ،١٩٩٨ م لسان العرب: ج١/ص٥٣٤ ، المحكم:ج ٨/ص٣٨٦.
(٤٤) تهذيب اللغة:ج ٣/ص٤٠ ، تاج العروس: ج١٧/ص٢٨٤ القاموس المحيط ، مجد الدين ابو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي : ج ١/ص٩٤٧.
(٤٥) ينظر: كتاب الأفعال، علي بن جعفر بن علي السعدي المعروف بابن القطاع :٢/ ٢٧٥ ، شمس العلوم: ج٦/ص٤٠٠٥.
(٤٦) المحكم: ج٦/ص٦٩٩.
(٤٧) اساس البلاغة:ج ١/ص٥٨٧.
(٤٨) تفسير الرازي: ج٢٢/ص١١١.
(٤٩) المختار مما فسره الزمخشري من الفاظ الحديث في (اساس البلاغة)د. بشير محمود فتاح، ص٥٧
(٥٠) العين: ج٥/ص٣٠٢.
(٥١) تفسير الطبري: ج١٨/ص٣٩٢ ، ينظر تفسير الثعلبي:ج ٦/ص٢٦٥،، احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي ابو اسحاق تح: الامام ابي محمد بن عاشور، دار احياء التراث العربي، بيروت.



(٥٢) التلخيص ، ابو هلال الحسن بن عبدالله العسكري:ج١/ص١٠٨.
(٥٣) الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد الانباري : ١/ ٤٨٠ ، التلخيص:١/١٠٨وينظر: لسان العرب: ٦/ ٣٢٢، الكليات : ١/ ٥٨٠
(٥٤) ينظر : مشارق الأنوار:ج ٢/ص٦٠ ، الوسيط للواحد:ج ٣/ ص٢٢٦ ، تفسير الثعلبي:ج ٦/ص٢٦٥، الهداية الى بلوغ النهاية: ج٧/ص ٤٧٠٩ .
(٥٥) ينظر تفسير الطبري: ج١٦/ص ١٩٥ – ج١٨/ ص٣٩٣ ، وينظر تفسير البغوي: ج٥/ ص٣٠٠.
(٥٦) ينظر نفسير ابن أبي حاتم:ج٧/ص ٢٤٤٠، تفسير مجاهد، ابو الحجاج مجاهد بن جبر المكي:ص ٤٦٧.
(٥٧) ينظر تفسير البيضاوي: ج٤/ص٤١، ابو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي تح: محمد بن عبد الله الرحمن المرعشلي، ط١ ،١٤١٨ هـ دار احياء التراث العربي بيروت.
(٥٨) البحر المحيط: ج٧/ص٣٧٠.
(٥٩) فتح القدير :ج٥/ص٥٩٤.
(٦٠) معاني القرآن للزجاج: ج٥/ص٣٥٥، وينظر: تفسيرالرازي: ج٦/ص٥٠٥ ،زاد المسير: ج٥/ص٣٤٠.
(٦١) ينظر تفسير الماتردي: ج١٠/ص١٨٢-١٨٣ -٦٠٦.
(٦٢) الهداية الى بلوغ النهاية:ج ١٢/ص٧٦٨١.
(٦٣) الصحاح:ج ٣/ص١٠١٣.
(٦٤) مختار الصحاح :ص ٢٢٣.
(٦٥) الفروق: ص٣٨١.
(٦٦) العين : ج٨/ص١٥١، البحر المديد : ج٧/ص٣١٤،الهداية في بلوغ النهاية:ج١٢/ ص٧٧٠٦.
(٦٧) كتاب الافعال :ج٣/ص١٣٧ ، مشارق:ج ١/ص٣٥٧، شمس العلوم:ج٩/ص ٦٠٦٢ ، لسان العرب: ج١٤/ص٢٦٠- ٤٤٧.
(٦٨) ينظر جمهرة اللغة: ٢/٩٣٥، تهذيب اللغة:ج ١١/ص٣٠٣، الزاهر:ج٢/ص١٤٧.
(٦٩) الصحاح:ج ٦/ ص٢٤٨٢.
(٧٠) الفرق بين الضاد والظاءفي كتاب الله:ص ١٢٥، المحكم:ج ١٠/ص ٣٧، المخصص:ج ٣/ ص١٧٠.
(٧١) المصدر نفسه:ص ٧٨.
(٧٢) ينظر تفسير الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد البصري :ج ٦/ص٩٣، تفسير الواحدي: ج١/ص ١١٣٣، لطائف الاشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري:ج ٣/ ص٦٣٠.
(٧٣) تفسير السمعاني:ج ٣/ ص١٤١ ، تفسير القرطبي، ابو عبد الله محم بن فرج الانصاري شمس الدين القرطبي:ج ١٧/ص ١٤٧ ، تفسير البيضاوي :ج ٣/ص٢١٢ ، تفسير النسفي : ج ٣/ص٥٣٧.
(٧٤) تفسير القرطبي: ج١٠/ص٣٠.
(٧٥) تفسير الطبري:ج ١٧/ص١٠٧، تفسير يحيى ، يحي بن سلام التيمي:ج ٢/ص٨٢٨.
(٧٦) تفسير مقاتل، ابو البركات عبد الله بن احمد: ج٢/ص٤٣٠.
(٧٧) المصدر نفسه:ج ٤/ص٤٣٧ ، تهذيب اللغة:ج ٣/ص٧٨.
(٧٨) معاني القرآن للزجاج:ج ٥/ص٢٢١.

(٧٩) جمهرة اللغة :ج ٢/ص٩٥٣.
(٨٠) الصحاح:ج ٦/ص٢٢٠٥.
(٨١) ينظـر : تكملـة المعاجـم:ج ١٠/ص٨٦ ، المعجـم الوسـيط: ج١/ص٥٣١، معجـم اللغـة العربية:ج ٣/ص ٢١١٠.
(٨٢) ينظر الكليات:ص ٨٠٣.
(٨٣)ينظر الزاهر : ج١/ص٣١٢ ، الصحاح: ج ٦/ص ٢٢٠٥ ، غريب الحديث للخطابي: ج ٢/ص٥١١.
(٨٤) ينظـر: تهذيـب اللغـة : ج ٣/ص ١٠٥ ج٣/ص١٢٨.
(٨٥) ينظـر : المخصـص:ج ٤/ص٥٨، شـمس العلوم:ج ٩/ص ٦٣٣٦.
(٨٦) ينظـر: لسـان العـرب :ج ١٣/ص٤١٠، مختار الصحاح:ص ٢٩٦.
(٨٧) تفسير الطبري:ج ٢٤/ص٦٣٤.
(٨٨)البحـر المحيـط:ج١٠/ص ٥٥١ ، تفسـير الرازي:ج ٢٥/ص١٩٨.
(٨٩) ينظـر : معانـي القـران ، ابـو الحسـن المجاشـعي البلخـي الاخفـش :ج ٢/ص٥٨٩ ، تفسير الطبري:ج ٢٤/ ص٧٤٦.
(٩٠) تفسير مجاهد: ج١/ص ٧٦١.
(٩١) تفسير مقاتل:ج ٤/ص ٩٣٤.
(٩٢) الصحاح:ج١/ص.٢٣٤
(٩٣) تهذيب اللغة:ج ٨/ص٣١.
(٩٤) ينظـر: معانـي القرآن للزجـاج: ج ٥/ص ٣٧٩ ، تفسـير الطبري:ج ٢٤/ص٧٤٨ ، تفسـير الماتردي:ج١٠/ ص٦٥٧.
(٩٥) ينظـر : زاد المسـير :ج ٤/ص ٥٠٨ ، بحـر العلـوم، أبـو الليث نـصر بن محمد بـن أحمد بن ابراهيم السـمرقندي: ج ٣/ص٦٣٦ ، ابن فورك: ج٣/ص٣٠٧، محمـد بـن الحسـن بـن فـورك الانصـاري الاصبهانـي تـح: عـلال عبـد القادر بندويش ، تفسير ماوردي:ج ٦/ص ٣٧٤.
(٩٦) مقلييـس اللغـة: ج٦/ص١٣١، المجمـل: ج١/ص ٩٣٣.
(٩٧) تفسـير الزمخشري:ج ٤/ص٧٦١ ، تفسير الرازي:ج ٣١/ص١٨١ ، السمعاني:ج ٦/ ص٣٠٥.
(٩٨) تفسـير البيضـاوي: ٥ج/ص ٣٤٨ ، وينظر: تفسير الواحدي:ج ٦/ص١٢٤٢، لطائف الاشارات:ج ٣ /ص٧٨٥.
(٩٩) تفسير الطبري:ج ٢٤/ص٧٠٢.
(١٠٠) العين: ج٦/ص١٨٢.
(١٠١) تهذيـب اللغـة: ج١١/ ص١٣١ ، لسـان العرب: ج٢/ص٤٠٠.
(١٠٢)ينظـر الكليات: ص٩٤٩، شـمس العلوم: ج١١/ ص ٧٢٨٨.
(١٠٣) المخصـص: ج٣/ ص٤٢٩ ، المحكـم : ج ٧/ص٥٥٤.
(١٠٤) تـاج العـروس:ج ٦/ص٢٦٢ ، معجـم ديوان الأدب:ج ٣/ ص٢٣٨، اساس البلاغة:ج ٢/ ص٣٥٣.
(١٠٥) تفسير مقاتل:ج ٢/ص ١٦٣.
(١٠٦) تفسير الطبري: ج١٤/ص١٦٤.
(١٠٧) معانـي القـرآن للزجـاج:ج٢/ص٤٣٧ ، تفسير الطبري:ج ١١/ص٣٧٢.
(١٠٨) تفسير ابن أبي حاتم: ج٤/ص ١٠٩٣.
(١٠٩) ينظـر تفسـير الثعلبـي:ج ٥/ص١٧ ، الوسيط للواحدي:ج ٢/ص٤٨٢، تفسير الماوردي: ج٢/ص٣٤٦ ، لطائف الاشـارات:ج ٢/ص١٣ ، تفسير السمعاني:ج ٢/ص٢٩٣.

The unique terms in the Holy Qur'an

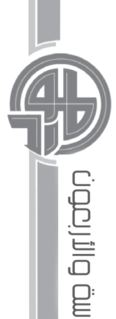
By: Dr. Zainab Kamel Karim
(Center of revival of Arabian science Heritage)
University of Baghdad

Abstract

The Holy Qur'an was and still is an inexhaustible resource for every researcher who wishes to dive deep into the language to extract its meanings.

This is the miracle of the Lord and the Muhammed challenge to the great language scientists, it is the strong argument in the Arab people of grammarians and linguists run in it to prove what they prove or deny what they deny then the argument is interrupted and the quarrel subsides.

Certainly, we cannot lead to a correct understanding of the Arabic unless we put the Qur'anic text at the forefront of our discussion. It is the speech that ended at the door of the words.



المدرسةُ النّحويّةُ البغداديّةُ
البدايّةُ والتّطور

م .د. هدى ناجي البديري*

● المقدمة :

كانت النقلة العظيمة التي شهدتها بغداد في الحضارة والفكر قد مهدت أذهان الدارسين لتقبل النحو البصري المتأثر بالفلسفة والقائم على الجدل والتعليل والاحتجاج وقد تجلّى هذا في أوضح صورة بورود المبرد(ت ٢٨٥هـ) بغداد بنحوه المتأثر بالفلسفة الكلاميّة ، وكان ورود بغداد متحولا للدرس النحوي فيها ، فما كاد يستقر بالمبرّد المقام في بغداد حتى لفت إنتباه الدارسين إلى نفسه فأقبلوا عليه يفاتشونه ويناظرونه في مسائل اللغة والنحو ، فرأوا فيه طرازا جديدا ونمطا في الدرس لم يعهدوه من قبل ولم تمض الأيام حتى انضمّ إلى مجلسه نفرٌ من أنبه تلاميذ ثعلب (ت٢٩١ هـ)، وفي مقدمتهم أبو إسحاق الزجّاج (ت ٣١١ هـ)الذي انقطع عن مجلس ثعلب ليلازم المبّرد يأخذ عنه ويقرأ عليه كتاب سيبويه (ت١٨٠ هـ)، وأخذ نفرٌ آخرون من تلاميذ ثعلب يختلفون إلى المجلسين ويأخذون عن الشيخين واستطاع المبّرد بقوة بيانه وحذقه بأساليب الجدل أن يستأثر بإعجاب الأمراء ويجتذب اليه أنبه الدارسين ، واستطاع تلاميذه بحذقهم بأسلوب الجدل ، وقدرتهم على استخراج القياس والعلل أن يفرضوا مذهبهم الجديد الذي أخذوه عن المبّرد في مجالس الدرس ويبسطوا سلطان المذهب البصري عليها بالنابهين من تلاميذهم الذين آلت اليهم الرئاسة في النحو كأبي بكر بن السّراج (ت٣١٦ هـ) وأبي القاسم الزجّاجي(ت ٣٣٧هـ) وأبي سعيد السيرافي (ت٣٨٤هـ) وأبي الحسن الرّمّاني (ت٣٨٦هـ) وأبي علي الفارسي (ت٣٧٥ هـ) وغيرهم[1].

* جامعة بغداد – مركز احياء التراث العلمي العربي



وقد ترددت في مؤلفات المحدثين تسميات مثل (مدرسة بغداد) أو (نحاة بغداد) أو (المدرسة البغدادية) أو(المذهب البغدادي) أو(البغداديين) وهم يعنون بذلك مذهبا نحويّا خاصّا لا هو بالبصري الخالص، ولا هو بالكوفي الصريح ، وإنّما هو مذهب يقوم على الإطلاع على النحويين، والخلط بينهما ثم الانتخاب منهما لتكوين آراء خاصّة بهذا الدارس أو ذاك انتخبها من آراء الفريقين فقد يكون أكثر ما أختاره من البصريين فيصفونه بأنّه الى البصريين أميل ، أو أنّه يميل إلى البصريين وقد يقع العكس فيقال فيه : يميل إلى الكوفيين ، أو إلى مذهب الكوفيين أميل، ويرون أنّ السبب في نشوء هذا المذهب هو تلاقي المذهبين البصري والكوفي في بغداد على يد شيخين من شيوخهما تنافسا على رئاسة النحو في بغداد وعملا على نشر مذهبيهما بين الدارسين وهذان الشيخان هما أبو العباس ثعلب الكوفي وأبو العباس المبرّد البصري[٢].

وقد وقف المحدثون من وجود مدرسة بغدادية أكثر من موقف ، وتتضح آراؤهم بالآتي :

الأوّل : ذهب بعضهم إلى وجود مدرسة ثالثة من البصريين والكوفيين وهم البغداديون، وكان من أوائل القائلين بهذا جماعة من المستشرقين منهم (فلوجل)ناشر كتاب (الفهرست) لابن النديم (ت ١٨٧٠م) ، الذي نشر بحثا في المدارس النحوية عام ١٨٦٢م[٣]، وتابعه بروكلمان الذي قال: «وقد قسّم علماء العربية مذاهب النحاة الى ثلاث مدارس: البصريون والكوفيون ومن مزجوا المذهبين من علماء بغداد»ثمّ قال: وسنحتفظ نحن أيضا بهذا التقسيم على الرغم مما يبدو فيه من أنّ الخلاف المزعوم بين مناهج تلك المذاهب لم ينشأ إلّا على أساس المنافسة بين المبرّد وثعلب[٤]، ويبدو أنّه يرى أنّ كل من نزل ببغداد من النحاة بصريين كانوا في آرائهم أم كوفيين يمكن أن يعدوا بغداديين ما داموا نزلوا ببغداد ، قال : «وقد كان كثير ممن ذكرناهم أخيرا في مدرسة البصرة نزلوا ببغداد التي أخذت مدرستها النحوية تحاول التوفيق بين مدرستي البصرة والكوفة منذ القرن الرابع الهجري ، وإذا فقد كان ممكنا أن يعدوا أيضا من رجال مدرسة بغداد»[٥].وذهب المستشرق»(Howell) إلى وجود مدرسة بغدادية، وقال أنّ ابن السراج ومبرمان يمثلانها [٦].

وكان أوّل من تكلم على مدرسة بغداد من الباحثين العرب الأستاذ أحمد أمين حيث قال بعد أن تحدث عن مدرستي البصرة والكوفة : «ومع هذا فقد كان التقاء الكوفيين والبصريين في بغداد سببا في عرض المذهبين ونقدهما والانتخاب منهما ، ووجود مذهب منتخب كان من ممثليه ابن قتيبة» ثم نقل عبارة ابن النديم وقال: «ومثله في ذلك أبو حنيفة الدينوري فقد أخذ عن البصريين والكوفيين جميعا»[٧] .

وكان أكثر المتحدثين عن هذا المذهب وخصائصه وضوحا وإيجازا الشيخ محمد الطنطاوي الذي صرّح بوجود (فريق خالط) بين البصري والكوفي وسمّاه في موضع آخر (مازجا بين المذهبين) ورأى أن هؤلاء الذين خلطوا النحو أو مزجوه وإنْ قلوا يمثلون مدرسة جديدة لها خصائصها ، وذلك حيث كانت حدة الخلاف بين الفريقين مع كثرة عديدهم وعظيم شأنهم في حياة المجتهدين التي جعلت من دواعي تغلب الانحياز الى أحد الطرفين على اختيار مذهب خليط، حتى إذا



قضى المجتهدون نحبهم في أواخر القرن الثالث الهجري أسدل الستار عليهم وانكسرت حدة النعرة الحزبية فعرض العلماء المذهبين على بساط البحث والنقد ... نجم عن ذلك كله أنّهم اختلفوا طرائق قددا، فكان منهم من غلبت عليه النزعة البصريّة ومنهم من غلبت عليه النزعة الكوفية ، ومنهم من جمع بين النزعتين، وهذا أوضح ما وجدته مما فسرت به عبارات المتقدمين (خلط المذهبين) و(خلط النحويين) و(هو للمذهب البصري أميل) و(خلط المذهبين وكان ميله مع الكوفيين) ، وكان قيّما بعلم البصريين وبعلم الكوفيين [٨].

وذهب الأستاذ سعيد الأفغاني إلى أنّ الكوفيين نشروا نحوهم في بغداد التي قصدها البصريون بعدهم ، ونشأت عن هذين الفريقين طبقة جديدة في بغداد اتسمت بالاختيار من المذهبين وكونت ما عرف بالمذهب البغدادي ، وجعل من خصائصه ما جاء في قول أبي الطيب اللغوي: « فلم يزل أهل المصرين على هذا حتى انتقل العلم الى بغداد قريبا وغلب أهل الكوفة على بغداد وحدثوا الملوك فقدّموهم ورغب الناس في الروايات الشاذة ، وتفاخروا بالنوادر وتباهوا بالترخيصات وتركوا الأصول واعتمدوا على الفروع فاختلط بهم العلم» وعلّق عليه بقوله: «وما أصدق ما قال هذا اللغوي الحلبي في تصوير الحال»[٩].

وكان أشد من دافع عن وجود مدرسة بغداديّة خلطت بين المذهبين واتخذت منهما بعض خصائصهما ليكون مذهبا جديدا أو مدرسة جديدة هي التي سُميت (المدرسة البغدادية) الدكتور أحمد مكي الأنصاري الذي قال أنّ خصائص المدرسة البغداديّة «ما هي إلاّ امتزاج خصائص المدرستين البصرية والكوفية معا وظهور أثر المدرستين في هذا المذهب الجديد الذي عُد الفرّاء مؤسسه لما يقوم عليه مذهبه من تحرر ومزج وتجديد » [١٠].

وكان الدكتور محيي الدين توفيق من الذين ذهبوا الى وجود هذه المدرسة بعد انتقال الدرس النحوي إلى بغداد حيث أدى هذا الانتقال الى تطور الدراسات النحويّة واللغويّة مكوّنا مدرسة بغداد النحويّة التي يقوم منهجها على الانتخاب من المدرستين [١١].

وسلّم الدكتور شوقي ضيف بوجود مدرسة بغدادية يقوم منهجها على الانتخاب من آراء المدرستين البصريّة والكوفيّة مع فتح أبواب الاجتهاد والخلوص إلى آراء مبتكرة ، وقد تداول هذه المدرسة جيلان : جيل أوّل كانت تغلب عليه النزعة الكوفيّة وهو الذي يدور في كتابات ابن جنّي باسم البغداديين من أمثال ابن كيسان ، ثم جيل ثانٍ خلف هذا الجيل كانت تغلب عليه النزعة البَصريّة على نحو ما يلقانا عند الزجّاجي ثم أبي علي الفارسي وابن جنّي [١٢].

واثبت الدكتور مازن المبارك وجود مدرسة بغداديّة ورأى أنّ الزجّاجي بغدادي النزعة مع ميله إلى الأخذ بأقوال البصريين فهو يحيط علما بالمذهبين إلاّ أنّه يعتدل بينهما بلا تعصب، فالبغداديون هم الذين أخذوا بآراء الفريقين ووقفوا بين المذهبين إلاّ أنّ ميلهم مع أحدهما في الغالب [١٣].

ويتضح من كلام الأستاذ طه الراوي أنه ممن يثبتون وجود مدرسة بغدادية [١٤]، ومثل هذا كان رأي الدكتور يوسف خليف الذي قال:«وكان التقاء الكوفيين بالبصريين سببا في عرض مذاهب المدرستين واتجاهاتهما ثم



نقدهما والانتخاب منهما» [١٥] .

وقد اثبت الدكتور الجواري وجود مدرسة بغداديّة ولم يقل كما قال الآخرون بأنها خلطت بين المذهبين وإنّما تفرد بين القدماء والمحدثين بالقول بأنّ النحو البغدادي إنّما هو نحو أبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني المعروف بثعلب . وهذا رأي غير معروف وهو أوّل من قال به [١٦].

وجعلت د. هدى محمود قراعة الزجّاج مؤسسا للمذهب البغدادي في مقدمتها لكتاب (ما ينصرف وما لاينصرف) لأنّه كثيرا ما يتردد في سمعها أنّ المذهب البغدادي ما هو إلّا خلاصة المذهبين الكوفي والبصري [١٧].

الثاني: ذهب بعض آخر من المحدثين إلى نفي وجود مدرسة نحوية باسم (مدرسة بغداد) أو التشكك في وجودها ، وقد مثل هذا الرأي بعض الباحثين منهم (جوتولد فايل) محقق كتاب الإنصاف الذي شكّك في وجود مدرسة جديدة قامت على أساس الانتخاب من مزايا كلتا المدرستين لأنّه ـ وإن كان يرى أن لتسمية تلاميذ ثعلب والمبّرد بالبغداديين وجها من الحق ـ كان يرى أنّ البغداديين لم يكونوا ليمثلوا مدرسة ذات إتجاه خاص أساسه المزج أو الاختيار ولكنهم يمثلون دراسة في دائرة النحو البصري [١٨].

وقال بما يقرب من هذا الرأي الدكتور عبد الفتاح شلبي الذي ذهب إلى أنّه لم تكن هناك «مدرسة بغدادية قائمة بنفسها لها تعاليمها ، غاية مافي الأمر أن رجالا خلطوا بين المدرستين البصرية والكوفية ، فرأوا رأيا من هذه ورأيا من الأخرى وإن كانوا في مذهبهم الأصيل يميلون إلى هذه أو إلى تلك فيكونون بصريين أو كوفيين فحسب « فابن كيسان يخلط المذهبين لأنه أخذ عن المبّرد وثعلب ، وكان ميله الى البصريين أكثر، وكذلك ابن قتيبة وابن شقير شديد التعصب مع الكوفيين مع اعتقاده مذهب البصريين ، ويضع الدكتور عبد الفتاح شلبي ـ بناء على هذا التفسير ـ أبا علي الفارسي فيمن يخلطون المذهبين ، لأنّه على الرغم من نزعته التي تميل به إلى البصرية، كان يرى رأي الكوفيين في بعض المسائل النحوية» [١٩].

وكان من بين المتعرضين للكلام على المدرسة البغداديّة الدكتور فاضل صالح السامرائي وقد عرض لأقوال المثبتين وجود هذه المدرسة والنافين ذلك الوجود من القدماء والمحدثين، ورأى «انّه لا يصح إطلاق اسم مذهب أو مدرسة إلّا أن تكون هناك أسس مستقلة وآراء متميزة واضحة محددة وإلّا فهو مذهب إمّا بصري وإمّا كوفي أو نحوهما و... أن المكان وحده لا يصح أن يسم المدرسة باسم ما فتعد مدرسة نحوية مستقلة كما لايصح أن يسم القائمين بها ، فلا يصح مثلا عدّ المبّرد إلّا من البصريين ، وثعلب إلا من الكوفيين مع أنهما سكنا بغداد وهب أن نحويا بصريا سكن مدينة ما وبقي محتفظا بآرائه البصرية فهل يعد هذا إلّا بصريا ؟» [٢٠].

الثالث : هناك من الباحثين من ذهب في مدرسة بغداد أكثر من مذهب ، ويمثل هذا الإتجاه الدكتور مهدي المخزومي ، فقد اثبت في كتابه (مدرسة الكوفة)وجود مذهب نحوي يسمى (المذهب البغدادي) وسمّاها أيضا (المدرسة البغداديّة) قال: «وأمّا البغداديون، فقد أخذوا عن البصريين والكوفيين ، ومادة الدرس عند هؤلاء وهؤلاء إنّما هو النحو البصري المتمثل في كتاب سيبويه ، وكل مافي الأمر أنهم خلطوا أقوال هؤلاء وهؤلاء وانتخبوا

مـن هـؤلاء وهـؤلاء»[٢١]، وقال في نـص آخر : «فليس المذهب البغدادي إلّا مذهبا انتخابيا فيه الخصائص المنهجية للمدرستين جميعا»[٢٢].

وقـال في أوضـح أقواله وأكثرهـا إصرارا على وجود مدرسـة بغداديّة : «أمّـا أصحاب ثعلب الذين ذيلنا اسـمه بأسـمائهم فليسـوا جميعا كوفيين ، بل أكثرهم ينتمون إلى مدرسة جديدة هي مدرسـة بغداد ، وهي المدرسـة الانتخابية التـي قامت على خلط المنهجين من المدرسـتين البصرية والكوفية ، لأنهـم أخذوا عن بصريين وكوفيين ، وتأثروا بهؤلاء وهؤلاء» [٢٣] .

هـذه الأقـوال جميعهـا تدلنـا عـلى اعتراف الدكتـور المخزومـي بوجـود مدرسـة نحوية بغداديـة قائمـة عـلى الانتخاب مـن المذهبين البصري والكوفي نتيجة لأخذ الدارسين فيها عن المبّرد البـصري وثعلب الكوفي حيث كان وجود المبّرد في بغداد نقطة تحول في تاريخ المدرسـة الكوفية فقد تـسرب إلى مجلس المبرّد كثير من أصحاب ثعلب وتلاميذه فنشأت عنهم (مدرسة بغـداد)، وقد خالف الدكتور المخزومي ما قاله في كتابـه (مدرسـة الكوفـة) ونفـى أن تكون هنـاك مدرسـة بغداديـة أو مذهـب يصح أن يسـمى بـالمذهب البغدادي ، وذلـك في كتـاب (الدرس النحوي في بغداد). حيث قال : « تردد اسـم البغداديين كثـيرا في القـرن الرابع بإزاء الكوفيـين والبصريـين، حتى ليخيـل للدارس أنّ البغداديين كانـوا يمثلون جماعة ثالثة لهم طريقتهم الخاصّة ، ومذهبهم المتميز»[٢٤].

وقال: «إنّ الأسـاس الذي بنى عليه المحدثون فكـرة المذهـب البغدادي هـو التلمـذة لثعلب والمـبرّد، والتعمـق في مصنفاتهمـا ومصنفات شـيوخهما مـن البصريين والكوفيـين ، وليس بـين تلاميذ الرجلين من أفـاد منهما وتعمق في مصنفاتهمـا ووقف عـلى علـم الكوفيين وعلم البصريين كأبي إسحاق الزجّاج» [٢٥].

ذهـب الدكتور مهدي المخزومـي إلى أنّ قول المحدثـين بهذيـن القولـين وتسـميتهم لهؤلاء الذيـن خلطوا المذهبين بالبغداديـين إنّما كانوا يصدرون فيه عمّا جاء الفهرسـت بـ (جماعة من علمـاء النحويـين واللغويين ممـن خلطوا المذهبـين) ودليله على هـذا أنّ المحدثين كانوا يقيمون المذهـب الجديد على أسـاس الاختيار والانتخاب من كلا المذهبين القديمين وهو الذي كان ابن النديم يعبر عنه بـ (خلط المذهبين) [٢٦].

وسـأتحدث عن اثنين من أبرز أعلام المدرسـة البغداديّـة وهما : أبو العبـاس محمد بن يزيد المـبرّد (ت ٢٨٥هـ) وأبو إسـحاق إبراهيم بن السري الزّجاج (ت٣١١هـ) .

● **المبرّد :**

هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسـان بن سليم بن سـعد بن عبد الله بن زيد بـن مالك بن الحارث بـن عامر بن عبد الله بن الأزد بن الغوث ، أبو العباس الأزدي ثم الثمالي، المعـروف بالمـبّرد ، شـيخ أهل النحـو وحافظ علـم العربيّـة ، كان مـن أهل البصرة فسـكن بغداد وروى بها عن أبـي عثمان المازني وأبي حاتـم السجسـتاني وغيرها من الأدبـاء وكان عالمـا فاضلا وحافظ علـم العربيّـة ، كان من أهل البصرة فسـكن بغـداد وروى بها عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني وغيرها مـن الأدبـاء وكان عالمـا فاضلا موثوقـا به في الرواية حَسـن المحاضرة وكثير النوادر وحدّث عنه نفطويـه النحوي ومحمد بـن أبي الأزهر واسـماعيل الصفـار، وأبوبكر الصـولي ، وأبو عبـد الله الحكيمي ، وأبو سـهل بن زياد، وأبو علي الطوماري ، وجماعة لايتسع ذكرهم[٢٧] .

وهو من ثُمالة قبيلة من الأزد ، وانشدنا أبو بكر بن السرّاج عن أبي العباس لعبد الصمد بن المعذّل يعاتبه (٢٨):

سألنا عن ثُمالةَ كلّ حيّ
فقال القائلون ومَن ثُمالهْ
فقلت محمد بن يزيد منهم
فقالوا زدتنا بهم جهاله
فقال لي المبرّدُ خَلّ قومي
فقومي معشر فيهم نذاله

نشأ بالبصرة وشغف بالعلم لاسيّما النحو والتصريف ، فأخذهما عن المازني ، فلما توفى أخذ عن أبي عمر الجرمي ، ونبغ فيهما ولم يكن في وقته ولا بعده مثله .

رويت في علمه الأخبار عن المشهورين في زمانه من علماء المسلمين أشهرهم أبو بكر بن مجاهد الذي قال فيه : «ما رأيت أحسن جوابا من المبرد في معاني القرآن فيما ليس فيه قول لمتقدم»(٢٩). شهد له المؤرخون بأنّه كان يتصدر حلقة أستاذه المازني وهو حديث السن يقرأ عليه كتاب سيبويه . وكان هو في البصريين وثعلب في الكوفيين إمامي عصرهما وبينهما منافرة لم تعد حد المناقشة في الصناعة (٣٠).

ذاعت شهرة أبي العباس في البصرة ووصلت إلى مجلس الخلفاء في بغداد وسامراء، ولهذا نجد المتوكل يرسل إلى المبرد للقدوم إلى سامراء ليحكم في خلاف وقع بينه وبين وزيره الفتح بن خاقان، فلما وصل المبرد من البصرة أقام فيها وظل ملازما المتوكل حتى قتل سنة ٢٤٧هـ(٣١).

ورد المبرد بغداد سنة ٢٤٧ هـ فارا من سامراء بعد مقتل المتوكل وكان إذ ورد بغداد ورد بلدا لاعهد له بأهلها فاختل وادركته الحاجة شهد صلاة الجمعة ، فلما قضيت الصلاة أقبل على بعض من حضره وسأله أن يفاتحه ليتسبب له القول فلم يكن عند من حضره علم فلما رأى ذلك رفع صوته وطفق يفسر ويوهم بذلك أنّه قد سأل ، وقد نجح في ذلك واسترعى انتباه الدارسين إليه، وأراد الزجّاج أن يفاتشه ويعنته وكان ذلك أوّل اتّصاله به (٣٢).

حكى الخطيب عن أبي الحسن العروضي عن أبي إسحاق الزجّاج انه قال : «كنت أقرأ على أبي العباس ثعلب ، وأميل الى قولهم ــ يعني الكوفيين ــ فعزمت على إعناته، فلما فاتحته ألجمني بالحجة وطالبني بالعلة ، وألزمني إلزامات لم اهتد لها ، فتبينت فضله واسترجحت وجددت في ملازمته» (٣٣).

وبعد ان رأى الزجّاج من المبرد ما رأى اعتزم ملازمته ، والتلمذة له ، وأجرى على المبرد ثلاثين درهما في الشهر هي ما كان يدخره من ايام عمله الخمسة من كل شهر لطلب العلم ووافق المبرد بعد ان اشترط انقطاعه عن ثعلب واطراحه كتب الكوفيين ، واذعن للامر ولازمه حتى برع في نحو البصريين ، ونبه ذكره في أصحاب المبرد ، ثم آلت رئاسة النحو البصري اليه بعد المبرد (٣٤). ثمّ واصل المبّرد اشتغاله بتدريس النحو في مسجد بغداد حيث كون حلقة أخذ يؤمها تلاميذ ثعلب وغيرهم ممن اعجبته طريقة المبرد في عرض مسائل النحو.

● براعته في الجدل والمناقشة

يصور لنا ذلك الزجّاج أحسن تصوير في أول لقاء له مع المبرّد ، قال للمبرّد :

أتأذن ـ أعزك الله ـ في المفاتشة فقال أبو العباس : سلْ عمّا أحببت ، فسأله عن مسألة فأجابه فيها بجواب أقنعه فنظر الزجّاج في وجوه أصحابه متعجبا من تجويد أبي العباس للجواب فلما انقضى ذلك قال له أبو العباس:

أقنعت بالجواب؟ فقال : نعم قال: فإن قال لك قائل في جوابنا هذا : كذا ما أنت راجع إليه؟ وجعل أبو العباس يوهن جواب المسألة ويفسده ويعتل فيه :فبقي الزجّاج سادرا لا يحير جوابا ثمّ قال : إن رأى الشيخ ـ أعزه الله ـ أن يقول في ذلك فقال أبو العباس : فإنّ القول على نحو كذا فصحح الجواب الأول وأوهن ما كان أفسده [٣٥] .

فبقي الزجاج مبهوتا ثمّ قال في نفسه : قد يجوز أنه كان حافظا لهذه المسألة مستعدا للقول فيها، فسأله عن مسألة ثانية ففعل المبّرد ما فعله في المسألة الأولى حتى سأله أربع عشرة مسألة يجيب عن كل واحدة منها بما يقنع ثم يفسد الجواب ثمّ يعود إلى تصحيح القول الأوّل [٣٦].

وقال في موضع آخر : « فإذا قلت : إذا أتيتني وجب أن يكون الاتيان معلوما ، ألاترى الى قول الله عزّ وجلّ (إذا السماء انفطرت) [٣٧] و(إذا الشمس كورت) [٣٨] و(إذا السماء انشقت) [٣٩] أنّ هذا واقع لامحالة» .

ولايجوز أن يكون في موضع هذا (إنْ) ، لانّ الله ـ عزّ وجلّ ـ يعلم ، و (إنْ) إنما مخرجها الظن والتوقع فيما يخبر به المخبر . وليس هذا مثل قوله (إنْ ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلف) [٤٠] لأنّ هذا راجع اليهم .

وتقول : «آتيك إذا احمرّ البُسْر . ولو قلت: آتيك إن احمرّ البُسْر ـ كان محالا ، لأنه واقع لامحالة»[٤١].

وقال : إذا قال لك رجل : رأيت رجلا ، فإنّ الجواب أن تقول : مَنا ؟ أو قال : جاءني رجل، فإنّك تقول : مَنُو ؟ أو قال : مررت برجل ، قلت : مَنِي ؟ وليست هذه الواو والياء والالف اللواحق في (مَنْ) إعرابا ، ولكنهن لحِقْن في الوقف للحكاية . فهنّ دليل ، ولسن بإعراب . فإن قال : جاءني رجلان ، قلت : مَنانْ ؟ وإن قال : مررت برجلين أو رأيت رجلين ، قلت : مَنَيْنْ ؟ وإن قال : رأيت امرأةٌ أو هذه امرأةً أو مررت بامرأةٍ قلت : مَنَهْ ؟.

فإن قال : جاءَتني امرأتان . قلت : منتان ؟ تسكِن النون ، كما كانت في (مَنْ) ساكنة .

وإنما حرّكتها فيما قبلُ من أجل ما بعدها ، لانّ هاء التأنيث لاتقع إلّا بعد حرف متحرك ، وكذلك حروف التثنية ، أعني : الياء ، والالف لسكونهما [٤٢].

● **الزّجّاج :**

أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل ، غلب عليه اسم الزّجّاج لأنّه كان أوّل حياته يحترف خراطة الزجاج ،فهو لقب مهنته، كان دخله من هذا ضئيلا لايكاد يتجاوز الدرهمين وربما كان درهما واحدا أو درهما ونصف الدرهم، وتاقت نفسه مع ما هو فيه من إقلال ، الى التعلم ومعرفة اللغة فاتصل بمجلس ثعلب ، وظل يستفيد منه حتى وفد المبرّد على بغداد واتخذ له حلقة في المسجد فانتقل الزجّاج الى حلقة المبرّد وترك ثعلبا [٤٣].

عرفه أبو سعيد السيرافي (ت ٣٨٦هـ) بقوله : «ومن أصحاب أبي العباس محمد بن يزيد أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجّاج وأبو الحسن بن كيسان واليهما انتهت الرياسة في النحو بعد أبي العباس محمد بن يزيد غير أنّ أبا اسحاق كان اشد لزوما لمذهب البصريين وكان ابن كيسان يخلط المذهبين»[٤٤] .

قال الوزير القفطي (ت ٥٧٧هـ)فيه : «كنت أخرط الزجاج فاشتهيت النحو فلزمت أبا العباس المبرّد توفي سنة ٣١١ هـ ، وهوصاحب

كتـاب معاني القـرآن ، كان من أهـل الفضل والدين ، حسـن الاعتـقـاد ، ولـه مؤلفـات حسان في الأدب» [٤٥].

كان المـبرّد لايعلّـم إلّا بأجر ولايبـذل لتلاميذه من علمـه إلاّ بقدر مـا يدفعون له مـن المال ، وكان ينتظربهـذا أن يكـون حـظ الزّجاج من تعليم أسـتاذه ضئيـلا جدا ، لكنـه عرض أن يدفع للمـبّرد درهما واحدا كل يوم ، ما امتدت حياتهما ، سـواء احتاج الى التعلم أو اسـتغنى عنـه ، ويمنحه المبرّد في مقابلـة ذلك من العلم أقـصى ما يبـذل مـن التعليم ، وقبـل المبرّد ما عرضه الزجّاج ، فلزمه ، وكان يخدمه في أموره مع ذلك ، وكان هذا تلميذا ذكيا مجدا اسـتطاع أن يحصـل في زمـن قصـير عـلى قدر واسـع مـن المعلومات ، واكتسـب الى جانـب ذلك ثقة أسـتاذه، وكان من تلاميـذه المقربين اليه، وقد وفّي كلّ منهمـا لصاحبه ، وظـل الزّجاج يدفع لأسـتاذه هذا الأجـر ، ولما اتسـع رزقه بذل له عطاء أكثر وبعث اليـه بالهدايا الثمينة ، وظل يرعـاه في آخر حياته ويرفق بـه في كبره حتى انتقل المبرّد الى جوار ربه راضيا عن تلميذه [٤٦].

وكان مـن أتباع أحمد بن حنبـل مؤثرا لمذهبه حتى كان آخر ما قالـه وهو على فراش الموت: «اللهم احشرني على مذهب أحمد بن حنبل» [٤٧] وفي كتابه معاني القرآن مواضع كثيرة تفصح عن قـوة إيمانه وثبـات عقيدته، واسـتعداده للدفاع عن الإسلام ، كما يبدو تورعه في تحذيره من قراءة لم ترد وإن كانت اللغة تجيزها .

وإذا أغضينـا عـن عدم شرعيـة التعاقد بينه وبين المبرّد باعتبـاره نوعا من التعاون العلمي دفعت الحاجة الزّجاج اليه ، فاننا نجد الزّجاج أخل مرة بهذا العقد ، فشـغلته شؤون الوزير عـن بـرّ أسـتاذه وانقطـع عنـه مـدة ، وكان المبرّد قد أسـن وأصبح في حاجـة لهذا العون ، فاستدعى الزّجاج وسأله: أيكون حسد الإنسان من غير نفسه ؟ قال : لا ، قال المبرّد : فما معنى قول اللـه تعالى (ودّ كثير مـن أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسكم) [٤٨] .

ولم يسـتطع الزّجاج أن يجيب ، وقال المبرّد: إذن فأعلـم أنـه قد بقى عليك أشـياء كثيرة لم تتعلمها .

وعاد الزّجاج الى بر أسـتاذه ، فهو إذن أهمل أسـتاذه إذ شعر أنه اسـتقل بنفسه واستغنى عنـه ، ثم دفعه شـعوره بالحاجة اليه الى برّه، والمـبرّد بـدوره لايريد أن ينال مـن عطفه على سبيل الصدقة ، ولا حتى طلبا للوفاء بما تعاقدا عليه ، ولكنه أشـعره بنقص علمه واسـتمرار حاجته للاستفادة من أستاذه [٤٩].

● **الخاتمة:**

ـ تـرددت في مؤلفـات المحدثـين تسـميات مثـل (مدرسـة بغـداد) أو (نحاة بغـداد) أو (المدرسة البغدادية) أو (المذهب البغدادي) أو (البغداديين) وهم يعنـون بذلك مذهبا نحويّا خاصّا لا هو بالبـصري الخالص ، ولا بالكوفي الصريـح ، وإنّما هو مذهـب يقوم على الإطلاع عـلى النحويـين، والخلط بينهما ثـم الانتخاب منهما لتكوين آراء خاصّة بهذا الدارس أو ذاك انتخبها من آراء الفريقين .

ـ وقـد وقـف المحدثـون مـن وجود مدرسـة بغداديـة أكثر مـن موقف ، وتتضـح آراؤهم بالآتي : ذهب بعضهم إلى وجود مدرسـة ثالثة من البصريين والكوفيين وهم البغداديون، ومن أوائـل القائلين بهـذا جماعة من المسـتشرقين منهـم (فلوجل) ناشر كتاب (الفهرسـت) لابن

النديـم، وتابعـه بروكلمـان ،وتشـكك الفريق الثانــي في وجودها وقد مثل هــذا الرأي بعض الباحثـين منهم (جوتولد فايـل) محقق كتاب الإنصاف الذي شـكّك في وجود مدرسة جديدة قامـت عـلى أسـاس الانتخـاب ، وهنـاك مـن الباحثـين من ذهب في مدرسـة بغداد أكثر من مذهـب ، ويمثل هــذا الإتجاه الدكتـور مهدي المخزومي فقد اثبت في كتابه (مدرسة الكوفة) وجود مذهب نحوي يسمى (المذهب البغدادي) وسـمّاها أيضا (المدرسـة البغداديّـة) ، وأنكر وجودها في كتابه «الدرس النحوي في بغداد» .

ـ تحدثناعـن اثنـين مـن أبرز أعلام المدرسـة البغداديّـة وهما : أبو العبـاس محمد بن يزيد المـبرّد (ت ٢٨٥هــ) وأبو إسـحاق إبراهيم بن السري الزّجاج (ت٣١١هــ) .

الهوامش

(١) ينظر: الدرس النحوي في بغداد , الدكتور مهدي المخزومي ص ٨٠ .

(٢) المدارس النحويـة ، الدكتورة خديجة الحديثي، ص٢٠٤ .

(٣) ينظر: تاريـخ الأدب العربي جــ ٢/ص ١٢٧ ، والدرس النحوي في بغداد ،ص١٨٨ ــ ١٨٩ .

(٤) تاريخ الأدب العربي جــ ٢/ ص١٢٤ – ١٢٥.

(٥) ينظر: المصدر نفسه جــ ٢/ ص١٢٤ – ١٢٥ .

(٦) ينظر: المصدر نفسه جــ ٢/ ص١٢٤ – ١٢٥.

(٧) ضحى الإسلام جــ٢/ ص١٩٣.

(٨) المدارس النحوية، د. خديجة الحديثي ، ص٢٠٦.

(٩) في أصول النحو،ص ٢١٧ ــ ٢٢٠ .

(١٠) أبو زكريا الفرّاء،ص ٣٩٥ ــ ٣٩٧ .

(١١) ينظـر: ابـن الأنبـاري في كتابـه الإنصاف في مسائل الخلاف ،ص ٢٨٨ ــ ٢٨٩ .

(١٢) ينظـر: المدارس النحويّـة ، ص٧، وتنظر منه الصفحات: ٢٤٥و٢٤٦ و٢٤٧ و٢٤٨ .

(١٣) ينظـر: الإيضاح في علل النحـو، الصفحات ٩ و١٠ و٦٨ و٧٩ و١٣١ .

(١٤) ينظر: نظرات في اللغة والنحو ،ص٩.

(١٥) ينظر: حياة الشعر في الكوفة ،ص ٢٤٢.

(١٦) الشعر في بغداد ،ص١٧٦.

(١٧) ما ينصرف وما لاينصرف ،ص١٢.

(١٨) هامش مقدمة كتاب الإنصاف .

(١٩) أبـو عـلي الفـارسي،ص ٤٤٧ وينظر منه،ص ٤٤٥ــ ٤٤٧ .

(٢٠) ابن جنّي النحوي ،ص٢٥١ــ٢٥٢ و٢٥٤ــ٢٥٥ .

(٢١) مدرسة الكوفة ،ص٩٠ ــ ٩١ .

(٢٢) المصدر نفسه ،ص٩٠ ــ ٩١ .

(٢٣) مدرسـة الكوفـة ،ص١٠٩ ، وتنظـر أقوالـه الأخرى الصفحات: ١٠٣ و١١٠ و١٨٧ .

(٢٤) الدرس النحوي في بغداد ،ص٥ .

(٢٥) المصدر نفسه ،ص ١٢٥.

(٢٦) الـدرس النحـوي في بغـداد ،ص١٨٦ ،ومـا بعدها.

(٢٧) ينظر: ترجمة في تاريخ بغداد أو مدينة السلام للخطيـب البغدادي جـــ ٣/ص٣٨٠ ،ترجمة برقم (١٤٩٨) .

(٢٨) ينظـر أخبار النحويين البصريين لأبي سـعيد السيرافي ،ص٩٦و٩٧ .

(٢٩) المصدر نفسه ص٩٧ وينظر المدارس النحوية للدكتورة خديجة الحديثي ،ص١١٩ .

(٣٠) ينظـر: معجم المطبوعـات العربيـة والمعرّبة جمعه ورتبه يوسف إليان سركيس، رقم ١٦١٢ .

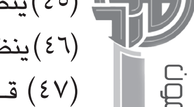
(٣١) ينظـر: المـدارس النحوية للدكتـورة خديجة الحديثي ،ص١١٩ و١٢٠ .

(٣٢) ينظـر: المقتضـب للمـبّرد ،ص١٣ (المقدمة) والدرس النحوي في بغداد ،ص١٢٤ .

(٣٣) الدرس النحوي في بغداد ،ص١٢٥ .
(٣٤) ينظـر: إنبـاه الرواة على أنبـاه النحاة للوزير القفطي، جـ ٣/ ص٢٥٠ .
(٣٥) طبقـات النحويـين واللغويـين للزبيـدي، ص١١٨ ـ ١١٩.
(٣٦) المصدر نفسه ،ص١١٨و١١٩ .
(٣٧) الانفطار١ .
(٣٨) التكوير١.
(٣٩) الانشقاق ١.
(٤٠) الانفال ٣٨ .
(٤١) المقتضب جـ٢/ ص٥٦ .
(٤٢) المصدر نفسه جـ ٢/ ص٣٠٦ .
(٤٣) ينظـر: ترجمته في :أخبار النحويين البصريين لأبي سـعيد السيرافي، ص ١٠٨، و طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ،ص١١١ وإنباه الرواة على أنباه النحـاة للوزيـر القفطـي جــ١/ص١٥٩ ،ترجمة برقـم (٩٦) , ومعجم الأدبـاء لياقوت ترجمته برقم (٩) جـ١/ص ١٣٠ -١٣١ والعقد الثمين في تراجم النحويـين للحافـظ شـمس الدين محمد بـن أحمد الذهبـي، ص ١٤٩، واللبـاب في تهذيـب الأنسـاب، تأليـف عـز الديـن بن الأثـير الجزري جــ٢/ ص ٦٢، وبغيـة الوعـاة جلال الدين السـيوطي جـ١/ ص٤١١ومعجم المؤلفين عمر كحالة جـ١/ص٣٣.
(٤٤) ينظر: أخبار النحويين البصريين، ص١٠٨ .
(٤٥) ينظر:إنباه الرواة على أنباه النحاة جـ١/ ص١٦٠.
(٤٦) ينظر:معاني القرآن وإعرابه للزجاج جـ١/ ص١٩.
(٤٧) قـال ياقـوت صاحب كتـاب معجـم الأدباء: (وآخـر ما سُـمع منه : اللهـم احشرني على مذهب أحمد بن حنبل)، ينظر منه جـ١/ص ١٣٠ .
(٤٨) البقرة ١٠٩ .
(٤٩) ينظر: مراكز الدراسات النحوية للدكتور عبد الهادي الفضلي ، ص٤٨ .

المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم .
ـ ابن الأنباري في كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف، الدكتـور محيـي الديـن توفيـق إبراهيـم، الموصـل ١٣٩٩هـ ـ١٩٧٩م .
ـ ابـن جنّـي النحـوي ، الدكتـور فاضـل صالـح السامرائي، بغداد ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م .
ـــ أبو زكريا الفرّاء ومذهبه في النحو واللغة ، الدكتور أحمـد مكي الأنصـاري ، نشر المجلـس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، القاهرة ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م .
ـ أبـو علي الفارسي ـ حياتـه ومكانته بين أئمة اللغة العربيـة وآثـاره في القـراءات والنحـو، الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ١٣٧٧هـ .
ـ إنبـاه الرواة على أنباه النحاة ، جمال الدين علي بن يوسـف القفطـي (ت ٥٧٧هـ) ، تحقيـق محمد أبو الفضـل إبراهيم ، الطبعـة الأولى، مطبعة دار الكتب المصرية , القاهرة ١٣٦٩ هــ ١٩٥٠م.
ـ الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيـين ، أبو البركات بن الأنباري ، تحقيق محمد محيـي الدين عبـد الحميد ، الطبعـة الثانية ،مطبعة حجازي ، القاهرة ، ١٩٥٣م .
ـ الايضاح في علل النحو ، أبو القاسم الزجّاجي،تحقيق الدكتـور مـازن المبـارك ، الطبعـة الثانيـة بيروت، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٨٣م .
ـ بغيـة الوعـاة في طبقات اللغويـين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السـيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٦٤م.
ـ تاريـخ الأدب العربـي ، كارل بروكلمـان ، ترجمة الدكتـور عبـد الحليم النجـار ، دار المعـارف بمصر ١٩٦١م.
ـ تاريـخ بغـداد أو مدينة السـلام للحافـظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، الناشر دار الكتاب



العربي ، بيروت ـ لبنان .
ـ حيـاة الشـعر في الكوفـة إلى نهايـة القـرن الثاني للهجرة ، الدكتور يوسـف خليف ، القاهرة ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م .
ـ الـدرس النحـوي في بغـداد ، الدكتـور مهـدي المخزومـي، وزارة الاعـلام ـ الجمهوريـة العراقيـة سلسلة الكتب الحديثة ، مطبعة السعدون، ١٩٧٤.
ـ الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثاني الهجري، الدكتور أحمد عبد الستار الجواري، بيروت ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م .
ـ ضحى الاسـلام ، أحمد أمين، الطبعـة الثالثة، دار الكتب المصرية ، ١٣٣٨هـ ـ
ـ طبقـات النحويـين واللغويين ، أبو بكـر الزبيدي (ت٣٧٩هـ) ، تحقيـق محمد أبو الفضـل إبراهيم مصر ١٩٥٤م.
ـ العقـد الثمين في تراجم النحويين للحافظ شـمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) تحقيق واعداد د. يحيى مـراد ، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م ، طبع ونشر وتوزيع دار الحديث القاهرة .
ـ في أصول النحو ، سعيد الأفغاني ، الطبعة الثانية، دمشق ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م .
ـ كتاب أخبار النحويين البصريين تأليف أبي سعيد الحسـن بن عبـد اللـه السـيرافي (ت٣٨٦هـ)اعتنى بنـشره فريتس كرنكو ، بيروت المطبعة الكاثولكية ، منشـورات معهد المباحث الشرقية بالجزائر ، خزانة الكتب العربية، ١٩٣٦م .
ـ اللبـاب في تهذيب الأنسـاب، تأليف عـز الدين بن الأثير الجزري ، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد .
ـ مـا ينصرف وما لاينصرف ، أبو إسـحاق الزجّاج ، تحقيـق هدى محمود قراعـة ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، القاهرة ١٣٩١هـ ـ١٩٧١م .
ـ المـدارس النحويّـة ، تأليـف الدكتـورة خديجة الحديثي ، الطبعة الثالثة، مدققة ومنقحة، دار الأمل للنشر والتوزيع ـ أربد ، الأردن،١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م .
ـ مدرسـة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، الدكتـور مهـدي المخزومـي ، بغـداد ١٣٧٤هـ ـ١٩٥٥م .
ـ مراتـب النحويين ، أبو الطيـب عبد الواحد بن علي اللغـوي الحلبي ، حققه محمـد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة ١٩٥٤م .
ـ معجـم الأدبـاء لياقـوت، مطبوعـات دار المأمون، الطبعـة الأخيرة ، دار إحياء الـتراث العربي ، بيروت لبنان.
ـ معجـم البلدان ، ياقـوت الحموي (شـهاب الدين أبي عبد الله الرومي ت٦٢٦هـ) دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، د. ت .
ـ معجـم المطبوعات العربيـة والمعرّبة جمعه ورتبه يوسـف إليـان سركيـس ، مطبعـة سركيس بمصر ١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٨م .
ـ معجـم المؤلفين تراجـم مصنفي الكتـب العربية، تأليـف عمـر رضا كحالـة ، النـاشر مكتبـة المثنى بيروت، دار إحياء التراث العربي.
ـ مراكـز الدراسـات النحويّـة تأليـف الدكتور عبد الهادي الفضلي ، الطبعة الأولى مكتبة المنار،الأردن ـ الزرقاء ،١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .
ـ معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ، أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت ٣١١ هـ) شرح وتحقيق الدكتورعبد الجليل عبده شلبي خرج أحاديثه الأستاذ علي جمال الديـن محمـد ، دار الحديث القاهـرة ، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م .
ـ المقتضب ، أبو العباس المبرّد(ت ٢٨٥ هـ)، تحقيق محمد عبـد الخالق عضيمـه ، عالـم الكتب، بيروت (د.ت) .
ـ نظـرات في اللغـة والنحـو ، طه الـراوي ، الطبعة الأوّلى ، بيروت ١٩٦٢م .

Baghdad grammar school the beginning and development

By: Dr. Huda Naji Al-Budairi
(Center of revival of Arabian science Heritage)
University of Baghdad

Abstract

Advent

The great shift witnessed by Baghdad in civilization and thought has paved the minds of scholars to accept the visual form influenced by philosophy and based on controversy and explanation and protest This was explained in the clearest advent of the Al-Mbbrd (died 285 AH) Baghdad, in his grammar influenced by the philosophy of speech, Baghdad advent was A shift to the grammatical study, Al-Mbbrd almost settled in Baghdad,What in the coolant located even drew the attention of the scholars to himself, they accepted and discussed with him in matters of language and grammar, They saw a new model and a pattern in the lesson they had not given before The days did not end until he joined his council intelligent student Thaealb (died 291 AH), n the vanguard Abu Ishaq Al-Jaraj (died 311 AH), who was cut off from the Thaealb's council by Al-Mbbrd Taking and read to him Seiboye book (died 180 AH).



اللسانيات الحديثة في النحو العربي

د. غانم عودة شرهان*

● المقدمة :

تركـزت الدراســات اللغويــة عند علماء الغرب في العـصر الحديث حول مباحث اللسانيات التي كان من روادها (فرديناند دوسوسير) الذي عرف اللغة على انها نسق قائـم في كل لحظة ومتطور مع الزمن لكنه مسـتحيل فصم تصورها عن تاريخها كمـا ان لهـا جانبا فرديا واخر اجتماعيـا ولكنهما مرتبطـان والارتباط الثالث هو الملاحظ بين التلفظ والفكر وانطلاقا من نظريات دوسوسير اللغوية جدا الباحثون في اللســانيات او منهم من يقول الالســنة اوعالم اللسان. ومما يزيد تعقيد مباحث اللســانيات ان الذين كتبوا عنها من المثقفين العرب تفرقوا شــيعا وطوائف بحسب انتمائهــم الى المدارس الغربية المختلفة فيما بينها وبعضهم انطلق من هذه المدارس وبحث في النحو العربي افتراضا ان نظريات مدرسة اللسانيات قابلة للتطبيق في كل لغة ومنهم اســاتذة وباحثون سعوا الى تجديد مناهج النحو واستهوتهم النظريات اللســانية الحديثة فحاولوا على ضوئها اعادة تنظيــم المعارف النحوية اعتمادا على المعطيات العلمية المتاحة عند علماء اللسانيات .

● المدارس النحوية وظهورها في المشرق والمغرب :

نلاحــظ أن نشــأة اي علم تبرز نتيجة ظروف خاصة، ثــم نجد رواده يضعون لبناته شيئاً فشيئاً غير أن بناءه لا يكتمل إلا على يد شخصية فذة تؤصل قواعده الأساسية وتحكم طرق استثمار فروعه ، والذي يقوم بهذا العمل يسمى عادة إمام هذا العلم،



* جامعة بغداد – مركز احياء التراث العلمي العربي

وإمـام علـوم اللغــة هــو (الخليل بــن أحمد الفراهيـدي الأزدي)، وعـلى يـده قـد تكاملت أسس النحو ومنهجه وقامت اصوله في البصرة في النصف الثاني الهجري مـن القرن الثاني، فكان مـن نتاج فكره أن أملى علـم النحو على تلميذه (سيبويه) الذي دونه وجمعه في كتابه . لقـد بلـغ عـدد العلماء الذيـن عنـوا بالكتاب وتخصصـوا فيـه دراسـة وتأليفـاً وشرحاً ما يقارب المائة في سائر الأقطار العربية المختلفة وأهم هـذه الأقطـار وأكثرها عـدداً من أولئك العلماء بيئـة الأندلس والمغـرب إذ وجد هناك مـا يقـارب الأربعين عالمـاً عني عنايـة كبيرة بالكتاب[١].

أمـا المذهب الثاني للنحـو العربي فقد ظهرت ملامحه على يد الكسـاني (ت ١٨٩هـ) تلميذ الخليـل أيضـاً ، إذ كان الكسـاني رأسـاً لهذا المذهب الجديد ومنظره ، وهو نظير أبي عمرو بن العلاء البصري في كونه أحد القراء السبعة . لقـد بحث موضـوع اللغة في بداية نشـأة علم الدلالة وعلوم الألسـنية بوجه عام وهي مسألة شـغلت جانباً كبـيراً من تفكير العلمـاء قديماً وحديثاً .



إن البحـث في أهـل اللغة من المسـائل الفكرية الصعبـة التي بقـي معها فكر العلمـاء يدور في حلقـة مفرغة، بحيث أتسـمت آراؤهم حول تحديد نشـأة اللغـة ، وأجمع العلمـاء على أن النطـق هو ميـزة الإنسـان الـذي علمـه الله البيان، وبرزت في هذه القصة ثلاثة اتجاهات: اتجـاه يذهـب إلى أن اللغة توقيفيـة طبيعية، واتجـاه يذهب إلى أن اللغة عرفية من الله (عز وجـل) مثل ما قـال أبن فـارس : معتمداً على ما يروي أبـن عباس[٢] اصطلاحيـة ، تواضع عليـه النـاس فتكلمـوا بلسـان واحـد قيل ما أصابهـم في بـرج بابل ؟ واتجـاه ثالث يجمع بـين الرأيين، ولم يتوصـل الباحثون المحدثون إلى اتجـاه يذهبون اليه ، وأصبحت أبحاثهم لا تقدم لمسألة نشأة اللغة أي حل مقنع قد يفتح المجـال أمام جهودهـم ، بـل ازدادت تعقيداً، وحـاول المحدثون مـن جديد حل مـا يكتنف نشـأة اللغات من لغـز ، اعتماداً عـلى مراقبة تطور اللغة عند الأطفـال ، ومحاكاة الأصوات اسـتقاها الإنسـان من الطبيعـة ، تدعم رأيها بوجود ألفـاظ مأخوذة من أصـوات تصدرها عنـاصر من الطبيعـة، كالزقزقـة ، والخرير ، والخفيف ،والعـواء ، والمواء وما إلى ذلك ، رأي مماثـل إليه نظرية الأصوات العاطفية ، وتفيد أن الكلمات الأولى التي نطق بها الإنسان كانت أصوات عاطفية تعبر عن ألم أو دهشة أو فرح وغير ذلك [٣].

● **قضية اللغة**

شـغلت اللغة جانباً كبيراً من تفكير الإنسـان، منـذ فجـر التاريـخ ، واقترنـت نشـأة الخلق والكون بالكلمة ، وبين الدين قداستها ، وعرفت الحضـارات قوتها وأجمع البشر على أن النطق هو ميزة الإنسـان ، الذي علمه البارئ البيان ، وعلم آدم الأسـماء ، وابتـكار اللغات وأصولها كان موضع اهتمام بالغ من طرف الفلاسفة ، والمؤرخين ، وعلماء الطبيعة ، ويتسـاءلون هل هي توقيف من الله (عز وجل) مثلما يقول أبن فارس معتمداً على مـا يروى عن إبن عباس ؟ أم هــي اصطلاح تواضع عليـه الناس فتكلموا بلسان واحد قيل ما أصابهم في برج بابل ؟[٤]. بحث موضوع اللغة في بداية نشأة علم الدلالة وعلـوم الألسـنية بوجـه عـام ، مـن الجانب

التاريخي حيث اتسع مجال البحث في نشأة اللغة ، وهي مسألة شغلت اهتمام العلماء قديماً وحديثاً ، أما في المرحلة الثانية فقد بحث موضوع اللغة بمنهج وصفي آني وهو منهج يأخذ دراسة اللغة من جانب الداخلية باعتبارها اللغة نظاماً من الرموز اللسانية أو مجموعة من الأصوات الدالة . كما تناول علماء الدلالة وظائف اللغة والنواميس الخفية التي تتحكم في نظام بنيتها (٥).

وحاول المحدثون من جديد حل ما يكتنف نشأة اللغات من لغز ، اعتمادا على مراقبة تطور اللغة عند الأطفال ، وعلى دراسة الشعوب البدائية . وقدموا نظريات متضاربة بعضها يجعل اللغة بدأت بمحاكاة الأصوات المسموعة في الطبيعة ، وبعضها يعود بها إلى ضرورة التعبير عن الانفعالات الداخلية من فائض فرح أو ألم أو استغراب ، ومنهم من يراها وليدة حاجة التواصل عند الإنسان في حياته الاجتماعية .

● الدلالة اصطلاحاً :

هي (كون الشيء بحاله يلزم من العلم به العلم بشيء آخر والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول)(٦) .

فإذا نظرنا في جميع اللغات وجدناها تشتمل على ألفاظ عديدة ، واللفظ هو الصوت المعتمد على المخرج مطلقاً(٧) ، سواء دل على معنى مثل : كتب ، أو لم يدل على معنى ، كالألفاظ المهملة(٨) ، والذي يهم الباحث اللغوي هو اللفظ الدال على معنى ، لأنه هو الذي يؤلف التركيب اللغوي.

وقد اهتم العلماء القدماء والمحدثون بدراسة دلالة الألفاظ(٩)، ولعل ظهور المعاجم بمختلف أنواعها منذ بدء الدرس اللغوي أكبر دليل على هذا الاهتمام، وللمفسرين مشاركة قيمة في هذا النمط من البحث وذلك من خلال تفسيرهم ألفاظ القرآن الكريم، وكان الذين تعرضوا لقضايا وثيقة الصلة بمباحث الدلالة، عرض لها خلال تفسيره آيات القرآن الكريم وألفاظه ولم يتعرض لتعريف الدلالة ، ولكنه اكتفى باستعراض بعض ظواهرها ،إذ أورد البحث منها الظواهر الآتية :

إن الباحثين لما بحثوا في أصول اللغات وجدوا مسائل شديدة التعقيد لا تخضع لوسائل البحث التجريبية فكادوا يجمعون على أن اللغة جاءت نتيجة لمواضع بشرية مع الاعتراف بأن قضية التوقيف والاصطلاح تعني فلاسفة اللغة ، وليست من صميم مباحث النحو الذي يتناول بالوصف والتقويم قواعد لغة معينة قد كمل بناؤها وعرف نظامها .

إن الدرس الدلالي الحديث يهدف أساساً إلى التعرف على القوانين التي تشرف على النظام اللغوي، وذلك بتحليل نصوص لغوية يقصد ضبط المعاني المختلفة بأدوات محددة وفي هذا سعى إلى تنويع التراكيب اللغوية لأداء وظائف دلالية معينة ، وهذا التنويع هو الذي يثري اللغة إثراء يحفظ أصول هذه اللغة ولا يكون حاجزاً أمام تطورها وتجددها ، ويمكن في خضم هذا البحث على النواميس الخفية "خلق" نواميس لغوية جديدة تشرق على النظام الكلامي والخطابي بين أفراد المجتمع الواحد; يقول عبد السلام المسدي شارحاً ذلك بتعريفه لدور النحوي : "أما النحوي – نعني فقيه اللغة بالاصطلاح المطرد- فمرامه أن يعي وجود اللسان من خلال وجود الكلام ،



ويأتي عالم اللسان ليكون همه الوعي باللغة عبر إدراك نواميس السلوك الكلامي)[١٠] ، ثم قسموا وحدات الجملة النحوية إلى الكلم وهو الأسماء والأفعال والحروف .

● **دور سوسير ونشأة علوم اللسان**

في أوائل القرن العشرين ، تركزت الدراسات اللغوية عند علماء الغرب ، في مباحث كان من روادها فرديناند دوسوسير ،وكان أول من وضع نظرية لسانية تم عن فهم عميق لطبيعة العلاقة اللسانية ومدلولها، إذ يقول توليودومورو (Twllio de Mawro) وهو يعاني هذه المسألة في كتاب سوسير "محاضرات في اللسانيات العامة " "إن سوسير وجد في مبدأ اعتباطية العلامة اللساني، ما كان يصبو إليه من أجل إرساء نظرية لسانية، إضافة إلى أن سوسير في سياق حديثه عن اعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول ... في بدء إلقاء دروسه على تلاميذه لم ينته سوى من الخطوة الأولى في طريق الفهم العميق لمبدأ الاعتباطية هذا يعني أن المفهوم العميق لهذا المبدأ عند سوسير ، لا ينبغي تحديده انطلاقاً من بعض صفحات الكتاب لكن من قراءته كله"[١١] أن يبرز مجموعة من القواعد اللغوية العامة، استنبطها من تحليلات علمية قام بها ، استهدفت دراسة مكونات اللغة لِمَيْزِ ما يعود منها إلى الظواهر الفسيولوجية، كانطلاق الصوت من جهاز الفم وتلقيه من جهاز السمع، ثم إلى الظواهر الفيزيائية مثلارتجاجات الصوت المنطلق عن الأفواه إلى الآذان . وأخيراً إلى الظواهر النفسانية مثل اقتران الصورة السمعية بمفهوم المنطوق، ثم لاحظ دوسوسير ما تضمنته اللغة من ارتباطات بين وجوهها المتعددة، فقال "إنها نسق قائم في كل لحظة ومتطور مع الزمن، لكنه يستحيل فهم تصورها عن تاريخها مثل ما يدور في لعبة الشطرنج ، كما أن لها جانباً فردياً وآخر اجتماعياً ولكنهما مرتبطان والارتباط الثالث هو الملاحظ بين التلفظ والفكر"[١٢].

وله كلام مطول عن الفرق بين اللغة والكلام بوصفها مؤسسة مستقلة وهو بمثابة تعبير عن إرادة معينة.

وانطلاقاً من نظريات دوسوسير اللغوية جدّ الباحثون في اللغويات إلى إصدار علم جديد أطلقوا عليه : اللسانيات، (ومنهم من يقول الألسنية) أو علوم اللسان وأرادوا له أن يكون مستقلاً في منهجه مختصاً بقواعده العامة، ومصطلحاته الخاصة ، ثم إنهم فرضوه على النحو فرضاً.

يختلف دوسوسير كثيراً عن تشومسكي في طبيعة النظام اللغوي ضمن اللغة أو القدرة إلا أن التمييز النظري واحد عندهما فكلاهما معني أساساً ، وكذلك نحن ، باستبعاد ما هو فردي أو عرضي بحت (الكلام أو الأداء) وبالإصرار على أن الدراسة الصحيحة للسانيات هي دراسة اللغة أو القدرة ، غير أن اللغة أو القدرة عند كل من دوسوسير وتشومسكي نوع من النظام النموذجي بدون أية أسس تجريبية واضحة [١٣] ، وانتُفع بعمل سوسير طائفتان من الناس ، كونت كل طائفة منهما مدرسة لغوية ذات منهج خاص.

أما المدرسة الأولى مدرسة "براغ" فقد وجهت اهتمامها إلى ربط أصوات اللغة بالدلالة

والمعنـى، واخترعـت فكـرة "الفونيـم" لهـذا الغرض .
أما المدرسة الأخرى فهي مدرسة "كوبنهاجن" وقد عنيـت بطبيعة العلاقـة اللغوية ، فجعلت طريقهـا إلى فهم هـذه العلاقة تفكـيراً مجرداً قريب الشبه من التفكير المنطقي غير اللغوي.
أما في أمريـكا فلم تكـن "الفيلولوجيا" نقطة البداية في نشـأة الدراسـة اللغويـة ، وإنما بدأ الأمريكيون من الدراسـات الانثويولوجية التي قاموا بها في مضارب القبائل الهندية الحمراء ، إذ كان بعض هذه الدراسـات يمس لغات هذه القبائل ، وعلى الرغم من اختلاف نقطة البداية وجدنا الإطار العام لأفـكار "بلومفيلد" إطاراً رصيناً لا يختلف كثيراً عما جاء به دوسوسـير، غـير أن مدرسـة بكومفيلد عُنيـت بالمبنى على حسـاب المعنـى ، إذ لا نجد لهذه المدرسـة ولا لخلفائها عناية خاصة بدراسة المعنى . ويرجع ذلك إلى تشـبع هذه المدرسة بأفكار علم النفس السلوكي وارتباطها بالتحولات المادية[١٤].
ومـع أن علـم النحـو ليس مادة سـهلة في حد ذاتهـا ، لأنه وسـيلة معرفة لغتـه التي ينطبق عليهـا ، ولا يتـم اسـتيعابها إلا بأحـكام هذه اللغـة، فالدارس للغـة لا يمكـن أن يتقنها إلا إذا عـرف نحوهـا، ولـن يعرف نحوهـا إلا إذا أتقنهـا ، وهذا "الدور" مـن أحرج الصعوبات المنهجيـة التي تواجـه دارس النحـو، زد على ذلك دقة المفاهيـم النحوية وغموضها ، ووفرة المصطلحات واختلافها وتعارض النظريات في الأقيسة والتعاليل.
وكأن النحـو لـم يكتـفِ بهـذه الصعوبـات الطبيعيـة، فها هي اللسـانيات الحديثة تضع عليـه ما تنوء بـه العصبة أولي القـوة ، فيقول زعماؤهـا إنه لابد مـن مواجهة أسـس التراث النحوي ، ووضع تصور جديد مبني على وجود نحو علمـي لجميـع اللغات، ولا بـد من تقبل نظريـات جديـدة تحمـل أسـماء والتحويلية التوليدية، ولا بد من تقبل مصطلحات جديدة، ورمـوز حرفية للقيـام بعمليـات مماثلة لتلك التـي نراها في المعـادلات الرياضية ، ولا بد من تصور مشجرات تمثل رسوماً للقواعد الجديدة التـي علينا أن ندرسـها . ومما يزيـد من هذه المصاعب ، حدة الشـقاق بين زعمـاء المدارس اللسـانية، واعتبار كل واحد منهم هو صاحب الحق الأصوب[١٥].
ومـن يقرأ مـا كتبه بعـض نحاة العـرب عن اللسـانيات ، تتبـادر إلى ذهنـه ، عبـارة أحـد المسـتشرقين، الـذي وصـف التعريـب بأنـه "حصان طـروادة للتغريب"[١٦] وهو يعني أن مصطلحاتهـم مترجمة من لغة غـير العربية، وأن إدراك مفاهيمها يتوقف على دراسة النظام الذي وردت في ضمنه. وإذا طالعنا مصطلحات أخرى مثل المورفام والمكون الفونولوجي ، فإنه يتضـح لدى القارئ أن عليـه فكرياً من مأثور النحو العربي إلى تصور النحو في محيط فكري بعيـد عمـا ألفه من قبـل وإذا لجـأ القارئ في اللسـانيات إلى كتابات علماء معروفين برسوخ القدم في النحو العربي مثل الدكتور عبد القادر المهيري فإنه قد يقرب شيئاً ما مما عهد ، إلا أنه مع ذلك سوف يقرأ عن "اللفاظم" و"الهواتم" ويلاحظ أن الكاتب مضطر في اغلب الأحيان أن يضع إزاء المصطلح مقابلة في اللغة التي ترجم منها[١٧].
وإن في هـذه المحاولات التجريبيـة ، لدليلاً على أن علم اللسـانيات لم يمتزج بعد بجسم النحو

العربـي، ولسـنا نـدري هـل يسـتقبل النحو العربـي تلك العنـاصر الأجنبية التـي يحاول اللسـانيون أن يوزعوها في جسمه، لأن السؤال الوارد في هـذا الميدان هو : هـل النحو العربي في حاجـة إلى تطبيق النظريات أو الوظيفية أو التوليدية التحويلية ؟[١٨].

وقـد أجـاب عن هـذا السـؤال الدكتـور عبده الراجحي بالإيجاب والقبول معتقداً أن المقارنة بين الدراسات اللسانية تعين على التحرك نحو منهـج علمي لدراسـة اللغة العربيـة ، ويتفق معـه في هـذا الـرأي الدكتـور ميشـال زكريا الـذي يقول : "إن النظريات الألسـنية العلمية الحديثـة تكون في نظرنا التقنية المتطورة التي تتسـلح بها لسـير قضايا اللغـة وتوضيحها" ويزيـد قائلاً : "فالخليل وسـيبويه وابن جني قد حللـوا اللغة من منطلقـات علمية بالإمكان اعتبارها متطورة جداً بالنسبة لعصرهم ، مما يبين لنا أن المفاهيم الألسـنية المتطورة ليسـت دخيلة على الـتراث العربي ، فالمطلوب الآن هو إعـادة النظر مجدداً في طرائق التحليل اللغوي العربـي، على ضـوء التطور العلمـي الحاصل في مجال الألسـنية الحديثة والسعي إلى إيجاد السـنية عربية تغدو قادرة على تفهم القضايا اللغوية"[١٩] .

● تأثر الباحثين العرب بمدرسة تشومسكي:

لا يخفى على كل من لديه سـعة علم في النحو، بـأن أكثـر الباحثين العـرب تأثـروا في النحو مباشر بمدرسـة تشومسـكي التحولية ، ولقد اتفق الوصفيون ، سـواء سوسـير والبراغيون والكوبنهاجيـون والامريكيون على أن يصطبغ الوصـف عندهـم بالطابـع التصنيفـي ، وأن يرتبـط عندهـم بلغـة واحـدة بعينهـا ولكن مدرسة أخرى حديثة نشأت في أمريكا على يدي تشومسـكي تسمى بـ "المدرسة التحويلية" لا تقف عنـد حدود التصنيـف ولا ترتبط باللغة الواحدة . فهي تدرس الملكة الإنسـانية العامة وقدرة الإنسان على اسـتعمال اللغة ، ونحاول أن نبني نحواً يقوم على أساس من هذه الملكة ، ويستوحي المذهب العقلاني في الفلسفة.

● ويمكن تخطيط الصلة بين هذه المدارس على النحو الاتي :

لقد أحدث تشومسـكي ثورة في اللسانيات لأنه قـوض دعائم علم اللغـة الحديـث الوصفي ، وأقام بناء يختلف في أصوله لاختلاف نظرته إلى طبيعة اللغة. لقد درس تشومسـكي علم اللغة والرياضيات والفلسـفة في جامعة بنسيلفانيا ، وزاول النشاط السـياسي في الجامعة اليهودية الراديكاليـة ، فكان يميل إلى الاشـتراكية ، وقد أثـرت نزعتـه الثورية في الساسـة على توجهه اللغوي .

● توجيهه اللغوي :

نشـأ تشومسـكي في مدرسـة تطبـق طريقة بلومفليـد في البحـث اللغوي ، التـي أرادت أن يكون علم اللغة مستقلاً يرفض كل المواد التي لا تخضـع للملاحظـات المبـاشرة ، وللقيـاس الطبيعـي ، واعتـبر دراسـة "المعنى" اضعف نقطـة في علـم اللغـة ، وحـاول إخراجها من نطـاق البحث ، وقصره على الأصـوات والنظم على أساس شكلي[٢٠] .

رفض تشومسـكي هـذا المنحنى الـذي يعامل الإنسـان باعتبـاره آله تتحرك حسـب قوانين تحددهـا مواقـف معينـة، واعتـبر أن النحـو الوصفـي عنـد بلومفليـد لا يمثـل إلا أنماطاً

شـكلية ، لا تقدم شيئاً يتصل بالإنسان بصفته إنسـانـاً ، فالإنسان إذا ما جرد من المعنى ، ومن العقل ، في وصف سطحي لملكته اللغوية ، فإنه يسقط في مستوى المادة ، بينما ينبغي أن يكون الهدف من الدراسة اللغوية أن تعيننا على فتح طبيعتـه البشرية . أو ما نرى الأطفال في سـن خاصة يسـتطيعون أن ينطقـوا كل يوم مئات من الجمل لم ينطقوها من قبل ، ويستطيعون أن يفهموا جملاً لم يسـبق لهم أن سـمعوها ، ممـا يدل على وجود أصـول عميقة في التركيب الإنساني تجعله يتميز بهذه القدرة ، فعلينا أن نبحـث عنها وفيها بالعمـق . وهو يرى نتيجة لذلك أن هنـاك مبادئ مشـتركة في كل اللغات الإنسـانية تمثل عنصراً أساسـياً مـن الطبيعة البشريـة ، ووصـف البنية السـطحية لايوصل إليهـا ، فـلا بـد أن تسـعى إلى معرفـة بنيتها العميقة .

وعلى هذا الافتراض ، بنى تشومسـكي نظرية ، تقوم على المبادئ التالية :

أولاً: إن كل لغـة تتكون مـن مجموعة محددة مـن الأصوات (أو مـن الرمـوز الكتابية) ومع ذلك فإنها تنتج جملاً لا نهاية لها .

ثانيـاً: ولهذه اللغـة جانبـان ، أحدهما الأداء اللغوي الفعلي ، فهو ما ينطق به الإنسان فعلاً، وهو يمثل "البنية السطحية" للكلام الإنساني والجانـب الثاني هـو "الكفـاءة الكامنة" عند المتكلـم والسـامع وهـي التـي تمثـل "البنية العميقة للكلام" .

وإلى هـذه السـنن اللغويـة ذاتها أشـار توام تشومسـكي في سـياق حديثـه عـن البنيـة السطحية والبنية العميقة للغة ، محدداً مسألة الأداء الكلامـي والكفايـة اللغويـة التـي تتيح للفرد التوصل إلى نسـج جمل كثـيرة وجديدة بواسـطة مـا يعمـل ذهنه مـن قواعد وسـنن لغويـة ، بشرح ريمون طحـان هذه العملية اللغويـة بكيفيـة مفصلة فيقـول : "إن البنى السـطحية نتيجة آليه وميكانيكية لبنى كانت في الأعمـاق ودفعتها اللغة إلى السـطح ، ويبدو أن البنى العميقة هي أسس التفكير وهي التي تسـتوعب المفاهيم ، وأن البنى السطحية تقوم فقط بصوغ المفهوم على شكل جملة أصولية ، ويبدو أن هناك تماثلا بين هياكل اللغة وهياكل الذهن ، وتصبح البنى الفكرية الخفية ، قوالب لغوية بـارزة واللسـان مرآة صادقـة تعكس صورة الفكر "[٢١].

إن اطـلاع تشومسـكي عـلى كثير مـن العلوم ولاسـيما الفلسـفة وعلـم النفس جعلـه يفتح نوافذ أغلقتها عواصف الحداثة المتوحشة برداء اسـتقلال اللغة وموضوعيتها ، وبعض آخر لم يفتح لقصـور الدرس اللغوي عن بيان أفكاره الرئيسية في الغرب .

فقد تأثر تشومسـكي بآراء المدرسـة الفلسفية العقلانيـة التي سـادت القرن السـابع عشر ، التي كان الفيلسـوف "ديكارت" ، من أشـهر أعلامهـا ولذلـك كانت آراؤه عـن طبيعة اللغة عتيقة للغاية ومناقضة تماماً للسـطحية التي تميـزت بها آراء اسـلافه المباشرين في النصف الأول من القرن العشرين[٢٢].

● **عبد القادر الفاسي القهري :**

عبد القادر الفاسي من مواليد (١٩٤٧ ، فاس)، عالـم لسـانيات وخبـير دولي مغربي وأسـتاذ باحث في اللسـانيات العربية المقارنة ، ورئيس جمعية اللسـانيات بالمغرب حائـز على جائزة الاسـتحقاق الكـبرى للثقافة والعلوم ووسـام



العـرش من درجـة فارس ، تسـلمها من الملك الحسن الثاني .

● **فـكره:**

يرى عبد القـادر الفاسي القهري أن المغرب لم يعرف تاريخاً لغوياً قسرياً ، تدخلت فيه بالقهر والإرهاب لغـرض لغة معينة عـلى المواطنين ، بـل أن المقاربة تنبئ تلقائياً عـن هوية ثلاثية التركيـب ، تجلت مرتكزاتها الأساسـية الثلاث قبـل الإسـلام والعروبة والمروءـة ، ويقول أنه من حسـن حـظ المغاربة أنهم لم يسـلكوا منذ البـدء غير طريق الاختيـار ، ولم يوقفوا القسر أو القهـر في سياسـاتهم اللغويـة فظلوا بذلك متحديـن وموحديـن ومتماسـكين في نفـس الوقت، حسـب قوله : "...اللغة هوية وسـيادة فحسـب ، بل هي أيضاً أداة للتنافس المرجعي الفكري والثقافي والمتوقع الاقتصادي والإعلامي والرقمي ، علاوة على التوقع السـياسي ، فاللغة ليست مشـكلاً ثقافياً أو علمياً أو تقنياً فقط ، طبعاً هذه المشاكل لها أهميتها ، ولكن المشكل بالدرجة الأولى سـياسي ، فالأمر يتعلق بسيادة الدولـة ولا نهـوض ولا تنميـة ، دون تحقيق الكرامة للإنسـان وحق المواطـن في لغته جزء من كرامته .

● **آراء عبد القادر الفاسي القهري :**

وقد اختلفت نظرة معتنقي ومناصري مدرسة تشومسكي حول اللغة العربية وحول توظيف التراث النحوي ، في وصف اللغة العربية .

● **ومن آرائه :**

أولاً: أن اللغـة العربيـة لا تتميـز بخصائص لا توجـد في لغات أخرى بـل تضبطها القواعد والمبادئ التي تضبط غيرها من اللغات .

ثانيـاً: أن توظيف الـتراث في بناء نحو يصف اللغة العربية غير ضروري .

ثالثاً: أن الآلـة الواصفة الموجودة عند القدماء غير لائقة من كثـير الأحوال ، ولقد أوضح هذه المقولات في النصوص التالية :

دأب الدكتـور عبد القادر القهـري على الدفاع عن القطيعة مع التراث النحوي ، وسعى جاهداً لتسويغ هذه القطيعة ، يقول مثلاً : "فالنماذج الغربية أثبتت كفايتهـا الوصفية وليس هناك ما يمكن أن يشكك فيها بهذه السطحية"[٢٣].

ثم يؤكد بوضوح رفضه للتراث اللغوي فيقول: "إلا أنه خلاف لـمـا يعتقد ، ليس هناك ضرورة منطقيـة أو منهجية تفرض علينا توظيف هذا التراث"[٢٤].

ويضيـف معممـاً : "لا ضرورة منهجيـة ولا منطقيـة تفـرض الرجـوع إلى فكـر المـاضي وتصنيفاته ومفاهيمه لمعالجة مادة معينة"[٢٥].

إن الدفـاع عن القطيعـة من الـتراث النحوي العربـي غـير مسـوغ اسـتيولوجيا، فهـذا تشومسـكي مؤسـس نظرية النحو التوليدي التحويلي التي يتبناها يعترف بأن مرجعيته في ثورته اللسانية كانت في جانب مهم منها إحياء لـمـا قال به نحاة يور روايال، ولافكار ديكارت، وأنـه أفـاد كثيراً مـن قراءاتـه لنحـو القرون الوسطى وفي مقدمة ذلك النحو العربي والنحو العـبري الذي تأثـر بالنحو العربـي ، كما هو معروف، كما أنه اعترف بأنه في مرحلة ما أكب على قراءة سيبويه ، وأن كثيراً من الأفكار التي يحملهـا نابعة من قراءاته لهـذا التراث ، وهو يرفض بصريـح العبارة ما يسـمى بالقطعية الابستيمولوجية [٢٦] .

هذا مـن ناحية أخرى ، فإنني اعتقد ان الدفاع عن القطيعة مع التراث النحوي العربي يستلزم

أن صاحب الدعوى عارف بهذا التراث النحوي العربي الذي يدعو إلى القطع معه؟

● **تصور مخطئ للغة العربية :**

"ليست العربية كما يدعي بعض اللغويين العرب لغة متميزة تتفرد بخصائص لا توجد في لغات أخرى لا يمكن وصفها بالاعتماد على النظريات "الغربية" التي بنيت لوصف لغات أوروبية ، بل العربية لغة كسائر اللغات البشرية ، فاللغة العربية بصفتها "لغة" تنتمي إلى مجموعة اللغات الطبيعية وتشترك معها في عدد من الخصائص "الصوتية والتركيبية والدلالية" ، وتضبطها قيود ومبادئ تضبط غيرها من اللغات، وكونها عربية لا يعني أنها تنفرد بخصائص لا توجد في أي لغة من اللغات، بل لا نكاد نجد ظاهرة في اللغة العربية إلا وتجد لها مثيلاً في لغة أخرى ، هندو أوروبية كانت أو غيرهندو أوروبية"[٢٧].

● **تصور مخطئ للتراث وبقول الفاسي القهري:**

"ننظر من البحث اللساني العربي أن يهتم بجوانب ثلاثة أساساً : حاضر اللغة العربية، وتاريخها ، وتاريخ البحث فيها ، والجانب الثالث هو ما تدعوه أحياناً بالتراث اللغوي (اللغوي ، النحوي ، البلاغي) وبالفعل ، فقد سار البحث اللساني في اتجاهين :

الاتجاه الأول: أسميناه بلسانيات الظواهر : تجسد في محاولة بناء انحاء (أو أجزاء منها) للغة العربية الحالية ، أو اللهجات العربية الحالية"[٢٨] إلا أن قليلاً جداً من الأبحاث ما أهتم بنحو اللغة العربية القديمة، وهذا الاتجاه برمته غير منتشر على كل حال في العالم بل جل متزعميه يوجدون في الغرب أو درسُوا هناك .

الاتجاه الثاني: اهتم بدراسة التراث النحوي، اللغوي ، البلاغي ، واقترح قراءات متعددة لهذا التراث ، وهذه القراءات على نوعين قراءات تقف عند شرح المادة الموجودة في التراث وتنظمها ، وقراءات تحاول أن تنقل مما هو موجود في هذا التراث بقية والخروج به إلى الحاضر ، القراءات من النوع الأول نفهمها على أنها مساهمة في التعريف بالتراث وإحيائه وتسهيل الإطلاع عليه ، والقراءات من النوع الثاني مساهمة في تاريخ الفكر اللغوي القديم، علماً بأن هذا العمل يكون ضرورة ، ذا أبعاد نظرية محدودة، وإنها لابد من احتياطيات منهجية على النتائج التي تصل إليها مثل هذه الأبحاث ، نظراً لأن القارئ غالباً ما سقط فيما هو محمل به من تصورات ، ويجد في التراث ما لم يكن فيه في ظروفه التاريخية ، وما لم يكن في المنظومة المعرفية لعصره .

تصور مخطئ لبعض التطبيقات النحوية لمنظور النحاة في صدارة أدوات الاستفهام ، التي عبر عنها الفاسي بالبنى الاستخبارية ، يقول الفاسي : الاستفهام في اللغة العربية إما بحروف (الهمزة وهل) أو بأسماء (مَن ، مَا، متى) وتختص الأسماء باستفهام التصور بينما تكون الحروف للتصديق أصلاً ، وتكون الهمزة أيضاً ، وفي منظور النحاة هذه الأسماء والحروف لها الصدارة ، وإن كان هذا غير صحيح في جميع الأحوال ، فالأسماء التي اعتبرها مركبات اسمية أو حرفية أو ظرفية (لأنها تقوم مقامها) قد تظل في مكان داخل الجملة دون أن نتصورها وذلك في نوعين من الاستفهام : الاستفهام – الصدى (وهو استفهام يكرر الجملة الخبرية محافظاً

علــى الرتبة فيها) والاســتفهام المتعــدد (وهو استفهام تصوري ينصب على أكثر من مكون) ونجد أمثلة لذلك فيما يلي:
جاء مَنْ ؟ (ينبر مَنْ) ، من ضرب بماذا ؟
فإذا عرفنا من يرجــع له الفضل في ماذا امكن ان نحكم بتصبر ، وهذا ما يوحي بأن المركبات الأسمية أو الحرفية الاستفهامية توجد أصلاً في داخل البنية الجميلة ثم تنتقل إلى مكان وصفه بعض النحاتين صدر الكلام ، ولكن هذا يحتاج إلى تدقيق[٢٩].

● اللسانيات الوظيفية مدخل نظري احمد المتوكل :

ومــن الباحثين في هذا الميــدان ، الدكتور احمد المتوكل الذي ســعى إلى انشاء تيار مستقل عن المدرســتين التقليديتــين ، مدرســة الوصفيين البنيويين ومدرســة النحو التوليدي التحويلي ، فكانت جهوده منصبة على ما سماه باللسانيات الوظيفية.

وفي كتابــه عــن المدخــل النظــري للســانيات الوظيفية قدم عينات مــن التحليلات المفتوحة في إطــار النحو لبعــض الظواهــر المركزية في اللغــة العربيــة ، وتنميطــاً للجملــة العربية ، نورده فيما يلي:

يقــول الأســتاذ المتــوكل صلوا تنميــط الجمل فاللغــة العربيــة : تقســم الجملــة مــن حيث عــدد الحمول التــي تتضمنها قســمين : جملة "بســيطة" وجملة "مركبة" تنتمي إلى القسم الأول الجمــل التي تتضمن حملاً واحداً في حين تنتمي إلى القسم الثاني الجمل المتضمنة لأكثر من حمل واحد ، ومن أمثلة جمل القسم الثاني التالية:

أ- سافرت هند – أتدري ؟ إلى مراكش.
ب- دخل خالد الغرفة وغادرها عمرو.
ج- نشر خالد كتابه الذي ألفه السنة الماضية.
د- يتمنى خالد أن تنجح هند.

ويمكــن تقســيم الجمــل المركبــة ، بالنظر إلى طبيعــة ترابــط الحمــول التــي تتضمنها ، إلى الأنماط الجملية التالية :

أ- يمكــن أن تتــوارد في نفــس الجملــة حمول متعددة بعضها عن بعض، ويحصل هذا النوع مــن التواجد بين الحمول في نمطين من الجمل، الجمل المتضمنة لحمل "اعتراضي" كالجملة (أ) والجملــة المكونة من حمول متعاطفة كالجملة (ب) إلا أن ثمــة فرقــاً بين هذيــن النمطين من الجمل إذ أن الحمول المتعاطفة، رغم استقلال بعضها عن بعض ، ترتبط فيما بينها بواسطة رابــط بنيــوي ، أداة العطــف ، في حين أنه لا يربط الحمل الاعــتراضي بالحمل المعترض أيَّ رابط بنيوي.

ب- في مقابــل ذلك ، يمكــن أن يتوارد في نفس الجملــة حملان مدمج أحدهما في الآخر كما هو الشأن بالنسبة للحملين المتواردين في الجملتين (ج) و(د) ، في هــذا النمط من الجمل تنقســم الجملــة إلى حمــل رئيــسي (أو حمــل مدمج) وحمل نوعي (أو حمول فرعية) .

وتنقســم الحمولــة المدمجة إلى حمول تشــكل حــدوداً بالنظــر إلى محمــول الحمــل الرئيسي وحمول تشكل أجزاء للحدود ، فالحمل المدمج الــوارد في (د) حمــل – حَدَّ إذ أنه يشــكل الحد المفعول بالنســبة للحمل الرئيسي "يتمنى" في حين أن الحمــل المدمج الــوارد في الجملة (ج) جزء من الحد المفعول .

كما يمكن تقســيم الحمــول الحدود إلى حمول – موضوعات وحمول – لواصق تمثل للحمول

الموضوعـات الجملـة (د) وللحمـول اللواحق الجمل (أ – ج) :
أ- غادرت هند الغرفة قبل أن يدخل خالد .
ب- غنت هند لتطرب خالداً .
ج- إذا دخل عمرو القاعة غادرها خالد[٣٠] .
يمكن توضيح التنميـط الذي نقترحه للجمل ، في إطار النحو الوظيفي[٣١].
وبعد هذه الكلمة الموجزة عن مبادئ اللسانيات العامـة، ومواقف بعـض الباحثـين العرب في محاولـة تطبيقها عـلى قواعد النحـو العربي، ومـن النحويين الذيـن عنوا في دراسـة النحو العربي ومناهج اللسـانيات الحديثة في دراسة اللغة العربية الدكتور عبده الراجحي والدكتور تمام حسان وسنسلط الضوء عليهما.

● **اللسـانيات والنحـو في نظريـة الدكتور عبده الراجحي :**

يعـد الدكتور عبـده الراجحي، مـن النحويين العرب، الذين اهتموا باللسـانيات وقارنوا بين منهـج الوصفيـين والتحويليـين وبـين النحو العربـي والتقليـدي، ويقول إن هـذه المقارنة ضرورية في فهم المنهج عند العرب، وفي التحرك نحو منهج علمي لدراسة العربية .
وفي معرض مقارنـة النحو التقليـدي بالنحو الوصفي، لاحظ الراجحي، أن الوصفيين انتقدوا النحو التقليدي الأرسـطي، بأنه يهتم أساسـاً بمعرفة العلة ، بينما يكتفي الوصفيون بتقرير الحقائـق اللغوية حينما تـدل عليها الملاحظة دون محاولة تفسـيرها بتصورات غير لغوية، وأنـه اعتـبر الجملـة الخبرية "أسـاس البحث اللغوي" وحدد أقسام الجملة حسب وظيفتها في هذه الجملـة، أما النحو الوصفي فيؤكد على ضرورة تنـاول كل "النطـوق اللغويـة" عـلى ميـزان واحـد في البحث، وأن النحـو التقليدي لم يميز بـين اللغة المكتوبة واللغـة المنطوقة ، كما خلط مسـتويات التحليل اللغوي، فتداخل التحليل الصوتـي والصرفي والنحـوي تداخلاً أدى إلى التناقض في الأحكام .
ولمـا انتقل المنهـج الوصفي إلى دراسـة النحو العربـي ، ظهرت في المؤلفات الحديثة انتقادات ارتكزت على القضايا التالية :
أولاً: تأثـر النحـو العربي بالمنطق الأرسـطي وهي قضية ناقشـها المؤلـف ، ووصل فيها إلى النتائج التالية:
أ- إن المنطق الآرسـطي لم يكن معروفاً معرفة كافية أيام الخليل وسيبويه ، ولكن ذلك لا يعني أن هذا المنطق كان بعيداً عن أيديهم في شكل ما وقال إننا نستطيع أن نغفل عن أوجه التشابه بين المنطق والنحو في هذه الفترة ، وبخاصة في قضيـة التعليل، وهي تمثل عنصراً أساسـياً في المنهج النحوي عند العرب .
ب- إن تأثير المنطق الأرسطي كان أكثر وضوحاً في القـرون التاليـة، في التصنيـف والتعريـف والاصطلاح.
ج- إنه من "غير المنطق" أن يتأثر النحو تأثيراً كاملاً بمنهج أرسطو في المنطق لاختلاف الغاية في كل منهمـا ومن ثـم رأينا "الجملـة – التي هي معقـد الـدرس النحوي مختلفـة اختلافاً تاماً عنها عند أرسـطو" فالجملة عند أرسطو هي الجملة الخبريـة والمحمول مقدم فيها على الموضوع ، وفي النحو العربي خبرية وقد تكون إنشائية .
د- إن رفض النحاة اسـتخدام المنهج المنطقي كمـا تدل عليـه المناظرات المنقولـة في الكتب ، ومخالفة النحاة لبعض آراء أرسـطو ، كل ذلك

لا يدل على أن المنطق كان بعيداً منهم ولكنه في الحق كان مد ذراعهم .

هـ- إن وجـود الأثر المنطقـي في النحو العربي دليل على مكانـة الجانب العقلي في هذا النحو، وهو جانب كان موجوداً مع الجانب النقلي، في المناخ العالم السـائد في البيئة الإسـلامية وقت نشـأة هذه العلـوم وازدهارهـا ، ووجود هذا الجانـب العقلي، وخاصة في مظهـره المنطقي كان عنـصراً أساسـياً من عنـاصر النقد الذي وجهه المحدثون إلى النحو العربي، غير أنه صار ضرورياً في البحث النحوي عند النحويين[٣٢] .

ثانيـاً : إن النحـو العربي لم يقعـد للعربية كمـا يتحدثهـا أصحابها ، وإنما قعـد لعربية مخصوصة تتمثل في مستوى معين من الكلام هـو في الأغلب نص قرآني ، أو شـعر أو مثال، ولذلك لم يشـمل اللغـة التـي يتكلمها الناس في شـؤون الحياة ، وأن هـذا الاختيار أدى إلى اللجوء إلى التأويل ، والتقدير وامتساق التفسير والأحـكام إلى الـضرورة أو إلى الشـذوذ بل إلى "وضع" نصوص تسند بعض هذه الأحكام .

وبين الدكتور الراجحي في هذا الباب الأنسياق الذي نشـأ فيه النحو العربـي ، وأهدافه الأولى التي هي استخلاص القوانين التي تدور عليها لغة القرآن الكريم .



ثالثـاً: إن النحـو العربـي حدد بيئـة مكانية وزمانيـة للغة التـي تناولها التعقيـد ، وذكر الدكتـور الراجحـي رأي محمد كامل حسـين القائل "ونحن ما نقرهم على تحديد الصحيح مـن اللغة مكانـاً بالجزيرة العربيـة أو زماناً صحيح ، فأكثره مضطرب ومتناقض ، والإبقاء عليه عبث ، وعـلى أن ما يرد خطأ ، فهذا قالب مـن جديد وضع اللغويين لغتنا فيه لا يسـمح المحدثون لأنفسهم أن يتقيدوا به"[٣٣] .

وبين الدكتور الراجحي الأسـباب التي أدت إلى هذا التحديـد ، وأورد ما قاله أبن جني في ترك الأخذ بلغات قبائل معينة .

رابعاً : إن النحو العربي لم يميز بين مستويات التحليـل اللغـوي ، فكانت كتـب النحو تجمع بـين دراسـة الظواهـر الصوتيـة ، والصرفية والنحوية، غير أن هـذا الجمع مزج مزجاً كلياً بين طـرق التحليل وإنما هو جمع كل القواعد التي تمكن من استعمال اللغة ، نطقاً وتركيباً وكتابة ، ثم إنهم انتبهوا إلى خصائص كل نوع من هذه المستويات مما جعل المازني يخصص مؤلفاً للتعريف ، وأبـن جني يقود الصوتيات بكتابه "سر صناعة الأعراب" .

لقـد كان نقد الوصفيين للنحـو العربي مبيناً عـلى أنـه يعنـى بقضايـا عقليـة لا تخضـع للملاحظة، ولكن ما اعتـبره الوصفيون نقاط ضعف في نهـج النحو التقليـدي ، صار محل تقديـر والتقاء مع المنهـج التحويلي ومن هذه الجوانب :

أ- قضية الأصلية والفرعية: يراها النحويون أساسـية في فهـم البنية العميقـة وتحولها إلى بنيـة السـطح ، وذكـروا منها الألفـاظ "غير المعلمة" واعتبروها أكثر تجرداً ، فجعلوا المفرد أصلاً ، والجمع فرعـاً لأنه لا يحتاج إلى علامة، والفعل في الحاضر أصل ، وفي الماضي فرع لأنه يحتـاج إلى علامـة ، وقريب من هـذا ما يقوله سيبويه إن الأشياء أصلها التذكير ثم تختص ، والتذكير أشد تمكناً ، كما أن النكرة أشد تمكناً من المعرفة .

ب- قضيـة العامل: والتحويليـون يقررون

أن النحو ينبغي أن يربط البيئة العميقة ببنية السطح ، وهذا ينبغي منهم علاقات التأثير والتأثر بينهما ، وقضية العامل تقود إلى قضية "التقدير" ، التي تقررت في التحليل النحوي عند النحويين ، وإذ يرون أنه يمكن أن نفهم على ضوئها ظواهر مشتركة في جميع اللغات وهي ظواهر الحزن ، والزيادة ، وتفسير الترتيب .

ج- قواعد الحذف : وهي معروفة في جميع اللغات ، ولها أمثلة في اللغة الانكليزية اشتهر بها التحويليون ، وقواعدها مشهورة في النحو العربي .

د- قواعد الزيادة والإقحام : يعتبر التحويليون أنه توجد في اللغات تراكيب نظمية تدخل فيها كلمات لا تدل على معنى في العمق، وإنما تقيد وظيفة تركيبية ، قد تعد لوناً من ألوان الزخارف ، ويعطون أمثلة قريبة من أمثلة الزوائد الموجودة في اللغة العربية .

هـ قواعد إعادة الترتيب : إذا كان لكل لغة ترتيبها الخاص ، والمهم معرفته في البنية العميقة ثم البحث عن قوانين تحويلية إلى أنماط في الكلام الفعلي ، وقد لاحظ التحويليون أن عناصر الجملة معرضة لتغير مكانها فعنوا مثل قدماء العرب بظاهرة(٣٤) التقديم والتأخير.

● **اللسانيات واللغة العربية في نظر الدكتور تمام حسان :**

لقد استهدف الأستاذ تمام حسان تنظيم قواعد اللغة العربية انطلاقاً من مبانيها الأصلية ، فاعتمد في تصور هذا التنظيم على نظريات البيانيين في علم المعاني وبالخصوص أفكار عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز، كما استثمر مباحث الأصوليين في تحليلهم للخطاب الشرعي ومناهجهم في ضوابط الدلالات اللغوية، وحاول الأستاذ تمام أن يكون هذا التنظيم منطقياً وموازياً نوعاً ما للمقولات الغربية التي استخدمها علماء اللسان ، ومما هو واضح تأثره بآراء فرديناند دوسوسير في التفرقة بين اللغة والكلام ، واعتبار اللغة مؤسسة اجتماعية، وباختصار شديد يمكننا أن نقول إن الأستاذ تمام حاول:

١-أن يعيد النحو إلى اللغة ، بعد ما كان مادة منفصلة ، شملت دراسة الصوتيات ، والصرف، والنحو ، والمعجم .

٢-وأن يفرق بين النظام الصرفي والنظام النحوي ، مع أن المباحث الصرفية ، شملت عند بعض المواد النحوية مثل أقسام الكلام .

٣-وأن يضع ضوابط لكل نظام ، في أشكال ثابتة وكل شكل له اصطلاحه الخاص به .

● **ومن آرائه :**

التفريق بين اللغة والكلام : يقول تمام حسان "إن الكلام عمل ، واللغة حدود ، هذا العمل، والكلام سلوك واللغة معايير هذا السلوك ، والكلام نشاط واللغة قواعد هذا النشاط ، والكلام حركة ، واللغة نظام هذه الحركة ، والكلام يحس بالسمع نطقاً ، والبصر كتابة، واللغة تفهم بالتأمل في الكلام ، فالذي تقوله أو تكتبه كلام ، والذي نقوله بحسية ، ونكتبه بحسية هو اللغة ، فالكلام هو المنطوق ، وهو المكتوب ، واللغة هي الموصوفة ، في كتب القواعد ، وفقه اللغة ، والمعجم ونحوها ، والكلام قد يحدث أن يكون عملاً فردياً ولكن اللغة لا تكون إلا اجتماعية(٣٥) فاللغة إذن



منظومة عرفية للزمن تعود إلى نشاط المجتمع، وهذه المنظومة تشتمل، على عدد من الأنظمة (سماها بالأجهزة) يتألف كل واحد منها من مجموعة من "المعاني" تقف مجموعة من الوحدات التنظيمية، أو "المباني" المعبرة عن هذه المعاني، ثم من طائفة من "العلاقات" التي تربط ربطاً ايجابياً ، و"الفروق" أو القيم الخلافية التي تربط ربطاً سلبياً - بإيجاد المقابلات ذات الفائدة – بين أفراد كل من مجموعة المعاني وأفراد مجموعة المباني(٣٦) .

وكل من الخليل وسيبويه انطلقا من مستوى استعمالي للعربية فالخليل وسيبويه انطلقا من كلام العرب وعبد القاهر انطلاقاً من القرآن الكريم .

وأما الدكتور تمام حسان فقد انطلق من كتب التراث النحوي والصرفي في وصفها اللغة بمنهج جديد وقراءة جديدة لهذا التراث اللغوي محاولاً تصنيفه وفق نظرية حددها بأنها نظرية المعنى "لأن كل دراسة لغوية لا في الفصحى فقط بل في كل لغة من لغات العالم لابد أن يكون موضوعها الأول والأخير هو المعنى وهذا النوع من النظر إلى المشكلة يمتد من الأصوات إلى الصرف إلى النحو إلى المعجم إلى الدلالة"(٣٧) .

إن مفهوم المعنى الذي عرضه الدكتور تمام بأقسامه الثلاثة المعنى الوظيفي والمعنى المعجمي للكلمة والمعنى الاجتماعي وهو المقام كل ذلك "منتزع انتزاعاً مباشراً من نظرية السياق context of intwation" (٣٨).

وكما أن المعاني الصرفية غير المعاني النحوية، نجد المباني تتنوع بين فرع وآخر من فروع الدراسات اللغوية ، فالمباني المأخوذة من النظام الصوتي حروف (فورنمات) وهي في النظام الصرفي وحدات حرفية (مُرقمات) ويعتمد النحو في التعبير عن معانيه وعلاقاته السياقية على هذين النوعين من المباني كالحركات والحروف ، والزوائد واللواصق والصيغ(٣٩).

وبدلاً من اعتماد تقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف ، وعلى اعتبار المبنى والمعنى توصل إلى تقسيم الكلمة العربية سبعة أقسام :

الاسم ، الصفة ، الفعل ، الضمير ، الظرف ، الأداة(٤٠) فهذه الأقسام هي مباني التقسيم الرئيسية وهي "حجر الزاوية في النظام الصرفي للغة الفصحى" والثلاثة الأولى (الاسم والصفة والفعل) ذات أصول اشتقاقية ولذا يعتبر كل منها أساساً لمجموعة أخرى من المباني الفرعية كل منها بمثابة "قالب تصاغ الكلمات على قياسه يسمى الصيغة الصرفية"(٤١) ، أما ما لا يرجع إلى أصول اشتقاقية من مباني التقسيم وهو الضمير وأنكر الخوالف والظرف والأداة هي صورها المجردة إذ لا صيغ له(٤٢) ويسميها صلبة مقابل المشتقة التي يقسمها إلى جامدة مثل رجل وكتاب وفرس وماء وتراب ، ومتصرفة كالفعل بتصريفاته (الماضي والمضارع والأمر والمصدر وصفات الفاعل والمفعول والمبالغة والتفضيل والصفة المشبهة والهيئة والآلة والمكان ...) .

إن هذه المباني تمثل البعد الرأسي إذا ما "تصورنا النظام الصرفي في صورة جدول تتشابه فيه العلاقات والمقابلات"(٤٣).

وقد قسم الاسم على خمسة أقسام، هي:

الاسم المعين : كالأسماء الأعلام ، والأجسام ، والأغراض ، ومنه ما أطلق عليه اسم الجثة ،

الوارد في قول أبن مالك : ولا يكون اسـم زمان خبراً عن جثة وإن يفد فأخبرا .

● النحو والدلالة :

ان التقـاء النحـو والدلالة ماهو الا كشـف عن هـذا الجانـب المهـم في تراثنا النحـوي ،ومدى اهتمـام علمائنـا القدمـاء به الغـرض منه ان يكون مدخلا لدراسـة (المعنى النحوي الدلالي) وان يعـود للنحو العربـي دوره الفعال في فهم النص وكشـفه .وقـد كان النحـو العربي منذ نشـأته الاولى مهتما بالمعنى يعتـد به وبدوره في التعقيـد وهنـاك تفاعـل قائم مسـتمر بين الوظيفـة النحويـة والدلالـة المعجميـة للفرد الذي يشغل هذه الوظيفة ويشكل هذا التفاعل بينهما مـع الموقف المعين المعنى الدلالي للجملة كلهـا .والجملـة هـي الغاية الاولى لـكل نظام نحـوي اذ يعمل على كشـف تركيبها ويحاول ان يربط بـين الصورة الصوتيـة المنطوقة لها والمعنـى المـراد فيها من خلال النظـام العقلي الذي يحكمها والنحو للغة كالقلب من الجسـد كمـا يقـول تشومسـكي واذا كان القلـب يمد الجسـم الانسـاني بالدم الذي يكفل له الحياة فان النحو يمد الجملة بمعناها الاسـاسي الذي يكفل لها الصحة ويحدد لها عناصر هذا المعنى ولقد ظهر ت دراسـات مستقلة في العربية عن علم الدلالة وقد انحصر جهد اصحابها في دلالة الفـرد المعجمية منـذ اول كتاب صـدر في هذا الفرع من العلم سـنة ١٩٥٨ وهو كتاب دلالة الالفاظ للدكتور ابراهيم انيس –الى اخر كتاب صـدر في هذا الفـرع وهو كتاب "علـم الدلالة ١٩٨٢" للدكتـور احمـد مختـار عمـر ومع اهمية هـذا البحث في هذا الجانب وضرورته في واقع الامر تتكلـم بالمفردات بل بالجمل ودلالة المفرد المعجمية تتوقف على استعماله في تراكيب مختلفـة اي في علاقـات نحوية مـن ان بعض العلماء المحدثين يرى ان معنى كلمة مالايمكن تحديـده الا بمعرفة معدل الاسـتعمال اللغوي من ناحية ومعدل الاسـتعمالات اللغوية يعني حـصر التراكيـب التي ترد فيهـا الكلمة ولذلك تبقـى الحاجـة الى البحث في الدلالـة التركيبية "او المعنى النحوي الدلالي مطلبا قائما [٤٤] .

● النحو والبلاغة :

ان موقف البلاغة من جعل الدراسات اللسانية والبلاغية ليسـت ميدانا واحدا وانما هي ثلاثة ميادين مختلفـة الطابع كما رآها السـكاكي: المعاني والبيان والبديع.فالمعنى اقرب شيء الى النحو من حيث انها تتناول التركيب والسـياق ثم ان المعاني والنحو يقسمان النظر في التركيب على نحو ما سبق القول في ذلك فالنحو يبدا من الابواب المفـردة وينتهي بالجملة والمعاني تبدأ بالجملـة وتصل منها الى السـياق ولقد صرح بهذه العلاقة بين النحو والمعاني او البلاغة عبد القاهر الجرجاني فانشـأ فكرة النظم ونسـبه الى المعاني وجعـل المنظومة هي معاني النحو ووضـع لنظريتـه نموذجا يمكـن عرضه على النحو التالي:-

المعاني	المباني	
مجرات النظم	البناء	التعليق
حسيات	التركيب	

فالنظـم نظم المعاني في النفس ،والبناء نسـبة مبنـى حرفي مجـرد الى كل معنى كأن ننسـب الى الفاعليـة اسـما مرفوعـا ،والى المفعوليـة اسـما منصوبا، يقطع النظر عن امثلة الاسماء كزيد وعمرو فاذا تم هـذا الاختيار المجرد تلته الامثلـة التي تنتمي الى المبانـي المذكورة وجاء دور الترتيـب فترتـب الامثلـة ترتيبـا معينا في



الـكلام بحسـب مواقعها مـن انمـاط الجملة بحيـث لايتقدم ما يسـتحق التاخـير ولايتأخر ما يسـتحق التقديم ثم يقوم[٤٥] التعليق بربط هـذه العنـاصر بواسـطة الضمائـر والادوات والمطابقات هذا ماصرح به عبد القاهر ما يخيل الي انه كان قد فهم عبد القاهر نفسـه للمسألة وسـواء كان هذا الفهم صحيحا ام غير صحيح فبحسب هذا النموذج ان يضم الى النظم عناصر وافـكاراً لاتكون الا في النحـو كالبناء والترتيب والتعليـق فذلك امر يجعـل الرابطة بين النحو وعلم المعاني غير قابلـة للمراء[٤٦] والبيان علم المعنى ان البيان يشـتمل عـلى ظواهر تركيبية تقرب من النحو كالحذف البياني (او مجازف الحـذف) وكالمجـاز الفعـلي (وهـو يكـون في الاسـناد في الافـراد) ذلك ان الاجابـة على ذلك ان الحـذف البيانـي لايدعي ان عنـصرا معينا كان في الجملة ثم حذف بحسـب قاعدة ،وانما يقـول ان هذا التعبير الكامـل نحويا والمطابق للقواعـد يشـتمل على مفارقـة معجمية يمكن علاجهـا بتقدير محذوف كما سـبق في الكلام عن قوله تعالى "واسأل القرية التي كنا فيها " امـا المجاز الفعلي فيصلح لعلم المعاني باعتبار دوراته حول الاسـناد. ولان يكون في المواضيع البيـان باعتبـار المفارقة المعجمية التي سـبق القـول فيهـا [٤٧] ويبقى علـم البديع في مجاله المختلـف تمامـا عـن المجالين السـابقين.فاذا عني علـم المعاني باقامـة الصرح،وعلى البيان بتقديـم اللبنات ومواد البنـاء ،فان علم البديع يعنـي بطلاء المبنـى وزخرفه فهـو علم طرق التحسين الكلي القائم فالمعاني يبدأ موضوعها بالتفريـق بـين اسـلوبي الخـبر والانشـاء ثم التفريق بين أضرب الخبر وأضرب الانشاء: ثم يدرس فيما بقي من موضوع ظواهر أسـلوبه كالفصل والوصل والحذف والايجاز والاطناب ... اما البديع فطرق التحسـين عنده من قبيل الاسـاليب ايضا قد يكون الاسـلوب مسـجوعا او غير مسـجوع مشـتملا على الطباق او غير مشتمل ،وهلم جرا ,لان الاسلوب وهو الاختيار الفـردي للمتكلـم او الكاتب ،يبـدأ بعد الوفاء بمطالـب القواعـد النحويـة ، واذا صـح هذا الايضاح فان البلاغـة في مجموعها تدور حول الاساليب [٤٨].

الهوامش

(١) تطـور الدرس النحوي ، د. حسـن عون :ص ٥٣ وينُظر : موضوعات نظرية النحو العربي :ص ٦٧ .

(٢) ينُظر : دلالة الألفاظ ، إبراهيم :ص ٦١ وينُظر : الدلالة ، حامد كاظم :ص١٣ .

(٣) ينُظر : عبد السـلام المسّدي ، اللسانيات وأسسها المعرفية :١٦١وينُظر : علم الدلالة أصوله ومباحثه: ص٥٦ .

(٤) ينُظـر : الصاحبي في فقه اللغة لأبن فارس : ص٥ وينُظـر : الخصائـص ، أبن جنـي : ج١/ص٤٠-٤١ وينُظـر : الدلالـة القرآنية عند الشريـف المرتضى ، د. حامد : ص٨٢ .

(٥) أطلـق عليهـا سوسـير مصطلـح "ميكانيـزم" محاضرات في اللسـانيات العامـة :ص ١٧٧ وينُظر : علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي : ص٢٥ وينُظر : اللغة العربية معناها ، تمام حسان : ص٣٤ .

(٦) التعريفات للجرجاني : ص١٠٨ .

(٧) ينظر : المغني في النحو ، لأبن فلاح :ص ٩ ومجيب الندا شرح قطر الندى :ج ١/ص٦٩ .

(٨) دلالة الألفاظ ، لإبراهيم : ص٤٤ .

(٩) ينظر : المغني في النحو :ص ٤٤-٦١ .

(١٠) عبـد السـلام المسـدي ، اللسـانيات وأسسـها المعرفيـة: ص ١٠٤ وينظـر : علـوم الدلالـة أصولها وأسسها :ص ٥٧ .

(11)وينظرNotesbio–graphiweset eritiqwesdo

Cowrsde hngwisitiqwe genrole,p:343.
علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي :ص ٦٥ .
(١٢) المصدر مجلة الفكر العربي ، العدد ٨-٩ الألفية أحـدث العلوم الإنسـانية :ص ١٠٤ وينُظـر : تاريخ النحو في المشرق والمغرب ص٦٨٩ .
(١٣) ينظـر : علـم الدلالـة ، تأليـف بالمـر :ص ١٠ ، وينُظر : اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسـان : ص٣٤ ، وينظر الأصول :ص ٢٣٩ .
(١٤) ينُظر : الأصول ، تمام حسان :ص ٢٣٩ .
(١٥)ينُظر : الأصول ، تمام حسان :ص ٢٣٩ وينُظر: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب : ص٦٩٠ .
(١٦)المصـدر وقائـع النـدوة الدوليـة الأولى لجمعية اللسانيات بالمغرب : ص١٤٢ .
(١٧)المصدر أهم المدارس اللسانية .
(١٨) ينُظر : تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب: ص٦٩١ .
(١٩) ميشـال زكريا: الألسـنية التحويلية والتوليدية وقواعـد اللغة العربية :ص ٥ وينُظر : قضايا نحوية ، مهدي المخزومي: ص ٨ -٩-١٤
(٢٠) ينُظر : الالسـنية التحويليـة والتوليدية وقواعد اللغة العربية :ص ٥ .
(٢١) ريمـون طحان ، الألسـنية العربيـة : ص١٤٤ وينُظر : الألسـنية التحولية والتوليديـة وقواعد اللغة العربيـة :ص ٥-١٢ وينُظـر : علـم الدلالـة تأليف بالمـر: ص١٤٢ وينُظر : الأصول ، تمام حسـان :ص ٢٣٩ .
(٢٢) ينُظر : أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة : ص١١٣-١١٤ ، تأليـف د. نايف خرما ، عالم المعرفة سلسلة كتب .
(٢٣) الفـاسي القهـري : "ملاحظـات حـول الكتابة اللسانية" مقال نشر ضمن كتاب سنة ١٩٨٨ .
(٢٤)المصدر نفسه .
(٢٥) المصدر نفسه .
(٢٦) المصدر جوانباً مع تشومسـكي المنشـور باللغة الانكليزية في مجلة اللسان العربي .
(٢٧)المصدر في اللسانيات واللغة العربية :ص ١٨ .
(٢٨)المصدر نفسه : ص١٨٠ .
(٢٩) ينُظر : اللسانيات واللغة العربية :ص١٨-١٩-٥٩
(٣٠) أحمـد المتوكل ، اللسـانيات الوظيفيـة ، مدخل نظري .
(٣١) أحمـد المتوكل ، اللسـانيات الوظيفيـة ، مدخل نظري .
(٣٢) ينُظر : تاريخ الشرق والغرب ص ٧٠١ .
(٣٣) ينُظر : النحو في المشرق والمغرب .
(٣٤)تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها:ص ٣٢.
(٣٥) ينُظر : تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب: ص ٧٠٥ .
(٣٦) العربية معناها ومبناها :ص ٩ .
(٣٧)العربيـة وعلـم اللغـة ص٢٠ ،حلمـي خليـل:ص ٢٢٤وينُظر : ص ١٣١ .
(٣٨) ينُظـر : العربية معناهـا ومبناها ، زهير غازي : ص ٨٧-٨٨ .
(٣٩) ينُظر : المصدر نفسه :ص ١٣٢ .
(٤٠) العربية معناها ومبناها :ص ١٢٢ .
(٤١) العربية معناها ومبناها :ص ١٣٢ .
(٤٢) العربية معناها ومبناها :ص ٨٣ .
(٤٣) ينظـر: النحـو والدلالة المدخل لدراسـة المعنى النحوي الدلالي ،ص٩-١٠.
(٤٤) الاصول:ص٣٤٩.
(٤٥) المصدر نفسه ،ص ٣٤٩.
(٤٦) الاصول :تمام حسان ،ص ٣٤٨.
(٤٧) ينظر: النحو والدلالة ، ص ٩-١٠.
(٤٨) الاصول :تمام حسان : ص٣٤٩-٣٥٠.



Modern Linguistics in Arabic Grammar

By: Dr.Ghanem Odeh Sharhan
(Center of revival of Arabian science Heritage)
University of Baghdad

Abstract

The research deals with what Arabic grammar contained in its old and modern school orientations from the ideas of linguistics and its issues, Since linguistics taught the study of language in its inception and evolution and laws that study the performance of language characteristics and methods.

Old Arabic grammar has known many of the school's linguistic ideas and its circulation, although these Scientists did not provide the same names and modern terminology, The research is also based on the view that human languages respond to common linguistic values in which they are involved.

From this point of view, the researcher sought to consolidate aspects of the modern linguistic lesson through the specialities of the Arabic grammar lesson and its ancient and modern studies.



أبو نواس
حقيقة الحضور ووهم التفصيلات

أ.د. علي حداد*

●في البدء :

لا يختلف قولان في أن كثيراً من الشعر، سواء فيه ما كان مؤكد الانتساب إلى (أبي نواس) ـ أو كان مما يداخل متلقيه الشك في ذلك الانتساب ـ قد وقع في التمكن الذي هو جدير به من تلقي أهل عصره ، لأنه عبر عن مزاجهم وذوقهم وانشغالاتهم، وباح منتجه خلال مواقفه وشعره بالمسكوت عنه والمغيب قصداً لديهم، فشغلوا به، وتمثلوا بشعره، وتنادوا ليحملوه ما يتلجلج على لسان حالهم من المواقف والأفكار ومماحكات القول الجريء.

ولم يكن أهل عصره وحدهم من ترسم حضوره على تلك الهيئة والتقول، فلقد شغل به الناس في كل عصر وباتساع مساحة الأمكنة وتواريخها تلكم الممتدة حتى زماننا الراهن ، ليستحيل وجوده مدلاً ـ في الأفق الذي تكيّف له ـ على مرموزية تمثل إنساني خصيبة وفاتنة، ومن فئات مختلفة المشارب والمستويات الثقافية..

وعلى هذا يتطلب الحديث عن (أبي نواس) إعادة فحص الوقائع، وإطالة تأملها، واستدراج بعضها إلى أفق التيقن لتبنيها، والمناداة بها، و الشك بسواها، لطرحها بعيداً وتجاهلها . ولعل هذا يعني ـ فيما يعنيه ـ أن نجادل كثيرها طويلاً، وأن نستعيد بعضها بسياقات غير التي وردت فيها، وأن نعلن مبدأ الشك أولاً قبل أن نسايرها أو نزيحها جانباً.

* جامعة بغداد – مركز احياء التراث العلمي العربي



إن هذا المتن الإنســاني والشعري المشتجر هو ما ســتدلف إليــه قراءتنا، وعــلى نحو تفصيلي متتابــع، علهــا تصل ـ في آخــر مطافها ـ عند مكاشــفة ترتضيها عن أبي نواس وشخصيته المتناهية في مثارها المجادل، ومنجزها الإبداعي المثير .

تنطوي الأخبار التي وصلتنا عن حياة الشاعر العباسي (الحســن بن هاني) الملقــب بــ (أبي نواس) عــلى مضامين متراكمة مــن الادعاءات والتقــولات التــي تخــبر عــن اضطــراب كبير وتباين فيما بينها حداً يجعلها تتقاطع وينفي بعضها بعضا.

وهــذه الحالة مــن الإمعــان في التناقض التي جــاءت عليهــا السرديــات المتصلــة بـــ (أبي نواس) لاتكاد تكتفي بالجانب المتعلق بحياته بل إنها لتشــمل كثيراً من شــعره أو ما أدعيت نســبته إليه من ذلك الشــعر، حتى أمسى شعر أبي نــواس وتفصيلات حياته ـ اللذان لا تيقن باتّــاً على كثــير مــن تفصيلاتهما ـ إشــكالية تاريخية، وأخرى ثقافية ـ تماهى معهما ثالثة إنســانية ـ بما لا يقــر للتأمل المتلقي لذلك كله قرار يركن مطمئناً إليه.

لقــد أضفيت الكثير مــن الأخبار والمواقف والتقوّل الشــعري عــلى هذه الشــخصية، بما أخرجها من التيقن أن مــن يتناولها بالحديث يذهب إلى شخصية محددة السمات والحضور التاريخــي والمنجــز الإبداعــي، بقــدر كونــه استفاضات من التقول والاستدعاء الذي أخذ من حيوات وســلوكيات ومنجز شــخصيات عديدة، لتجتمــع في تشــكيل تلك الشــخصية الواحدة التــي أرادتهــا مخيلــة العصــور المتلاحقة أن تكون بذلك التمثل الســلوكي والشــعري الذي جرى تشخيصها وتداولها فيه.

وفي هــذه القــراءة فإننا نكــرس تناولاتها ـ عبر قراءة متأنية ـ إلى إعادة فحص ما بين يدينا مــن الوقائع والأخبار والروايــات التي تداولتها كتابات الباحثين والدارســين ـ قدماء ومحدثين ـ عن شــخصية (أبي نواس) وشعره، رغبة في اســتجلاء مايمكن الركون إليه والقناعة به من ذلك كله.

(١)

تنــاول حيــاة أبــي نواس وشــعره الكثير من الدارســين والباحثين، ومنــذ العصر الذي عاش فيــه وحتى وقتنا الراهن[١]. وكان القول فيه من التباين والتجــاذب والجدل حدٌّ لايكاد يجاريه في إثارته شاعر عربي آخر.

وقد ذرّ خلاف الآراء و(التقولات)[٢] قرونه منذ أن جرى الحديث عن اسم (أبي نواس) وكنيته واســم أبيه وأمه. فــإذا كانــت القناعة مؤيدة بأكثر القول أن اسمه هو (الحسن)[٣] فلاشيء بعــد ذلك من أمره محل اتفاق بل إن كله مثار تراكم من التساؤلات : أفكنيته (أبو نواس)، أم (أبو نؤاس) كما يكتبها البعض ، أم هي : (أبو النــوّاس)[٤]، أم هي (أبو عــلي)[٥]، ليكون (أبو نواس) لقباً له يتواتر التســاؤل عن مصدره ، أهو تواصل مع انتســابه إلى اليمن؟، أم لذؤابة شعره وهو صبي[٦]؟.أم أنها من اختيار شيخه (خلف الأحمر) [٧] ؟.

وإذ يجري التســاؤل عن ولادته فســترى أرقام سنوات عدّة ـ بينها تباعد لافت، إذ يقول (الخطيــب البغــدادي) أن ولادة (أبي نواس) كانت في ســنة خمــس وأربعين ومائــة[٨]، أما

(ابو هفان) فيؤكد أنه ولد سنة ست وثلاثين ومائة[٩]. وبين هذين التاريخين تتوارد تواريخ أخر أجملها (ابن منظور) في قوله: « واختلف في مولد أبي نواس، فقيل: كان مولده في سنة ست وثلاثين ومائة، وقيل: سنة خمس وأربعين، وقيل سنة ثمان وأربعين، وقيل سنة تسع وأربعين»[١٠].

وستقع أعين كثير من الدارسين اللاحقين على أرقام تلك السنوات ، فيكررون الإشارة إليها ذاتها، أو يتخيّر كل منهم ما يتبناه منها من دون أن يقيّد تخيّره بتبرير مناسب[١١].

أما اسم أبيه فلا يقف أمره هو أيضاً عند يقين أخير، فقد سمي (هاني) و (هانيء) و(هني)[١٢]، وقيل أن أصله فارسي من الخوز من باب شيركان، وقيل من قرية من قرى الأهواز. وقيل: بل من أرض مناذر الصغرى[١٣]. في حين أورد له (الخطيب البغدادي) نسباً عربياً قحطاني الأرومة[١٤].

أما عمل ذلك الأب، فقيل أنه كان راعياً للغنم، وقيل بل حائك[١٥]. ولكن هناك من يذهب إلى القول أنه كان من جند (مروان بن محمد) آخر خلفاء بني أمية[١٦]. وأنه من أهل دمشق، وكان فيمن قدم الأهواز في أيام مروان للرباط بها والشحنة. وهو ما كان (ابن المعتز) قد أورده، مؤكداً أنه كان مولى فارسياً من موالي (الجراح بن عبد الله الحكمي) والي خراسان لعهد (عمر بن عبد العزيز). وأنه انتظم في جند الخلافة، مع فريق منهم بالأهواز لعهد مروان[١٧]. وذهب البعض إلى أنه كان كاتباً لأحد المتولين ديوان الخراج هناك[١٨].

وحين يصل القول إلى بعض السمات الجسدية لذلك الوالد يقرر العقاد ـ ومعه بعض الدارسين ـ أن أباه كان زنجياً ، مؤسسين تقوّلهم على أبيات هجي بها أبو نواس من قبل بعض مناوئيه[١٩].

ولم يكن شأن الحديث عن أم (أبي نواس) ببعيد عن ذلك الترديد لأكثر من قول، بدءاً من اسمها، سواء أكان (جلبان) ـ ومعناه (غصن الورد) ـ الذي تداوله أكثر الدارسين [٢٠]، أو (شحمة) الذي ورد عند آخرين[٢١]، وهذا الأخير ـ كما يبدو ـ أقرب إلى أن يكون وصفاً لها، ربما لبياضها الذي سعوا إلى وضعه بإزاء القول بزنجية أبيه.

وهي عند بعضهم قرية من قرى الأهواز تدعى بـ (باب آذر) وتعني (باب النار)، وكانت تعمل الصوف وتنسج الجوارب والأخراج، فتزوجها (هني) أبوه، فولدت أبا نواس. وكان (هني) قد رآها وعشقها على شاطئ نهر من أنهار الأهواز وهي تغسل الصوف. وقيل أنها كانت تصنع الخيزران[٢٢]. وسيتهمها البعض بأنها كان لها بيت ترتاده الغواني[٢٣]. وينقل (ابن منظور) عن بعضهم قوله بأنها كانت عجمية، وسيقول آخرون لا بل سندية[٢٤].

وحين يقول البعض بأن أمر هذين الزوجين انتهى إلى الطلاق[٢٥]يذهب غيرهم للقول: بل بوفاة الأب الذي لم تنجب منه سوى (الحسن)، وهو ما لا يؤيده البعض الآخر فيقول بأنها أنجبت عدة أولاد ذكور،أضاف لهم آخرون بنتاً، وأضاف سواهم ابنتين[٢٦].

يتحدث بعض الرواة عن أن أم (أبي نواس) أتت به وحيداً الى البصرة، واضطرت أن تعمل مرضعة لأطفال الآخرين[٢٧]. ويقول غيرهم

بل جاءت رفقة زوجها وابنها الصغير هذا[٢٨]. وعند البعض فإن تلك الأم قد ترملت مبكراً[٢٩]. وعند سواهم فإنها تزوجت ثانية[٣٠]، وأنجبت أولاداً آخرين هم أولئك الذين عدوهم أشقاء للحسن.

وفيما يتعلق بنشأة ذلك الولد البكر فقد ذكروا أن أمه كانت قد زجّت به في الحياة العملية مبكراً، مساوقة ذلك مع مسعاها لبناء شخصيته المعرفية، وعن هذا ينقل (ابن منظور) عن (الجاحظ) قوله أن (أبا نواس) لما شبّ ذهبت به أمه لأحد الصناع كي يعمل عنده بـرّاءً يبري عود البخور[٣١]، ثم ـ وإذ تفتحت مواهب صباه ـ أخذته نحو مجالس التأدب والعلم، وهوما يورده (ابن كثير)، مؤكداً أنه قدم وهو صغير برفقة أمه إلى البصرة ، فتأدب بها على أبي زيد، وأبي عبيدة، وقرأ سيبويه ولزم خلف الأحمر، وصحب يونس بن حبيب الجرمي النحوي[٣٢].

ويواصل (ابن منظور) حديث المسار المعرفي عند (أبي نواس) فيقول:«ثم طلب الأخبار... فإذا كان العشي أتى أبا عبيدة (معمر بن مثنى) يسأله أخبار العرب وأيام الناس.ثم اختلف إلى أبي محمد (خلف الأحمر)، فكان يسأله عن الشعر ومعانيه...واختلف إلى أبي زيد فكتب الغريب من الألفاظ . ثم نظر في نحو سيبويه، ثم طلب الحديث فكتب عن عبد الواحد بن زياد، ويحيى القطان، وأزهر السمان وغيرهم، فلم يتخلف عن أحد منهم»[٣٣].

وكان قبل ذلك ـ يؤكد (ابن منظور) قد حذق قراءة القرآن، حتى أن شيخه (يعقوب الحضرمي) رمى له خاتمه قائلاً: «اذهب فأنت أقرأ أهل البصرة»[٣٤].

وحين اكتملت ملامح شخصيته الثقافية رغب في الكلام وقعد إلى أصحابه فتعلم منهم ماشاء له تعلمه . وفي ذلك يرد عن الجاحظ ـ ومثله (ابن المعتز) ـ أنه طلب علم الكلام، وبلغ من اتقانه له تأكيد بعض الرواة أنه بدأ متكلماً ثم انتقل إلى نظم الشعر[٣٥].

وحين ألمّ بذلك كله وطلب المزيد ـ يردد الدارسون ـ فقد ذهب إلى الكوفة صحبة الشاعر الكوفي (والبة بن الحباب) ـ طبقاً لرأي بعضهم[٣٦]، أولاحقاً به عند آخرين[٣٧]. ومن الكوفة خرج إلى بادية بني أسد، وظل بينهم حولاً كاملاً، ليعود أدراجه إلى البصرة ثانية، مواصلاً تلقي إضافات نوعية أخرى من المعارف والعلوم، وربما مستعيداً تواصله مع أستاذه (خلف الأحمر)[٣٨] ومنشغلاً بقصة حب جارف ولكنه من طرفه حسب ـ لإحدى الجواري التي سيعدّ بعض الدارسين جفاؤها له منطلق التأسيس لقريحته الشعرية[٣٩]، وسبباً مباشراً ـ عند سواهم ـ ليغادر البصرة نحو بغداد[٤٠]. وهناك دلف بوجوده الإنساني والشعري فضاءات جديدة، وسطع نجمه شاعراً، وارتقى بمكانته حتى دخل بلاط الخلفاء وقصور الأمراء والوزراء.

قدم (أبو نواس) إلى بغداد وهو على عتبة الثلاثين من عمره، وكان (هارون الرشيد) خليفة[٤١]، فسعى كي ينال حظوة في بلاطه، وأن يلقي بين يديه، أو يوصل إليه مدائحه فيه. ينقل (ابن منظور) عن أبي نواس قوله : «أول اتصالي بالخلفاء أن الرشيد قال ذات ليلة لـ (هرثمة بن أعين): اطلب لي رجلاً يصلح

للحديث والسـمر. فخرج هرثمة فسـأل، فدل عليّ، فأدخلني عليه، فسألني الرشيد عن اسمي واسم أبي فأخبرته»[٤٢].

وتبدو مسـألة لقاء (أبي نواس) بالرشـيد من الوقائـع التـي لم يتفـق الدارسـون على يقين موحد فيها، إذ قال بها البعض، مسـتندين إلى مـا أورده (ابن منظور) نقلاً عـن أبي نواس، كما مرت الإشارة إليه[٤٣]، في حين أنكرها البعض عاديـن الغالـب على تفصيلات ذلـك اللقاء من صنع المخيلة الشعبية التي رسخها كتاب (ألف ليلة وليلة) عن هاتين الشخصيتين التاريخيتين البارزتين[٤٤].

ويضطـرب الحديث عنـد آخريـن، فيوردون أخبـاراً عـن لقائهما، ثـم ينقضونها بالشـك فيهـا[٤٥]. وتتواضع فئة أخرى من الدارسـين فتقول بتعرّف الرشـيد أبا نـواس، ولكن الأمر بينهما لم يصل إلى أن يكون من ندمائه[٤٦].

وغير ما مرّ ذكره من آراء فهناك من يوحي قوله بأن (أبا نواس) اكتفى ـ سنوات عيشه الطويلة في بغـداد ـ باتصاله بالبرامكـة. فحين لم ينل حظوة الرشـيد بمدائحه، ولم يجد قبولاً حسناً في قـصر الخلافة فإن بيت الـوزارة (البرمكي) كان هـو من رحّب بـه، فكانـت مدائحه فيهم أول أمـره، ثـم أهاجيـه بعد ذلـك[٤٧]، ليجيء بعد سـقوطهم (آل الربيع) الذيـن كانوا أكثر إقبالاً عليه وأحسـن قبولاً بـه[٤٨]، وكان ذلك ـ كما يبدو ـ قبل أمر الرشـيد بسـجنه لقصائد تناهت منه، وعبّرت عـن نزعة قبلية تبناها أبو نـواس في هجائـه العدنانية وفخـره باليمانية القحطانية[٤٩]. وقيل إنما سـجن بسبب ما بلغ الرشيد من مجونه ومباذله[٥٠] .

يـورد (الطـبري) أن (أبـا نـواس) لم يزل محبوسـاً حتى ولي (الأمـين) الخلافة ـ وكان انقطاعـه إليه أيام إمارته ـ وهو ما اسـتعاده حين مدحه بقوله:

تذكر أمين الـله والعهد يذكـر
مقامي وإنشاديك والناس حضـر
ونشري عليك الدرّ يادر هاشم
فيـامـن رأى دراً على الـدرّ ينثـر

فكان أن أطلق سراحه وقرّبه إلى مجلسه[٥١].

ويبدو أن الكثير من المتابعين الآخرين لتفصيلات حياة (أبي نواس) لا يشـاركون (الطبري) قوله، فعندهـم أن (أبا نواس) ـ وبعد أن توسّـط له عند الرشيد من توسّط[٥٢]ـ غادرسجنه جاعلاً وجهتـه مـصر، حيث (أبو نـصر الخصيب بن عبـد الحميد العجمـي)[٥٣] أمير الخـراج فيها الذي مدحه بعدد من قصائده، ثم هجاه لاحقاً بقصائد أخرى[٥٤]، فسـجنه مدة[٥٥]، ثم أطلق سراحه ، ليؤوب قافلاً إلى بغداد بعد ضجره من الإقامة في مصر، أولأن الخليفة العباسي الجديد (الأمين)[٥٦] هـو من اسـتدعاه[٥٧]، فكان أكثر عطفاً على الشاعر من أبيه الرشيد، « ليتمتع في عهد الأمين ـ الذي أمـسى نديمه ـ بأبهى وألمع فـترات حياتـه»[٥٨]. يأتي ذلـك ـ عند بعضهم ـ عـلى الرغم من قولهـم بتعرضه للحبس على يـدي الأمين أكثر من مرة[٥٩]، لأسـباب اختلف في تحديدهـا ، فمن قائل لمجاهرته بمجونه[٦٠]، ومـن قائـل لزندقتـه[٦١]، أو لسـخريته مـن الخليفة[٦٢]. ومن سجنه كان يبعث قصائده إلى (الفضـل بن الربيع) الذي توسـط له فأخرجه منه[٦٣].

وعنـد بعضهم فإن (أبا نـواس) ظلّ قريباً من الأمين، وشـهد دخـول أعوان أخيـه (المأمون)

بغداد، بعد حصار لها دام خمسة عشر شهراً[٦٤]، ليقتل الأمين سنة ١٩٨هـ، فيرثيه أبو نواس بأكثر من قصيدة[٦٥].
ولم يكن حظ (أبي نواس) أقل سوءاً من الأمين فقد مات أو قتل لاحقاً، وفي تاريخ لم يؤشر بدقة، فهو كسواه من تواريخ أخبار الشاعر وشؤونه التي لم يتفق عليه الدارسون، إذ يذكر (الخطيب البغدادي) نقلاً عن بعضهم أن (أبا نواس) مات ببغداد في سنة خمس وتسعين ومائة، أو ست وتسعين ومائة ، أو ثمان وتسعين ومائة، وكان عمره تسعاً وخمسين سنة [٦٦]. ومثله فقد تردد (ابن منظور) بين خمسة من التواريخ، مستخدماً بينها لازمته الشّاكة المعهودة (قيل)، فأورد عن ذلك الأمر الخطير الآتي: «واختلف في موته، فقيل: توفي سنة خمس وتسعين ومائة، وقيل : سنة ست وتسعين، وقيل سنة سبع وتسعين ، وقيل: سنة ثمان وتسعين، وقيل: سنة تسع وتسعين»[٦٧].
وحين لا يقرّ (ابن منظور) على تاريخ بعينه يعود إلى وقائع تلك المرحلة ، فيعلن ـ وكما (قيل) مرة أخرى وأخرى أن أبا نواس «مات قبل دخول المأمون بغداد بثماني سنوات، وكان عمره تسعاً وخمسين سنة»[٦٨] ويضيف: «وإذا استظهرنا تاريخ دخول ألمأمون بغداد وجدناه العام ٢٠٤هـ ، وبذا تكون وفاة أبي نواس العام ١٩٦هـ »[٦٩].غير أن محقق كتاب (ابن منظور) سيذكر أن وفاته وقعت سنة ١٩٩هـ [٧٠].
وكما تردد (ابن منظور) فأورد أكثر من تاريخ عن وفاة (أبي نواس) فقد تواتر ذلك عند معظم الباحثين اللاحقين الذين تداولوا أكثر من تاريخ، وكان بعضهم يردف أقواله موثقة بمصادر قديمة[٧١].
أما كيف مات أبو نواس فقد تردد (أبو هفان) بين أكثر من خبر عنها، فقيل أنه توفى وفاة طبيعية ، وقيل بل هجا (اسماعيل بن نوبخت) هجاء مقذعاً ذكر فيه أمه ورماه بالبخل و(الرفض)، فدسّ له شربة من سمّ قتلته بعد أربعة أشهر. وقيل بل دسّ له من ضربه حتى مات [٧٢]. وعند بعضهم أنه « هجا بني نوبخت، فداسوا بطنه حتى مات»[٧٣]، في حين يورد أحد محققي ديوانه الآتي:« وقد اختلف في مكان موته بين السجن ، أو منزل صاحبة حانوت، أو في دار اسماعيل بن نوبخت ، بين وفاة طبيعية ـ أو أن يكون إسماعيل هذا قد سمّه ، ليتخلص من سلاطة لسانه ، إذ كان قد هجاه هجاء مقذعاً»[٧٤]. ليموت (أبو نواس) وهو بعمر التاسعة والخمسين، ويدفن في (مقابر الشونيزية) في التل المعروف بـ (تل اليهود) على شاطيء نهر عيسى ببغداد[٧٥].
ولعل التباين في توثيق واقعة موت (أبي نواس) ـ تاريخاً وتفصيلات ـ مما يثير الاستغراب والحيرة حقاً. لقد كان الاختلاف في تاريخ مولده مبرراً ـ كون أمره لايختلف عن أمر أي طفل يولد لعائلة فقيرة، لاتكاد تأبه كثيراً لتدوين تواريخ ولادات أبنائها ـ أما عدم الاتفاق على شأن وفاته وقد نال مكانته الأدبية الباذخة فهو مما يثير أسئلة كثيرة عن دوافع ذلك الاضطراب والتناقض، واختيار التواريخ المتباعدة في توثيق تلك الواقعة.
ونود ـ قبل ختام هذا المبحث ـ أن نتوقف عند بعض شؤون حياة (أبي نواس) الخاصة

وتفصيلاتها التي لم ترد الإشارة إليها بين ثنايا مامرّ ذكره، وهي كسواها رهن التوزع والاختلاف، فقد تواصلت الآراء متناقضة في أمر زواجه، وماتركه بعده من الأبناء، إذ يجمع بعض المتكلمين ـ طبقاً لما أورده العقاد ـ على أنه لم يتزوج[٧٦]. وبالمقابل فهناك من يقرر « أنه تزوج، ورزق غلاماً مات وهو صغير. وكانت له بنتان اسم احداهما (برّة) والأخرى لبابة» [٧٧] .

(٢)

يرى الدكتور (طه حسين) أن نشأة (أبي نواس) يكتنفها « غموض كثير، وفيها اختلاف واضطراب» [٧٨]، وهو أمر يسلّم به معه كل من استقرى تلك النشأة وتأملها.

غير أن ذلك لايمنع أن نضع هنا تصوراً نرتضيه، نقوم من خلاله بترتيب الوقائع على نحو ما، لنقول بأن والديه قدما معاً إلى البصرة، عقب هزيمة (مروان بن محمد) في معركته الأخيرة مع جيوش العباسيين الذين آلت إليهم الأمور بعدها. فكان أن دخل ذلك الجندي البصرة مع عائلته الصغيرة تلك . وكان عمر الفتى (أبي نواس) لا يكاد يتجاوز السنوات الست، ليتوفى الأب بعد مدة وتتزوج الأم رجلاً آخر، لعله من أنجبت منه أولئك الذين قيل أنهم أخوة الشاعر، مؤسسين ذلك على ماكان أبو نواس نفسه قد ذكره في احدى قصائده مخبراً أنه وحيد أمه:[٧٩]

لاتفجعي أمي بواحدها

لن تخلفي مثلي على أمي

وكانت البصرة ـ التي سيعيش أبو نواس نشأته الأولى فيها ـ طبقاً لوصف أحد الدارسين «منتجعاً للطالبين، أيا كانت طلبتهم، فهي دار الحكمة والعلم والثقافة لمن شاء التزود بصنوف المعرفة، وهي موئل للحضارة بحسناتها وسيئاتها، تجتذب إليها أنظار الراغبين في الحسنات أو السيئات على حد سواء، فمن تجار وصناع وعلماء وأدباء إلى رواد لهو ومجون وإباحية وشطارة» [٨٠]. وفي هذه المدينة قيض لـ (أبي نواس) أن يدرج في تكوين مسارات حياته القادمة.

يقول ابن منظور ـ واصفاً السمات الجسمانية لأبي نواس تلك التي سيتناقلها كثير من الدارسين بعده ـ أنه « كان حسن الوجه رقيق اللون (أبيض)، حلو الشمائل. ناعم الجسم، وكان في رأسه سماحة وتسفيط، وكان ألثغ بالراء يجعلها غيناً . وكان نحيفاً وفي حلقه بحة لا تفارقه»[٨١].

ولعل في هذا الوصف ما يجلب الانتباه ويؤسس لقضية أخرى ـ خلافية وقيمية في الوقت عينه ـ حين نتذكر قولهم (بزنجية) أبيه الذي لم يأخذ الابن منه ـ كما يراد ـ أياً من سماته. وكأن هناك مسعى غير معلن لجعل هذا الولد (ابن أمه) شكلاً وتربية وسلوكاً!.

وفي وصفه أنه كان يلثغ بالراء ما هو جدير بالتوقف عنده، فهذا الفتى ـ وطبقاً لقول ابن منظور نفسه ـ كان قد « قرأ القرآن على يعقوب الحضرمي، فلما حذق القرآن رمى إليه يعقوب بخاتمه وقال: اذهب فأنت أقرأ أهل البصرة»[٨٢]. ولنا أن نتساءل هنا: كيف يكون تفضيله على سواه من قرّاء القرآن الكريم مع لثغته تلك ؟!.

يبرز ـ حين العودة إلى تفصيلات نشأة أبي

نواس ـ دور الأم فاعلاً في توجيه وليدها مبكراً نحو مناهل التهذيب والتثقيف والمعرفة. وذلك يعني أننا إزاء امرأة تعرف ماتريد لوليدها، وتدرك قيمة المعارف والعلوم في تحقيق هذا المسعى، الأمر الذي يجعلنا نشكك في معظم الأخبار التي رويت عنها، وماقيل نيلاً من سلوكها وأخلاقها، فامرأة بالصورة التي تنادي البعض لتوطيدها عنها لا يمكن لها أن تنشغل بمثل هذا الحرص في توجيه وليدها نحو المعرفة وأسبابها، بل لعلها ستكون ممن لايمتلكون الوقت أو الرغبة بذلك.

ويبدو أن تلك الأم ـ وهو مايحسب لها كذلك ـ قد زجّت به في الحياة العملية بمساوقة مسعى بناء شخصيته المعرفية مبكراً ـ وعن ذلك ينقل ابن منظور عن الجاحظ قوله أن أبا نواس لما شب ذهبت به أمه لأحد الصناع كي يعمل عنده براء يبري عود البخور[٨٣]. ثم ـ وحين اكتملت معالم صباه ـ أخذته نحو مجالس التأدب والعلم ، حتى اكتملت ملامح شخصيته الثقافية، فرغب في الكلام وقعد إلى أصحابه فتعلم منهم ماشاء له تعلمه، وفي ذلك يرد عن الجاحظ ـ ومثله (ابن المعتز) ـ أنه طلب علم الكلام ... وبلغ من اتقانه له أن أكد بعض الرواة أنه بدأ متكلماً ثم انتقل إلى نظم الشعر. ويتمم (ابن منظور) أمر المسار المعرفي عند (أبي نواس) فيقول: «ثم طلب الأخبار...فإذا كان العشي أتى أبا عبيدة (معمر بن مثنى) يسأله أخبار العرب وأيام الناس . ثم اختلف إلى أبي محمد (خلف الأحمر)، فكان يسأله عن الشعر ومعانيه...واختلف إلى أبي زيد فكتب الغريب من الألفاظ . ثم نظر في نحو سيبويه، ثم طلب الحديث فكتب عن عبد الواحد بن زياد، ويحيى القطان، وأزهر السمان وغيرهم، فلم يتخلف عن أحد منهم» [٨٤].

وحين ألمّ بذلك كله وطلب المزيد ذهب إلى الكوفة صحبة (والبة بن الحباب)، ليحظى بمعرفة مضافة عن خصائص مدرسة الكوفة اللغوية وما تنماز به عن المدرسة البصرية التي كان قد تتلمذ على أيدي أعلامها ماري الذكر[٨٥].

ومن الكوفة خرج إلى بادية بني أسد، وظل بينهم حولاً كاملاً، رغبة منه في اكتناه مستلزمات الفصاحة على نحو أعمق . ومن البادية يعود (أبو نواس) أدراجه إلى البصرة ثانية، ثم يغادرها نحو بغداد.

وفي هذا الدأب من الترحال لاستحصال أكبر قدر ممكن من أسباب المثاقفة يبدو أن (أبا نواس) لم يترك شيئاً منها إلا سعى إليه. وعن ذلك يقول العقاد ـ موجزاً ما توافر عليه ـ أنه « تعلم العزف على العود ودق الدفوف، ليسلك مسلك المسمعين والقيان بين طلاب الملاهي والفنون، وتعلم اللغة وتعلم التنجيم، وتعلم الفقه والحديث، وتعلم القراءة والتجويد، ونظم الشعر وروى قصائد الفحول، وتعلم العطارة والتجارة ، وتعلم الأخبار والأنساب، وتردد على معاهد الدرس»[٨٦]، ولنا أن نتساءل بعد ذلك وبإعجاب: ما الذي بقي إذن مما لم يتعلمه أبو نواس ويتقنه؟.

لقد كانت حياة أبي نواس رحلة دؤوب من التعلم والتثقيف وبناء الذات والعقل، ليكون ذلك كله عدته في انضاج شخصيته المعرفية

والشعرية وتوجهاتها الخاصة من الوعي والاشتغال الجمالي المباين بجدته لما سبقه، مثلما هي عدته في معايشة الظروف السياسية والاجتماعية ذات الصبغة الحضارية التي تمثلها، وهو ينال الحظوة والمكانة عند أكثر من خليفة ومن هم دونهم من رجالات الدولة العباسية البارزين .

حين العودة إلى استقصاء بعض شؤون حياة (أبي نواس)الخاصة اللاحقة وتفصيلاتها، فقد مرّ بنا كيف تواصلت الآراء متناقضة ـ وعلى نحو لافت ـ في تقولاتها، فلم يتوافق أصحابها في القول ـ مثلاً ـ بأمر زواجه، وما تركه بعده من الأبناء، إذ يجمع المتكلمون ـ والقول للعقاد[٨٧]ـ على رفضه الزواج، ولم يصدقوا كل الصدق على ما يظهر قوله عن تلك التي تركها في بيته [٨٨]:

تقول التي عن بيتها خف مركبي
عزيز علينا أن نراك تسير

وقوله يخاطب ابنة له[٨٩]:

يا ابنتي أبشري بميرة مصر
وتمني وأسرفي في الأماني

ويخاطبها في قصيدة أخرى[٩٠]:

لباب تكبري فوق الجواري
فإن أباك أعشبه الزمان

ولعل معظمهم لم يقف عند تلك القصيدة الواردة في الديوان يرثي فيها ابناً له[٩١]. وأخيراً فإنهم لم يراجعوا ماقاله (أبو نواس) من شعر في الواقعة التي ذكرها (الطبري) على النحو الآتي: « يؤتى بأبي نواس أمام الفضل بن الربيع متهماً بالزندقة، فيبرأ من ذلك ويحلف .. وحين أطلق سراحه قال:

أهلي أتيتكم من القبر
والناس محتبسون للحشر
لولا أبو العباس ما نظرت
عيني إلى ولد ولاوفر»[٩٢]

يروي (السيوطي) وقائع الساعات الأخيرة من حياة (الأمين) على النحو الآتي:« أخذ وحبس في موضع، ثم أدخل عليه قوم من العجم ليلاً فضربوه بالسيف، ثم ذبحوه من قفاه، وذهبوا برأسه إلى طاهر فنصبها على حائط بستان، ونودي هذا رأس المخلوع محمد، وجرّت جثته بحبل»[٩٣] .

ويبدو أن (أبا نواس) بقي حياً لمدة لم تكن بالطويلة بعد مقتل الأمين، يخبر عن ذلك ـ عند بعضهم ـ ما نسب إليه من بضع قصائد في رثاء الأمين، نشك في نسبة معظمها إليه[٩٤]، فقد كان يعيش تلك المدّة ـ مسكوناً بهاجس الرعب مما سيصيبه ـ متخفياً ومتنقلاً في أكثر من مكان، لينتهي به الأمر عند بيت (يحيى بن الفضل بن أبي سهل ابن نوبخت) الذي زعم بعض الرواة أن (أبا نواس) كان قد هجاه بقسوة، وذاك ما لانذهب إليه معهم، فمن يراجع أبيات تلك القصائد التي قالها فيه لايجد فيها ما يسيء إلى (ابن نوبخت) كثيراً، إذ هي أقرب إلى المداعبة والمزاح منها إلى الهجاء، كمثل قوله[٩٥]:

خبز اسماعيل كالوشي إذا ما انشق يرفا
عجباً من أثر الصنعة فيه كيف يخفى

وهو ما لانظنه يغيظ (ابن نوبخت) إلى الحدّ الذي يؤدي به إلى التخلص منه بهذه الطريقة. ثم ما الذي جعله ـ وقد قيلت تلك الأبيات فيه قبل مدة طويلة من واقعة مجيء (أبي نواس) إلى بيته ـ يصبر عليه حتى ما بعد مقتل الأمين

ليقوم بفعلته معه؟.
وإذا تذكّرنا أن (ابن نوبخت) هذا كان من بين أوائل من جمع شعر أبي نواس[٩٦]، بما يعني ـ في بعض ما يعنيه ـ أنه كان من المعجبين بشعره، والحريصين على تدوينه والحفاظ عليه أكثر من الشاعر نفسه، فإنّ مثل هكذا شخص لا يمكن تصوره على ضغينة تصل إلى درجة القتل.

(٣)

تبدو الشخصيات التي قيّض لأبي نواس أن يدرجها في مآل خلود الذكر المقترن باسمه وشاعريته من الكثرة والتزاحم ما يدفع بنا إلى تجاوز بعضها واستعادة ذكر المبرزين منهم ـ من الخلفاء والأمراء والعلماء والشعراء ـ أولئك الذين كان لوجودهم بصمة مؤثرة في حياته، ومنطلق فاعلية مفصلية دالة.

ولعل أساتذته، أولئك الذين التقاهم في مستهل مراحل التأسيس المعرفي والشعري لشخصيته هم أول من يستوقف الملاحقة التاريخية لوجودهم في مسار حياته. وهم ـ وإن كان لكثير منهم شهرته ومكانته العلمية التي وثقتها له كتب التاريخ والأدب ـ فإن مرور ذكرهم في مسار حياة أبي نواس له قيمة تاريخية وتوثيقية وعلمية مضافة تهمنا في هذه القراءة.

وإذا كانت قد مرّت الإشارة إلى اختلاف (أبي نواس) إلى أبي عبيدة (معمر بن مثنى) يسأله أخبار العرب وأيام الناس، وإلى (أبي زيد) يأخذ عنه علوم اللغة فإن صلته العلمية الأكثر تأكيداً وتأثيراً كانت مع (خلف الأحمر) الذي تلقى منه كثيراً من معارفه الشعرية، وتأكدت بين يديه مقدرته على نظم الشعر والنبوغ فيه.

وإذا ما غادرنا حديث أساتذته البصريين، وتقصينا من نسب إليه الدور الأكبر ـ على ماتداولته الأخبار المتواترة مبالغة بتفصيلاتها عنه ـ في التغيير المفصلي الكبير الذي انتاب شخصية (أبي نواس) فسيندّ اسم الشاعر الكوفي (والبة بن الحباب) الذي عدّ أستاذ (أبي نواس)، ولم يكن الأمر كذلك[٩٧]، بما يجعلنا نتلقاه بشك كبير.

لقد تشابهت الإشارات إلى الشاعرين في الظرف والشاعرية والاشتغالات المضمونية حدّ التداخل بينهما . بل إن الأمر ليتجاوز ذلك المجال، حين تورد المدونات التاريخية عن أوصافهما الجسدية وانحداراتهما العائلية ما يتطابقان فيه تماما، فقد كان والبة ـ كأبي نواس ـ مطعوناً في نسبه، وكان أبيض مثله، وكل منهما من أب أسود[٩٨].

وتورد بعض تلك الدراسات متوناً سردية واضحة التمحل ـ مع ما هي عليه من اختلاف في تفصيلاتها ـ عن الكيفية التي نشأت فيها العلاقة بين الشاعرين[٩٩].

وعندنا ـ ذاهبين في ذلك مع العقاد ـ في أن هذا الذي يقال « تلفيق ظاهر لا نخاله يروي قصة واقعية»[١٠٠]، فإن من يتأمل حديث الصلة بين الشاعرين يواجهه ـ فضلاً عن اضطراب تفصيلاتها ، وانعدام الدقة التاريخية لبعضها ـ ادراجها عند بعضهم في حيز من المبالغة المفضية إلى (الغرائبية) في سرد وقائعها، تلك التي سنجد أن بعضها مما كان يروي عن غير هذين الشاعرين[١٠١]

وإذا كنا لانستطيع تحديد طبيعة العلاقة التي جمعت بينهما، مع وجود إشارات على

عمقها وحميميتها[١٠٢]، فإن ما يتبدى بين ثنايا تلك الأخبار حضـور النيّة المبيتـة، والقصدية الواضحة الأغراض للنيل من أبي نواس وسيرته، ابتداء مـن مرحلة صباه، حـين ادعت بعضها تلقف (والبـة بن الحباب) له والسـير به نحو انحرافـه الأخلاقـي الذي عرف بـه. ويبدو أن كثيرا من تلـك المرويات ذهبـت للتقوّل في أبي نـواس من خلال ما توره من أخبار عن والبة وسـلوكه وحـده، ولا تكاد تهتم بمـا كان لإبي نـواس من مقاصـد ثقافيـة ابتغاهـا من تلك التلمذة.

حاول بعض الدارسـين إنكار مسألة لقاء أبي نواس ـ حين قدومه إلى بغداد ـ بالرشـيد أو التشكيك بها، حتى ليصل الأمر بأحدهم إلى القول أن المؤرخين مجمعون «على أن أبا نواس لم يكن ممن نادموا الرشيد، واتصلوا به اتصال غيره من الشـعراء»[١٠٣]. ومـبرر هذا عنده «أن الرشيد لم يكن من أصحاب العبث المطلق، فقد كان يتندر مع أصحابـه وبطانته، ويجلس إلى بعض الشعراء، ولكن على قدر»[١٠٤].

ويبدو أن إنكار صلة أبي نواس بالرشيد موقف يحمل في طياته رغبة لتبرئة الخليفة من تبعات معرفته به ، لعلها ابتدأت منذ زمن الخلاف بين الأمين والمأمون، حين كان المسـعى المسـعورـ يـوم ذاك ـ للنيـل مـن الأمين عبر الإشـارة إلى وجود أبي نواس في بلاطه.

وعـلى هذا فالـذي يسـتقر عليه يقيننـا أن أبا نواس الذي عاش في بغداد طيلة سنوات خلافة الرشيد، وتبوء مكانته شاعراً مبرزاً بين شعراء تلك المرحلة لا يمكن الا يكون الرشيد قد التقاه وتعرّفـه، من دون أن يكون ذلـك قطعاً عندنا بالقول أنه كان من ندماء الرشيد المنضوين في بلاطه.

يـورد (الطـبري) أن (أبـا نـواس) لـم يزل محبوسـاً حتى ولي (الأمـين) الخلافة ـ وكان انقطاعه إليه أيام إمارته ـ فقال يمدحه :

تذكر أمين الله والعهد يذكـر
مقامي وإنشاديك والناس حضّـر
ونشري عليك الدرّ يادر هاشم
فيامن رأى دراً على الدرّ ينثر

فكان أن أطلق سراحه وقرّبه إلى مجلسه[١٠٥] .

ويبـدو أن المتابعين الآخريـن لتفصيلات حياة (أبـي نـواس) لا يشـاركون(الطبري) قولـه، فعندهـم أن (أبا نواس) ـ غادر سـجنه جاعلاً وجهته مصر، حيث (الخصيب بن عبد الحميد العجمي) أمير الخـراج فيها الذي مدحه بعدد مـن قصائده، ثم هجاه لاحقـاً بقصائد أخرى، فسـجنه ثم أطلق سراحه، فعاد إلى بغداد، وقد مات الرشـيد، وأصبح (عبد الله الأمين) خليفة حيـث بالـغ بعـض الدارسـين في الحديث عن علاقـة (أبي نواس) بـه، مضفين عليها حميمية مدعاة، وهو ما لا تدعمه إلا وقائع مختلقة[١٠٦]، لاسـيما حين نسـتعيد ما ذكر عن عـدد المرات التي تعـرض فيها (أبو نواس) للسـجن بأمر مـن الأمين نفسـه، تلـك التي فاقت الإشـارات إليها ما قيل عن منادمته إياه. وقد عزا البعض سـبب سـجنه المتكرر إلى عصيانه أمر الخليفة له بـترك شرب الخمـرة ومجاهرتـه بمجونه، وتعهد (أبي نواس) بذلك ثم نكوصه[١٠٧]، وهو مـا لا نذهب إليه، فالأمـين ـ الغارق في مجونه ومباذله ومجالس أنسه وخمرته[١٠٨] ـ لايمكن أن يسـجن (أبا نواس) شـاعره ونديم مجلسه ـ مثلما تحدثوا عنـه ـ لأنه يجاريه فيما اباحه

لنفسه ولجلسائه.

إن ما نـراه قريباً من واقع حـال تلك العلاقة أن (أبـا نواس) ـ وإن عـاش إلى جوار الأمين، ومدحـه في بـدء خلافته بعدد مـن القصائد ـ فـإن تلـك مرحلـة مالبـث أن تجاوزها، حين واجهه الأمين بتصرفاته الشـاذّة وفساد دولته التي سـيتحدث عنها (أبو نـواس) حتى وهو سادر في موضوعته الخمرية ، فيقول[١٠٩]:

هـاتها جـهـراً ودعـنـي　　من أحاديث خـرافـه

ضـاع بل ذل الـذي عـنّف　　فيهـا يا ذفـافـه

مثل ما ذلـت وضاعـت　　بعد هارون الخلافة

ويـورد الطبري أنه لمّا طـال حبس أبي نواس من قبل الأمين قال في حبسه[١١٠]:

احـمـدوا اللـه كـثيراً　　يـا جميع المسلمينا

ثـمّ قـولـوا لا تملّـوا　　ربّـنا أبق الأمـينا

صـيّر الخصـيان حـتى　　صيّر الـتعنين ديناً

فاقـتدى الناس جميـعاً　　بأميـر المؤمنينا

ولا يتوقـف حديـث أبـي نـواس عنـد تعرية أوضـاع الخلافة وما آلت إليـه على يدي الأمين بل إنه ليتحدث عن مباذله وسـلوكه الشخصي غير المتزن[١١١]:

وندمان يرى غبناً عليـه

بأن يمسي وليس له انتشـاء

إذا نبهـته من نوم سـكر

كفـاه مـرّة مـنـك النـداء

إذا ما أدركته الظهر صلى

ولاعـصر عليـه ولاعشـاء

يصلي هذه في وقت هذي

فـكل صـلاتـه أبـداً قضـاء

ولعـل هذه القصائـد وغيرها هـي التي كانت سـبباً في تغـيّر الأمين على أبي نـواس وغضبه وسـجنه لأكثـر مـن مـرة، كان يخرجـه من ورطته فيها وزيـر الأمين (الفضل بن الربيع) الذي كان يحفظ لأبي نواس مكانته الشـعرية ومدائحه فيه.

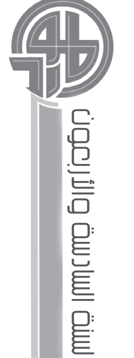
أما ما ذكر من أنه سـجنه ـ لأن أنصار المأمون عـيرّوه بمنادمتـه[١١٢] ـ فـلا نسـتبعده مـن الأمـين الذي أمسى يتخبط في مواقفه وقراراته، ولاسـيما في السـنة الأخـيرة من خلافتـه، بعد اشتداد الخلاف بينه وأخيه المأمون.

وعند بعضهم فإن (أبـا نواس) ظلّ حياً حتى ما بعـد سـنة ١٩٨هـ، ليشـهد دخـول أعوان (المأمون) بغداد ، بعد حصار لها دام خمسـة عشر شـهراً[١١٣]، ثـم مقتـل الأمـين، وماحلّ ببغـداد خـلال تلك المدة من خـراب لم تعهده من قبل[١١٤].

(٤)

يتجـلى في (موضوعـة الخمـرة) واحـدٌ مـن تكشفات (الاقتران الشرطي) التي تند في الذات الجمعية العربية حين يكون الحديث عن (أبي نواس) وشعره . وفي هذا السياق يجري تناسي أن حديـث الخمـرة في الشـعر العربي طويل وممتد إلى عصور الشعرية العربية كلها، حتى إذا بلغنا عصر (أبي نواس) تبدى لنا الانشغال بهـا من قبـل معظم الشـعراء إحدى سـمات التمثل الشعري لذلك العصر[١١٥] .

ويبدو أن التفوق الشـعري الذي تهيأ لقصيدة أبـي نـواس الخمريـة ـ التي يعـي صاحبها مقاصدها ورؤاها والفكر الذي يؤسسـها عليه ـ كانت سبباً في أن يتضاءل الاهتمام بكثير من تلك القصائد التي ذهب بها شـعراؤها الوجهة ذاتهـا، ليصـل الأمـر إلى تناسي أسـماء أولئك الشـعراء تماماً، وإلقاء عائديـة تلك القصائد



بين يـدي شـاعرية أبي نـواس وعدّهـا منها، حتى ليقول (ابـن المعتز) « إن العامة الحمقى قد لهجت بأن تنسـب كل شـعر في المجون إلى أبـي نواس»[١١٦] وكان (أبـو نواس) يعي ذلك ويجاهر به[١١٧].

ومن بين هؤلاء الشـعراء الذين قيض لشعرهم أن ينسـب بعضـه إلى أبـي نـواس تذكرهـم المصادر(أبـو الهندي) الذي قـال عنه صاحب (الأغانـي) أنـه « كان شـاعراً مطبوعـاً، وقـد أدرك الدولتـين ـ دولـة بني أميـة وأول دولة ولـد العبـاس ـ وكان جـزل الشـعر، حسـن الألفـاظ، لطيف المعاني. وإنمـا أخمله وأمات ذكره بعده عن بلاد العرب ومقامه بسجستان وخراسـان، وشـغفه بالشراب ومعاقرته إياه، وفسـقه، وما كان يتهـم به من فسـاد الدين. وهو أول من وصف الخمر من شعراء الإسلام، فجعـل وصفها وكده وقصـده»[١١٨] . وقد نقل عن بعـض معاصري (أبـي نـواس) اتهامهم له بالإغـارة على معاني هذا الشـاعر وادعائها لنفسه[١١٩].

وكان قد ورد في سـيرة (أبي الهندي) أنه طلب منـه الكف عن معاقـرة الخمـرة وإلا تعرض للعقاب، ولكنه لم ينتـه[١٢٠]، وهو الموقف ذاته الذي يرد عن (أبي نواس) كما مرّ ذكره.

وتتحـدث بعـض المصادرعـن شـاعر آخـر هو(الحسـين بن الضحاك الخليع)، الذي يشير الأصفهاني إلى أن (أبا نواس) « يأخذ معانيه في الخمر، فيغير عليها . وإذا شـاع له شـعر نادر في هذا المعنى نسبه الناس إلى أبي نواس»[١٢١] . وهـو الأمر ذاته الذي ذكـره (ابن منظور) عن (الخليع) وشـاعر آخر يلقب بـ (أبي الهداهد) الـذي يقـول أنه كان « شـاعراً مجيـداً، وكان لايكاد يقول شـيئاً إلا نسب لأبي نواس، وكذلك الحسـين بن الضحاك المعـروف بالخليع . وقد غلب على الكثير من شعرهما»[١٢٢].

●في الختام:

يواجـه المتلقي الباحث عن البعد الموثق من حياة أبي نواس وشـاعريته خضم من الوقائع والأخبار والتقولات المشـتجرة والمتناقضة التي تراكمت عـبر التأثيث المتلاحـق بزمانيته لأفق شـخصيته ومنجزهـا، حتـى لا تـكاد القناعة لتقرّعينـاً، زاعمـة أن هذا الذي بـين يديها هو ممـا اتفق عليـه النـاس والدارسـون على مرّ عصورهم، فلا لقبه، ولا تاريخ ولادته أو وفاته، ولا تفصيلات سيرته، أو شؤون عائلته، ولا من التقاهم أو ممن لم يلتقهم ـ من الشـخصيات الثقافية والسياسية المشـهود لها بالذكر ـ ولا مجموع شعره ـ الذي تتداوله الأقلام والألسن ـ ممـا يمكـن القول أنه محـل تواضع واتفاق وإجماع يمكـن الركون إليه والتيقن الراسـخ منه .

إن شـأن (أبـي نـواس) كلـه مثـار للخـلاف والتباعـد المفـضي إلى القلق والشـك في معظم مـا قيل عنه وروي ، لأن شـخصيته ـ في متنها المتداول ـ مطلقة التشـكل مباحتة، ومتداخلة التفصيلات التي تتناهى في لا صدقية كثير منها . حتـى لكأن الحديث عنها مسـاحة تقوّل عن ذات أنتجهـا التخيّل المـشرع إلى أقصاه وليس التّشخص التاريخي المدون، أو أن هذا المتداول إنما يدور عن شـخصيات عـدّة، قيض لها أن تتداخـل ـ في الحضور والمسـمى ـ لتندّ ماثلة

فيما تكيّف من متن مدعى عن هذه الشخصية وسيرتها وحدها.
إن ماتحتاجه تفصيلات حياة (أبي نواس) وشاعريته عودة منهجية حقيقية ورؤية منصفة تزيح ركام الوقائع والأخبار والأشعار والادعاءات الزائفة، والتردد القلق الذي انتاب كثيراً من دارسيه، وصولاً إلى جوهر وجوده الإنساني والثقافي والإبداعي الذي تجلى فيه « صاحب رأي وموقف والتزام، يستأهل أن يجرد من شوائب حكايات التاريخ المسلية وأقوال متعاطي الأدب وممتهني قتل المواهب والقابليات بالأساليب البلاغية الشائعة»(١٢٣).

لقد قدّر لأبي نواس - يقول العقاد - أن «يظفر بنصيب من الأخبار والأوصاف والمعالم الشخصية مالم يظفر به شاعر عربي غيره في المشرق أو المغرب ولا في الزمن القديم أو الزمن الحديث»(١٢٤). وعندنا فإن مردّ ذلك جملة عوامل تواشجت في شخصيته ومنجزه الشعري الذي كان فيه مرآة لعصره، بقيمه وانشغالاته، وطرائقه الجمالية في التعبير.

وإذا ما غادرنا حديث الإشكالات المتعلقة بتفصيلات حياته - وما اندس فيها من أخبار ووقائع أوردها البعض، وكان مضطرباً في أخباره متردداً كـ (ابن منظور)، أو كان وضاعاً دعيّاً كـ (ابن هفان)، أو كان تابعاً مردداً لما قاله الأولون، كما هو الحال عليه مع كثير من الدارسين المعاصرين - فإن القضية الإشكالية الأخرى اللاحقة الجديرة بتوقف قرائي منقطع إليها وحدها هي تلك التي تتعلق بوجهته الشعرية الجديدة، وما تخيّره لها من تثبت تعبيري وسياق استهلال أزاح به جانباً (المقدمة الطللية) منادياً ببديلتها (المقدمة الخمرية) التي تأول في مداليلها واستقصاها بتمثل دلالي بعيد المدى، غادرت (الخمرة) النواسية من خلاله مادية حضورها إلى حيث تستحيل كشوفاً من الرؤى والأفكار والمجادلات المعرفية اللافتة. فكان له أن رسخها نسق تعبير جاراه به كثير من شعراء عصره والتابعين لهم. ولم يكن منطلقه في ذلك التمرد وجهة من السخرية العابثة بل كان - في جانب متسع منه - نزوعاً للنيل من ذلك الذي ظل الشعراء - قبل أبي نواس - سادرين فيه ، وهم يستدعون قيم الماضي ، وما تبثه من صنيعها الذي غادره عصر (أبي نواس)، وهو يدلف قيم الحضارة الشاخصة أمامه التي صنعها تمازج إنساني متعدد الأعراق والأفكار والقيم.

●هوامش وإحالات :

(١) عن مصادر دراسة أبي نواس ينظر: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج١/ص٢٩ ومابعدها. وخير الدين الزركلي، الأعلام،ج٢/ص٢٤٠.و: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الأول، ص٢٢٠.و عبد الحسين الشبستري، مشاهير شعراء الشيعة ،ج١/ص٤٠٦ ومابعدها.

(٢) ومفردة (التقولات) نعنيها هنا، فمن الطريف أن مفردة (قيل) كانت كثيراً ماتسبق الحديث عن أي شأن من شؤون (أبي نواس) سواء فيها من تناوله من القدماء أو المعاصرين . ينظر مثلاً : ابن منظور، أبو نواس، ص١٩ ومابعدها، و: كارل بروكلمان،ج١/ ص٢٤ شوقي ضيف ، ص٢٢١ ومابعدها. ونحن نشك في كثير من هذا الذي (قيل) متبايناً ومتناقضاً حداً يكاد فيه بعضه يلغي بعضه الآخر.

(٣) ينظر: ابن منظور، أبو نواس في شعره ومباذله وعبثه ومجونه، ص١٩. وجرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ص٣٦٧.و:أدونيس، الثابت

والمتحول،ج٣/ص٢٤٥.
(٤) ينظر: ابن منظور، ص١٦٣ و: عباس محمود العقاد. أبونواس الحسن بن هانيء، ص٥.
ومن الطريف أن البيئة االشعبية العراقية تطلق عليه اسم (أبو النوّيص).
(٥) الفزاري، فكاهات الأسمار، ص٩٧ و: عبد الرحمن صدقي، أبو نواس ـ قصة حياته وشعره، ص٥.
(٦) يورد (ابن منظور)، ص١٩ الآتي: « سئل (يعني أبو نواس) عن كنيته ما أراد منها ومن كنّاه بها وهل له ولد اسمه نواس ، وهو أبو نواس؟ فقال: نواس وجدن ويزن وكلال وكلاع أسماء جبال لملوك حمير، والجبل الذي لهم (يعني أسلافه) يقال له نواس.
وسئل مرة أخرى فقال: سبب كنيتي أن رجلاً من جيراني بالبصرة دعا أخواناً له فأبطأ عليه واحدٌ منهم، فخرج من بابه يطلب من يبعثه إليه ليستحثه على المجيء إليه فوجدني مع صبيان ألعب معهم، وكانت لي ذؤابة في وسط رأسي، فقال لي: ياحسن امض إلى فلان جئني به، فمضيت أعدو لأدعوالرجل وذؤابتي تتحرك ، فلما جئت بالرجل قال لي: أحسنت يا أبا نواس فلزمتني هذه الكنية».
(٧) يروى أن (خلف الأحمر) استدعى الحسن يوماً وقال له : أنت من اليمن فتكنّ باسم من أسماء الذويين ـ وهم المصدّرة أسماؤهم بـ (ذو) من ملوك اليمن ـ وأحصى لهم خلف أسماءهم وخيّره ، فاختار منها (ذو نواس) فكناه (أبا نواس)، فصارت كنيته، وغلب على (أبي علي) كنيته الأولى . ينظر: صدقي، ص٤٨. وتنظر مصادره.
(٨) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد،ج ٧/ص ٤٤٨.
(٩) أبو هفان ، أخبار أبي نواس،ص١٠٨.
(١٠) ابن منظور، ص٢٠.
(١١) يقول (طه حسين)، حديث الأربعاء، ص٣٦٣، أنه ولد سنة ١٤١هـ. وجاراه في ذلك (عبد الرحمن صدقي)، أبو نواس قصة حياته وشعره، ص١٣. وذهب (جرجي زيدان)، ص ٣٦٧، إلى أنه ولد في الأهواز سنة ١٤٥هـ في خلافة أبي جعفر المنصور.ويورد كارل بروكلمان، ج١/ص٢٤، أنه ولد سنة ١٣٠هـ ، وقيل سنة ١٣٩هـ، وقيل سنة ١٤٥ هـ. ويورد (شبستري)، ص٤٠٤، تواريخ أخرى، فيقول أنه « ولد بالأهواز سنة ١٤٥، وقيل سنة ١٤٠، وقيل سنة ١٣٦هـ، وقيل سنة ١٤٨هـ، وقيل سنة ١٤٠هـ. وذهب الدكتور شوقي ضيف ، ص٢٢١ إلى أنه ولد سنة ١٣٩هـ. وبهذه السنة قال أدونيس، ص٢٤٥ أيضاً. أما محقق ديوانه (أحمد عبد المجيد الغزالي) فقد وضع على الغلاف الداخلي أنه ولد سنة١٣٦هـ ، وقيل١٤٠هـ، في حين قال محقق آخر للديوان هو (محمد أنيس مهرات) إن تاريخ مولده يقع بين سنتي ١٣٠هـ و١٥٠ هـ ! ، ليرجح بعدها أنه ولد سنتة ١٣٩هـ. وكذلك فعل جمال جمعة ، أبو نواس ـ النصوص المحرمة ، ص٢٢ .
(١٢) ينظر: ابن منظور، ص١٩.
(١٣) ينظر: ابن منظور ، ص٢١، قوله : « والمجمع عليه أن أصله من خوز الأهواز». ويرى بروكلمان، ج١/ص٢٤ أنه كان « عربياً من جند مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية. وهو الرأي الذي ذهب إليه جرجي زيدان ، ص ٣٦٧ ـ قائلاً إن أباه « كان دمشقياً من جند مروان بن محمد ، أنفذه مروان إلى الأهواز. ومثله العقاد الذي قال، ص١١٣: « فأبوه كان من جند أمية، وضاع رزقه في الجيش الأموي بقيام الدولة الجديدة « وكذلك قال جمعة ، ص٢٢، نقلاً عن ديوان أبي نواس، تحقيق إيفاك فاغنر، ١/ هـ .
(١٤) الخطيب البغدادي، ج٧/ص ٤٣٦.
(١٥) وعن ذلك يروي ابن منظور، ص٢٨ الواقعة الآتية « قال أبو عمر: خرجت مع الأصمعي إلى المسجد الجامع ... فوقف بي على دار مبنية بالآجر والجص هناك ، فقال أترى هذه الدار ؟ عهدي بها عامرة من قصب، وكان فيها طرّاز حائك، وكان فيها إنسان فارسي تزوج امرأة فولدت غلاماً فأرضعت بلبانه غلاماً من ثقيف. ثم تعلم الصبي ابن الحائك القرآن ثم قال الشعر، وخرج إلى بغداد ... فسألته عنه فقال: هو أبو نواس».
(١٦) هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، الخليفة الأموي الرابع عشر، وسمي مروان الجعدي ومروان الحمار وكنيته أبو عبد الملك، حكم مدة ست

سنوات وقتل عام ١٣٢هـ، بعد هزيمته في معركة (الزاب)، وهربه إلى مصر. وكان في الستين من عمره، وهو آخر خليفة أموي في دمشق. ينظر: الطبري تاريخ الرسل والملوك،ج٦/ص١٠٤. جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء ، ص٢٥٥.

(١٧) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص١٩٤.

(١٨) ابن منظور، ص١٩ومابعدها.

(١٩) يقول العقاد،ص٩٦ : « أما أبوه (هانيء) فالأرجح أنه من سلالة زنجية تنتمي إلى مولى من اليمن، وكان أسود شديد السواد، قال فيه أبان (اللاحقي):

هانيء الجون أبوه زاده الله هوانا

وذلك ما سايره فيه بعض الدارسين المعاصرين . يقول فوزي عطوي، ديوان أبي نواس ـ الخمريات، ص٣. ويرجح أن والده (هانئاً) الذي توفي وهو مايزال طفلاً من سلالة زنجية تنتمي إلى مولى من اليمن، فلونه الشديد السواد يوحي بهذا النسب.

(٢٠) ينظر: عبده بدوي، دراسات في النص الشعري، ص٢٣.

(٢١) ينظر: ابن منظور ،ص٤ ومابعدها. ويقول العقاد (ص ١٠١): ولد الشاعر أبيض بلون أمه.

(٢٢) ينظر: ابن المعتز ، ص١٩٤، وابن منظور ، ص٤ ومابعدها .

(٢٣) يقول ابن منظور، ص٣٥ « وكانت (عنان) جارية الناطقي لاتبالي ماقالت ، فوقع بينها وبين أبي نواس شرّ ، فدست إليه سفهاء الكرخ والعيارين، وقالت لهم : إذا مرّ بكم أبو نواس فصيحوا به وعطعطواعليه:

أبو نواس بن هاني

وأمه جلبان

والناس أفطن شيء

إلى دقيق المعاني

إن زدت حرفاً على ذا

ياصاح فاقطع لساني

ويتبنى العقاد ذلك ، فيقول ص٩٥: قيل أن أمه كانت تستخدم صناعتها في الاتجار بملابس النساء للجمع بين الغواني وطلابهن في بيتها».

(٢٤) ينظر: مهرات، ص٦.

(٢٥) يقول العقاد، ص ٩٣: « ولايمنع أنه واحدها ماجاء في ترجمته من سيرة أخيه وأخته ، فربما كانا أخويه لأبيه، إذ كانت أمه قد (تطلقت) من أبيه وهو غلام صغير، ولبث بعد ذلك في كفالة أمه، ولايبعد أن يكون أبوه قد تزوج قبلها أو بعدها».

(٢٦) ينظر: الطبري،ج١٠/ص٢١٩، و:ابن المعتز، ص١٩٤، و: ابن منظور ،ص٤، و: زيدان ، ص ٣٦٧،و: شوقي ضيف، ص٢٢١. و: النويهي ، نفسية أبي نواس ،ص٨٠.

(٢٧) ينظر:منظور، ص١٩. العقاد، ص ٩٣. شوقي ضيف، ص٢٢١. جمعة، ص٢٢.بدوي ،ص٢٣.

(٢٨) ينظر: العقاد ،ص٩٤.

(٢٩) ينظر: الديوان (تحقيق مهرات)،ص٧. والديوان

(تحقيق الغزالي)، ص ط. و: العقاد، ص٩٤.

(٣٠) ينظر: النويهي، ص٨٠.

(٣١) ينظر: ابن منظور، ص٢١.

(٣٢) ابن كثير،البداية والنهاية ج١٠/ص٢٢٧.

(٣٣) يؤكد الخطيب البغدادي،ج٧/ص٤٣٧، نقلاً عن (ابن خلكان) هذا المسار المعرفي الخصيب عند (أبي نواس) فيقول أنه : « صحب أبا أسامة وابن الحباب الكوفي وروى الحديث عن أزهر بن سعد وحماد بن جمعة ، وحماد بن سلمة وعبد الواحد بن زياد ومعمر بن سليمان ويحيى القطان ... وحدث عنه جماعة منهم الشافعي وأحمد بن حنبل وغندر ومشاهير العلماء».

(٣٤) ينظر: ابن منظور، ص٢١. عطوي ، ص٥.

(٣٥) ينظر: الجاحظ ، الحيوان،ج٤/ص٤٥٠ . ابن المعتز، ص٢٧٢.

ويورد ابن منظور ، ص٢٢، الخبر الآتي: « ثم جلس أبو نواس الى الناشيء الراوية (محمد بن حبيب) فقرأ عليه شعر ذي الرمة، فأقبل الناشيءعلى أبيه هانيء وقال له: إن عاش ابنك هذا وقال الشعر ليقوله بلسان مشقوق ». ولاشك في أن هذا الخبر لايستقيم مع ما أورده بعض الدارسين ـ ومنهم ابن منظور نفسه ـ

عن وفاة أبيه وهو في سن الثانية .
(٣٦) ينظر: ابن منظور، ص٢٢.
و(والبة بن الحباب)، أسدي صليبة، كوفي .. وكان ظريفاً شاعراً غزلاً وصافاً للشراب والغلمان. وشعره في غير ذلك مقارب ، ليس بالجيد. وقد هاجى بشاراً وأبا العتاهية، فلم يصنع شيئاً ، وفضحاه، فعاد إلى الكوفة كالهارب، وخمل ذكره. ينظر: الأغاني، ج١٨/ص٣٢٥.
(٣٧) يقول ابن منظور، ص٢٣: « وقيل أن النجاشي الأسدي والي الأهواز للمنصورحمل عطارين من البصرة وفيهم أبو نواس» .
(٣٨) هو أبو محرز خلف بن حيان الملقب بالأحمر. عالم بالغريب والنحو والنسب والأخبار، كان راوية ثقة وشاعراً كثير الشعر جيده، اجتمع له ديوان شعر حمله عنه أبو نواس توفي سنة ١٨٠هـ . ينظر: معجم الأدباء ج١١/ص ٦٦.
(٣٩) ينظر: ابن خلكان،ج٢/ص٩٦ . وقيل إن أول قصيدة قالها هي تلك التي كان مطلعها:

حامل الهوى تعب يستخفه الطرب

(٤٠) يقول الغزالي، ص م « وحدث في هذه الفترة أن أحب أبو نواس جارية تدعى (جنان) كانت لآل عبد الوهاب الثقفي. أحبها حباً عنيفاً قوياً، وكتب فيها أرق أشعاره . وهو فيما كتبه عن هذه الجارية لم يكتب على مثال سبق ، ولم يحاول أن يقلد أحداً». ومن قصائده فيها ، الديوان (مهرات)، ص١٢٩:

أشاب رأسي قبل أترابي
حبي لمن حبيه أزرى بي
علقت من حيني ومن شقوتي
أخا مزاح يتمرى بي
لابس سيما قائل صادق
مخبوره مخبور كذاب

(٤١) تختلف الآراء في تحديد ولادة الرشيد ، فقد ذكر الطبري في تاريخه ،ج٢/ص٥٥٩ أنه ولد سنة ١٤٨هـ، وقال ابن الأثير، الكامل ،ج٦/ص١٠٦، وابن الساعي، مختصر أخبار الخلفاء، ص ٦٧، أن ولادته كانت في سنة ١٤٥هـ في مدينة الري عندما كان أبوه (المهدي) والياً على خراسان. ولعل هذا التاريخ ليس صحيحاً إذ أن ولادة أخيه ـ الأكبر منه سناً ـ الهادي بالري كانت ينظر: سنة ١٤٧هـ .السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٧٩. الذي تولى الخلافة بعد وفاة أبيه المهدي سنة ١٦٩هـ (نفسه ص٢٧٣). وعلى هذا تكون ولادة الرشيد بين ١٤٩ ـ ١٥٠هـ، وذاك ما قال به الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد،ج ٥/ص١٤، وخليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط،ج ٢/ص٤٩٦. وبويع الرشيد بالخلافة سنة ١٧٩هـ . ينظر:السيوطي، ص٢٨٣.
(٤٢) ابن منظور، ص١٩٠.و(هرثمة بن أعين ٢٠٠هـ): من قادة جيوش الدولة العباسية البارزين أيام خلافة (هارون الرشيد) وممن تولى إمارة أكثر من إقليم فيها. انحاز إلى المأمون أيام خلافه مع أخيه الأمين. وبعد مقتله ودخول جيوش المأمون بغداد عاد إلى خراسان ولكن المأمون مالبث أن نقم عليه فحبسه، ثم دُس له السم فمات فيه.
(٤٣) ينظر:أبوهفان،ص١٠٠،المرزباني،الموشح،ص ٢٨٧. شوقي ضيف، ص٢٢٤..
(٤٤) يقول ابن منظور، ص١٩٤: «وقال بعض المترجمين ممن يحيط علماً بأحوال أبي نواس أن هذه الحكايات عن أبي نواس والرشيد موضوعات ، وأن أبا نواس مادخل على الرشيد قط ولا رآه» . ويرى الدكتور جلال الخياط ، الشعر والزمن ، ص٢٩. أنّ «علاقته بالرشيد محدودة وموضع شك من المؤرخين. ويوثق مهرات ، ص١ هذا الرأي مؤكداً:« وقيل ـ وهو الصواب ـ أنه لم يدخل على الرشيد ولا رآه، وإنما هي أقوال تناقلها الناس، وقصص تندروا بها واستظرفوها، ونسبوا كل ما على هذه الشاكلة من القصص للرشيد وأبي نواس، وهي من باب الأدب الشعبي».
(٤٥) ينظر: جمعة ، ص٢٣.والديوان (مهرات) ، ص١٦.
(٤٦) ينظر: ابن منظور، ص١٩٠ومابعدها.
(٤٧) ينظر: الديوان (مهرات)، مدائحه: ص ٢٦٦، ٦٩٤، وأهاجيه: ١٤٦ ،٤٦٣، ٧٠٤.
(٤٨) ينظر: المصدر نفسه، الصفحات ١٦ ، ٢١٩، ٢٦٦، ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٧١.

(٤٩) يذكرالطبري ،ج ٨/ص٥١٤ في هذا الصدد الآتي: «وذكر عن إبراهيم بن اسماعيل بن هانيء، ابن أخي أبي نواس ، قال: حدثني أبي ، قال: هجا عمك أبو نواس مضر في قصيدته التي يقول فيها:

أما قريش فلا افتخار لها
إلا التجارات من مكاسبها
وأنها إن ذكرت مكرمة
جاءت قريش تسعى بغالبها

قال : يريد أن أكرمها بغالب. قال فبلغ ذلك الرشيد في حياته، فأمر بحبسه» .

وينظر: الديوان ـ ص١٣٣ومابعدها. وقد ورد البيت:

إن فاخرتنا فلا افتخار لها
إلا التجارات من مكاسبها

أما البيت اللاحق فغير موجود في الديوان.

(٥٠) ينظر: ابن منظور ، ص١٨٩.

(٥١) الطبري ، ج٨ /ص٥١٤.

(٥٢) ينظر: الديوان ، ص١٣٩.

ويورد الطبري ،ج ٨ /ص٥٢٥ ، أن أبا نواس أرسل من سجنه رقعة إلى الفضل بن الربيع فيها:

مامن يد في الناس واحدة
إلا أبو العباس مولاها
نام الثقات على مضاجعهم
وسرة إلى نفسي فأحياها
قد كنت خفتك ثم أمنني
من أن أخافك خوفك الله
فعفوت عني عفو مقتدر
وجبت له نقم فألغاها

فكانت هذه الأبيات سبب خروجه من الحبس. وقد روى (ابن منظور، ص٦٠) أن هذه الأبيات قالها في مدح الرشيد، ذاكراً الواقعة الآتية: « ثم قال (أبو العتاهية) له (لأبي نواس) كيف قلت في اعتذارك للرشيد... فأنشده الشعر».

(٥٣) هو «الخصيب بن عبد الحميد العجمي أمير مصر على الخراج، وإليه تنسب منية الخصيب بالوجه القبلي بمصر، كان رئيساً في أراضيه، فانتقل إلى بغداد، وصار كاتب مهرويه الزازي، ثم انتقل إلى الإمارة»ينظر:ابن خلكان، وفيات الأعيان ،ج١/ص٦١، ١٣٥.ابن منظور،ص٢١٣ .

(٥٤) ينظر: الديوان، الصفحات:١٣٣ ،٣٧٤، ٣٧٦، ٣٧٩، والصفحات : ١٤٤ ،١٤٥، ١٤٧.

(٥٥) ينظر: ضيف، ص٢٢٤.

(٥٦) ينظر: الأغاني ،ج١٠/ص٣٧٩. و:السيوطي، ص٢٩٧.

(٥٧) الديوان، (مهرات) ،ص١٧.

(٥٨) ينظر: المصدر نفسه.

(٥٩) ابن منظور، ص١٠٧وما بعدها.

(٦٠) ينظر: المصدر نفسه.

(٦١) ينظر: الطبري ، ج٨ /ص٥٢٤ ، حيث أورد الأتي: « يؤتى بأبي نواس أمام الفضل بن الربيع متهماً بالزندقة، فيبرأ من ذلك ويحلف» .

(٦٢) ينظر: المصدر نفسه، ج٨ /ص٥٢٥.ويضيف، ج٨/ص٥١٨: قال أبياتاً بلغت الأمين في آخرها:

وقد زادني تيهاً على الناس أنني
أراني أغناهم إذا كنت ذا عسر
ولو لم أنل فخراً لكانت صيانتي
فمي عن جميع الناس حسبي من الفخر
ولايطمعن في ذاك مني طامع
ولا صاحب التاج المحجب في القصر

(٦٣) ينظر:الطبري ،ج ٨ /ص٥٢٥ .

(٦٤) يقول السيوطي ، ص٢٩٩: « لحق غالب العباسيين وأركان الدولة بجند المأمون، ولم يبق مع الأمين يقاتل عنه إلا غوغاء بغداد والحراشفة، إلى أن انتهت سنة ثمان وتسعين، فدخل طاهر بن الحسين بغداد بالسيف قسراً، فخرج الأمين بأمه وأهله من القصر إلى مدينة المنصور، وتفرق عامة جنده وغلمانه، وقل عليهم القوت والماء».

(٦٥) الديوان،ص ٣٩٠.

(٦٦) الخطيب البغدادي،ج ٧/ص ٤٤٨.

(٦٧) ينظر: ابن منظور، ص٢١.

(٦٨) ينظر: المصدر نفسه.

(٦٩) المصدر نفسه.

(٧٠) ينظر: ابن منظور، ص ٢٥٥.

(٧١) يقـول (جرجـي زيـدان، ص٣٦٧) أن وفـاة أبـي نواس وقعت في سـنة ١٩٨هـ. أمـا (بروكلمان) فيضعهـا بين التاريخين ١٩٥ـ١٩٨هـ. ويرجح (عبد الرحمـن صدقي، ص١٣) أنه توفي سـنة ١٩٩هـ ، في حـين يتردد (أدونيس ، ص٢٤٥) بين تاريخين، فعنده أنـه مات ببغداد سـنة ١٩٥هـ، وقيل سـنة ١٩٩هـ.. ويشـير تأكيداً لرأيه إلى : طبقـات ابن المعتز ،ص١٩٣ ومابعدها.والأغانـي (دار الثقافـة) ج٢٠/ص٣٠، والشـعر والشـعراء، ج٢/ص٦٨٠» ، أمـا (محمـد سالمان، ديوان أبي الشمقمق ، ص١٣٥) فيرى أنه توفي عام ٢٠٠هـ ، مؤسسـاً ذلك على الإشـارة إلى : الأغاني، ١٨/٢، ووفيـات الأعيـان،ج ٨/ص١٦٨، ومعجـم الشعراء ،ص ٥٦٥. ويقول العطية ، ص١٨٥» بوفاته سـنة ١٩٩هــ. ويشـاركه جمعـة ، ص ٢٢ ، القـول بالتاريخ نفسه. ويتردد شبستري، ص٤٠٦ ـ بين عدّة تواريـخ ، فعنده أنه مات ببغداد سـنة ١٩٨هـ ، وقيل سـنة ١٩٩هـ ، وقيل سنة ١٩٥هـ ، وقيل سنة ٢٠٠هـ.

(٧٢) أبو هفان ، ص٣٤.وينظر : ضيف، ص٢٢٦.

(٧٣) ينظر: شبستري، ص٤٠٦

(٧٤) ينظر: الديوان (مهرات) ، ص١٩.

(٧٥) ينظر:الخطيـب البغـدادي،ج ٧/ص ٤٤٨. وتسـمى اليوم (مقـبرة الجنيد) وتقع وسـط بغداد في الجهة الغربية من نهر دجلة.

(٧٦) ينظر:العقاد،ص١٠٧.و:الديوان (مهرات)،ص١٥.

(٧٧) ينظر: الديوان (مهرات)، ص١٥.

(٧٨) طه حسين، ص٣٦٣.

(٧٩) ينظر: الديوان (مهرات)، ص ٦٠٨ . و: العقاد ، ص ٩٣. ويورد مهرات ، ص١٩خبراً عن أن أمه بقيت حيـة بعد وفاته ، وأنها اسـتولت على المال القليل الذي خلفه بعده.

(٨٠) ينظر : عطوي ،ص٥.

(٨١) ابن منظور، ص٣١.

(٨٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٨٣) ينظر: المصدر نفسه ،ص٢١.

(٨٤) ينظـر: الجاحـظ ، الحيـوان،ج٤/ص٤٥٠. ابن المعتز،ص٢٧٢.

(٨٥) ابن منظور، ص٣٣.

(٨٦) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٢.

(٨٧) العقاد، ص ١٠٧.

(٨٨) ينظر: المصدر نفسه، و: النويهي ،ص١٥٨.

(٨٩) الديوان (مهرات)، ص٣٧٧.

(٩٠) المصدر نفسه .

(٩١) المصدر نفسه ، ص٦٩٧.

(٩٢) ينظر: الديوان (مهرات) ، ص١٤٨.

(٩٣) الطبري ،ج ٨/ص٥٢٤.

(٩٤) السـيوطي ، ص٣٠٠. ويضيـف : « وكان قتلـه في المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة، وله سبع وعشرون سنة».

(٩٥) كقصيدته: الديوان (مهرات)٣٩٠.

طوى الموت مابيني وبين محمد

وليس لما تطوي المنية ناشر

وقصيدته، ص٣٩١ :

أيا أمـين الله من للـندى

وعصمة الضعفى وفك للأسير

وقصيدته، ص٦٣٠.

أعزي ـ يامحمد ـ عنك نفسي

معاذ الله والأيدي الجسام

وقد نسـبت للحسـين بن الضحـاك ، ينظـر: الديوان ، ص١٦١.

(٩٦) الديوان (مهرات)، ص٤٧٦.

(٩٧) ابـن منظـور، ص١١٣،و: الديوان(مهـرات)، ص٤٢.

(٩٨) ينظر: ابن منظور ، ص٢٢.

و(والبـة بـن الحبـاب) شـاعركوفي، كان ظريفاً غزلاً وصافـاً للـشراب والغلمـان . وقد هاجى بشـاراً وأبا العتاهيـة ، فلـم يصنـع شـيئاً، وفضحـاه ، فعاد إلى الكوفـة كالهارب، وخمل ذكره. ينظر: الأغاني، ج١٨/ ص٣٢٥.

(٩٩) ينظر: العقاد ،ص١٤٢.

(١٠٠) ينظر: ابن منظور، ص٢٣، و : أبو هفان، ص١٠٩.

(١٠١) العقاد، ص١٠٧.

(١٠٢) ينظر: ابن منظور ،ص٢٥.

(١٠٣) ينظر: الديوان (مهرات)،ص١٤٧.

(١٠٤) ابـن منظـور ، مقدمـة النـاشر، ص٢٤٧.و: الديوان (مهرات)،ص١٢.
(١٠٥) الطبري، ج٨/ص٥١٤.
(١٠٦) ينظـر: العقـاد ،ص٥٥، وينظـر مصـدره . والديوان (مهرات)، ص٢٦٣.
(١٠٧) ابن منظور، ص١٠٧وما بعدها.
(١٠٨) أورد عنـه الطـبري، ج٧/ص١٠١: «لـما ملك محمـد (الأمـين)... طلـب الخصيـان وابتاعهم وغالى بهم ، وصيّرهم لخلوتـه في ليله ونهاره، وقوام طعامه وشرابـه وأمـره ونهيه ؛ وفـرض لهم فرضاً سـمّاهم الجراديّة، وفرضاً من الحبشان سمّاهم الغرابيّة».
(١٠٩) المصدر نفسه ، ص٤٦٦.
(١١٠)الطبري، ج٧/ص١١٠. وينظر: الديوان، ص٧٠٤ .
(١١١) الديوان (مهرات)، ص٥٧.
(١١٢) ينظـر: الطـبري،ج٨/ص٥١٧. ويـورد ابن منظور في كتابه (مختار الأغاني، ج٣/ص٩٧) الآتي: « لـما خلـع (المأمون) الأمين في خراسـان أمر أن يعمل كتـاب في عيـوب الأمـين يقـرأ عـلى منابر خراسـان وعـاب عليه منادمته أبا نواس، وقال فيه أنه اسـتحلى رجلاً شـاعراً ماجناً كافراً يقال له الحسـن بن هانيء واسـتخلصه ليـشرب معـه الخمـر ويرتكـب المآثـم والمحارم».
(١١٣) يقـول السـيوطي، ص٢٩٩:«لحـق غالـب العباسـيين وأركان الدولة بجنـد المأمون، ولم يبق مع الأمـين يقاتل عنه إلا غوغاء بغداد والحراشـفة، إلى أن انتهت سنة ثمان وتسـعين، فدخل طاهر بن الحسين بغداد بالسـيف قـسراً، فخرج الأمين بأمـه وأهله من القصر إلى مدينة المنصور وتفرق عامة جنده وغلمانه، وقل عليهم القوت والماء».
(١١٤) ينظـر: المسـعودي ،ج٣/ص٤٤٧ ومابعدها. ويقـول ، ص٤٥٤:»ولـم تـزل الحـرب قائمـة بـين الفريقين أربعة عشر شـهراً ، وضاقـت بغداد بأهلها، وتعطلـت المسـاجد،وتركت الصلاة، ونـزل بها ما لم ينزل بها قط منذ بناها أبو جعفر المنصور».
(١١٥) ينظـر: ضيـف، ص٦٦،ومـا بعدهـا وتنظر مصادره و: عطوي ، ص١٩ وما بعدها.
(١١٦) ابن المعتز ، ص٨٩ .
(١١٧) يروي الأصفهاني ، ج٧/ص١٤٥ أن (الحسين بـن الضحـاك) قـال: «لما قلـت قصيدتـي (بدّلت من نفحات الورد بآلآءِ) أنشـدتها أبا نواس، فقال : ستعلم لمـن يرويها النـاس ألي أم لـك. فكان الأمـر كما قال، رأيتها في دفاتر الناس في أول أشعاره» .
(١١٨) الأصفهاني/ أبو الهندي.
(١١٩) ينظر:الأصفهاني ،ج٢٠/ص٤٣٥.
(١٢٠) ينظر: المصدر نفسه.
(١٢١) ينظر: المصدر نفسه ،ج٧/ص١٤٣.
(١٢٢) ينظـر: ابـن منظـور ،ص٦٨. و:العقـاد ، ص١١٠.
(١٢٣) الخياط،ص٢٩
(١٢٤) العقاد، ص٢٦.

● مصادر البحث ومراجعه:

ـ أدونيس ، علي أحمد سعيد:
ـ الثابـت والمتحـول ـ بحـث في الاتبـاع والإبداع عند العرب(٢) تأصيل
الأصول، دار العودة ،الطبعة الرابعة، بيروت ١٩٨٦م.
ـ الأصفهاني ، أبو الفرج:
ـ الأغاني، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٥م.
ـ بروكلمان ، كارل :
ـ تاريخ الأدب العربي ، نقله إلى العربية الدكتور عبد الحليم النجار، مؤسسة
دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية، قم ٢٠٠٨م.
ـ الجاحظ ، أبوعثمان عمرو بن بحر:
ـ البيان والتبيين، تحقيق عبد السـلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٢م.
ـ الحيوان ، تحقيق عبد السـلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة د.ت.
ـ حسين، د. طه:
ـ حديث الأربعاء، المجلد الثاني ، دار الكتاب اللبناني، ط٢ بيروت ١٩٧٤م .
ـ الخطيب البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي:
ـ تاريخ بغداد أو مدينة السـلام، دار الكتاب العربي،

بيروت لبنان.د.ت.
ـ الحموي ، ياقوت:
ـ معجـم المؤلفين ، دار إحيـاء التراث العربي ، بيروت د.ت
ـ الخياط ، د. جلال:
ـ الشعر والزمن ، دار الحرية للطباعة ، بغداد١٩٧٥م
ـ زيدان ، جرجي :
ـ تاريـخ آداب اللغـة العربيـة، دار الهـلال ، القاهرة ١٩٥٧م.
ـ السيوطي ، جلال الدين :
ـ تاريـخ الخلفـاء ،تحقيـق محمد مجيـي الدين عبد الحميد، دار الثقافة ، القاهرو د.ت
ـ الشبستري، عبد الحسين :
ـ مشـاهير شعراء الشـيعة ، المكتبة الأدبية المختصة ، قم ١٤٢١هـ.
ـ أبو الشمقمق، مروان بن محمد:
ـ ديـوان أبي الشـمقمق جمـع ودراسـة وتحقيق د. محمد سالمان، منشورات الجمل، بيروت ٢٠١٥م.
ـ صدقي ، عبد الرحمن :
ـ أبو نواس ـ قصة حياته وشعره، ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٤٤م.
ـ ضيف، د. شوقي:
ـ تاريـخ الأدب العربي ـ العـصر العباسي الأول، دار المعارف ، القاهرة ٢٠٠٨م.
ـ الطبري ، محمد بن جرير:
ـ تاريـخ الطـبري ، تاريخ الرسـل والملـوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف د.ت.
ـ ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد :
ـ العقـد الفريد، تحقيـق محمد عبد القادر شـاهين ، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية ١٩٩٨م.
ـ العقاد ، عباس محمود:
ـ أبـو نواس الحسـن بـن هاني ، دار صـادر، بيروت ١٩٨٦م.
ـ فراج ،عبد الستار أحمد :
ـ أشـعار الخليـع ، الحسـين بـن الضحّـاك، جمعها وحققها / دار الثقافة، بيروت١٩٦٠م.
ـ الفزاري، أبو الحسن علي بن عبد الرحمن:
ـ فكاهات الأسمار ومذهبات الأخبار والأشعار،تحقيق الدكتور عبد الله حمادي الكويت ٢٠٠٤م.
ـ ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم:
ـ الشعر والشعراء، دار الثقافة ، بيروت١٩٩٩م.
ـ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين:
ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر،دار القارىء للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٩٧م.
ـ ابن المعتز، عبد الله :
ـ طبقات الشـعراء ، تحقيق عبد السـتار أحمد فراج ، القاهرة ١٩٥٦م.
ـ ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل:
ـ أبو نواس في تاريخه وشعره ومباذله وعبثه ومجونه، قـدم لـه وأشرف على تصحيحـه عمر أبـو النصر،دار الجيل، بيروت ١٩٧٥م.
ـ أبو نواس ،الحسن بن هاني:
ـ الديـوان ، حققه وضبطه وشرحه : أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي ، بيروت .ت.
ـ الديوان ، شرح وتحقيق محمد أنيس مهرات، شركة القدس للنشر والتوزيع، القاهرة٢٠١٤م.
ـ النصـوص المحرمـة ، تحقيـق جمال جمعـة ، دار رياض الريس، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٩٨م.
ـ النويهي ، د. محمد :
ـ نفسـية أبـي نـواس ، مكتبة الخانجـي ، دار الفكر للطباعة والنشر،الطبعة الثانية، بيروت ١٩٧٢م.

Abu Nawas
The fact of attendance and the illusion Details

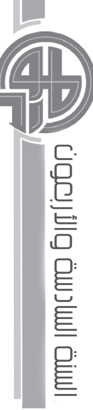
By: Dr. Ali Haddad
(Center of revival of Arabian science Heritage)
University of Baghdad

Abstract

The news that we received about the life of the Abbasid poet (Hassan bin Hani), nicknamed (Abu Nawas) On the contents of a large disturbance and vary between them so that they intersect and deny some of them. This situation of contradiction in which the narratives related to (Abu Nawas) is not limited to the aspect related to his life, but to include much of his hair or what claimed to him from that poetry.

A lot of news, attitudes and poems to this personality has been added, which brought it out of the certainty that those who deal with the talk goes to a personality specific features and the historical presence and creative achievement, as far as the pleasures of peeing and summoning that took from the lives and behaviors and accomplished many personalities, to meet in the formation of that one character The imagination of the successive ages wanted to be the behavioral and poetic representation that was diagnosed and deliberated in it.

In this reading, we dedicate their manipulation through careful follow-up to re-examine between our hands the facts and news that the writings of researchers and scholars, ancient and modern about the personality of (Abu Nawas) and poetry, a desire to clarify what can be relied upon and saved from it all.



علماء بغداد والوافدون إليها

في كتاب الفهرست (لابن النديم)

أ. م.د. الاء نافع جاسم*

●المقدمة :

تُعـد الدراسـات في التراث الفكري والعلمي والأدبي من الجهـود المُضنية والجبارة ومن الدراسات المهمة في العصور الإسلامية. والحفاظ على هذا التراث بشتى فروعهِ، لاسيما أن بغداد كانت مركز الأشعاع الحضاري والفكري وحاضرة في الدولة العربية الإسلامية.

إنّ الإهتمام بدراسـة الجوانـب الفكرية لِما تضمهُ من علـوم وفنون في فكر علماء أهـل بغداد والوافدين إليها من مختلف أرجاء الدولة العربية الإسـلامية ومن خلال الآثـار التي تركوها خالدة في الحضارة الإسـلامية بدراسـة (كتاب الفهرسـت لابن النديـم) الذي ضم بين طياته نخبة من العلمـاء البارزين لتلك العلوم. التي أصبحت إشـعاعاً لعلمهم ونتاجـاً لفكرهم تهافتت عليها الأفئدة من أرجـاء المعمورة. التي تضمنت مختلف العلوم الدينية، وعلوم اللغة، والأدب، والعلوم التاريخية والانسانية والأخباريين، وعلم الكلام وغيرها.

لذا خصصت بحثي هذا للإشـارة الى علماء أهل بغداد والوافدين إليها الذين أوردهم ابن النديم مع ذكر تراثهم الحضاري الذي يتعلق بالعلوم التي يتم ذكرها مع الاشارة إلى إهتمامهم بتلك العلوم.

* جامعة بغداد – مركز احياء التراث العلمي العربي

● **حياتهُ:**

محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق، أبو الفرج بن أبي يعقوب المعروف بابن النديم[١]. ولد في بغداد، ونشأ وترعرع بها، وكان والدهُ يعمل وراقاً، وهي عملية إستنساخ الكتب وتجليدها والمتاجرة بها[٢]. وقد عمل ابن النديم في هذه المهنة ذات المكانة العلمية المرموقة عن أبيهِ.

عاش ابن النديم في القرن الرابع الهجري، وقد عاصر الأحداث الجارية التي تمثلت بتسلط الأتراك والبويهيين الذين سيطروا على مقاليد الحكم كافة، وعلى الرغم من ذلك فقد نشطت الحركة الفكرية في بغداد، وعاصر ابن النديم عدداً من العلماء الذين شاركوا في ذلك النشاط العلمي.

تتلمذ ابن النديم على يد العديد من الشيوخ في مختلف العلوم آنذاك كعلم اللغة والشعر والأدب ورواية الأخبار والسير.

ومن أهم مؤلفاتهِ التي وردت في المصادر هي: كتاب فهرست الكتب .وكتاب التشبيهات.

وقد كانت وفاة ابن النديم سنة (٣٨٠هـ)[٣] .

● **العلوم الدينية:**

قسمت العلوم الدينية حسب ماورد في كتاب الفهرست لابن النديم الذي قسمهُ إلى مقالاتٍ عدة فقد شملت هذه العلوم وفق ماجاء في المقالة الأولى «في نعت القرآن وأسماء الكتب المؤلفة فيهِ وأخبار القراء السبعة» والمقالة السادسة «في أخبار العلماء وما صنفوهُ من الكتب ويحتوي على أخبار فقهاء أصحاب الحديث» وقد شمل أخبار أصحاب الحديث والفقهاء، أما بالنسبة للمفسرين لم يفرد لهم ابن النديم في كتابهِ.

●**علم القراءات:** هو أحد العلوم التي ذكرها ابن النديم في كتابهِ من خلال ذكرهِ عدداً من العلماء العراقيين الذين برزوا في هذا العلم ومن ضمنهم علماء أهل بغداد الذين تركوا إرثاً حضارياً للدولة العربية الاسلامية[٤].

والقراءات إصطلاحاً: فهي علم يُعرف بهِ كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها إتفاقاً وأختلافاً مع عزو كل وجه إلى ناقلهِ (م، ن).

-علماء علم القراءات من اهل بغداد

١ـ أحمد بن موسى بن العباس بن مُجاهد، أبو بكر البغدادي المُقرىءالمعروف بابن مُجاهد (ت٣٢٤هـ)[٥].كان شيخ القُراء، في بغداد، إبان زمانهِ وبعدهُ تتلمذ على يد أبي الزعراء وكان متقدماً على معاصريهِ في علوم القرآن وفنونه[٦].

يقول ابن النديم «إنتهت إليهِ الرياسة بمدينة السلام ، وكان واحد عصرهِ غير مدافع وكان مع فضلهِ وعلمهِ وديانتهِ ومعرفتهِ بالقراءات وعلوم القرآن حسن الأدب رقيق الخلق كثير المداعبة ثاقب الفطنة جواداً» (الفهرست، ص٤٧)

ولهُ مؤلفات عدة في علم القراءات منها «كتاب القراءات الكبير، كتاب القراءات الصغير، كتاب الياءات، كتاب الهاءات، كتاب قراءة أبي عمرو، كتاب قراءة ابن كثير، كتاب قراءة عاصم، كتاب قراءة نافع، كتاب قراءة حمزة، كتاب قراءة الكسائي، كتاب قراءة ابن عامر، كتاب قراءة النبي صلى الله عليه وسلم» (الفهرست، ص٤٧، السبكي، طبقات الشافعية، ج٣، ٥٧) .

٢ـ محمـد بن أحمد بن أيوب بن أبي الصلت بن شـنبوذ، أبو الحسـن البغـدادي المقرىء المعروف بأبن شنبود (ت٣٢٨هـ)(الفهرست، ص٤٧) .

كان من مشـاهير القُراء، وأعيانهم وكان ديناً فيـهِ سـلامة وحمق، وقيـل كان كثـير اللحن قليـل العلم، وتفرد بقراءات من الشـواذ، وقد روى قـراءات كثيرة (ابن النديم، الفهرسـت، ص٤٧).

ومن مؤلفاتهِ ذكرهُ ابن النديم هو «كتاب ماخالف فيهِ ابن كثير أبا عمرو» (الفهرست، ص٤٨).

٣ـ عبـد الواحـد بـن عمر بن محمـد بن أبي هاشـم، أبـو طاهـر البـزار (ت٣٤٩هــ) (الفهرست، ص٤٨ـ ٤٩).

يقـول ابن النديم عنهُ «من أهل بغداد قرأ على أبي بكر بن مجاهد وعلى أبي العباس بن سهل الأشناني، وأبي عثمان سعيد بن عبد الرحمن الضريـر المقرىء ولزمهُ وكان بارعاً في الإلقاء والأقراء» (الفهرست، ص٤٩).

ولـهُ مؤلفـات في القراءات منهـا: كتاب قراءة الأعمـش، كتـاب قـراءة حمزة الكبـير، كتاب الكسـائي الكبير، كتاب قراءة حفص صنعتهُ كتـاب الخلاف بين أصحـاب عاصم وحفص وسليمان) (م ، ن).

٤ـ أحمـد بن خلف بن شـجرة بـن منصور بن كعب، أبو بكـر القاضي المقرىء البغدادي المعـروف بابـن كامـل (ت٣٥٠هــ). (ابـن النديم، الفهرست، ص٤٨).

وهو أحد المشـاهير في علوم القرآن، عالم كبير في علم القـراءة، تتلمذ في القراءة على أبي بكر الأصبهانـي، ومحمـد بـن يحيى الكسـائي، وأحمـد بـن يعقـوب، وعبـد اللـه بـن أحمد الفسـطاطي وغيرهـم. (الخطيـب البغدادي، تاريـخ بغـداد، ج٤، ص٣٥٧). وكان بارعـاً في النحو،والشـعر،وتواريخ أصحاب الحديث وإمكانيتهُ العالية في أحكام القرآن (م، ن).

ولـهُ مؤلفـات في القراءات هـي: كتاب غريب القـرآن، كتاب القـراءات، كتـاب التقريب في كشف الغريب وغيرها (ابن النديم ، الفهرست، ص٤٨).

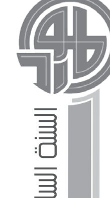
٥ـ ابن مقسـم، محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسـن بن الحسـين بن محمد بن مقسم أبو بكـر البغدادي المقرىء (ت٣٥٤هـ) (ابن النديم، الفهرست، ص٤٩).

كان أحـد القراء بمدينة السـلام قريب العهد، وكان عالماً باللغة والشـعر، أخـذ القراءة عن إدريس بـن عبد الكريم، وداود بن سـليمان، وحاتـم بن إسـحاق، ابـن المعـدل، والعباس بن فضـل الـرازي وغيرهم[٧]. ومـن مؤلفاتهِ في القـراءات كتـاب الأنـوار في علـم القـرآن، كتاب إحتجاج القـراءات وغيرها (ابن النديم، الفهرست، ص٤٩).

ـ وهنـاك قُراء ذكرهم ابن النديم في كتابهِ وكانـوا (قُراء متأخرين مـن أهل بغداد)، وهم:

١ـ أحمـد بن جعفر بن محمـد بن عبد الله بن يزيد، أبو الحسـن المعـروف بابن المُنادي المُقرىء

النحـوي البغدادي (ت٣٣٤هـ) (ابن النديم، الفهرسـت، ٥٨)، مـن قُراء أهل بغـداد ينزل الرصافـة، وكان يُعـرب في القـراءات كتبـهِ، وكان صاحب فصاحة في تأليفهِ فأخرجهُ ذلك



إلى الأشـتغال، وكان عالمـاً بالقراءات وغيرها. (ابن النديم، الفهرست، ص٥٨) ولهُ مؤلفات أغلبها في علوم القـرآن ومنها: كتاب أختلاف العدد، وكتاب دعاء أنواع الأستعاذات من سائر الآفات والعاهات. (م ، ن).

٢ـ علي بـن مُرة أبو الحسـن المعروف بابن النقاش (م ، ن) أحد قراء أهل بغداد ينزل في جهاز سوق العطش. (م ، ن) .

ولهُ مؤلفات في القـراءات منها: كتاب القراءة الثمانية أضـاف إلى السـبعة رواية خلف بن هشام البزار (م ، ن).

٣ـ بـكار بـن أحمـد بن بـكار بن بنـان بن بـكار بن زيـاد أبو عيسى البغـدادي المُقرىء (ت٣٥٢هــ). (ابـن النديـم، الفهرسـت، ص٥٨ـ ٥٩).

وهو أحد قراء بغداد، أخذ القراءة عن الحسن بن الحسـين الصـواف، وأحمد بـن يعقوب، وعبد الله بن الصقر السـكري، وأبي بكر بن مُجاهد وغيرهم[٨].

ومـن مؤلفاتـهِ في علـم القراءات هـي: كتاب قراءة الكسـائي، كتـاب قراءة حمـزة. (ابن النديم، الفهرست، ص٥٩) .

٤ـ عبد العزيز بن الواثق أبو محمد المعروف بابن الواثق (م ، ن).

وهـو من قُراء بغداد نـزل بمدينة أبي جعفر المنصـور ولهُ مـن المؤلفات في علـم القراءات منها: كتاب قراءة حمزة، كتاب السنن، كتاب التفسير وغيرها(م ، ن).

● **علم الحديث:**

وهو النظر في الأسانيد ومعرفة مايجب العمل بِهِ مـن الأحاديث بوقوعهِ على السـند الكامل الـشروط لأن العمل إنمـا وجب بما يغلب على الظّـن وهو بمعرفـة رواة الحديـث بالعدالة والضبط (ابن خلدون، المقدمة، ص٤٤١).

ـ علماء علم الحديث من أهل بغداد :

١ـ أحمـد بـن محمـد حنبـل بن هـلال بن أسـد بـن إدريس بن عبـد الله، أبـو عبد الله الشيباني البغدادي (ت١٣٣هــ) (ابن النديم، الفهرست، ص ٣٢٠).

ولد ببغداد، ونشأ، وترعرع بها، وطلب العلم فيها، وسـمع الحديث من شيوخها، ثم رحل مـن أجل ذلك إلى كثير مـن البلدان، كالكوفة، والبـصرة، ومكة والمدينـة، واليمن والشـام، والجزيـرة وأسـتقصى حقائـق العلماء هناك وأخذ منهم الحديث[٩].

ومـن مؤلفاتهِ: كتـاب العلل، كتاب التفسـير، وكتاب الناسـخ، وكتاب الزهد، وكتاب المسائل، وكتـاب الفضائـل، وكتاب الفرائـض وغيرها. (الفهرست، ص٣٢٠) .

٢ـ الحسـين بـن إسـماعيل بـن محمـد بن إسماعيل بن سعد بن أبان، أبوعبد الله الضبي المحاملي البغدادي (ت٣٣٠هــ). (الفهرست، ص٣٢٥).

كان مـن الثقات، أشـتهر بالحديـث والفقه، وسـمع الحديـث في وقت مبكر مـن عمرهِ ثم عمل قاضياً لبني العباس، وولي قضاء الكوفة، وكان فقيهاً، ويقول ابن النديم عنهُ «ولم يكن بقي على الأرض مُحدث أسـند منه مع صدقهِ وثقتهِ وسترهِ» (الفهرست ، ص٣٢٥).

سـمع الحديث عن يوسف بن موسى القطان، وأبـي هشـام الرفاعـي ويعقـوب الدروقي، والحسـن بن الصبـاح البـزاز، وعمر بن علي

الفــلاس وغيرهم. وأورد ابــن النديم في كتابهِ مؤلفــاً واحــداً وهو كتــاب الســنن في الفقه. (الفهرست ، ص٣٢٥) .

٣ـ أحمد بن زهير بن حرب بن شداد، أبو بكر النســائي البغدادي (ت٢٧٩هــ) (ابن النديم، الفهرست، ص٣٢١) .

كان محدثــاً على مذهب أحمد بن حنبل، وكان عارفــاً بعلم القــراءات، وأيام النــاس، واللغة والأدب. ســمع الحديث من منصور بن سلمة الخزاعــي، وابــن ســابق، وعفان بن مســلم، والفضــل بــن دكــين، ومــوسى بن إســماعيل التبوذكــي وغيرهم.وقــد أورد لهُ ابــن النديم: كتــاب التاريــخ، وكتــاب المنتمــين، وكتــاب الأعراب، وكتاب أخبار الشــعراء. (الفهرست، ص٣٢١).

٤ـ محمــد بــن أحمد بن زهير بــن حرب، أبو عبد الله البغــدادي (ت٢٩٧هــ) (ابن النديم، الفهرست، ص٣٢١).

كان حافظاً للحديث، عارفــاً فهماً فيهِ، حدث عن نصر بن عــلي الجهضي، ومحمد بن معمر البحرانــي، وإبراهيــم بن إســماعيل الكهلي، وعمرو بــن علي الصيرفي وغيرهــم. (الخطيب البغــدادي، تاريــخ بغــداد، ج١، ص٣٠٣)، وروى الحديث عنــهُ، أحمد بن كامل القاضي، وابــن مقســم المقــرىء، وأحمد بن عبــد الله الذراع وغيرهم. (م ، ن) .

ومن مؤلفاتــهِ: كتاب الزكاة وأبــواب الأموال بعللهِ من الحديث، وكتاب التاريخ ولم يخرج بــأسرهِ أو لم يتمــه. (ابن النديم، الفهرســت، ص٣٢١).

٥ـ الحســن بــن عــلي بــن شــبيب، أبــو علي المعمري البغــدادي (ت٢٩٥هــ)(ابن النديم، الفهرست، ص ٤٨٤).

كان محدثاً، حافظاً، من أوعية العلم والفهم، طلب الحديث، ورحل لذلك إلى مختلف البلدان إلى البصرة، والكوفة، والشــام، ومصر، وسمع الحديث من ســعيد بن عبد الجبار الكرابيسي، وعبيد الله بن معاذ العنبري، ومحمد بن عبيد بن سحاب وغيرهم، وأورد لهُ ابن النديم مؤلفاً واحداً وهو السنن في الفقه.(الفهرست،ص٤٨٤).

٦ـ جعفر بن علي بن سهل، أبو محمد الدقاق الدوري البغدادي (ت٣٣٠هـــ)(ابن النديم، الفهرست، ص٤٨٩).

كان مــن حفــاظ الحديــث، والصــدق والثقة والســتر، حدث عن أبــي إســماعيل الترمذي، ومحمد بن زكريا الغلابي، وإبراهيم الحربي، وروى عنــهُ عبد الله بن إبراهيــم الماس، وأبو أحمــد الغطريفــي الجرجاني، وعــلي بن عمر الحريــري وغيرهم[١٠].وقد أورد ابن النديم في كتابــهِ بعض مؤلفاتهِ «كتــاب الآداب، وكتاب المســند الكبير، وكتاب الســنن» (الفهرســت، ص٤٨٩).

٧ـ إبراهيم بن إســحاق بن إبراهيم بن بشير بــن عبــد الله بــن ديســم الحربــي البغدادي (ت٢٨٥هـــ) (ابــن النديــم، الفهرســت، ص٣٢٣).

بــرع في علم الحديــث وعللهِ وتصــدى لعلوم كثــيرة كالفقــه والأحــكام واللغــة، وكان على رأس الزهــاد، وروى الحديــث عن الفضل بن دكين، وعفان بن مســلم، وعبد الله بن صالح العجــلي وغيرهم، وروى الحديــث عنهُ موسى بــن هارون الحافظ، وابن أبي داود، وأبو بكر



الأنباري وغيرهم.
ومن المؤلفات التي أوردها ابن النديم في كتابهِ «كتاب غريب الحديث، وكتاب الأدب، وكتاب التيم، وكتاب المغازي» (الفهرست، ص٤٨٦).
٨- عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان أبو القاسم البغوي البغدادي (ت٣١٧هـ) (ابن النديم، الفهرست، ص٣٢٥).
يقول الخطيب البغدادي «كان من الثقات الكبار في الحديث، وصاحب الأسناد العالي فيه، روى عن: علي بن الصمد، وخلف بن هشام البزار، ومحمد بن عبد الوهاب الحارثي، وأبي الأحوص محمد بن حيان البغوي، وروى الحديث عنهُ: يحيى بن صاعد، وعلي بن إسحاق المادراني، وعبد الباقي بن قانع....» وغيرهم[١١]
وأورد له ابن النديم بعض مؤلفاتهِ «كتاب السنن على مذاهب الفقهاء، كتاب المسند، وكتاب المعجم الصغير، كتاب المعجم الكبير» (الفهرست، ص٣٢٥) .
٩- يحيى بن محمد بن صاعد بن كاتب، أبو محمد البغدادي (ت٣١٨هـ) (ابن النديم، الفهرست، ص٣٢٥).
كان من أعيان حفاظ الحديث في بغداد، مولى المنصور رحل في طلبهِ إلى بلدان كثيرة منها الكوفة، والبصرة، والحجاز، والشام، ومصر، ولهُ دراية بالجرح والتعديل، وله في ذلك كلام متين، يدل على سعة معرفتهِ.
سمع الحديث من الحسن بن عيسى بن ماسرجس، ويحيى بن سليمان بن فضلة الخزاعي، وأحمد بن منيع البغوي وغيرهم، وروى عنهُ عبد الله بن محمد البغوي، وابن الجعابي وابن المظفر، والدار قطني، وأبو جعفر بن شاهين وغيرهم[١٢].ومن المؤلفات التي ذكرها ابن النديم «كتاب السنن، وكتاب القراءات، وكتاب المسند».(الفهرست، ص٣٢٥)
١٠- أحمد بن محمد بن هاني، أبو بكر الطائي الأثرم البغدادي (ت٢٦١هـ) (ابن النديم، الفهرست، ص٣٢٠- ٣٢١).
وهو من الحفاظ الجليلي القدر الموصوفين بالذكاء، من أهل إسكاف بني جُنيد، سمع الحديث من معاوية بن عمرو، وعفان بن مسلم، سليمان بن حرب، وأبو الوليد الطيالسي وغيرهم. وروى عنهُ أحمد بن حنبل، وموسى بن هارون، وأحمد بن الحجاج الشيباني، ومحمد بن جعفر بن موسى وغيرهم.
ومن مؤلفاتهِ: كتاب التأريخ، وكتاب السنن في الفقه، على مذاهب أحمد، وكتاب العلل، وكتاب الناسخ والمنسوخ. (ابن النديم، الفهرست، ص٣٢١).
● **علم الفقه:** وهو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلّفين بالوجوب والحذر والندب والكراهة والإباحة وهي مُتلقاة من الكتاب والسنة وماطلبهُ الشارع لمعرفتها من الأدلة فاذا أستخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه، وكان السّلف يستخرجونها من تلك الأدلة على إختلاف فيما بينهم[١٣] .
- علماء الفقه من أهل بغداد:
١- عيسى بن مهران أبو موسى المستعطف البغدادي. (الفهرست، ص٣١١).
من فقهاء الشيعة البغداديين، ومن رواة

الحديث، روى عن: محمد بن جرير البجلي، والحسن بن الحسين العدني، روى عنهُ: محمد بن جرير الطبري[١٤].

ومن مؤلفاتهِ: كتاب الفرق بين الأمة والآل، كتاب المحدثين، وكتاب السنن المشتركة (ابن النديم، الفهرست، ص٣١١).

٢ـ محمد بن عيسى بن عبيد بن يقطين (ابن النديم، الفهرست، ص٣١٢)، وهو من فقهاء أهل بغداد، ومن أصحاب الإمامين علي بن الهادي، والحسن العسكري (عليهما السلام)، (ابن النديم، الفهرست، ص٣١٢).

وقد أشاد به النجاشي ووثقهُ وعدهُ من كبار رواة الشيعة وفقهائهم[١٥]. وقد ذكر ابن النديم مؤلفاً واحداً لهُ «كتاب الأمل والرجاء» (الفهرست، ص٣١٢) بينما النجاشي أشار بكتابهِ إلى بعض من مؤلفاتهِ ومنها «كتاب الإمامة، وكتاب بعد الإسناد، وكتاب الواضح المكشوف في الرد على أهل الوقوف» وغيرها.

٣ـ أحمد بن عمر بن مُهير الشيباني، أبو بكر، الخصاف البغدادي (ت٢٦١هـ) (ابن النديم، الفهرست، ص٢٩٠).

كان فقيهاً حنفياً فارضاً حاسباً عالماً بمذاهب أصحابهِ أصبح مقرباً إلى الخليفة العباسي المهتدي (٢٥٥ـ ٢٥٦هـ)، وكان كاتبه على الخراج، ولهُ دراية في رواية الحديث، وتفقه على مذهب أبي حنيفة، وأصبح من الفقهاء الكبار، والعلماء البارعين ممن يُقتدى بهم، وكان من الزهاد (ابن النديم، الفهرست، ص٢٩٠).

ويذكر ابن النديم من مؤلفاتهِ: كتاب أحكام الوقوف، وكتاب الشروط الصغير، وكتاب الشروط الكبير، وكتاب الوصايا. وغيرها (الفهرست، ص٢٩٠ـ ٢٩١).

٤ـ عبيد الله بن الحسين بن دلال بن دلهم، أبو الحسن الكرخي (ت٣٤٠هـ) (ابن النديم، الفهرست، ص٢٩٣).

كان من فقهاء بغداد درس الفقه الحنفي وأخذ عنهُ، وقُرأ عليهِ كبار الفقهاء في عصرهِ، وكان أوحد عصره، وأنتشر تلاميذه في البلاد لنشر الفقه فيهِ. (ابن النديم، الفهرست، ص٢٩٣) روى الحديث عن إسماعيل بن إسحاق الفاضي، وأحمد بن يحيى الحلواني، ومحمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي، وروى عنهُ ابن حيويه، وابن شاهين، وابن الثلاج وغيرهم.

ومن مؤلفاتهِ: كتاب المختصر في الفقه، ومسألة في الأشربة وتحليل نبيذ التمر وغيرها. (ابن النديم، الفهرست، ص٢٩٣).

٥ـ إبراهيم بن خالد بن اليمان أبو ثور البغدادي (ت٢٤٠) (ابن النديم، الفهرست، ص٢٩٧).

أحد فقهاء المذهب الشافعي، أخذ عن الشافعي وروى عنهُ وخالفهُ في أشياء، وأحدث لنفسهِ مذهباً إشتقهُ من المذهب الشافعي، وأكثر أهل أذربيجان وأرمينية يتفقهون على مذهبهِ. (الفهرست،ص٢٩٧)

ومن مؤلفاتهِ: كتاب الطهارة، وكتاب الصلاة، وكتاب الصيام، وكتاب المناسك. (م ، ن) .

٦ـ الحسن بن محمد بن الصباح أبو عبد الله الزعفراني البغدادي (ت٢٦٠هـ)(ابن النديم، الفهرست، ص٣٩٧).

كان من فقهاء المذهب الشافعي، وصاحب



الشافعي فأخذ عنهُ، وروى المبسوط عنهُ، ولازمهُ، وقرأ كتبه، وبرع بالفقه والحديث، روى الحديث عن، سفيان بن عينيه، وعبيدة بن حميد، وإسماعيل بن علية وغيرهم (ابن النديم، الفهرست، ص٢٩٧).
وبالنسبة لمؤلفاته يقول ابن النديم «ولاحاجة بنا إلى تسمية الكتب التي رواها الزعفراني لأنها قد قلت وأندرس أكثرها، وليس ينسخ فيما بعد» (الفهرست، ص٢٩٧).
٧ـ أحمد بن محمد أبو جعفر العيالي (ت٢٦٠هـ) (ابن النديم، الفهرست، ص٢٩٨) تفقه على مذهب أبي ثور ولهُ كتاب المعاقل والديات. (الفهرست).
٨ـ أحمد ابن عمر بن سريح أبو العباس بن سريح (ت٣٠٥هـ)(ابن النديم، الفهرست، ص٢٩٩).
وهو من فقهاء الشافعية الذي إنتهت إليهِ رئاسة المذهب في عصرهِ، وإلى جانب الفقه كان مُحدثاً، وروى الحديث عن الحسن بن محمد الزعفراني، ومحمد بن عبد الملك الدقيقي، وعباس الدوري وغيرهم.
ومن كتبهِ: كتاب الرد على محمد بن الحسن، كتاب الرد على عيسى بن أبان، وكتاب التقريب بين المزني والشافعي، وكتاب جواب القاشاني، وكتاب مختصر في الفقه. (ابن النديم، الفهرست، ص٣٠٠).
٩ـ محمد بن عبد الله أبو بكر الصيرفي البغدادي (ت٣٠٣هـ) (ابن النديم، الفهرست، ص٣٠٠).
تفقه على أبي العباس بن سريح الشافعي، فكان مختصاً بأصول الفقه الشافعي، وله من الكتب: كتاب البيان في دلائل الأعلام على أصول الأحكام، كتاب شرح رسالة الشافعي، كتاب حساب الدور، كتاب نقض كتاب عبيد الله بن طالب الكاتب لرسالة الشافعي، كتاب الفرائض. (ابن النديم، الفهرست، ص٣٠٠).
١٠ـ موسى بن القاسم بن موسى بن الحسين بن موسى الأشيب، أبو عمران، البغدادي (ت٣٣٧) (ابن النديم، الفهرست، ص٣٠١).
كان من علماء الفقه الشافعي ببغداد، ولهُ دراية بعلم الكلام، وكان مُحدثاً، روى الحديث عن عباس ين محمد الدوري، وعبد الله بن روح المدائني، وأبي بكر بن أبي الدنيا وغيرهم.
ولهُ مصنفات عدة لا يذكرها ابن النديم في كتابهِ.
١١ـ محمد بن الحسين بن عبيد الله الأُجرّي، أبو بكر البغدادي (ت٣٦٠هـ)(الفهرست، ص٣٠١ـ ٣٠٢)
كان من الفقهاء الشافعية والمحدثين، روى الحديث عن، أبي مسلم الكجي، وأبي شُعيب، وأحمد بن يحيى الحلواني، وجعفر بن محمد الفريابي وغيرهم. (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢، ص٢٤٣)، وروى عنه، أبو الحسن المحاملي، وأبو الحسين بن بشران وغيرهم.
وقد رحل الآجري من بغداد ونزل بمكة وأقام بها إلى أن مات. (م ، ن)
ومن مؤلفاتهِ: كتاب مختصر الدول، وكتاب النصيحة، وكتاب أحكام النساء وغيرها (الفهرست، ص٣٠٢)
١٢ـ عبد الله بن أحمد بن محمد، أبو الحسن المغلس البغدادي (ت٣٢٤) (ابن النديم،

الفهرست، ص٣٠٦).
يقول ابن النديم عنهُ «أنتهت رياسة الداوديين في وقتـهِ، ولم ير مثلهُ فيما بعد، وكان فاضلاً، عالمـاً، نبيلاً، صادقـاً ثقة مقدمـاً عند جميع الناس» (الفهرست، ص٣٠٦).
وكان منزلـهُ ببغداد على نهـر مهدي يقصدهُ العالم من سائر البلدان. (م ، ن).
ومن مؤلفاتهِ: كتاب الموضـح جوابات، كتاب المزني، كتـاب المنجح، كتـاب المفصح، كتاب آحكام القرآن، كتاب الطلاق، كتاب الولاء (م،ن).
١٣ـ عبـد العزيـز بـن أحمـد، أبو الحسـن الأصفهانـي الجزري البغـدادي (ت٣٧٧هــ) (ابن النديم، الفهرست، ص٣٠٧).
كان أحد علماء مذهب داود بن علي الظاهري، ومن أفاضل أصحابهِ. (الفهرست، ص٣٠٧).
ومن كتبه: كتاب مسائل الخلاف. (م ، ن).

●علم النحو واللغة والأدب:

ـ علم النحو: وهي عبارة المُتكلم عن مقصودهِ وتلك العبارة فعِل لساني فلابد أن تصير ملكة متقـررة في العضـو الفاعل لها وهو اللســان وهو في كل أمة بحسب إصطلاحاتهم (م ، ن) .
ـ علـم اللغة: هو بيـان الموضوعـات اللغوية وذلك أنهُ لما فسـدت ملكة اللســان العربي في الحركات المُسّـماة عند أهل النحـو بالإعراب، وأسـتنبطت القوانين، وأسـتمر ذلك الفسـاد بُملابسـة العجم ومخالطتهم نادى الفساد إلى موضوعات الألفاظ فاسـتعمل كثيراً من كلام العرب في غير موضوعه عندهم (م ، ن).

ـ علماء النحو واللغة من أهل بغداد :

١ـ يعقـوب بـن إسـحاق بـن السـكيت، أبو يوسـف البغدادي (ت٢٤٦هــ) (الفهرسـت، ص ١٠٧ـ ١٠٨).
مـن علماء بغداد باللغة والنحو، وتفنن بعلوم أخرى كعلم الشـعر وعلم القـراءات، ودرس النحـو وأهتم بـهِ، وأخذ عـن الكوفيين، وكان عالمـاً بنحو الكوفيين، وعلم القرآن، والشـعر، فأخـذ عـن الفـراء، وأبي عمـرو الشـيباني وغيرهما» (الفهرست، ص١١٦).
أخذ علم النحو من أبو سـعيد السكري، وأبو عكرمة وغيرهم.
أورد لـهُ ابـن النديـم بعض مؤلفاتـهِ «كتاب الإبـل، وكتـاب الأصـوات، وكتـاب الألفـاظ، وكتاب سرقات الشعراء، وما أتفقوا عليه، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب معاني الشعر الصغير، وكتاب معاني الشعر الكبير» وغيرها (الفهرست ،ص١٠٨).
٢ـ الحسـن بن الحسـين بن عبد الله بن عبد الرحمـن بن العلاء بن أبـي صفرة بن المهلب، أبو سعيد البغدادي (ت٢٧٥هــ) (الفهرست، ص١١٧).
من علماء اللغة والنحو في بغداد، وكان حسن المعرفـة باللغة والأنسـاب، وسـمع أبـا حاتم السجسـتاني، وأبا الفضل الرياشي، وعمر بن شبة وغيرهم (الفهرست، ص١١٧).
ومن مؤلفاتهِ: كتاب النبات، وكتاب الوحوش، وكتـاب الأبيـات السـائدة، وكتـاب المناحـل والقـرى وغيرهـا. (ابـن النديم، الفهرسـت، ص١١٧).
٣ـ محمـد بـن عثمان بن مسـبح، أبـو بكر البغـدادي المعـروف بالجعـد (ت٢٨٨هــ) (الفهرست، ص١٢١ـ ١٢٢).
وهو مـن علماء بغـداد في النحـو، كان بارعاً

بعلوم القرآن، ومنهـا القراءات، وهو صاحب ابن كيسـان، وهـو من العلمـاء الذين خلطوا بين المذهبين (البصري، والكوفي).(الفهرست، ص١٢١).
ومـن مصنفاتـهِ: كتـاب العـروض، وكتاب المقصور والممدود، وكتـاب القراءات، وكتاب معاني القرآن وغيرها (م ، ن).
٤ـ محمـد بن أحمـد بن محمد، أبو الحسـن البغدادي (ت٢٩٩هـ) (الفهرست، ص١٢٠).
كان مـن علمـاء النحـو في بغـداد، وفاضلاً، وقد خلـط بين المذهبين (الكـوفي والبصري)، وأخذ النحو من المـبرد في البصرة، ومن ثعلب بالكوفة. (ابن النديم، الفهرست، ص١٢٠).
أورد لهُ ابن النديم بعضاً من مؤلفاتهِ: «كتاب غريـب الحديـث، وكتـاب البرهـان، وكتـاب الحقائـق، وكتاب التصاريف، وكتاب المهذب، وكتـاب المذكـر والمؤنث» وغيرهِ (ابـن النديم، الفهرست، ٩٠).
٥ـ ابراهيـم بن محمد بن السري بن سـهل، أبـو إسـحاق البغـدادي المعـروف بالزجاج (ت٣١١هـ (الفهرست،ص٩٠).
كان من علماء النحو في بغداد، من أهل الفضل والديـن، وحسـن الإعتقـاد، جميـل المذهب، وتتلمذ النحو على يد المـبرد وثعلب المعروفين في البصرة والكوفة.
وأورد لـه ابـن النديم بعـض مؤلفاته «كتاب شرح أبيات سـيبويه، وكتاب خلق الأنسـان، وكتـاب العـروض، وكتـاب الفـرس، وكتاب الفرق....» وغيرها. (الفهرست، ص٩٠).
٦ـ علي بن سـليمان بن الفضل، أبو الحسـن البغدادي المعـروف بالأخفـش الصغير (ابن النديم، الفهرست،ص١٢٣)
هو من علماء العربية في بغداد، ودرس على يد علماء العربية وهم أبو العباس ثعلب، ومحمد بن يزيد المبرد، ورحل إلى مصر، وحلب ثم عاد إلى بغداد لحين وفاتـهِ، وكان معروفاً بروايتهِ للأخبار فضلاً عن علم العربية، (الفهرسـت، ص١٢٣).
ومـن مؤلفاتهِ: كتـاب الأنواء، كتاب تفسـير رسالة كتاب سـيبويه، وكتاب شرح سيبويه، وكتاب المندب، وكتاب التثنيه والجمع وغيرها. (ابن النديم، الفهرست، ص١٢٣).
٧ـ محمـد بـن الـسري بن سـهل، أبـو بكر البغدادي المعروف بابن السراج (ت٣١٦هـ) (الفهرست، ص٩٢).
مـن علماء النحـو والأدب في بغداد، تتلمذ على يد أبي العباس المـبرد، وأخذ علم العربية من أبو القاسـم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاج، وأبو سعيد السـيرافي، وعلي بن عيسى الرماني وغيرهم.
وأورد لـه ابـن النديم بعـض مؤلفاتـهِ منها «كتـاب إحتجاج القـراءات، وكتـاب الأصول الكبـير، وكتـاب الإشـتقاق، وكتـاب الجمل، وكتاب الأصول، وكتاب شرح سيبويه، وكتاب الشـعر والشـعراء» وغيرهـا. (الفهرسـت، ص٩٢).
٨ـ محمد بـن أحمد بن إسـحاق، أبو الطيب البغدادي المعروف بابن الوشـاء (ت٣٢٥هـ) (ابن النديم، الفهرست، ص١٢٦).
أحـد الأدباء الظرفاء وكان نحوياً معلماً تتلمذ عـلى يد أبي العباس ثعلب، وقد عمل في مكتب العامة في بغـداد، وغلب على تصانيفهِ الأخبار

والشـعر والمقطعات. (ابن النديم، الفهرست، ص١٢٦).
أورد لـهُ ابـن النديـم بعض مؤلفاتـهِ «كتاب مختـصر في النحو، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب المذكر والمؤنث، وكتاب خلق الانسـان» وغيرها. (الفهرست، ص١٢٦).
٩ـ عبـد الله بن محمد بن سـقير الخزاز، أبو الحسـن البغدادي (ت٣٢٥هـ) (ابن النديم، الفهرست، ص١٢٢).
مـن علماء النحو في بغداد، وكان معلماً في دار أبي الحسـن علي بن عيسى، مليح الخط، وهو مـن النحاة الذين خلطوا بين المذهبين (الكوفي والبصري)(ابن النديم، الفهرست، ص١٢٢).
ومـن المؤلفـات التي أشـار إليها ابـن النديم «كتاب المختصر في علم العربية، وكتاب معاني القـرآن، وكتاب المقصـور والممـدود، وكتاب المؤنـث والمذكر، وكتاب الفسـيح في علم اللغة ومنظومها» وغيرها. (م ، ن).

●شعراء وأدباء من أهل بغداد

١ـ محمد بن عبد الملك بن آبان بن أبي حمزة، أبـو جعفر البغـدادي المعروف بابـن الزيات (ت٢٣٣هـ). (الفهرست، ص١٧٧).
من شعراء بغداد وأدبائها وكتابها الكبار، من أهـل جبل من قرية يُقال لها الدسـكرة وكان والـدهُ يجلب الزيـت إلى بغـداد، وزيرا لثلاثة خلفاء عباسـيين المعتصم والواثـق والمتوكل. (ابن النديم، الفهرسـت، ص١٧٧) يذكر ابن النديم مصنفاً واحداً لهُ وهو كتاب الرسـائل. (م ، ن) .
٢ـ علي بن يحيى بن أبي منصور، أبو الحسن البغدادي (ت٢٧٥هـ) (الفهرست، ص٢٧٤).
ولد ببغداد ونشـأ بها، إشتهر بالشعر والأدب وروايـة الأخبار، ويقـول ابن النديـم «وكان راويـة للأشـعار والأخبار، شـاعراً محسـناً» (الفهرست، ص٢٧٤).
أورد له ابن النديم بعض مؤلفاتهِ «كتاب أخبار إسـحاق بن أبراهيم، وكتاب الشعر والشعراء القدماء الإسـلاميين وروى فيهِ عن محمد بن سلام، ومحمد عمر الجرجاني وغيرها، وكتاب الطبيخ» (م ، ن).
٣ـ علي بـن العباس بن جريح، أبو الحسـن، البغدادي المعروف بابن الرومي (ت٢٨٣هـ) (ابن النديم، الفهرست، ص٢٣٥).
وهو من شـعراء بغداد، وكان مُكثراً للشـعر متنوعـاً فيـهِ، وقـد أجـاد في الغـزل والمديح والهجاء والوصف.
لـم يذكر ابن النديم مؤلفاتهِ سـوى قولهِ «إن شـعره كان بحـدود ألف بيت» (الفهرسـت، ص٢٣٥).
٤ـ عـلي بن محمـد بن نصر بـن منصور بن بسـام، أبو الحسـن البغـدادي (ت٣٠٢هـ) (الفهرست، ص٢١٤).
كان شاعراً أديباً من الظرفاء، من أهل بغداد، إشتهر شعرهُ بالأسلوب الهجائي، وكان يجيد المقاطيع في شـعرهِ. (ابن النديم، الفهرسـت، ص٢١٤).
من مؤلفاتهِ: كتاب أخبار عمر بن أبي ربيعة، وكتاب أخبار الأحوص، وكتاب ديوان رسائلهِ وكتاب مناقضات الشعراء. (م ، ن).
٥ـ محمد بن خلف بن المرزبان بن بسام، أبو عبد اللـه البغدادي (ت٣٠٩هـ)(الفهرسـت، ص٢١٣ـ ٢١٤).



من أدباء بغداد، أهتم بالشعر والأخبار وكان حافظاً لها.
أورد لـهُ ابـن النديـم بعض مؤلفاتـهِ: كتاب أخبار ابن قيس الرقيـات، وكتاب الحلوى في علـوم القرآن، وكتـاب المتيمـين المعصومين، وكتاب الجلساء والندماء، وكتاب أخبار ألقاب الشعراء وغيرها. (الفهرست، ص٢١٤٩).
٦ـ أحمـد بـن جعفر بن موسى بـن خالد بن برمك، أبو الحسن البغدادي المعروف بجحظة (ت٣٢٦هـ) (الفهرست، ص٢٠٨).
مولدهُ ومنشأهُ ووفاتهِ ببغداد، برمكي الأصل أشـتهر بالأدب، والشـعر، والأخبـار، واللغة، والنحو، والغنـاء، وكان حاذقاً بصناعة غناء الطنبور، حسـن الأدب بارعـاً في معناه. (ابن النديم، الفهرست، ص٢٠٨).
يقـول عنـهُ ابـن النديم «وقـد لقـى العلماء والرواة وأخذ عنهم» (م ، ن).
ومن مولفاتـهِ: كتاب الترنـم، وكتاب الطبخ، وكتـاب الطنبوريـين، وكتـاب المشـاهدات، وكتاب ديوان شعره وغيرهِ. (م ، ن).

● **العلوم الإنسانية:**

ـ علم النسـب: النَّسَبُ: نسَّـب القرابات وهو واحد الأنسـاب. ابن سـيده: النسّـبةُ وانسَّبةُ والنسَّـب: القرابة، وقيل هـو في الآباء خاصةً خاصـة، وقيـل: النسَّـبةُ مصدر الأنتسّـاب، والنسَّـب يكـون بالآبـاء ويكـون إلى البـلاد ويكون في الصناعـة. (ابن منظور، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ)، لسـان العـرب، بيروت، م١، ص٧٥٥).

● **العلماء النسابون من أهل بغداد:**

١ـ الحسن بن عثمان بن حماد بن حسان بن عبـد الرحمن بن يزيد، أبو حسـان البغدادي النسابة (ت٢٤٣هـ) (الفهرست، ص٢١٧).
أشتهر في بغداد بعلم النسب والسير، والأخبار، عمـل قاضياً بالجانب الشرقـي من بغداد، في زمن الخليفة المتوكل على الله، وأخذ من علماء الأنسـاب الهيثم بن عدي الطائي، ومحمد بن عمـر الواقـدي. (الخطيب البغـدادي، تاريخ بغداد، ج٧، ص٣٥٦).
يقول عنهُ ابن النديم «وكان قاضيـاً، أديباً، ناسباً، جواداً، كريماً» (الفهرست، ص٢١٧).
أورد لـهُ ابن النديم في كتابـهِ بعض مؤلفاتهِ «كتاب الآباء والأمهات، وكتاب ألقاب الشعراء، وكتاب طبقات الشعراء، وكتاب مغازي عروة بن الزبير» (م ، ن).
٢ـ محمـد بن حبيـب بن أمية بـن عمر، أبو جعفر البغـدادي (ت٢٤٥هـ) (ابـن النديم، الفهرست، ص١٥٥).
من علماء أهل بغداد المشـهور بعلم الأنساب، والأخبـار، واللغة والشـعر، والقبائل، وروى عن ابـن الأعرابي وقطرب، وأبي عبيدة، وأبي اليقظان وغيرهم. (الفهرست، ص١٥٥).
ولـهُ مؤلفـات منها: كتـاب الأمثـال، وكتاب الموشـح، وكتاب المؤتلف والمختلف في النسب، وكتـاب المخـبر، وكتـاب أخبـار الشـعراء وطبقاتهم وغيرها. (م ، ن).
٣ـ أحمـد بن الحارث بـن المبارك، أبو جعفر البغـدادي الخزاز (ت٢٥٨هـــ) (ابن النديم، الفهرست، ص١٥٢)
مـن علمـاء بغـداد، أشـتهر بعلم الأنسـاب وروايتهِ للأخبار مع سعة علمهِ بالشعر، وهو مولى المنصور، وكان منزلهُ بباب الكوفة. (ابن

النديم، الفهرست، ص١٥٢).
أورد ابن النديم لهُ بعض مؤلفاتهِ «كتاب أخبار أبي العباس، وكتاب الأخبار والنوادر، وكتاب أسماء الخلفاء وكناهم والصحابة، وكتاب الأشراف، وكتاب القبائل» وغيرها(الفهرست، ص١٥٢) .

٤ـ أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، أبو جعفر البغدادي، النسابة المعروف بالبلاذري (ت٢٧٩هـ) (ابن النديم، الفهرست، ص١٦٤).

كان من علماء أهل بغداد، أشتهر بعلم النسب، وكان مؤرخاً، وجغرافياً، إهتم بأخبار البلدان والمدن وفتوحها، رحل لطلب العلم إلى دمشق، وحمص، وإنطاكية، وحدث عن جماعة من العلماء. (ابن النديم، الفهرست، ص١٦٤).

ومن مؤلفاتهِ: كتاب البلدان الصغير، وكتاب البلدان الكبير ولم يتمهُ، وكتاب الأخبار والأنساب، وكتاب عهد أردشير وغيرها. (ابن النديم، الفهرست، ص١٦٤).

● **العلماء الأخباريون من أهل بغداد**

١ـ عبيد الله بن الفضل بن سفيان بن منجوف، أبو عبد الله البغدادي الأخباري، المعروف بالسدوسي (ت٢٠٠هـ) (الفهرست، ص٢١٦).

من علماء بغداد، أشتهر بعلم الأخبار والأنساب، أخذ العلم عن أبيهِ وجدهِ منجوف السدوسي. (ابن النديم، الفهرست، ص٢١٦).

ومن مؤلفاتهِ أورد لهُ ابن النديم مصنفاً واحداً وهو كتاب المآثر والأنساب والأيام. (الفهرست، ص٢١٦)

٢ـ عبد الله بن إسحاق بن سلام ـ أبو العباس، البغدادي الأخباري المعروف بالمكاري (ت٢٧١هـ) (ابن النديم، الفهرست، ص٢٢٤) من علماء بغداد، إشتهر بالاخبار، والفقه، والآثار، وكانت لهُ سعة علم بالشعر والغريب (الفهرست، ص٢٢٤).

ومن مؤلفاتهِ: كتاب الأخبار والأنساب والسير. (م ، ن).

٣ـ علي بن الحسين بن علي بن عبد الله، أبو الحسن البغدادي، الأخباري المعروف بالمسعودي (ت ٣٤٦هـ) (الفهرست، ص٢١٩).

من علماء بغداد، ولد ونشأ بها إختص بعلم الأخبار وسرد أحداث الماضين وأحوالهم، وأشتهر بالفقه، والحديث، والنسب، والأدب، والفلك، والحساب وغيرها. (الفهرست، ص٢١٩).

أورد لهُ ابن النديم بعض مؤلفاتهِ «كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر في تحف الأشراف والملوك وأسماء القرابات، وكتاب ذخائر العلوم وما كان في سائر الدهور، وكتاب الإستذكار لما مر في سالف الأعمار، وكتاب التاريخ في أخبار الأمم من العرب والعجم، وكتاب رسائل»(م ، ن).

٤ـ محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول، أبو بكر البغدادي الأخباري المعروف بالصولي (ت٣٣٥هـ). (ابن النديم، الفهرست، ص٢١٥).

من علماء بغداد، أشتهر برواية الأخبار، والأدب، والظرافة، والشعر، وكان كاتباً، أخذ عن أبو داود السجستاني، وثعلب، والمبرد وغيرهم. أهتم بجمع أخبار المتقدمين والمتأخرين من



الشـعراء، وتطرق إلى أخبار الملـوك والوزراء والكتاب. (الفهرست، ص٢١٥).
لهُ مؤلفات عـدة منها: كتاب أخبار أبي تمام، وكتـاب أخبـار الجبائـي، وكتـاب الأوراق في أخبـار الخلفاء والشـعراء، وكتـاب الوزراء، وكتـاب أدب الكاتـب عـلى الحقيقـة، وكتاب الأنواع وغيرها. (الفهرست، ص٢١٥).

●علم الكلام:

يقصـد بهِ علم يتضمن الحجـاج عن العقائد الإيمانية بالأدلـة العقلية والرَّد عـلى المُبتدعة المُنحرفين في الأعتقادات عن مذاهب السّـلف، وأهل السـنة وسر هذهِ العقائـد الإيمانية هو التوحيد(١٦).

ـ علماء أهل بغداد في علم الكلام:

١ـ جعفـر بن مبشر بـن أحمد بن محمد، أبو محمـد البغـدادي المعتزلي (ت٢٣هــ) (ابن النديم، الفهرست، ص٣٤٣). وهو من بغداد، ولد نشـأ فيها، كان زاهداً، ورعاً، عفيفاً إبتعد عـن السـلطة وأتجه للعلـم، وأصبـح فقيهاً، راوياً للحديث، وبرع بعلم الكلام، وأصبح من علماء المعتزلة ببغداد. (ابن النديم، الفهرست، ص٣٤٣).
لـهُ مؤلفـات عدة منهـا: كتاب الآثـار الكبير، وكتـاب الإجتهـاد، وكتـاب الخـراج، وكتاب الأشربـة، وكتـاب السـنن والأحـكام، وكتاب الطهـارة، وكتاب الرد عـلى أصحاب اللطف، وكتاب الدار. وغيرها (م ، ن).
٢ـ جعفـر بن حـرب، أبو الفضـل البغدادي المعتزلي (ت٢٣٦هــ) (ابن النديم، الفهرست، ص٣٥٢).
بغـدادي المولد والوفـاة، همداني الأصل، كان من علمـاء بغداد عـلى المذهب المعتـزلي، أخذ عن أبي الهذيل العلاف، وأنتهت إليه رئاسـة الفكر المعتزلي في بغداد، إمتاز بالزهد والورع والنسك. (ابن النديم، الفهرست، ص٣٥٢).
ومـن مؤلفاتـهِ: كتـاب الأسـتقصاء، وكتاب الأصـول، وكتاب الرد على أصحـاب الطبايع، كتـاب متشـابه القـرآن وغيرها(ابـن النديم، الفهرست، ص٣٥٢).
٣ـ محمـد بن عبد الله، أبـو جعفر البغدادي المعتـزلي المعروف بالأسـكافي* (ت٢٤٠هــ) (الفهرست، ص٣٥٣).
من علماء بغداد في الفكر المعتزلي، كان يعمل خياطـاً مـع عمـهِ، وكان يـتردد إلى مجالس العلمـاء والفقهـاء، وكان جعفـر بـن حرب معجبـاً بذكائـهِ، فصحبـهُ وتتلمذ عـلى يدهِ، فنبـغ بعلم الـكلام. (ابن النديم، الفهرسـت، ص٣٥٣).
وذكـر ابن النديم عنهُ «كان عجيب الشـأن في العلم والـذكاء والمعرفة وصيانة النبل والهمة والنزاهة» (الفهرست،ص ٣٥٣).
أورد لـه بعض مؤلفاتـهِ: كتـاب إثبات خلق القـرآن، وكتاب الأشربة، وكتـاب إبطال قول مـن قال بتعذيب الأطفـال، وكتاب التمويه في نقـد كتاب حفص، وكتاب الـرد على من أنكر خلق القرآن وغيرها (م ، ن).
٤ـ محمـد بن هـارون بن محمـد، أبو عيسى البغدادي (ت٢٩٧هــ) (ابن النديم، الفهرست، ص٣٥٩).
من علماء بغداد، ترك مذهب الإعتزال، وصار ميالاً إلى علم الفلسـفة والمنطق. (الفهرسـت، ص٣٥٩).

ومن مؤلفاتهِ: كتاب الإمامة الصغير، وكتاب الإمامة الكبير، وكتاب الحديث، وكتاب الرد على المجوس، وكتاب الرد على النصارى الأصغر، وكتاب الرد على النصارى الأكبر وغيرها. (م، ن).

٥ـ إسماعيل بن علي بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت البغدادي (ت٣١١هـ)(ابن النديم، الفهرست، ٣٧٥).

من علماء بغداد الشيعة الإمامية ومتكلميهم، كان شيخاً وأستاذاً لأبي علي بن وصيف، ولهُ سعة معرفة بالشعر، والبلاغة، ورواية الأخبار وروى عنهُ بالأخبار أبو بكر محمد بن يحيى الصولي وغيرهِ. (ابن النديم، الفهرست، ص٣٧٥).

لـهُ مؤلفات عدة منها: كتاب الأستيفاء في الإمامة، وكتاب تثبيت الرسالة، وكتاب التنبيه في الإمامة، وكتاب حديث العالم، وكتاب الرد على من قال بالمخلوق، وكتاب الصفات وغيرها (الفهرست، ٤٧٨).

٦ـ محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام بن جابر بن نعمان بن سعيد بن جبير، أبو عبد الله البغدادي الملقب بالشيخ المفيد (ت٤١٣هـ) (ابن النديم، الفهرست، ص٢٥٢، ٢٧٩).

من علماء ومشايخ الشيعة في بغداد، لمع في علم الفقه وعلم الكلام، ورواية الأخبار وهو الذي ناظر وأحتج ودافع عن الفقه الإمامي، وأنتهت إليهِ رياسة أصحابهِ من الشيعة الإمامية (ابن النديم، الفهرست، ص٢٧٩).

لم يذكر ابن النديم مؤلفات الشيخ المفيد في كتابهِ، بل ذكر البغدادي بعض مؤلفاتهِ منها: كتاب أحكام النساء، كتاب الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد وغيرها[١٧].

● علم التصوف:

من العلوم الشرعية، وأصلها العكوفُ على العبادة والإنقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زُخرف الدُّنيا وزينتها والزُهد من لذة ومال وجاه والإنفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة[١٨].

ـ العلماء المتصوفون من أهل بغداد:

١ـ بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله، أبو نصر البغدادي المعروف بالحافي (ت ٢٢٧هـ) (ابن النديم، الفهرست، ص٢٦١).

من علماء بغداد، أتصف بالورع والزهد والتقوى، سمع عن إبراهيم بن سعد الزهري، وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم، وحماد بن زيد، والمعافي بن عمران وغيرهم ، يذكر ابن النديم مصنفاً واحداً لهُ وهو «كتاب الزهد» (الفهرست، ص٢٦١).

٢ـ الحارث بن أسد، أبو عبد الله المحاسبي البغدادي (ت٢٤٣هـ) (الفهرست، ص٢٦١). يقول ابن النديم وهو «البغدادي من الزهاد المتكلمين على العبادة والزهد في الدنيا والمواعظ وكان فقيهاً مقدماً، كتب الحديث، وعرف المناسك» (الفهرست، ص٢٦١).

روى الحديث عن يزيد بن هارون وطبقتهِ، وروى عنهُ أبو العباس بن مسروق، وأحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي، والشيخ الجُنيد. أورد لـهُ ابن النديم بعض مؤلفاته «كتاب التفكير والإعتبار» (الفهرست، ص٢٦١).

٣ـ محمد بن إبراهيم، أبو حمزة البغدادي

الصوفي (ت٢٦٩هـ) (ابن النديم، الفهرست، ٢٦٣ـ ٢٦٤).

وهو من علماء الصوفية في بغداد، كان يتكلم بجامع الرصافة، ولهُ حلقة فيها، ثم أنتقل إلى جامع المدينة في بغداد، وعلاوةً على التصوف لهُ معرفة بعلم القراءات، وكان يُجالس أحمد بن حنبل، وبشر بن الحارث الحافي، وأبا نصر التمار وغيرهم.

ومن مؤلفاتهِ: كتاب المنتمين من السياح والعباد والمتصوفة، وكتاب الإبدال، وكتاب مواطن العباد. (ابن النديم، الفهرست، ٢٦٤).

٤ـ عبيد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان، أبو بكر البغدادي الزاهد (ت٢٨١هـ) (ابن النديم، الفهرست، ص٢٦٢).

كان من علماء بغداد، قريشياً بالولاء، ورعاً، زاهداً، عالماً بالأخبار والروايات وعلم الحديث، روى عن سعيد بن سليمان الواسطي، وإبراهيم بن المنذر الخزامي، وخالد بن خداش المهلبي وغيرهم، وروى عنهُ الحارث بن أبي أسامة ومحمد بن خلف وكيع، ومحمد بن خلف المرزبان وغيرهم. (ابن النديم، الفهرست، ص٢٦٢) .

أورد لهُ ابن النديم بعض مؤلفاتهِ «كتاب أخبار قريش، وكتاب الإخلاص والنية، وكتاب الأصوات، وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكتاب تزويج فاطمة» وغيرها (الفهرست، ص٢٦٢).

٥ـ الجُنيد بن محمد بن الجُنيد، أبو القاسم الصوفي البغدادي (ت٢٩٧هـ) (ابن النديم، الفهرست، ص٢٦٤)، أشتهر بالتصوف، والوعظ، والزهد في الدنيا، وعلم اللغة، وعلم الكلام، والفقه والحديث من علماء بغداد، وعدهُ من كبار المتكلمين على مذاهب الصوفية (الفهرست، ص٢٦٤).

وأورد ابن النديم بعض مؤلفاتهِ «كتاب أمثال القرآن، وكتاب الرسائل» (م ، ن).

●العلوم الصرفة:

علم الطب، وعلم الرياضيات والهندسة، وعلم الفلك، وعلم المنطق.

ـ الأطباء من أهل بغداد

١ـ يوحنا بن ماسويه، أبو زكريا الطبيب البغدادي (ت٢٤٣هـ) (ابن النديم، الفهرست، ص٤١١ـ ٤١٢).

من أطباء بغداد، وكان فاضلاً طبيباً، عالماً مصنفاً، عالماً بالترجمة، ولهُ فضل كبير بنقل كثير من العلوم الطبية القديمة للرومان، خدم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل (ابن النديم، الفهرست، ص٤١١).

أورد لهُ ابن النديم بعض مؤلفاتهِ «كتاب الكمال والتمام، وكتاب الكامل، وكتاب الحمام، وكتاب دفع ضرر الأغذية، وكتاب الإسهال، وكتاب علاج الصداع، وكتاب السدر والدوار» وغيرها (م، ن).

٢ـ إسحاق بن حُنين بن إسحاق، أبو يعقوب العبادي الطبيب البغدادي (ت٢٩٨هـ)(ابن النديم، الفهرست، ص٤١٥).

أشتهر بعلوم كثيرة كالطب واللغة، وترجمة الكتب اليونانية إلى العربية، ومن أشهر علومهِ الطب والأحكام، وقد خدم الخلفاء كأبيه. (ابن النديم، الفهرست، ص٤١٥).

ولهُ مؤلفات منها: كتاب الأدوية المفردة على الحروف، وكتاب الكناش اللطيف، وكتاب

تاريخ الأطباء، وكتاب الأدوية المفردة اللطيف على الحروف (م ، ن).

٣ـ سنان بن ثابت بن قرة، أبو سعيد الطبيب البغدادي (ت٣٣١هـ) (ابن النديم، الفهرست، ص٨٠).

كان مقدماً في صناعة الطب، أختص بالمقتدر العباسي وكان من المقربين إليهِ، ثم تولى خدمة القاهـر، ثم الراضي، وأتخـذهُ فيما بعد بجكم التركي، طبيبـهُ الخاص. وعظمـت منزلتهُ في أيام المقتدر ، وصار رئيساً للأطباء في بغداد[١٩].

من مؤلفاتهِ: رسالة في تاريخ ملوك السرياني، ورسالة في الإستواء، ورسالة في بجكم، ورسالة إلى ابن رائق، ورسـالة في النجوم، ورسـالة في الفرق بين المترسـل والشـاعر وغيرها (ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٤، ص٥٢٧).

٤ـ إبراهيـم بن سـنان بن ثابت بـن قرة، أبو إسـحاق، الطبيب البغدادي (ت٣٣٥هـ)(ابن النديم، الفهرست، ص٨١).

من علماء بغداد إشـتهر بالطب، وكان فاضلاً في علم الهندسـة، مقدماً فيها، لم ير في زمانه أذكى منهُ، ووصف بالـذكاء ورجاحة العقل. (ابن النديم، الفهرست، ص٨١)

مـن مصنفاتـهِ: كتـاب أغـراض، وكتـاب المجسـطي، كتاب ما وجد من تفسيرهِ للمقالة الأولى من المخطوطات(م ، ن).

٥ـ عيـسى بـن عـلي الطبيـب البغـدادي (ت٣٥٨هـ) (ابـن النديـم، الفهرسـت، ص٥٩٢).

هـو مـن الأطبـاء المشـهورين، وعمـل طبيباً للمتوكل العباسي، وللخليفة المعتمد، وأتصف بالفضل والحكمة. (الفهرست، ص٥٩٢).

من مؤلفاتـهِ: كتاب المنافع التي تسـتفاد من أعضاء الحيوان(م ، ن).

٦ـ ثابت بن إبراهيم بن هارون، أبو الحسـن، الطبيـب البغدادي (ت٣٦٩هـ) (الفهرسـت، ص٦٠٠).

مـن أطباء بغداد، أشـتهر في صناعـة الطب، كان واسع الدراية، وافداً في العلم.(الفهرست، ص٦٠٠).

وذكـر ابـن النديم لـه مصنفين همـا: كتاب إصـلاح مقالات كتـاب يحيى بـن سرافيون، وكتاب جوابات مسائل سُئل عنها. (الفهرست، ص٦٠٠).

● علم الرياضيات والهندسة:

ـ علم الهندسـة: وهو النظـر في المقادير على الإطـلاق إما كونهـا معـدودة أو متصلة وإما كونهـا ذا بُعد واحد وهو الخط أو ذات بُعدين وهو السـطح أو ذات أبعاد ثلاثة وهو الجسم التعليمي[٢٠].

١ـ محمـد بـن مـوسى البغـدادي المعـروف بالخوارزمـي (ت٢٥٠هـ) (ابـن النديـم، الفهرست، ص٣٨٣).

ولـد ببغداد ونشـأ بهـا، أصلهُ من خـوارزم، أشـتهر بعلـم الرياضيات وعلـم الهيئة، عمل ببيت الحكمـة، في عهد المأمون. (الفهرسـت، ص٣٨٣).

أورد لـهُ ابـن النديـم بعض مؤلفاتـه «كتاب الرخامة، وكتاب العمل بالاسـطرلابات، كتاب عمل الاسطرلاب، وكتاب التاريخ» (م ، ن) .

٢ـ الفضـل بن حاتم، أبو العبـاس البغدادي المعروف بالنيريزي (ت٣١٠هـ) (ابن النديم،



الفهرست، ص٣٨٩).
من علمـاء بغـداد، أشـتهر بعلم الهندسـة، وعلـم الفلك والتنجيم، وخـدم بعلمهِ الخلفاء العباسيين. (الفهرست، ص٣٨٩).
مـن مؤلفاتـهِ: كتاب أحـداث الجـو، وكتاب تفسـير الأربعـة لبطليموس، وكتـاب القبلة، وكتـاب البراهـين في تهيئـة آلات تتبـين فيها أبعاد الأشياء، وغيرها (م ، ن).
٣ـ عبدالله بن الحسـين البغـدادي (مجهول الوفاة) (ابن النديم، الفهرست، ص٣٩٠)
من علماء بغداد، أشـتهر بعلـم الرياضيات، وعلـم التنجيـم. (ابـن النديـم، الفهرسـت، ص٣٩٠).
ومـن مؤلفاتـهِ: كتاب شرح كتابـهِ في الجمع والتفريق، وكتاب في صنوف الضرب والقسمة (م، ن).

● **علم الفلك والتنجيم:**

ـ علـم الهيئـة والفلك: وهو تعيين الأشـكال للأفلاك وحصر أوضاعها وتعددها لكل كوكب من السـيارة والقيام على معرفة ذلك من قبل الحركات السَّـماوية المشـاهدة الموجودة لكل واحد منها[٢١].

ـ علماء الفلك والتنجيم من أهل بغداد

١ـ الحسـن بـن الخصيب المنجـم البغدادي (ت١٩٠هــ) (ابـن النديـم، الفهرسـت، ص٥٦٢).
مـن علماء بغـداد في علمي الهيئـة والنجوم، الحاذق بصناعتهِ. (الفهرست، ص٥٦٢).
أورد لـهُ ابن النديم بعـض مصنفاتهِ «كتاب تحويل سـني العالـم، وكتاب تحويل سـني المواليد، وكتاب المدخل إلى علم الهيئة، وكتاب المواليد» (م ، ن).
٢ـ حبيش بن عبد الله المروزي الحاسـب المنجم البغـدادي (ت بحـدود٢٢٠ه) (الفهرسـت، ص٣٨٤).
أحد أصحاب الإرصاد، ومن العلماء المتقدمين بعلم التنجيم، ولهُ شـهرة وسعة علم ومعرفة بحسـاب تسـيير الكواكـب. (الفهرسـت، ص٣٨٤).
أورد لهُ ابن النديم بعض مؤلفاتهِ «كتاب الزيج الدمشـقي، وكتـاب الزيج المأمونـي، وكتاب الأبعـاد والأجـرام، وكتاب عمل الأسـطرلاب، وكتاب الرخائـم والمقاييس، وكتـاب الدوائر الثـلاث المماسـة وكيفيـة الاوصـال، وكتاب عمل السـطوح المبسـوطة والقائمـة والمائلة والمنحرفة» (م ، ن).
٣ـ محمد بن عبد الله بن عمر المنجم البغدادي المعروف بابن البازيار. (ت بحدود ٢٤٥هــ) (الفهرست، ص١٨٩) .
من العلماء المشهورين بعلم النجوم في بغداد، وأخـذ عن حبيـش بن عبد الله. (الفهرسـت، ص١٨٩).
ومـن مؤلفاتـهِ: كتـاب الأهويـة يحتوي على تسـع عـشرة مقالـة، وكتـاب تحويل سـني المواليد، وكتاب الزيج، وكتاب المواليد، وكتاب القرآنيات وتحويل سني العالم. (م ، ن).
٤ـ جعفر بن محمد بن عمر، أبو معشر المنجم البغدادي (ت٢٧٢هــ) (الفهرست، ص٣٨٦).
مـن أصحـاب الحديـث، ومنزلـهُ في الجانب الغربي بباب خراسـان، كان يُضاغن الكندي عالم بالمنطق والفلسـفة، حتـى أغرى الناس عليهِ، ثم أرسـل إليـهِ الكندي مـن حبب إليه

الحساب والهندسة، فدخل في تلك العلوم، ثم مالبث أن عدل إلى النظر في علم النجوم فراجع كبار علماء علم النجوم في بغداد. وكان فاضلاً حسن الإصابة. (الفهرست، ص٣٨٦).
أورد لهُ ابن النديم مؤلفاتهِ «كتاب إثبات علم النجوم، وكتاب الإختيارات، وكتاب الأصول، وكتاب الأمطار، وكتاب الإختيارات على منازل القمر، وكتاب الأنواء، وكتاب الأوقات» وغيرها. (الفهرست، ص٣٨٦ـ ٣٨٧).
٥ـ سند بن علي، أبو الطيب المنجم البغدادي (ت٢٩٠هـ) (الفهرست، ص٣٨٣).
كان عالماً خبيراً بتسيير النجوم ولهُ علم بصناعة آلات الرصد كالاسطرلاب، وكان يهودياً أسلم على يد المأمون، وقد أناط لهُ المأمون تصليح الآت الرصد والإشراف عليها. (الفهرست، ص٣٨٣).
من مصنفاتهِ: كتاب الجبر والمقابلة، وكتاب الجمع والتفريق، وكتاب الحساب الهندي، وكتاب القواطع، وكتاب المنفصلات والمنقطعات. وغيرها. (ابن النديم، الفهرست، ص٣٨٤).
٦ـ يعقوب بن طارق المنجم البغدادي (مجهول الوفاة) (ابن النديم، الفهرست، ص٣٨٨).
من أفاضل المنجمين وعلماء بغداد، كان بارعاً في ذلك العلم. (الفهرست، ص٣٨٨).
ولهُ مؤلفات منها: كتاب تقطيع كردجات الجيب، وكتاب ما ارتفع من قوس نصف النهار، وكتاب الزيج محلول في السند هند، وهو كتابان الأول في علم الفلك، والثاني في علم الدول. (م، ن).
٧ـ عمر بن محمد بن خالد بن عبد الملك المروروذي المنجم البغدادي (مجهول الوفاة) (الفهرست، ص٣٨٦).
من أصحاب الإرصاد والتنجيم، كان فاضلاً، مشهوراً في بغداد، أخذ علمهِ عن جدهِ خالد بن عبد الملك الذي تولى أمور الرصد والفلك في أيام المأمون العباسي[٢٢]. ذكر ابن النديم مصنفين لهُ هما «كتاب تعديل الكواكب، وكتاب صنعة الاسطرلاب المسطح» (الفهرست، ص٣٨٦) .

- **علم المنطق:**

وهو علم يَعصمُ الذهن عن الخطأ في إقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة المعلومة وفائدتهِ تيميز الخطأ من الصَّواب[٢٣].

ـ علماء علم المنطق من أهل بغداد

١ـ إبراهيم، أبو إسحاق المنطقي البغدادي المعروف بالقويري (ت٢٩٥هـ) (الفهرست، ص٣٦٧).
من علماء بغداد بعلم المنطق، وتتلمذ على يدهِ متي بن يونس المنطقي، وكان مفسراً ومترجماً للعلوم اليونانية. (الفهرست، ص٣٦٧).
أورد لهُ ابن النديم بعض مؤلفاتهِ «كتاب تفسير قاطينورياس مشجر، وكتاب باريرميناس مشجر، وكتاب أنالوطيقا الأول، وكتاب أنالوطيقا الثاني مشجر» (م ، ن).
٢ـ متي بن يونس، أبو بشر البغدادي (ت٣٢٨هـ)(الفهرست، ص٣٦٨).
ولد ونشأ في بغداد بدير يُدعى قُنى، أخذ علمهِ من قويري، ودوفيل وبنيامين، وأبو أحمد بن كونيب، وأنتهت إليهِ رئاسة المنطقيين. (الفهرست، ص٣٦٨).
من مؤلفاتهِ: كتاب تفسير الثلاث مقالات

الأواخر من تفسـير ثامسطيوس، وكتاب نقل إعتبـار الحكم وتعقب المواضـع، وكتاب نقل كتاب البرهان الفص، وكتاب نقل كتاب تفسير الأسكندر لكتاب السماء، وغيرها. (م، ن)

٣ـ عيـسى بن إسـحاق بن زرعة بـن مرقس بـن زرعـة بـن يوحنـا، أبو عـلي البغـدادي (ت٣٩٨هـ) (الفهرست، ص٣٦٩ـ ٣٧٠).

ولـد ببغداد، وهو من العلمـاء المتقدمين بعلم المنطق والفلسـفة، وأشتهر بالطب والترجمة، أخـذ علمهِ عـن يحيى بن عدي. (الفهرسـت، ص٣٦٩).

ذكر لهُ ابن النديم بعض مؤلفاتهِ منها «كتاب إختصار كتاب أرسـطوطاليس في المعمور من الارض، وكتاب أغراض كتب أرسـطوطاليس المنطقية، وكتـاب الحيوان لأرسـطوطاليس، وكتـاب في العقل، وكتـاب في الأخلاق، وكتاب منافـع أعضـاء الحيـوان» وغيرهـا (م ، ن، ص٣٧٠) .

● العلماء الوافدون إلى بغداد:

هـم العُلماء الذين رحلوا إليها لطلب العلم من مُختلـف بلـدان العالم الإسـلامي فمنهم من نزل وأقيم فيها فأطلق عليهم إسـم البغدادي ومنهـم من تلقـى فيها العلوم وخـرج منها. ولكن في بعض الأحيان لايشـير ابن النديم إلى ذلك بينما المصادر الآخـرى التي تم الإعتماد عليها بينت ذلك أحياناً مع بيان النتاج العلمي لهم الذي يبين فيهِ التراث العلمي.

ـ علماء علم القراءات

١ـ خلف بن هشـام بـن ثعلب، البـزاز، أبو محمـد البغـدادي المُقـرىء (ت٢٢٩هــ) (الفهرست، ص٤٧).

من أهل فم الصُلح وصار بمدينة السلام كأنهُ من أهلها، سمع من شريك وأبي عوانة وحماد بن زيد وقرأ على سـليم صاحب حمزة وأختار لنفسـهِ قـراءة خاصة، خالف فيهـا حمزة في أشـياء، وإلى جانب علمـه بالقراءات، كان من المحدثـين الثقات. (ابـن النديم، الفهرسـت، ص٤٧).

ومن مؤلفاتـهِ في القراءات مؤلفان هما: كتاب القراءات، (م ، ن) وكتاب حروف القراءات.

٢ـ النقـاش: محمـد بن الحسـن بـن محمد بـن زيـاد بـن هـارون بـن جعفر بن سـند الأنصاري، أبو بكر الموصلي البغدادي المقرىء (ت٣٥١هـ) (الفهرست، ص٥٠).

يقول ابن النديم «من أهل الموصل وبها مولده وكان أحـد القـراء بمدينة السـلام يرحل إليه ويُقرأ عليهِ» (الفهرست، ص٥٠).

كان عالماً مشـهوراً بحروف القرآن والقراءة، حافظـاً للتفسـير، أخـذ القراءة عـن هارون الأخفش، وأحمد بن أنس، والحسن بن الحباب وغيرهم، وقرأ عليـهِ أبو بكر بن مهران، وعبد العزيـز بن جعفر الفارسي، وأبو الحسـن بن الحمامي وغيرهم.

لـهُ مؤلفـات عـدة في القـراءات منهـا: كتاب الإشـارة في غريب القـرآن، وكتاب الموضح في القـرآن ومعانيـه، وكتـاب المعجـم الكبير في أسـماء القُراء وقراءتهم وغيرها. (الفهرست، ص٥٠).

ـ علماء علم الحديث

١ـ يحيـى بـن معـين بـن عـون بـن زيـاد بـن بسـطام، أبـو زكريـا البغـدادي المحدث (ت٢٣٣هـ) (الفهرست، ص٣١٧).

كان إماماً في الحديث، عالماً حافظاً، متقناً، لهُ شأن كبير، في الجرح والتعديل، سمع الحديث من عبد الله بن المبارك، وعيسى بن يونس، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل وغيرهم، وروى عنهُ أبوخيثمة زهير بن حرب، وعبد الله بن أحمد بن حنبل، وغيرهم.

لـهُ مؤلفات منها: كتاب الفرائض، وكتاب الخراج، وكتاب الزوال. (الفهرست، ص٣١٧).

٢ـ أحمد بن محمد بن الحجاج، أبو بكر المروزي البغدادي (ت٢٧٥هـ)(الفهرست، ص٣٢١).

سمع من أحمد بن حنبل، وكان أحد أصحابهِ لفضلهِ وورعهِ، وروى عنهُ محمد بن مُخلد الدوري.

من مؤلفاتهِ التي أوردها ابن النديم: كتاب السنن بشواهد الحديث. (الفهرست، ٣٢١).

٣ـ زهير بن حرب بن أشتال، أبو خثيمة النسائي البغدادي (ت٢٣٤هـ) (الفهرست، ص٣٢١).

هو من علماء بغداد ومحدثيها، روى الحديث عن ابن عيينه، وهشيم، وابن عليه، وجرير بن عبد الحميد، ويحيى بن القطان وغيرهم، وكانت لهُ دراية في علم القراءة.

أورد لـهُ ابن النديم بعض مؤلفاتهِ منها كتاب العلم، وكتاب المسند. (الفهرست، ص٣٢١).

٤ـ سريح بن يونس بن أبراهيم أبو الحارث المروزي البغدادي (ت٢٣٥هـ) (الفهرست،ص ٣٢٢).

من جلّة المحدثين في بغداد، وكان فقيهاً مقرئاً، روى الحديث عن سفيان بن عيينه، ومروان بن شجاع، وإسماعيل بن جعفر وغيرهم، وروى عنهُ أبو يحيى صاعقة، وابن المنادي، وإسحاق بن سنين الختلي، وموسى بن هارون وغيرهم.لـهُ مؤلفات منها: كتاب التاريخ الكبير، وكتاب التاريخ الصغير، وكتاب السنن في الفقه، وكتاب الضعفاء وغيرها. (الفهرست، ص٣٢١ـ ٣٢٢).

ـ علماء علم الفقه :

١ـ علي بن يقطين بن موسى (ت١٨٢هـ) (الفهرست، ص٣١٤).

ولد بالكوفة سنة (١٢٤هـ)، وسافر إلى المدينة مع أمهِ وأخيهِ عبيد بن يقطين بعد ظهور الأسرة العباسية وعمل في خدمة أبي العباس السفاح، وأبي جعفر المنصور. (الفهرست، ص٣١٤).

له مؤلفات عدة منها: كتاب الجامع الكبير، وكتاب يجري مجرى الحديث، رواهُ عنهُ جماعة منهم يزيد بن أبي حكيم، وعبد الله بن الوليد المدني، وإبراهيم بن خالد الصنعاني وغيرهم، وكتاب رسالة إلى عباد بن عباد الارسوفي.(م ،ن).

٢ـ يونس بن عبد الرحمن البغدادي (ت٢٠٨هـ) (الفهرست، ص٣٠٩).

من فقهاء بغداد كان من أصحاب الامام موسى بن جعفر عليه السلام، ومن موالي آل يقطين، إنـهُ علامة زمانـهِ، كثير التصنيف والتأليف على مذاهب الشيعة. (ابن النديم، الفهرست، ص٣٠٩).

لهُ مؤلفات عدة منها: كتاب علل الأحاديث، وكتاب الصيام، وكتاب الصلاة، وكتاب الزكاة، وكتاب الوصايا والفرائض، وكتاب جامع الآثار، وكتاب البداء (م ، ن).

٣ـ عيسى بن أبان بن صدقة بن مروانشاه،



أبو موسى البغدادي (ت٢٢٠ه) (الفهرست، ص٢٨٩).

كان فقيهاً من الفقهاء الحنفية ببغداد سريع الأنفاذ للحكم، وكان عيسى شيخاً عفيفاً وولى القضاء عشر سنين. (الفهرست، ص٢٨٩).

ويقول ابن النديم «قرأتُ بخط الحُجازي: عيسى بن أبان ابن صدقة بن عدي بن مروانشاه من أهل فسا، وكان إلى صدقة الجهبذة: وهي من الحرف المعروفة بنقد الذهب، وتمييز جيده من رديئه، القلقشندي، أحمد بن علي (ت٨٢١ه)[٢٤]. يذكر ابن النديم مؤلفاته: كتاب إثبات القياس، وكتاب إجتهاد الرأي، وكتاب الجامع، وكتاب الحج، وكتاب خبر الواحد، (م، ن) ويضيف البغدادي «كتاب العلل في الفقه، وكتاب الشهادات، وكتاب الحجة الصغيرة في الحديث».

٤- محمد بن شجاع البلخي البغدادي (ت٢٦٦هـ) (الفهرست، ص٢٩١).

يقول ابن النديم «مبرز على نظرائهِ من أهل زمانه، وكان فقيهاً ورعاً وثابتاً على آرائهِ» (ابن النديم، الفهرست، ص٢٩١) وكان من كبار الفقه الحنفي في بغداد وأحتج لهُ وأظهر علله وقواه بالحديث وحلاهُ في الصدور. (الفهرست، ص٢٩١).

روى الحديث عن يحيى بن آدم، وإسماعيل بن علية، وأبي أسامة، ومحمد بن عمر الواقدي وغيرهم.

من مؤلفاتهِ: كتاب تصحيح الآثار الكبير، وكتاب النوادر، وكتاب المضاربة، وكتاب التجريد في الفقه وغيرها. (الفهرست، ص٢٩١).

٥- موسى بن سليمان، أبو سليمان الجوزجاني البغدادي (ت٢٨٠هـ) (الفهرست، ص٢٩٠).

كان ورعاً، ديناً، فقيهاً، مُحدثاً ونزل في درب أسد ويقرأ عليه كتب محمد بن الحسن الشيباني، وأبي يوسف القاضي، (ابن النديم، الفهرست، ص٢٩٠) وروى الحديث عن عبد الله بن المبارك، وعمرو بن جميع، وأبي يوسف وغيرهم..

من مؤلفاتهِ: كتاب الفتاوي، وكتاب سير الصغير، وكتاب الرهن، وكتاب الخيل.

٦- الحسن بن أحمد بن يزيد بن عيسى بن الفضل بن بشار أبو سعد الأصطخري البغدادي (ت٣٢٨هـ) (ابن النديم، الفهرست، ص ٣٠٠).

من الفقهاء الشافعية، وكان ثقة مستوراً، وفقيهاً مقدماً، ولي القضاء في عدد من المدن والأقاليم، منها مدينة قم وسجستان، ثم جاء إلى بغداد وأُنيطت إليه وظيفة الحسبة في خلافة الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥- ٣٢هـ).

ومن مؤلفاتهِ: كتاب الفرائض الكبير، وكتاب الشروط والوثائق والمحاضر والسجلات (الفهرست، ص٣٠٠).

٧- داود بن علي بن داود بن خلف، أبو سليمان الأصفهاني (ت٢٧٠هـ) (الفهرست، ص٣٠٣).

يقول ابن النديم «هو أول من أستعمل قول الظاهر، وأخذ بالكتاب والسنة وألغى ما سوى ذلك من الرأي والقياس وكان فاضلاً صادقاً ورعاً» (الفهرست، ص٣٠٣).

وداود أصبهاني الأصل، مولدهُ في الكوفة، ومنشؤهُ ببغداد (ولهُ مؤلفا الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٨، ص٣٦٩) منها

كتاب الأصول، وكتاب الإيضاح، وكتاب إبطال القياس، وكتاب الإفصاح وغيرها. (الفهرست، ص٣٠٣).

٨ـ أحمد بن محمد بن صالح أبو العباس المنصوري (ت٢٩٢هـ) (الفهرست، ص٣٠٦).

من فقهاء أهل الظاهر، وهو من أفاضل الداوديين، وعدُ إماماً من أئمتهم، وكان ينتقل بين بغداد والبصرة، وفارس، وسمع من أبي العباس الأثرم، وأبي روق الهراتي، روى عنه الحاكم أبو عبد الله الحافظ. (الفهرست، ص٣٠٦).

من كتبِهِ: كتاب المصباح، وكتاب المنير، وكتاب الهادي (الفهرست، ص٣٠٦).

ـ علماء النحو والشعر والأدب:

١ـ يزيد بن عبد الله بن الحر، أبو زياد البغدادي الكلابي (ت٢٠٠هـ) (الفهرست، ص٦٧).

عالمٌ بالأدب والشعر، وكانت ديارهُ ما بين الحجاز ونجد ثُم إنتقل إلى بلدان كثيرة إلى العراق والشام وشمال أفريقية، ولد ونشأ في بادية العراق، قدم بغداد أيام المهدي، وهي ملتقى الشعراء والمفكرين. (الفهرست، ص٦٧).

أورد ابن النديم بعض مؤلفاته «كتاب النوادر، وكتاب الفرق، وكتاب الإبل، وكتاب خلق الإنسان» (الفهرست، ٦٧).

٢ـ عبد الوهاب بن حريش، أبو محمد المعروف بأبو مسحل (الفهرست، ص٦٩)

عالم بالأدب حضر بغداد وافداً على الحسن بن سهل ولهُ مع الأصمعي مناظرات في التصريف(م، ن) .

من مؤلفاتهِ: كتاب النوادر، وكتاب الغريب. (م،ن).

٣ـ الحسن بن هانيء بن صباح بن عبد الله بن الجراح الحكمي، أبو نؤاس الدمشقي (ت١٩٩هـ) (الفهرست، ص٢٢٨).

ولد في الأهواز، وبعد وفاة والدهُ أنتقلت بهِ والدتهُ إلى البصرة وتلقى العلم على يد علمائها أدباً وشعراً، وكان عالماً فقيهاً عارفاً بالأحكام، بصيراً بالإختلاف، حافظاً، وذا معرفة بطرق الحديث، وأمتاز بالفصاحة والبيان في عصرهِ، وقد انتقل بعد ذلك إلى الكوفة وبعدها قصد بغداد وأمتدح الخليفة هارون الرشيد وعوقب من الخليفة لما امتاز به شعره المبتذل من المجون بحبسهِ، وبعد خروجهِ منهُ عن طريق البرامكة وبعد النكبة التي حدثت لهم من الخليفة هارون الرشيد رحل من بغداد إلى دمشق ثم مصر، ولكن بعد وفاة الخليفة هارون الرشيد وخلفهُ الأمين عاد أبو نؤاس إلى بغداد وأصبح نديما للخليفة الأمين، وما أن حدث الخلاف بين الأمين والمأمون حتى حبس أبو نواس من قبل خصوم الخليفة الأمين وتوفى فيها[٢٥].

٤ـ محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر البغدادي المعروف بابن الأنباري (ت٣٢٨هـ) (ابن النديم، الفهرست، ص١١٢).

من أهل الأنبار وهو من علماء النحو في بغداد، أتقن اللغة وأجادها، فضلاً عن براعتهِ بالعلوم الدينية، كالحديث والتفسير، وتتلمذ على أبي العباس ثعلب. (الفهرست، ص١١٢).

ومن مؤلفاتهِ كتاب إختلاف النحويين، وكتاب

إســتخراج الألفاظ من الأخبــار، وكتاب خلق الإنســان، وكتاب الأمثــال، وكتــاب المقصور والممدود، وكتاب غريب الحديث وغيرها (م، ن).

ـ علماء علم الكلام

١ـ بشر بن المعتمر، أبوسهل الهلالي، البغدادي (ت٢١٠هــ) (الفهرست، ص٣٣٨).

كوفي المولد والمنشــأ، بغدادي المسكن والوفاة، مــن علماء بغــداد في علــم الــكلام، تمكن أن ينظم تعاليم المعتزلة، بقصيدة طويلة، قدرت بالألف بيت، ولهُ كثير من الكتب في علم الكلام والفقه. (الفهرست، ص٣٣٨).

أورد لــهُ ابن النديــم بعض مؤلفاتــهِ «كتاب الإمامة، وكتاب تأويل متشابه القرآن، وكتاب الرد على أبي هذيل، وكتاب الرد على أصحاب القــدر، وكتــاب الرد عــلى الخــوارج، وكتاب العدل» وغيرها (الفهرست، ص٣٣٨).

٢ـ هشــام بن الحكــم، أبو محمــد البغدادي (ت١٧٩هـــ) (ابــن النديــم، الفهرســت، ص٢٤٩ـ ٢٥٠).

كــوفي تحــول مــن الكوفــة إلى بغــداد، يقول ابــن النديم «مولى بني شــيبان، من أصحاب أبــي عبدالله جعفر بن محمــد رضى الله عنهُ مــن متكلمــي الشــيعة ممــن فتق الــكلام في الإمامة وهــذب المذهب والنظــر وكان حاذقاً بصناعة الكلام حاضر الجواب» (الفهرســت، ص٢٤٩).

أورد لــهُ ابن النديــم بعض مؤلفاتــهِ «كتاب الأخبار وكيــف تصح، وكتاب أختلاف الناس في الإمامة، وكتاب الاستطاعة، وكتاب الألفاظ، وكتــاب الإمامــة، وكتــاب التدبــير، وكتــاب التوحيد» وغيرها. (م ،ن، ص٢٥٠).

٣ـ عــلي بن محمد بن أحمد بن الحســن، أبو الحسن، الواعظ الزاهد البغدادي (ت٣٣٨هــ) (الفهرست، ص٢٦٣)

أصلهُ من سرُ منَ رأى ولد ونشــأ بها، وأنتقل إلى مصر ثُم عاد الى بغداد، وكان ورعاً، زاهداً، فقيهاً، عارفاً بالحديث. سمع الحديث ببغداد مــن: أحمد بن عُبيد بــن ناصح، وعبد الله بن الحســن الهاشــمي، ومحمد بــن إبراهيم بن الجنــاد، وعنــد مكوثهِ بمصر ســمع الحديث عن المصريين لذا لُقــب بالمصري، وروى عنهُ: محمــد بــن إســماعيل الــوراق، والدارقطني وغيرهم. (الفهرست، ص٢٦٣).

ومــن مؤلفاتــهِ: كتــاب الإخــلاص، وكتــاب التواضــع، وكتــاب التوبــة، وكتــاب الحديث في الزهــد، وكتــاب الصــبر، وكتــاب الخوف، وكتــاب الــزكاة، وكتــاب الصــلاة، وكتــاب الصمت، وكتاب الطهارة وغيرها. (الفهرست، ص٢٦٣).

ـ الأطباء وعلماء الفلك والتنجيم

١ـ حُنــين بــن إســحاق العبّــادي، أبــو زيد الطبيب البغــدادي (ت٢٦٠هــ) (ابن النديم، الفهرست، ص٤٠٩).

ولد في الحيرة، ونشــأ وترعرع فيها، وأشتهر بعلم الطب والصيدلــة، كان فاضلاً بصناعة الطب أتقن العديد من اللغات العالمية كاللغة اليونانيــة والسريانيــة والعربيــة، وقد نشــأ حُنين نشأة علمية واســعة، ولشهرتهِ الطبية قربهُ الخليفة المتوكل العباسي وأصبح طبيبه الخــاص[٢٦]. مــن مؤلفاتــهِ: كتــاب احــكام الاعراب، على مذاهب اليونانيين مقالتان، كتاب الأجيــال، كتاب العشر مقالات في العين، كتاب

الأغذية، وكتاب الأسنان واللثة، وكتاب أختيار أدوية العين، وكتاب رسـالتِهِ إلى الطيفوري في قرص الورد، وكتب العين على طريق المسـألة الجواب وغيرها. (الفهرست، ص٤١٠).

٢ـ عطارد بن محمد الحاسب المنجم البغدادي (ت٢٠٦هـ) (الفهرست، ص٣٨٧).

بابـلي الأصـل، عمـل ببغـداد وأشـتهر بعلم التنجيم والحساب. (الفهرست، ص٣٨٧).

مـن مؤلفاتِهِ: كتـاب تركيب الأفـلاك، وكتاب العمـل بالإسـطرلاب، وكتاب الجفـر الهندي تفسـيره، وكتاب العمل بـذات الحلق، وكتاب المرايا المحرقة. (م ، ن).

٣ـ يحيـى بـن عـدي بن حميـد بـن زكريا، أبـو زكريـا المنطقـي البغـدادي التكريتـي (ت٣٦٣هـ)(ابـن النديـم، الفهرسـت، ص٣٦٩).

اشـتهر بعلـم المنطـق، والترجمـة والكتابة، إنتهت إليهِ رئاسة العلوم المنطقية والفلسفية في عـصرهِ، وتتلمذ على يد أبي بشر متي، وأبي نصر الفارابي وغيرهِ. (الفهرست، ص٣٦٩).

لـهُ مؤلفـات منهـا: كتـاب تفسـير طوبيقـا لأرسـطوطاليس، وكتـاب رسـالتِهِ في نقـض حجـج كان أنقذهـا الرئيـس في نـصرة قول القائلين بـأن الأفعـال لله تعالى والإكتسـاب للعبد. (م ، ن) .

٤ـ الحسـن بن سـوار بن بابا بن بهنام، أبو الخير المنطقـي البغدادي (ت مجهول الوفاة) (الفهرست، ص٣٧٠).

من افاضل العلماء في الفلسفة والمنطق، وكان شـديد الـذكاء والفطنـة والأضطـلاع بعلوم مختلفة، قرأ على يحيى بن عدي. (الفهرست، ص٣٧٠).

أورد لـهُ ابـن النديـم مؤلفاتـهِ «كتـاب الآثار العلويـة، وكتـاب الحوامـل، وكتـاب سـيرة الفيلسوف، وكتاب الصديق والصداقة، وكتاب تفسير أيساغوص مشروحاً مختصراً» وغيرها. (م ، ن).

●الخاتمة

يُعد كتـاب الفهرسـت لابن النديـم من أوثق وأقـدم الكتب التـي تحمل إلينـا صورة تلك النهضة المعرفية الضخمة التي شهدتها الأمة العربية الإسـلامية ولا سـيما في القرن الرابع الهجري.

كان ابـن النديـم وراقـاً، ونشـأ في بيـت علم وفكر، وتعامل مع العلماء المفكرين ومع ثمار العقول من كل حدبٍ وصوب. وساعدتهُ مهنته في نسخ الكتب وبيعها في بغداد أن يرى معظم الكتب التي ذكرها في كتابِهِ، وأن يحدد قيمتها العلمية، وألتقـى بعدد من المؤلفين والمفكرين آنذاك.

ويظـل كتاب الفهرسـت أقدم وثيقة شـاملة يبـين فيه الحيـاة العقلية الاسـلامية في عصر من أزهى عصور الحضارة العربية الإسلامية، وهو عصر بنـي العباس، الـذي رصد الحياة الفكريـة والعلمية والثقافيـة للعرب وغيرهم. منذُ أن بدأ التدوين والتأليف إلى أواخر القرن الرابـع الهجري، وهو أول كتاب يحمل تاريخ التراث العربي، وأكثر شمولاً، بمختلف العلوم والعلماء.

وقـد خـص في البحـث عـلى ذكـر العلمـاء البغداديـون، والوافـدون إلى بغـداد الذيـن يكونون من أهل بغـداد أو الذين نزلوا بها أو

أقيموا، أو مـروا بها ورحلوا منها مرةً آخرى، مع ذكر تراثهم من خلال النتاج العلمي لهم.

●الهوامش:

(١) تنظـر ترجمتهُ في: ياقوت الحموي، شـهاب الدين أبو عبد الله بن عبد اللـه (ت٦٢٦هـ)، معجم الأدباء، الطبعـة الثالثـة، بـيروت، ١٩٨٠، ج١٨، ص١٧، ابـن حجر، شـهاب الديـن أحمد بن علي العسـقلاني (ت٨٥٢هـ)، لسان الميزان، الطبعة الأولى، حيدر أباد ـ الدكن، ١٣٣١هـ ، ج٥، ص٧٠٦، البغدادي، اسماعيل باشا، هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، اسـتنابول، ١٩٨١، ج٢، ص٥٥، الـزركلي، خير الدين (١٩٦٩)، الأعـلام قامـوس تراجـم، الطبعـة الثانية، بيروت، ج٦، ص٢٥٣.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج١٨، ص١٧.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج١٨، ص١٧، ابن حجر، لسان الميزان، ج٥، ص٦٠٧.

(٤) عباس، صالـح مهدي، القراءات القرآنية المتواترة في غريـب القرآن للسجسـتاني، مجلة المـورد. ، م٢٩، العدد الرابع، ٢٠١٠، ق١، ص ١١٤.

(٥) ينظـر ترجمته: ابـن النديم، محمد بن إسـحاق، الفهرسـت، دار المعرفـة، بـيروت، ص٤٧، الخطيـب البغـدادي، أحمد بن علي (ت٤٦٣هــ)، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، ج٥، ص١٤٤.

(٦) السـعدي، ربيع نايف داود، تراث الفكر العراقي في فهرسـت ابن النديـم، أطروحة دكتـوراه، الجامعة المسـتنصرية، كليـة التربيـة، ١٤٣١هــ ـ ٢٠١٠م ص١٥ـ ١٦ .

(٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ، ج٢، ص٢٠٦.

(٨) ابـن الجزري، غاية النهاية في طبقات القُراء، ج١، ص١٧٧.

(٩) الخطيـب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٤، ص٤١٢، السـعدي، تراث الفكر العراقي في فهرست ابن النديم، ص٦٣.

(١٠) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٧، ص٢٢٢.

(١١) تاريخ بغداد، ج١٠، ص١١١.

(١٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٢٣٥، السـعدي، تراث الفكر العراقي في فهرست ابن النديم، ٧٥ـ ٧٦.

(١٣) ابن خلدون، عبد الرحمن (ت٨٠٨هـ) ، المقدمة، بيروت ، ص٤٤٥.

(١٤) الخطيـب البغـدادي، تاريـخ بغـداد، ج١١، ص١٦٧.

(١٥) رجال النجاشي، تحقيق، سـيد موسى الشيرازي الزنجانـي، ط٢، مؤسسـة النـشر الاسـلامي، قـم، ١٤٢٧هـ، ص٣٣٣.

(١٦) ابن خلدون، المقدمة، ص٤٥٨.

(١٧) ينظر: هدية العارفين، م٢، ص٦١.

(١٨) ابن خلدون، المقدمة، ص٤٦٧.

(١٩) ينظـر: ياقـوت الحمـوي، معجم الأدبـاء، ج٤، ص٢٥٧، السـعدي، تراث الفكر العراقي في فهرسـت ابن النديم، ص٥٢٧.

(٢٠) ابن خلدون، المقدمة، ص٤٧٨.

(٢١) ابن خلدون، المقدمة، ص٤٧٩.

(٢٢) ينظر:ابن النديم، الفهرست، ص٣٨٦، السعدي، تراث الفكر العراقي في فهرست ابن النديم، ص٥٥٧).

(٢٣) ابن خلدون، المقدمة، ص٤٧٨.

(٢٤) صبـح الأعـشى في صناعة الأنشـأ، تحقيق، محمد حسـين شـمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٥، ص١٥٨.

(٢٥) ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٣، ص٤٠٧.

(٢٦) ينظـر: الفهرسـت، ص٤٠٩ـ ٤١٠، ابـن أبـي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٢٥٧.

●المصادر والمراجع

- ابـن الأنباري، كمـال الدين عبد الرحمـن بن محمد (٥٧٧هــ)، نزهة الألبّاء في طبقـات الأدباء، تحقيق، إبراهيم السامرائي، ط٣، الاردن، ١٩٨٥.

- ابـن أبـي أصيبعـة، أحمـد بن القاسـم بـن يونس الخزرجـي، عيـون الأنبـاء في طبقات الأطبـاء، شرح وتحقيق، د. نزار رضا، بيروت، ١٩٦٥ .

- بروكلمـان، تاريخ الأدب العربي، نقلـهُ إلى العربية، د. عبـد الحليم النجـار، الطبعة الثانيـة، دار المعارف المصرية، ١١١٩.

- البغدادي، أسماعيل باشا، هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، أستنابول، ١٩٨١.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الأمم، الدار الوطنية، بغداد ١٩٩٠.
- ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، لسان الميزان، الطبعة الأولى، حيدر أباد ـ الدكن، ١٣٣١هـ .
- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ابن خلدون، عبد الرحمن (ت٨٠٨هـ)، المقدمة، بيروت.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق، د.إحسان عباس، دار صادر بيروت.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ)، تذكرة الحفاظ، تحقيق، محمد سيد جاد الحق، ط١، بيروت.
- رجال النجاشي، تحقيق، سيد موسى الشيرازي الزنجاني، ط٢، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ١٤٣٧هـ .
- الزركلي، خير الدين (١٩٦٩)، الأعلام قاموس تراجم، الطبعة الثانية، بيروت.
- السبكي، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق، محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الاولى، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٥.
- السعدي، ربيع نايف داود، تراث الفكر العراقي في فهرست ابن النديم، إطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، قسم التاريخ، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م .
- السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت٥٦٢هـ)، الانساب، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، ط١، بيروت، ١٩٨٨.
● السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الاولى، بيروت، ٢٠٠٦ .
- الشهرستاني، أبو الفتح عبد الكريم(ت٥٤٨هـ) الفِرق والنحل.
- الشيرازي ، إبراهيم بن علي بن يوسف (ت٤٧٦هـ)، طبقات الفقهاء، بغداد، ١٣٥٦هـ .
- القاضي، عبد الفتاح، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرّة، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان.
- القلقشندي، أحمد بن علي (ت٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الأنشأ، تحقيق، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
-ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن (ت٧٣٩هـ)، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق، علي محمد البجاوي، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٩٥٤.
- عباس، صالح مهدي، القراءات القرآنية المتواترة في غريب القرآن للسجستاني، مجلة المورد بحوث ودراسات، تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة ـ وزارة الثقافة، م٢٩، العدد الرابع، ٢٠١٠.
- ابن عساكر، علي بن عبد الحسين الشافعي (٥٧١ه)، تاريخ دمشق، تحقيق، عبد القادر بدران، ط٢، بيروت، ١٩٥٩.
- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ)، لسان العرب، بيروت.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله (ت٦٢٦هـ)، معجم الأدباء، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٨٠ .
- ابن النديم، محمد بن إسحاق، الفهرست، دار المعرفة، بيروت.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ)، معجم الأدباء، ط٣، بيروت، ١٩٨٠.

Scientists of Baghdad and its expatriates
In the book
Al_Fuhrist (Ibn al_Nadim)

By: Dr. Alaa Nafie Jassim
(Center of revival of Arabian science Heritage)
University of Baghdad

ABSRACT

Baghdad was a center for students of science from all the countries to go to it, where the scholars, modernists, readers and linguists, mosques were embracing their classes and scientific seminars, and was abundant science and accuracy of specialization and freedom of opinion, and debate, debate and dialogue, and attracted this city doctors, engineers and other manufacturers.

Ibn al-Nadim›s book is one of the oldest and oldest books that bears the image of the great knowledge renaissance witnessed by the Arab Islamic countries, especially in the fourth century AH. The book is the name of the authors and the names of its authors in various sciences. , Through his knowledge of sources of thought, literature and science. The son of Nadim and Raga, and grew up in the house of science and thought, and deals with scholars and thinkers with the fruits of minds from all sides. The copying and selling of books in Baghdad helped him to see most of the books he mentioned in his book, to determine his scientific value, and he met with a number of authors and intellectuals at the time.

His book remains a comprehensive document showing Islamic intellectual life in one of the most eloquent times of civilization, the Abbasid era, which monitors the intellectual, scientific and cultural life of Arabs and others. Since the beginning of blogging and writing to the end of the fourth century AH, the first book that bears the history of Arab heritage, and more comprehensive, the various flags and scientists.

Through my study of the book, I counted the number of scholars from Baghdad and its expatriates to the various sciences that were taught by Ibn al-Nadim in his book in terms of readers, modernists, scholars, genealogists and theologians, as well as the science of speech, and pure sciences of doctors and scientists of mathematics and mathematics. With the scientific output of them.



الـدولة الـصفاريـة (٢٥٤-٣٩٩ هـ / ٨٦٨- ١٠٠٩م)

دراسة تاريخية عقائدية

د. محمد عزيز الوحيد*

● المقدمة:

بدأت الأوضاع السياسية والإدارية لمؤسسة الخلافة العباسية تتجه نحو الضعف في القـرن الثالث الهجري، فقد وقعت تحت رحمة القادة العسـكريين الأتراك الذين سـيطروا على زمام الأمور، واخذوا يتدخلون في الصغيرة والكبيرة، وحجموا سـلطة الخليفة، واضعفوا الخلافة، وكان هذا عاملا مهما في ظهور الحركات الانفصالية. في هذه الأحوال المضطربة ظهر في سجستان يعقوب بن الليث الصفار، الذي استطاع ان يؤسـس دولة في المشرق الإسـلامي تشـمل هراة وفارس وشيراز وبلخ وخوارزم وبلاد ما وراء النهر، ووصلت إلى دير العاقول القريب من بغداد.

- نسب الصفارين:

لم تذكر المصادر التي بين أيدينا شـيئا عن نسـب الصفارين . ويعتقد الباحثون ان السبب في ذلك يعود إلى النشأة البسيطة والانحدار الطبقي المتواضع الذي ينتمي اليه يعقوب بن الليث[١] . وهذا ما تؤكده المصادر حيث تشير إلى ان يعقوب واخاه عمرو، كانا يعملان في صناعة الصفر في حداثتهما في سجسـتان [٢]. فجاء اللقب من المهنة دون النسب[٣].



* جامعة بغداد – مركز احياء التراث العلمي العربي

وحاول بعض المؤرخين الفرس رفع نسبه إلى كسرى فذكر : اما نسبه فهو يعقوب بن الليث بـن المعدل بن حاتم بن ماهـان بن كيخسرو بن أردشير بن قباد بن خسرو ابرويز ....[٤] .
وشكك بهذا النسب كبار الباحثين الإيرانيين، فقال احدهم : ان يعقوب بعد وصوله للإمارة والسلطة قد أوصله البعض الى كسرى برويز الساسـاني لكن يبدو ان هذه النسبة والأصل كاذبـان، وكان يعقـوب غـير معـروف قبل حصوله على الشهرة وكان نسبه أيضا يجهله الجميع[٥] .

● **مؤسس الدولة :**

ولـد يعقوب بـن الليث في قريـة قرنين[٦]على بعد فرسـخ واحد من شرق زرنج مركز ولاية سجسـتان .ولم تذكر المصادر تاريخ ولادته ، وكان له ثلاثة أخوة هم عمرو وطاهر وعلي[٧]. كان يعقـوب بـن الليـث بـن معـدل رجـلا مغمورا، ولما قدم إلى المدينة في مهنة الصفارة، وكان أجيرا بخمسـة عشر درهما في الشهر [٨]، ومنها اكتسب لقبه الذي اشتهر به[٩]. وأشار بعض الباحثين، انـه احترف مهنة أبيه الليث في عمـل الصفـر[١٠]. وبعـد الصفارة سـلك طريق العياريين، ومنها سـلك طريق السرقة وقطـع الطريق[١١]. ثم تولى القيادة فكانت له الخيول، وهكـذا وصل بالتدريـج إلى الإمارة اشتهر يعقوب بحياة البساطة والزهد، الا انه كان طموحا شـجاعا قوي الشخصية، وصفه زيد بن الحسن العلوي (بالسندان) لثباته.

● **ظهور الصفارية :**

انتـشر المذهب الخارجي في سجسـتان، التي كانـت ولاية تابعـة للطاهريين، ولـم يتمكن الطاهريون من إخضاعهم، بل قويت شوكتهم واصبحـوا مصـدرا للفـوضى والاضطراب في البلاد[١٢]. فتشكلت فرق المتطوعة من السكان لحماية الناس من شرهم وكان يتزعم المتطوعة صالح بن النضر الكناني[١٣] . وشارك يعقوب بـن الليث في صفـوف المتطوعة هـو وأخوته الثلاثة، وظهرت مقدرتهم العسكرية، وتمكن صالح بن النضر بمعونة يعقوب بن الليث من الاستيلاء على بسـت، واصبح أميرا عليها[١٤]. وتحركـت رغبـة صالـح في الاسـتحواذ على سجسـتان، فاندفع إلى زرنج، واستطاع طرد عامل الطاهريين إبراهيـم بن الحصين منها. وأصبحـت سجسـتان تحت سـيطرتهم[١٥]. الا ان صالحـا عامل السـكان معاملة سـيئة أثارت اسـتياءهم، واخذ اتباعه ينفضون من حولـه، فعـاد طاهر بن الحسـين بـن طاهر أمير خراسان واستنفذها منه[١٦]. وحل محل صالـح في قيادة المطوعة درهم بن الحسـين، الذي جعل يعقوب بن الليث قائدا لجيشـه [١٧]. وظهـرت كفـاءة يعقـوب وضبطـه للجيش وازدادت شـعبيته في سجسـتان، مما أثارت حفيظة درهم بن الحسـين فحـاول التخلص منه، الا انـه لم يتمكن من ذلـك لتمكن طاهر بن الحسن أمير خراسـان من الظفر بدرهم وحملـه إلى بغـداد أسـيرا[١٨]. فاجتمعـت المطوعـة ونصبوا يعقوبا أمـيرا عليهم، وعين يعقـوب أخـاه عمرو قائـدا لجيشـه. ودخل يعقـوب في حـروب مـع الخـوارج الـشراة، اسـتطاع ان يحجمهم ويخـرب ضياعهم[١٩]

وجهز جيشا لتعقب صالح بن النضر الذي لم ينفك يثير المشاكل بوجه يعقوب . وكان صالح قد التجأ إلى منطقة الرخج قرب قندهار يستمد المعونة من حاكم قندهار رتبيل ودارت رحى معركة طاحنة بين الطرفين استطاع يعقوب من الانتصار، واسر صالح وقتل رتبيل، وغنم غنائم كثيرة(٢٠). وخضعت له سجستان التي جعلها عاصمة لحكمه ونقطة انطلاق لتوسعه. وفي سنة ٢٥٣هـ قصد هراة وبوشنج، وكان أمير خراسان محمد بن طاهر بن الحسين وعامله على هراة محمد بن أوس الأنباري، فخرج لمحاربة يعقوب في تعبئة حسنة وبأس شديد وزي جميل، فتحاربا واقتتلا قتالا شديدا، فانهزم ابن أوس، وملك يعقوب هراة وبوشنج ، وعظم أمره وهابه أمير خراسان وغيره من أصحاب الأطراف(٢١). وكان يعقوب قد ظفر بجماعة من الطاهريين فحملهم إلى سجستان ووجه اليه الخليفة المعتز رسالة بإطلاق سراحهم فاطلقهم (٢٢) . ووجه محمد بن عبد الله بن طاهر كتابا إلى يعقوب بن الليث بتوليته مقاطعة سجستان وكابل وكرمان .

● **استيلاء يعقوب على كرمان :**

ان استيلاء يعقوب على سجستان اضعف سلطة الطاهريين، وجرأ الولاة للاستيلاء على ممتلكاتهم . فكتب والي فارس علي بن الحسين بن قريش إلى الخليفة المعتز يطلب منه ضم كرمان اليه، ويذكر عجز الطاهريين، وان يعقوب قد غلبهم على سجستان، وكان علي بن الحسين قد تأخر بإرسال الخراج إلى المعتز . فكتب اليه المعتز بولاية كرمان، وكتب إلى يعقوب بن الليث بولايتها أيضا، يلتمس بذلك إغراء كل واحد منهما بصاحبه(٢٣) . وتحرك يعقوب بن الليث من سجستان يريد كرمان، وكان طوق بن المغلس قائد جيش علي بن الحسين قد سبقه اليها، ودخلها بجيش عظيم واستولى عليها . وعسكر يعقوب على مسافة مرحلة من كرمان، واخذ يترصد حركات طوق لمدة شهرين، فلما طال ذلك عليه أظهر الارتحال عن كرمان، فارتحل مرحلتين، وظن طوق انسحاب يعقوب، فأقبل على الشراب والملاهي وترك أمور الجيش، فكر عليه يعقوب قاطعا المرحلتين بيوم واحد، فلم يشعر طوق وعسكره الا بيعقوب وجيشه ينقض عليه ويمزق جيشه . وغنم يعقوب غنائم كثيرة ووقع طوق في الأسر ودخل كرمان وملكها(٢٤) .

● **الاستيلاء على فارس :**

كان لاستيلاء يعقوب على كرمان اثر كبير على معنويات علي بن الحسين بن قريش الذي ايقن بقدوم يعقوب اليه، فكتب اليه كتابا يعلمه ان طوق بن المغلس فعل ما فعل من غير أمره، وانه لم يأمره بالقتال وقال له : ان كنت تطلب كرمان فقد خلفتها وراءك، وان كنت تطلب فارس فكتاب من أمير المؤمنين بتسليم العمل لانصرف . فرد عليه يعقوب بان كتابا من أمير المؤمنين معه لا يتهيأ ان يوصله حتى يدخل البلد والا فالسيف بيننا(٢٥). وسار يعقوب



بجيشه وأقام خارج شيراز سنة ٢٥٥هـ ودارت معركة ضروس بين الطرفين هزم فيها جيش علي بن الحسين بن قريش ووقع في الأسر . ودخل يعقوب شيراز ونهبت دور علي بن الحسين وأصحابه [٢٦] وتغلب يعقوب على فارس وانسحب منها إلى سجستان ، وارسل للخليفة المعتز هدايا كثيرة[٢٧] . ووجه الخليفة عماله إلى فارس بعد انسحاب يعقوب منها. وعندما آلت الخلافة إلى المعتمد سنة ٢٥٧هـ، أقر محمد بن طاهر على خراسان وسجستان وأمره بالتصدي ليعقوب . ولما علم يعقوب بذلك جهز جيشا ودخل فارس، فارسل اليه المعتمد كتابا ينكر ذلك عليه[٢٨] .

● الاعتراف رسميا بإمارته:

وفي سنة ٢٥٧هـ كتب الموفق (ابو احمد بن المتوكل) إلى يعقوب بن الليث بولاية بلخ وطخارستان وسجستان والسند، فقبل يعقوب وعاد من فارس . ان الاعتراف ليعقوب بالإمارة رسميا دليل على ضعف الخلافة، لكثرة المشاكل والتحديات التي كانت تواجهها ومنها حركات صاحب الزنج الذي اخذ يهدد الخلافة، واستيلاء الحسن بن زيد العلوي على طبرستان وجرجان . وبعد عودة يعقوب من فارس إلى سجستان، أعد جيشا كبيرا وتوجه إلى بلخ واستولى على كابل وقبض على زنبيل (رتبيل) وأرسل رسولا إلى الخليفة ومعه هدايا جليلة منها أصنام أخذها من كابل[٢٩] وسار إلى بست وأقام بها سنة، ثم رجع إلى سجستان، ثم عاد إلى هراة وحاصر مدينة كروخ واستولى عليها، ثم سار إلى بوشنج وقبض على الحسين بن طاهر بن الحسين[٣٠] .

● سقوط نيسابور ونهاية الدولة الطاهرية :

كانت أحوال آل طاهر في خراسان غاية في الضعف، بينما أخذت قوة الصفاريين بالتزايد. فزحف يعقوب إلى نيسابور عاصمة خراسان ومقر حكومة الطاهريين سنة ٢٥٩هـ، مما اضطر محمد بن طاهر ان يبعث عمومته وأهل بيته ووجهاء قومه لاستقبال يعقوب على مشارف نيسابور، وخرج محمد في اليوم التالي لاستقبال الصفار، الذي أمر باعتقالهم جميعا وأرسلهم إلى سجستان . وكان استيلاء يعقوب على عاصمة الطاهريين استيلاء سهلا لم يكد يقع فيه قتال[٣١].

● دخول طبرستان :

لم يبق أمام يعقوب في المشرق الا الحسن بن زيد العلوي، الذي كان يحكم طبرستان وجرجان وضواحيهما . لقد استغل يعقوب بن الليث قضية عبد الله السجزي الذي كان ينافسه على الزعامة في سجستان ودحره يعقوب ففر إلى نيسابور والتجأ إلى الطاهريين، وعندما سقطت نيسابور هرب إلى الحسن بن زيد بطبرستان . استغل يعقوب هذه القضية للقضاء على الحسن بن زيد وإخضاع طبرستان وضواحيها، وفعلا جهز جيشا كبيرا ووقعت بين الطرفين وقائع، انهزم فيها الحسن ودخل يعقوب آمل ونهب خزائنه سنة ٢٦٠هـ واسر جماعة من العلويين

وأســاء اليهم، وجبى أهلها خراج سنة[٣٢] . الا انــه اضطر للانســحاب مؤقتا من طبرســتان بســبب الثلــوج ووعورة الطريــق، حيث هلك من جيشــه قرابة أربعين ألــف مقاتل. ثم عاد ودخلهــا، وكتــب إلى الخليفة المعتمــد يخبره بانتصاره على الحســن بن زيد – الذي تعتبره الخلافــة متمردا عليها- والتمــس منه تقليده بلاد خراســان وما جاورها مــن أعمال[٣٣] ان نشوة الانتصارات التي احرزها يعقوب فتحت شهيته للاستحواذ على المشرق كله، وفعلا عاد إلى فارس وملكها[٣٤] .

● **الصراع المباشر مع الخلافة :**

لقد أقلقت انتصارات يعقوب الخليفة العباسي المعتمد الذي اصدر كتابا أعلن فيه ان يعقوب خــارج عن الخلافة[٣٥] فما كان من يعقوب الا ان يتجــه على رأس قواته في ربيع الأول ســنة ٢٦١هـــ نحو الأهــواز مهددا بدخــول بغداد وحاولــت الخلافــة اســترضاءه لدفــع غائلة دخولــه بغــداد . فأمــرت بتوليتــه خراســان وطبرستان وجرجان والري وفارس والشرطة في بغــداد[٣٦]. الا ان يعقوبا رفض ذلك واعلن انه سيســير بجيشه إلى بغداد ويقرر هناك ما يريد[٣٧] وتمثل بأبيات :

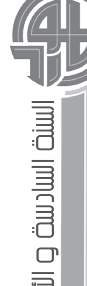
خراسان احويها وأعمال فارس
وما أنا من ملك العراق بآيس[٣٨]

وذكــر البلخــي أن عبد اللــه بــن الواثق كان يحرض يعقــوب بن الليث ويســتعين به على المعتمد[٣٩]. ويبدو ذلــك صحيحا لان عبد الله بن الموفق كان في جيش يعقوب وتوفى فيه[٤٠].

واندفع يعقوب بجيشــه إلى الأهــواز ثم دخل واســط وعســكر في ديــر العاقول التــي تبعد خمســين ميلا عن بغداد. وســار اليه الخليفة المعتمد بنفســه عــلى رأس جيــش كبير ومعه أخــوه الموفــق . وعبــأ المعتمــد جيشــه تعبئة حســنة، فجعل مــوسى بــن بغا عــلى ميمنته وسرورا البلخــي على ميسرتــه، وجعل الموفق وخاصــة رجاله في القلب . والتقى الجيشــان يوم الأحد لليال خلون من رجب سنة ٢٦٢هـ، فحملت ميسرة يعقوب عــلى ميمنة أبي احمد الموفق فهزمتها وقتلت جماعة كبيرة وانهزمت البقيــة، ثم التحقوا بالموفق الذي بقي صامدا، وهنا كشــف الموفق عن رأسه وقال : أنا الغلام الهاشمي . وهجم مع سائر جيشه على عسكر يعقوب، فهزمهم وقتل الكثير منهم، وانسحب يعقوب مع خاصته من ساحة المعركة إلى جند سابور[٤١].

● **نهاية يعقوب ووفاته :**

بدأ يعقوب يحكــم قبضته على منطقة الأهواز ويســتعد لمعركــة أخــرى، وكانــت الخلافــة منشــغلة بحربها مع صاحب الزنج، فارســل الخليفة إلى يعقوب يســترضيه ويقلده أعماله كســبا للوقت . فوصل الرســول وكان يعقوب مريــضٌ على فراش المــوت فجلس لــه وعنده سيفٌ وخبزٌ ومعه بصل وقال لرسول الخليفة: قل للخليفة اني عليل فان مت اســترحت منك واســترحت منــي، وان عوفيــت فليــس بيني وبينك الا الســيف هذا، حتى آخذ بســيفي أو تكسرنــي وتفقرنــي، فأعــود إلى هــذا الخبز



والبصل وحرفتي في بلادي سجستان[٤٢]. وفي تاسع شوال سنة ٢٦٥هـ، مات يعقوب بن الليث الصفار، وقيل يوم السبت في الرابع عشر من شوال[٤٣]. بعد ان شغل الخلافة العباسية فترة طويلة، استطاع ان يؤسس دولة مستقلة عن الخلافة، وان يذكر اسمه في الخطبة بعد الخليفة وينقش اسمه على السكة وان يحكم أربعة عشرا عاما[٤٤] .

● عمرو بن الليث الصفار، ٢٦٥- ٢٨٧هـ

بعد موت يعقوب قام بالأمر بعده اخوه عمرو بن الليث . فبادر إلى تقديم الطاعة للخليفة المعتمد، فولاه خراسان وفارس وأصفهان وسجستان والسند وكرمان والشرطة في بغداد وخلع عليه(٤٥) . الا ان عمرو اسند الشرطة في بغداد إلى عبد الله بن طاهر[٤٦] لأثبات ولائه للخليفة .

لم تخلُ امارة عمرو من مشاكل فقد شق احمد بن عبد الله الخجستاني عصا الطاعة واستولى على خراسان وعاصمتها نيسابور، فجهز عمرو جيشا لقتاله وحاصر نيسابور ولم يتمكن من احراز النصر لخيانة أخيه علي بن الليث. مما اضطر عمرو الى الانسحاب والعودة إلى موطنه سجستان، وشاء القدر ان يقتل احمد بن عبد الله الخجستاني على يد غلمانه سنة ٢٦٨هـ في نيسابور، فعاد عمرو وبسط سلطانه على خراسان من جديد[٤٧] . وقد ساءت العلاقة بين عمرو بن الليث والموفق اخي الخليفة . وفي سنة ٢٧١هـ جمع المعتمد حجاج خراسان وقرأ عليهم كتابا بخلع عمرو بن الليث وتولي محمد بن طاهر بن الحسين خراسان، وأمر بلعن عمرو على المنابر. وجهز الخليفة جيشا بقيادة احمد بن عبد العزيز بن أبي دلف، فانهزم جيش عمرو[٤٨] . وفي سنة ٢٧٩هـ اصبح المعتضد خليفة، فاعترف بعمرو حاكما شرعيا على خراسان بعد ان دفع للخليفة أربعة ملايين درهم وهدايا ثمينة[٤٩]. وطلب من الخليفة ان يضم اليه ولاية ما وراء النهر التي كانت بيد إسماعيل بن احمد الساماني، فأجابه الخليفة إلى ذلك، وامتنع إسماعيل من تنفيذ أمر الخليفة، وسار عمرو بجيش كبير لاحتلال ما وراء النهر الا ان جيشه هزم وأسر عمرو وارسل إلى بغداد، وبقي مسجونا إلى ان مات يوم الثلاثاء لثماني خلون من جمادي الآخرة سنة ٢٨٩هـ[٥٠].

● خلفاء عمرو بن الليث :

آلت الدولة الصفارية بعد أسر عمرو بن الليث إلى حفيديه طاهر ويعقوب وانقسم الجيش إلى كتلتين كتلة تؤيد طاهر وأخرى تؤيد يعقوب، وكانت كتلة طاهر هي الأقوى، واستطاع طاهر ان يكون على رأس الامارة، فقام في ولاية سجستان بقصد استعادة نفوذ أسرته على فارس . فجاء اليها سنة ٢٨٨هـ . وفي سنة ٢٩٠هـ اعترف رسميا بولايته على فارس[٥١]. مال طاهر بعد الاعتراف به واليا على فارس إلى حياة الدعة واللهو وأهمل الجيش، فأخذ الأمراء الصفاريون يتنافسون فيما بينهم للاستيلاء على المقاطعات . وفي سنة ٢٩٦هـ قاد الليث بن علي بن الليث الصفاري



حملة ناجحة من بست، واستطاع اخذ مدينة زرنج من طاهر[٥٢] . واصبح طاهر يعتمد اعتمادا كليا على الليث بن علي بن الليث . وأخيرا قرر الليث ان ينهي حكم طاهر فزحف على زرنج وحاصر قلعتها وانضم اليه معظم قواد طاهر وسقطت المدينة وهرب طاهر ويعقوب إلى سبك السبكري غلام جدهما . وقد تمكن السبكري من كسب تأييد جيش الصفاريين في فارس واستولى على الحكم، وبعث بطاهر ويعقوب إلى مدينة السلام بغداد[٥٣] . وفي سنة ٢٩٦هـ زحف الليث بن علي على فارس لاسترجاعها من السبكري الذي طلب المعونة من الخليفة المقتدر بالله، فأمده بجيش كبير، فانهزم جيش الليث ووقع في الأسر هو وابنه إسماعيل . وقام بعده اخوه المعدل ونصب نفسه أميرا على سجستان سنة ٢٩٨هـ، ودام حكمه ثلاثة عشر عاما قضاها في صراع مع أعدائه إلى ان قضى عليه احمد بن إسماعيل الساماني [٥٤]. ثم قام بالأمر بعده احمد بن خلف بن الليث الصفاري الذي دخل في طاعة الخليفة ودام حكمه احدى وأربعين سنة، وكان عهده عهد امن ورخاء واستقرار، فانتعشت الآداب في عهده وقصده الأدباء والعلماء[٥٥] . وفي عام ٣٥٢هـ قتل الأمير احمد بن خلف، وخلفه ولده خلف بن احمد الذي دام حكمه احدى وأربعين سنة (٣٢٧-٣٦٨هـ) وكان عهده، عهد علم وأدب واستقرار، فازدهرت الثقافة في عهده لكونه عالما. قال صاحب تاريخ سجستان : ولما استقامت الأمور للأمير خلف أمر أن يأخذوا الخراج درهما درهما، وبسط بساط العدل وخلع ثوب الجيش وطاف وارتدى ثياب العلماء والفقهاء، وعقد مجالس العلماء في طاف وطجستان وقرب اليه العلماء وحقر السفهاء وعقد مجالس العلم وعرف العلم من كل نوع، وكان يقيم مجلس العلم والحديث والمناظرة كل ليلة، وجاء اليه علماء العالم مثل الخطيب بن هوشنج وبديع الزمان وفقهاء بغداد وعلماؤها والعراقيون[٥٦] وفي سنة ٣٩٣هـ هاجم السلطان محمود الغزنوي سجستان، وهزم خلف بن احمد وأسره وحبسه في قلعة جرجان ثم نقله إلى جردين فتوفى هناك سنة ٣٩٩هـ [٥٧]. وبهذا انتهت سيطرة الصفاريين على المشرق من الناحية السياسية وان بقيت سلالتهم تحكم مساحات صغيرة هنا وهناك .

المصادر الهوامش :

(١)الجاف، حسن، الوجيز في تاريخ ايران، منشورات بيت الحكمة، ط١ بغداد،٢٠٠٣م،ج٢،ص ١١.

(٢)ابن خلكان، شمس الدين احمد، ت٦٨١هـ، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د. ت، ج٦،ص٤٠٢.

(٣) الحديثي، قحطان، يعقوب بن الليث الصفار مؤسس الامارة الصفارية، مجلة كلية الآداب جامعة البصرة، العدد ٧ السنة الخامسة، ١٩٧٢م .

(٤) مجهول، تاريخ سجستان، ترجمة محمود عبد الكريم علي،ط١،القاهرة،٢٠٠٦م، ص ١٦٥ .

(٥) عباس أقبال أشتياني، تاريخ ايران بعد الإسلام، نقله عن الفارسية وقدم له وعلق عليه محمد علاء الدين منصور، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ١٠١ .
(٦) قرنين بفتح أوله وسكون ثانيه وكسر النون وآخره نون : قرية من رستاق نيشك لها قرى ورساتيق هما على مرحلة من سجستان على يسار الذاهب إلى بست، ومنها آل الصفار الذين تغلبوا على فارس وخراسان وسجستان. ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي، ت ٣٦٧هـ، صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، د .ت، ص ٣٥٣
(٧) ابن حوقل، المصدر السابق ؛ وانظر زامباور، معجم انساب الأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة زكي محمد حسن وحسن احمد محمود، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥١م، ج٢، ص ١٣٧.
(٨) الكرديزي، ابو سعيد ت ٤٤٣هـ، زين الأخبار، ترجمة عفاف السيد زيدان، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٢٠٢.
(٩) ابن الأثير، علي بن محمد، ت ٦٣٠هـ، الكامل في التاريخ، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ج٧، ص ١٨٤.
(١٠) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي، القاهرة، ١٩٦٥م، ج٣، ص ٦٥.
(١١) الكرديزي، زين الأخبار، ص ٢٠٢.
(١٢) الطبري، محمد بن جرير، ت ٣١٠هـ، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد إبراهيم ابو الفضل، دار المعارف مصر، ط٤، ١٩٧٧م، ج٩،ص ٣٨٢.
(١٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦، ص ٤٠٢.
(١٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥،ص٢٩١ .
(١٥) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٢٩١.
(١٦) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٢٩١.
(١٧) ابن الأثير، الكامل، ج٦،ص٢٥١؛ وانظر: الجاف، حسن، الوجيز في تاريخ ايران، منشورات بيت الحكمة، ط١بغداد،٢٠٠٣م، ج٢، ص١٦.
(١٨) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦،ص ٤٠٢ .
(١٩) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦،ص ٤٠٣.
(٢٠) رتبيل لقب لملوك بلخ وكابل . انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٩،ص٤٧٦.
(٢١) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٣٨.
(٢٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦،ص ٤٠٤.
(٢٣) الطبري، التاريخ،ج٩،ص٣٨٢.
(٢٤) الطبري، التاريخ، ج٩،ص٣٨٣، ابن الأثير، الكامل، ج٥،ص ٣٤٠.؛ ابن خلكان وفيات الأعيان، ج٦،ص٤١٠ .
(٢٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦،ص٤٠٧.
(٢٦) وانظر :اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب، ت ٢٩٤هـ، التاريخ، النجف، ١٩٧٤م، ج٣،ص ٢٤١؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥،ص ٣٤١.
(٢٧) الطبري، التاريخ،ج٩،ص ٣٨٦.
(٢٨) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٣٤١.
(٢٩) الطبري، التاريخ، ج٩، ص٤٧٦.
(٣٠) ابن الأثير، الكامل،ج٥،ص٣٦٣.
(٣١) بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية نبيه فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط٥، بيروت، ١٩٦٨م، ص ٢١٧.
(٣٢) الطبري، التاريخ،ج٩،ص٥٠٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥،ص٣٧١؛ الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف، الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٣٥.

(٣٣) انظـر :خاشـع المعاضيـدي و رشـيد الجميلي، تاريخ الدويلات العربية والإسلامية في المشرق والمغرب، بغداد، ١٩٦٠م، ص ٢٤ .

(٣٤) ابن الأثير، الكامل، ج٢،ص٤٢١ .

(٣٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦،ص٤٢١.

(٣٦) الطـبري، التاريـخ،ج٩،ص٥١٦؛ ابـن الأثـير، الكامل، ج٦،ص٨.

(٣٧) ابن الأثير، الكامل،ج٩،ص٥١٦.

(٣٨) المسـعودي، الحسـن بن علي،ت٣٤٧هـ، مروج الذهب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، صيدا، ١٩٨٥م، ج٤،ص٢٠١ .

(٣٩) البلخـي احمـد بـن سـهل، ت ٣٢٢هـ، البدء والتاريـخ، دار الكتب العلميـة، ط١،بيروت، ١٩٩٧م، ج٢،ص٣٠٤.

(٤٠) انظر: الطبري، التاريخ، ج٩،ص ٥١٢.

(٤١) ابن الأثير، الكامل، ج٦،ص٨.

(٤٢) ابـن الأثـير، الكامـل، ج٦،ص٢١؛ المعاضيدي، تاريخ الدويلات العربية والإسلامية في المشرق والمغرب،ص٣١ .

(٤٣) الكرديزي، زين الأخبار،ص ٢٠٤.

(٤٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦،ص٤٢٠ .

(٤٥) ابن الأثير، الكامل، ج٦،ص٢٢.

(٤٦) ابـن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن احمد، ت ٥٩٧هـ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، الدار الوطنية، بغداد، ١٩٩٠م ،ج٥،ص١٠.

(٤٧) الطـبري، التاريـخ، ج٩،ص٦٠١؛ ابـن الأثـير، الكامل، ج٦،ص٤٠ .

(٤٨) ابن الأثير، الكامل، ج٦،ص٥٨ .

(٤٩) ابن الجوزي، المنتظم،ج٥،ص١٣٨.

(٥٠) الطبري، التاريخ، ج١٠،ص٨٨.

(٥١) خليـل ادهم، الدولة الإسـلامية، نقله إلى العربية محمد صبحي، دمشق، د.ت،ص ٢٦٤.

(٥٢) الجاف، الوجيز في تاريخ ايران، ج٢،ص٢٨.

(٥٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦،ص٤٣٢.

(٥٤) ابن الأثير، الكامل،ج٦،ص١٣٧.

(٥٥) الجاف، الوجيز في تاريخ ايران، ج٢،ص٣٠.

(٥٦) تاريخ سجستان، ص ٢٨٨ ، وانظر: ترجمته في ابن الأثير، الكامل،ج٧،ص٢٤٥.

(٥٧) ابن الأثير، الكامل، ج٧،ص٢١٦.

The Saffarin State
254399- AH/868- 1009 AD
Historical and Ideological Study

By: Dr. Mohammed Aziz Al-Wahid
(Center of revival of Arabian science Heritage)
University of Baghdad

Abstract

The Saffarin state is one of the important countries that emerged in the Islamic East. The Saffarin State was established In Sjestan Of the people who organized to the Mutawaa area to fight the Kharijites Led by Jacob Ibn al-Layth, who was able to establish a state independent of the caliphate, And to be mentioned in the sermon after the Caliph and engraved his name on the coins His rule lasted fourteen years And was able to extend its control over a large area of the territory of the Abbasid state. After his death he was succeeded by his brother Amr ibn al-Layth and continued in his family until 399 AH.

Historians and researchers disagreed in the doctrine of the Saffaris and their ideology according to their culture and their sectarian background, Some of them attributed to the Ismailis, some attributed to the rejection and others to the Imamiyah and to the Kharijites and the Sunnis sometimes. The Saffarin state was showing the Sunnis and approaching the Kharijites. As for their grandchildren, the Kharijites have become weary of them and adopted the doctrine of Ahl al-Sunnah.



مرشدة المشتغلين في أحكام النون الساكنة والتنوين

تأليف

الشيخ ناصر الدين محمد بن سالم المصري الأزهري الشافعي

المعروف بالناصر الطبلاوي (المتوفى ٩٦٦هـ)

دراسة وتحقيق

أ.م.د. إيمان صالح مهدي*

● مقدمة:

المؤلف: هو ناصر الدين محمد بن سالم بن علي المصري الإمام العلامة شيخ الإسلام المعروف بالناصر الطبلاوي الأزهري الشافعي[١]. وذكر السخاوي «أن الطبلاوي نسبة إلى (طبلاوة) قرية بالوجه البحري ،وهي من قرى المنوفية بمصر»[٢] .

عاش ناصر الدين الطبلاوي في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري وامتدت حياته حتى النصف الثاني من القرن العاشر . ولم تسعفنا مصادر ترجمته بشيء من التفصيل حول نشأته الأولى ومن تكفل برعايته هل هو والده أم غيره؟ وأين قضى فترة طفولته ؟ ومع من عاش؟ إلى كثير من السؤالات حول نشأته الأولى .

اشارت مصادر ترجمته الى عدد قليل من مؤلفاته الجليلة التي لا تتناسب مع شهرته الواسعة وسعة حفظه وعلمية تلامذته وذيوع صيتهم ، وهي[٣] :



* جامعة بغداد – مركز احياء التراث العلمي العربي

١- بداية القاري في ختم صحيح البخاري.
٢- شرح البهجة الوردية لزين الدين عمر بن المظفر الشافعي المعروف بابن الوردي (ت ٧٤٩هـ) وهي منظومة في فروع الفقه الشافعي تتألف من خمسة آلاف فرع للشيخ عبد الغفار بن عبد الكريم القزويني الشافعي (ت ٦٦٥هـ) .
٣- شرح الحاوي الصغير في الفروع للشيخ نجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم القزويني الشافعي (ت ٦٦٥هـ).
٤- مرشدة المشتغلين في أحكام النون الساكنة والتنوين وهي موضوع البحث.
٥- منظومة في الاستعارات البلاغية ،ذكرها الزركلي.
وقد توفي بمصر في عاشر جمادى الآخرة سنة ست وستين وتسعمائة ،ودفن في حوش الإمام الشافعي وكانت له جنازة عظيمة وصلي عليه صلاة الغائب في دمشق يوم الجمعة ثالث عشر من شعبان[٤].

● **منهج التحقيق**

١- كتبت النص المحقق على وفق طرائق الكتابة الحديثة من حيث وضع الأقواس والفواصل والنقاط .
٢- اعتمدت في تخريج الآيات القرآنية على المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمؤلفه الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي (رحمه الله تعالى) واكتفيت بالتدليل على موضع الحرف بسورة واحدة من القرآن الكريم ،وإن تكرر ذكره في القرآن الكريم مرات متعددة ،لأن الغرض من ذلك التوثيق وليس الاستقصاء .
٣- وضعت تخريج الآية القرآنية في المتن بين معقوفتين تجنبا لإثقال الهوامش .
٤- وثقت موضوعات النص بالرجوع إلى عدد من المصادر الأساسية المتخصصة ولا سيما كتب القراءات والتجويد والعربية .
٥- عرّفت بالأعلام الذين ورد ذكرهم في التحقيق ولم أتوسع في ذلك .
٦- اتبعت رسم المصحف في رسم الآية القرآنية موضع الشاهد.

وهذه مقدمة جميلة مشتملة على نكت جليلة في ألفاظ سميتها مرشدة المشتغلين في أحكام النون الساكنة والتنوين وما مع ذلك من فوائد وقد أكثرت فيها من القواعد والأمثلة والشواهد ليقع القارئ على مقصوده من الإيضاح والبيان ويقيس على هذه الأمثلة ما يقع له من نظائرها في جميع القرآن فأقول معتصما بالله تعالى وعليه التكلان .

إعلم أن النون الساكنة وهي التي ذهبت حركتها ولو كانت للتأكيد[٥] نحو :(لِيَكُوْنَنْ من الصاغرين)[يوسف/٣٢]و(لنسفعن بالناصية) [العلق /١٥]
والتنوين :وهو نون ساكنة تلحق الآخر لفظا لا خطاً لغير توكيد[٦].
لهما عند حروف المعجم أربعة أحكام[٧]:-
إدغام ،وإظهار ،وإقلاب ،وإخفاء .

-الحكم الأول :الإدغام: وفيه مقاصد:

المقصد الأول: في حده فحده في اللغة: الإدخال ونحوه ، مأخوذ من قول العرب أدغمت اللجام في فم الفرس أي أدخلته وغيبته فيه [٨] .
وفي الاصطلاح بطريق البسط : رفع المخرج لسانا [٢ و] أو غيره عن حرفين رفعة واحدة من غير فصل بينهما إذا لم تكن غنة أو نحوها كالإطباق فيصير اللفظ حينئذ بحرف مشدد.
وبعبارة أخرى : إيصال حرف ساكن بمتحرك بلا فصل بينهما من مخرج واحد بحيث يرتفع العضو عنده مرة واحدة وذلك بعد سكون

الحرف الأول إن كان متحركا، وقلبه بعد سكونه إن كان مغايرا،فيصيران إذ ذاك حرفا واحدا مشددا. وهو بحرفين أولهما ساكن بعده متحرك سواء كان الحرفان متماثلين ذاتا وهما ما اتفقا مخرجا وصفة[٩]. نحو : (من نجوى) [المجادلة /٧].
أو متجانسين، وهما ما اتفقا مخرجا واختلفا صفة ،نحو :(بيت طائفة) [النساء/٨١].
أو متقاربين، أما في المخرج ،نحو :(هل ترى) [الملك/٣].
أو في الصفة ،نحو: (من يرد) [المائدة/٤١].
وبطريق الاختصار تغييب الحرف المدغم في المدغم فيه؛ بحيث يصيران حرفا واحدا مشددا وهذا الحد بتفاسيره شامل لجميع أنواع الإدغام، وان كان القصد هنا ما يخص النون الساكنة والتنوين منه،[١٠] والله تعالى اعلم .

-المقصد الثاني: في أمور تتعلق بالمقصود

الأمر الأول : ما يدغم وهو حرفان: الأول : النون الساكنة ، والثاني :التنوين، وقد تقدم الكلام على حدّهما وافرد التنوين بالذكر مع كونه نونا ساكنة لاختصاصه بلحوقه بعد تمام الكلمة وعدم إثباته في الخط والوقف[١١].
وسيأتي[٢ظ] لهذا زيادة تحقيق في المقصد الثالث

الأمر الثاني : ما يدغم فيه وهو ستة أحرف يجمعهما قولك :(يرملون) من الرمل ؛ وهو سرعة المشي بلا شدة مع تقارب الخطى وهو الياء ،والراء، والميم ،واللام ،والواو، والنون ، وهي نوعان :النوع الأول : مدغم فيه بغير غنة وله حرفان الراء واللام يجمعهما قولك[١٢]: (رل). النوع الثاني مدغم فيه بغنة، وله الأحرف الباقية، وهي أربعة أحرف يجمعهما قولك: (يومن)أو (ينمو) فإذا أتت النون الساكن أو التنوين في آخر كلمة واتى بعدهما حرف من هذه الأحرف أول كلمة أخرى فإنهما يدغمان في النوع الأول وهو الراء واللام (حرفا رل) إدغاما بلا غنة ، ويدغمان في النون الثاني وهو الياء والواو والميم والنون حروف (يومن) إدغاما بغنة [١٣].

● **فصل في أمثله ذلك على الترتيب .**

مثال النون الساكنة المدغمة في الراء بلا غنة: (من ربك)[البقرة /١٤٧]،(من رزق الله) [البقرة / ٦٠] ،(من راق) [القيامة/ ٢٧].
ومثال التنوين المدغم في الراء بلا غنة: (من ثمرة رزقا) [البقرة /٢٥]، (عيشة راضية) [الحاقة/٢١] ،(غفور رحيم) [البقرة / ١٧٣، ١٨٢ ،١٩٢].
ومثال النون الساكنة المدغمة في اللام بلا غنه: (ولكن لا يعلمون)[البقرة/١٩]، (فان لم تفعلوا) [البقرة :٢٤]،(من لينة) [الحشر/ ٥].
ومثال التنوين المدغم في اللام بلا غنة: (هدى للمتقين)[البقرة /٢]،(خير لكم)[البقرة / ٢٣]، (قيما لينذر)[الكهف /٢].
ومثال النون الساكنة المدغمة في الياء بغنة: (من يقول)[البقرة /٨]، (من يعمل)[٣و]، [سبأ:١٢]،(ولن يتمنوه) [البقرة/ ٩٥].
ومثال التنوين المدغم في الياء بغنة (عظيم يوم) [النور/ ٢٢]،(في جنات يتساءلون) [المدثر /٤٠]، (خيرا يره) [الزلزلة /٧].
ومثال النون الساكنة المدغمة في الواو بغنة: (من وال)[الرعد/ ١١]، (من واق) [البقرة/١٠٧]، (من ولي) [الرعد /٣٤] .
ومثال التنوين المدغم في الواو بغنة: (متشابها ولهم)[البقرة /٢٥]، (أجلا واجل) [الأنعام/٢]، (كثيرا ونذكرك)[طه / ٣٤].
ومثال النون الساكنة المدغمة في الميم بغنة: (عن ملة إبراهيم)[البقرة/١٣٠]، (من

مقام إبراهيم) [البقرة /١٢٥]،(من مكان) [الفرقان/١٢].
ومثال التنوين المدغم في الميم بغنة : (مثلا ما) [البقرة /٢٦]، (قرآن مجيد) [البروج/٢١]،(في لوح محفوظ)[البروج/٢١].
ومثال النون الساكنة المدغمة في النون بغنة:(عن نفس) [البقرة/٤٨]،(من نشاء)[الأنعام:٨٣]، (من ناصرين)[آل عمران/ ٢٢].
ومثال التنوين المدغم في النون بغنة [١٤]: (يومئذ ناعمة)[الغاشية /٤٦]،(نورا نهدي به) [الشورى/٥٢].
الأمر الثالث : بيان سبب ذلك وعلته فنقول : أما كونه إدغاما فللتقارب .وأما كونه بلا غنة فلتنزلهما منزلة المثلين، لشدة القرب ولا غنة في إدغام المثلين.
وأما كونه بغنة فلأنه ليس التقارب الحاصل بينهما وبين حروف الغنة كالتقارب الحاصل بينهما وبين الراء واللام ، بل لا قرب لغير النون من حروف الإدغام بغنة في المخرج ؛ إذ الياء من وسط اللسان ، والواو والميم من الشفة فهما حرفان شفهيان وإنما حصل القرب بينهما في الصفات من وجوه :
الأول :إنها كلها جهرية ،وهي ضد المهموسة .
الثاني : في أنها كلها منخفضة وهي ضد المستعلية.
الثالث: أنها كلها منفتحة ،وهي ضد المنطبقة [٣ ظ].
الرابع :أنها كلها غير الواو والياء متوسطة ، وهي التي بين الشديدة والرخوة .
الخامس : إن النون الساكنة والتنوين حرفا غنة ولابد لهما من شبه مد فشاركا الواو والياء في المد في الجملة[١٥].
ومن ثم اختلف فيهما كما سيأتي إلى غير ذلك من الوجوه فباعتبار هذه الأمور وغيرها أدغمت النون الساكنة والتنوين في حروف الغنة وعلية يحمل تعليل من علل بالقرب وباعتبار عدم شدة القرب ، كما في الراء واللام ادغما فيها بغنة، إذ الإدغام بغنة أدون من الإدغام بغيرها لبعد المخرج ، ولا ترد علينا النون لأنها خرجت بالإجماع لما قام عندهم في ذلك وقد بينته في غير هذه المقدمة .
الأمر الرابع : في فوائد تتعلق بالمقام : منها أن يقال ما عمل المقرئ حتى يدغم ؟.
فيقال : أن يقلب النون الساكن أو التنوين من جنس الحرف الذي لقيه فحينئذ يصيران حرفين متماثلين فيدغم الأول في الثاني ،ومنها أن يقال : ما حقيقة الإدغام وما الذي يدغم؟ وما الذي يدغم فيه ؟ وما حرف الإدغام وما حرف الغنة ؟ وما حروف غيرها ؟ وجوابها يعلم مما مر .
ومنها أن يقال : ما حقيقة الغنة ؟ وجوابه: صوت يخرج من الخيشوم ينقطع بشدة. وبعبارة أخرى صوت حادث يخرج من الخيشوم لا عمل للسان فيه عند إمساك الأنف [٤ و] وهي أشهر ،والأولى أحسن [١٦].
وقوله : ينقطع بشدة يعني كماله ، وكذا قوله: لا عمل للسان فيه يعني كاملاً .
والخيشوم الخرق المنجذب إلى داخل الأنف .
المقصد الثالث : في ما وقع بين القراء من الاختلاف في ذلك، وفوائد أخر: وفيه فصلان :
● الفصل الأول :
اتفق الجميع على الإدغام في الستة الأحرف المتقدم ذكرها إلا ما ينبه عليه .
واختلفوا في كيفية الإدغام على ثلاث مراتب :
الأولى : ما ادغم فيه بغنة بلا خلاف عند الجميع، وهو حرفان : الميم والنون .

تنبيه : واظهر النون من هجاء سين عند الميم من (طسم) أول الشعراء والقصص حمزة[١٧] وأبو جعفر[١٨] من العشرة، والباقون بالإدغام.
الثانية : ما ادغم فيه بلا غنة بلا خلاف عند جمهور أهل الأداء .
وحكي بعضهم الإجماع عليه وهو الراء واللام وقد رويت في الغنة روايات شاذة يطول ذكرها[١٩].
قال ابن الجزري رحمه الله تعالى : والإدغام بغير غنة هو الذي عليه الجمهور من أهل الأداء وهو الذي لم يحك في التيسير والشاطبية وساير كتب المغاربة سواه وهو الذي عليه العمل في الأمصار [٢٠].
ثم قال : وذهب كثير من أهل الأداء إلى الإدغام فيها مع تبقية الغنة ، ورووه عن أكثر القراء وعدد ، جماعة .
الثالثة : ما اختلف فيه بين الغنة وتركها وهو الواو والياء[٤ ظ] قرأ الجميع بالغنة فيهما إلا خلفاً [٢١]عن حمزة [٢٢]، فانه يدغم النون والتنوين فيهما بلا غنة [٢٣]، وإلا الدوري [٢٤]عن الكسائي[٢٥] في بعض طرقه كذلك قنبل[٢٦] في الياء أيضا .

تنبيهان :

الأول: اظهر ابن كثير[٢٧] وأبو عمر[٢٨] وحمزة وقالون [٢٩]وحفص[٣٠] وأبو جعفر النون من هجاء (يس) عن الواو من (القرآن) ومن هجاء (ن) عند الواو من (القلم) وادغمها الباقون.
وقد روي الإظهار أيضا عن بعضهم كالبزّي[٣١]، وابن ذاكون[٣٢] وعن ورش وجهان في (ن والقلم) خاصة [٣٣] .
الثاني : اجمعوا على إظهار النون الساكنة عند الواو والياء إذا اجتمعتا في كلمة واحدة نحو [٣٤]: (صنوان)[الرعد/ ٤]،و(قنوان)[الأنعام/ ٩٩]،و(الدنيا)[البقرة/ ٨٥]،و(بنيان) [الصف/ ٤].

تتمة :

النون الساكنة تأتي في الاسم والفعل والحرف، وآخر الكلمة وأثنائها .
ولكن لا خلاف في إظهارها عند الواو والياء إذا كانت مع احدهما في كلمة واحدة كما مر وتعرف بثبوتها وصلاً ووقفاً وخطاً .
والتنوين لا يكون إلا في آخر الاسم ويعرف بثبوته وصلاً وحذفه وقفاً وخطاً[٣٥] .

● الفصل الثاني:

في معان أخر تعرض للام والراء، فاللام رقيقة إلا أن تأتي قبلها في اسم الله تعالى ، فتحة أو ضمة نحو :
(على الله) [البقرة/ ٨٠]، و(يطبع الله) [الأعراف/ ١٠١].
فإنها تفخم فيه . وإذا سكنت قبل نون نحو (أرسلنا) [هود/ ٧٠]،و (قلنا) [البقرة/ ٣٤]، و(قل نعم) [الصافات/١٨]
فاجتهد في إظهار سكونها [٣٦].
فأن أتت للتعريف أدغمت في أربعة عشر حرفاً تسمى [٥ و] الحروف الشمسية ، مجموعة في سوابق أحرف كلمات هذا البيت وهو مفرد .

شفا لي سنا تغر صفت زرق ظلمه
رمت طرفها نحوي دنا ذي تم

نحو: (الشفاعة)[مريم/٨٧]،و(الليل)[البقرة /١٦٤]،و(السماء) [البقرة/ ١٩]،و(الثواب) [الكهف/٣١]، و(الصراط)[الفاتحة/ ٦]،و(الزبور) [الأنبياء/ ١٠٥]،و(الظالم[النساء/ ٧٥]،و(الرحمن)[الفاتحة/ ١]، و(الطير)[البقرة/ ٢٦٠]، و(النار) [البقرة/ ٢٤]،و(الدار) [البقرة/ ٩٤]، و(الضالين) [الفاتحة/٧]، و(الذكر)[آلعمران/ ٣]، و(التين)[التين / ١].
وتظهر عند ما عدا ذلك وهو أربعة عشر حرفاً

بالهمزة ، يقال لها الحروف القمرية ، وقد جمعت في أوائل كلم هذا البيت :

ألا بل وه يروي خبير حديث من
جلا عن فؤادي غمة قد كست هما

نحو: (الامد) [الحديد/ ١٦]، (البر [الطور/ ٢٨]، (الولي) [الشورى/ ٢٨] (اليقين) [الحجر٩٩]، (الخبير) [الأنعام/ ١٨]، (الحكيم) [البقرة/ ٣٢]، (المؤمن) [الحشر،٢٣]، (الجلال) [الرحمن/٢٧]، (العليم) [البقرة/٣٢]، (الفتاح) [سبأ/٢٦]، (الغفار) [ص/١١]، (القهار) [يوسف/ ٣٩] (الكبير) [الرعد/ ٩]، (الهدي) [البقرة/ ١٩٦].

وتسميتها شمسية وقمرية من باب تسمية الكل باسم الجزء، وهو لام الشمس والقمر .

وسبب الإدغام في الأول التماثل في اللام والتقارب في غيرها وان تفاوت .

وسبب امتناعه في الثاني تباعد المخارج وان تفاوت التباعد [٣٧].

والراء محركة وساكنة ، فان كسرت المحركة كسرة لازمة في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها نحو[٣٨]:

(رزق) [البقرة/ ٦٠]،و (رجال) [الأعراف/ ٤٦]، و (الطارق) [الطارق/١]و (إصري) [آل عمران /٨١]، و(الفجر) [البقرة/١٨٧].

أو عارضة في آخرها نحو :

(واذكر اسم ربك) [المزمل/٨] ، ونحو: (فلينظر الإنسان إلى طعامه) [عبس / ٢٤].

أو كان قبل الساكنة كسرة لازمة ، ولم يقع بعدها حرف استعلاء متصلاً كـ:

(شرعة) [المائدة/٤٨]،و (مرية) [هود/١٧].

رققت بلا خلاف . وإلا [٥ظ] فخمت نحو : (رسول) [البقرة/٨٧]،و (رسل) [آل عمران/ ١٨٤] ،و(قرطاس) [الأنعام/٧]،و(أم ارتابوا) [النور/ ٥٠].

كما لو كان قبلها في الوقف – سكوناً أو إشماما- ضم أو فتح أو مسكن غير باء نحو: (ليفجر) [القيامة/ ٥]،و(القمر) [الأنعام/٧٧]،و (ليال عشر) [الفجر/ ٢] ، و(الأمور) [البقرة/ ٢١٠].

وحروف الاستعلاء سبعة يجمعها قولك : قظ ، خص ، ضغط .

● **فرع :**

اختلف في (فرق) في الشعراء [الشعراء/٦٣]، فذهب كثير إلى ترقيقه ، من اجل كسرة القاف، والأكثر على تفخيمه[٣٩] ،وبالوجهين قرأت واخذ.

وأما(فرقة) [التوبة/ ١٢٢] فمفخمة بلا خلاف.

الحكم الثاني: (الإظهار)[٤٠]

لما تقدم أن النون الساكنة والتنوين لهما أربعة أحكام منها الإدغام ، وقد تقدم الكلام على طرف منه رجعنا إلى الحكم الثاني وهو الإظهار .

وهو أن يكونا مظهرين عند حروف من آخر الحلق ، وقد جمعها الشاطبي في أوائل كلمات : (ألا هاج حكم عم خاليه غفلاً).

وابن القاصح في قوله :(أخي هاك علماً حازه غير خاسر).

وهي الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء .

وسواء كانت هذه الحروف متصلة مع النون في كلمة أو منفصلة عنها في أخرى والتنوين لا يكون إلا منفصلاً في سائر الأحكام .

فصل في أمثلة ذلك:[٤١]

مثال إظهار النون الساكنة عند الهمزة من كلمة: (وينأون عنه) [الأنعام/ ٢٦]،و (شنآن) [المائدة /٢] عند من قرأ بسكون النون .

ومثالها من كلمتين :(من أسلم) [البقرة/ ١١٢]،و(من آمن) [البقرة/٦٢].

وقرئ بحذف الهمزة وإلقاء [٦ و] حركتها

على النون

وعند الهاء مـن كلمة :(منهم) [البقرة/٧٥]،و (عنهم) [البقرة/٨٦].

ومن كلمتـين :(إن هي)[الأنعام /٢٩] ،و (من هاجر)[الحشر/٩].

وعند العين

من كلمة:(بأنعام)[الشـعراء/١٣٣]،و(الأنعام) [آل عمران /١٤].

ومن كلمتين :(مَـن عمِل)[النحل/٩٧] ،و(مَن عليها) [الرحمن/٢٦].

وعند الحاء

مـن كلمـة: (وتنحتـون) [الأعـراف/٧٤] ، (وانحر) [الكوثر/٢].

ومـن كلمتـين :(مـن حكيم)[فصلـت/٤٢] ، (فمن حاجك)[الإسراء/٥١].

وعند الغين

من كلمة :(فسينغضون)[الإسراء/٥١].

ومـن كلمتين :(من غل)[الأعـراف/٤٣]،و(إن يكن غنياً)[النساء/١٣٥].

وعند الخاء

من كلمة :(المنخنقة)[المائدة/٣].

ومـن كلمتين:(من خير) [البقرة/١٠٥]،و (إن خفتم) [النساء/١٠١].

ومثال إظهار التنوين :

عنـد الهمزة :(متاع إلى)[البقرة / ٣٦]،(جنات الفافاً)[النبأ /١٦].

وعند الهاء :(قوم هود) [الرعد/ ٧] ،و (سـلام هي)[القدر/٥].

وعند العين :(شيء عجيـب) [ق/٢]،و(عجوز عقيم) [الذاريات/ ٢٩].

وعند الحاء :(من حكيم حميد)[فصلت/ ٤٢]، و(رزقاً حسناً)[هود/٨٨].

وعنـد الغين :(مـن إله غـيره) [الأعـراف:٥٩ و٦٥]،و(أموات غير أحياء)[النحل/ ٢١].

وعند الخاء :(عليم خبير) [لقمان / ٣٤]،و(لبناً خالصاً)[النحل/٦٦].(٤٢)

● **تبصير :**

قـرأ أبـو جعفـر بالإخفاء عنـد الغـين والخاء وكذا روي عن بعض السـبعة ، والمشهور عنه الإظهار .

الحكـم الثالث :من أحكام النون السـاكنة والتنوين (الإقلاب):

ويسـمى القلب أيضا ، وهو قلبها ميماً مخفية بغنـة عند حرف واحد وهو الباء ، ومن ثم كان الاقلاب نوعاً في الإخفاء ، وسـوغه توسـط الميم بين الحرفين لأنهـا توافق النون في الغنة والباء في المخرج [٤٣].

وسواء اتصلت النون بالباء في كلمة أم انفصلت عنها .

مثال قلب النون ميماً مخفية بغنة عند الباء :

من كلمة :(والله أنبتكم)[نوح/ ١٧] ،(أنبئهم) [البقرة/٣٣]،(في جنب الله)[الزمر/٥٦].

ومن كلمتين :(من بعد) [البقرة/٢٧] ،و (من بيننا)[ص/٨].

ومثـال قلب التنوين ميماً مخفية [٦ ظ] بغنة عند الباء :

(سـميعاً بصيراً) [النسـاء/٥٨] ،(عليم بذات الصدور)[آل عمران/ ١١٦].

● **فائدة :**

الميـم تظهـر عند جميـع الأحـرف إلا عند ميم مثلهـا ، فتدغـم إدغاما صغيراً متفقـاً عليه إن سـكنت ، نحـو : (وما لهم مـن ناصرين) [آل عمران /٢٢]

وكبيراً مختلفاً فيه إن تحركت ، نحو :(تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك)[المائدة / ١١٦].

أو بـاء وتحرك ما قبلها ، فتخفـى بغنة إخفاء



صغيراً متفقاً عليه إن سكنت نحو : (فاحكم بينهم)[المائدة / ٤٢].
وكبيراً مختلفاً إن تحركت نحو : (أعلم بالشاكرين) [الأنعام / ٥٣].
فأن سكن ما قبلها أظهرت ، نحو :(ووصى بها إبراهيم بنيه)[البقرة / ١٣٢].
وتكون عند الفاء والواو اشد إظهارا .
والحاصل أن لها عند حروف المعجم ثلاثة أحكام كالنون إظهار وإدغام وإخفاء .
والله تعالى أعلم.

- الحكم الرابع :من أحكام النون الساكنة والتنوين: الإخفاء[٤٤].

وهو حال بين الإظهار والإدغام عار عن التشديد فيخفيان عند بقاء غنتهما عند باقي حروف المعجم وهي خمسة عشر حرفاً : التاء، الثاء ، والجيم ،و الدال والذال ،والزاي،و السين،والشين ،والصاد ،و الضاد ،والطاء والظاء ،والفاء والقاف، والكاف[٤٥] .
يجمعهما أوائل هذين البيتين :

زِده شكراً كي تراه
ثاوياً دان جناه
ذو ظلال طال قول
ضاع صب في سواه

وهذين البيتين أيضا :

ضحكت زينب فأبدت ثنايا
تركتني سكران دون شراب
[٧ و] طوقتني ظلماً قلائد ذل
جرعتني جفونها كأس صاب [٤٦]

وهذا البيت :

صف ذا ثنا جود شخص قد سما كرماً
ضع ظالماً زد تُقى دم طالباً فترى

وهذا البيت :

تلا ثم جا در ذكا زاد سل شذا
صفا ضوء طاو ظل في قرب كامل

وهذا البيت قد جمعها على الترتيب المتقدم.
واعلم انه لا خلاف بين القراء أجمعين في إخفاء النون الساكنة والتنوين عند هذه الحروف مع بقاء الغنة في نفس الحرف الأول وسواء اتصلت النون بهن أم انفصلت عنهن كما تقدم.

● فصل

في أمثلة ذلك على الترتيب المتقدم
مثال إخفاء النون الساكنة والتنوين بغنة من غير تشديد :
عند التاء : (كنتم)[البقرة /٢٣]، و (من تاب)[هود/١١٢]،(جنات تجري) [البقرة /٢٥].
وعند الثاء :(منثوراً)[الفرقان/٢٣]،و(من ثمره) [الأنعام/١٤١] (قولاً ثقيلاً)[المزمل/ ٥].
وعند الجيم :(زنجبيلاً)[الإنسان/١٧] ،(وان جنحوا)[الأنفال/ ٦١]،(فصبر جميل)[يوسف /١٨].
وعند الدال :(أندادا) [البقرة / ٢٢] ،و (من دابة)[الأنعام/٣٨]،و (كأساً دهاقاً)[النبأ/ ٣٤].
وعند الذال :(وأنذرهم)[مريم / ٣٩] ،و (من ذكر)[آل عمران /١٩٥]،و (كل نفس ذائقة الموت)[آل عمران /١٨٥].
وعند الزاي :(لننزعن)[مريم /٦٩]،و (فإن زللتم) [البقرة /٢٠٩]، و (غلاماً زكياً)[مريم /١٩].
وعند السين :(منسأته) [سبأ/١٤]، و(إن سبحوا)[مريم/ ١١]، و(قولاً سديداً)[النساء/ ٩].
وعند الشين :(ينشر رحمته)[الشورى/٢٨]،و (من شاء)[الكهف/٢٩]،و (عليم شرع)[الشورى/١٢و١٣].
وعند الصاد :(ينصركم)[آل عمران /١٦٠]،و (من صلح)[الرعد/٢٣]،و (قوماً صالحين) [يوسف/٩].
وعند الضاد :(منضود)[هود/ ٨٢]و ،(من

ضريع) [الغاشية /٦]،و (ذرية ضعافاً) [النساء/٩].
وعند الطاء :(وما ينطق عن الهوى) [النجم/٣]،و (من طيبات) [البقرة / ٥٧]،و (شراباً طهوراً)[الإنسان/ ٢١].
وعند الظاء: [٧ ظ] (وانظر) [البقرة / ٢٥٩]،و (إلا من ظلم)[النمل / ١١]،و (ظلاً ظليلاً)[النساء/٥٧].
وعند الفاء :(منفطر)[المزمل/١٨]،و (وان في صدورهم)[غافر/٥٦]و(خالداً فيها) [النساء/١٤].
وعند القاف :(فانقلبوا)[آل عمران/ ١٧٤]،و (من قرار)[إبراهيم/٢٦]، و (سميع قريب) [سبأ/٥٠].
وعند الكاف :(فانكحوا)[النساء/٣]، و(من كتاب)[آل عمران/٨١]،و (رزق كريم) [الأنفال/٤].

● **توضيح :**

الغنة صوت يخرج من الخيشوم يصحب النون والتنوين ، وكذا الميم أيضا [٤٧].
والغنة دائرة بين عشرين حرفاً عند أبي عمرو ومن وافقه :
أحرف الإدغام بغنة وحرف الاقلاب وحروف الإخفاء .
ولا تكون في حرفي الإدغام بغير غنة أصلا ولا في أحرف الإظهار كاملة .
وتقول في الإدغام : أدغمت النون الساكنة أو التنوين في كذا ، وفي ما عداه : عند كذا .
والإدغام لقرب المخرج والإظهار لبعده ، والإخفاء لتوسطه بين القرب والبعد .
والله تعالى اعلم

● **تذنيب :**

الإدغام الصغير ما كان الحرف الأول فيه ساكناً
وهو على ثلاثة أقسام[٤٨] :
واجب الإدغام : وهو ما اتفق عليه نحو :
(إذ ذهب) [الأنبياء/٨٧] ،و (إذ ظلموا) [النساء/٦٤] ،و (قد دخلوا)[المائدة/٦١]،و (وقد تعلمون) [الصف/٥]
وممتنعة: وهو ما اتفق على عدمه نحو :(لهم فيها) [البقرة /٢٥]
وجائزة: وهو ما اختلف فيه بين القراء ، وينحصر في فصول : ذال (إذ) ودال (قد) و (تاء التأنيث) و لام (هل) (بل) وحروف قربت مخارجها ، منها النون الساكنة والتنوين وقد تقدم الكلام عليهما ، ولنقتصر هنا على مذهب أبي عمرو ومن وافقه روما للاختصار ولشهرته [٨ و] وبقية المذاهب تطلب من كتب القوم المؤلفة في ذلك .

● **فصل**

ذال (إذ)
اختلفوا في إدغامها وإظهارها عند ستة أحرف: وهي حروف (تجد) والصفير وهي (الصاد) و (السين) و الزاي).[٤٩]
فالتاء نحو : (إذ تقول)[آل عمران/١٢٤].
والجيم نحو : (إذ جعل) [المائدة/٢٠].
والدال نحو : (إذ دخلوا)[الحجر/٥٢].
والصاد نحو : (وإذ صرفنا) [الأحقاف/ ٢٩].
والسين نحو : (إذ سمعتموه)[النور/١٢].
والزاي نحو : (إذ زين)[الأنفال/٤٨].
فادغمها في الجميع أبو عمرو ، واتفقوا على إدغامها في حرفين الذال ، نحو (إذ ذهب) [الأنبياء/٨٧] .
والظاء نحو : (إذ ظلمتم) [الزخرف/ ٣٩] وأظهروها في ما عدا ذلك .

● **فصل**

دال (قد)

اختلفوا في إدغامها وإظهارها عند ثمانية أحرف وهي : (الجيم) و (الذال) و (الشين) و (الضاد) و (الظاء) وحروف الصفير[٥٠] :
فالجيم نحو (لقد جاءكم) [البقرة / ٩٢].
والذال نحو (ولقد ذرانا)[الأعراف/ ١٧٩].
والشين نحو (قد شغفها)[يوسف/ ٣٠].
والضاد نحو (قد ضلوا)[النساء/١٦٧].
والظاء نحو (لقد ظلمك)[ص/ ٢٤].
والصاد نحو (ولقد صرفنا)[الإسراء/ ٤١].
والسين نحو (قد سمع الله)[المجادلة/ ١].
والزاي نحو(ولقد زيّنا)[الملك/ ٥].
فادغمها في الجميع أيضا أبو عمرو ، واتفقوا على إدغامها في حرفين : التاء نحو (قد تبين الرشد) [البقرة / ٢٥٦] ،والدال نحو (وقد دخلوا) [المائدة / ٦١] وأظهروها فيما عدا ذلك.

● **فصل**

تاء التأنيث

اختلفوا في إدغامها وإظهارها عند ستة أحرف وهي (الثاء) و(الجيم) و(الظاء) وحروف الصفير [٥١].
فالثاء نحو: (وكذبت ثمود) [الشعراء/ ١٤١].
والجيم نحو:(نضجت جلودهم)[النساء/ ٥٦].
والظاء نحو: (كانت ظالمة)[الأنبياء/ ١١].
والصاد نحو:(حصرت صدورهم)[٨ ظ] [النساء / ٩٠].
والسين نحو: (انبتت سبع سنابل) [البقرة / ٢٦١].
والزاي نحو: (خبت زدناهم)[الإسراء/٩٧].
فادغمها في الستة أبو عمرو واتفقوا على إدغامها في ثلاثة أحرف .
التاء نحو : (فما ربحت تجارتهم) [البقرة / ١٦].
والدال نحو: (أجيبت دعوتكما)[يونس/ ٨٩].
والطاء نحو: (فآمنت طائفة) [الصف/ ١٤].
وأظهروها فيما عدا ذلك.

● **فصل**

لام (هل) (بل)

اختلفوا في إدغامها وإظهارها عند ثمانية أحرف (التاء) و (الثاء) و (الزاي) و (السين) و(الضاد) و(الطاء) و(والظاء) و(النون).
تختص (بل) منهما بخمسة : (الزاي) و (السين) و(الضاد) و(الطاء) و(الظاء)و (هل) بـ (الثاء)، ويشتركان في (التاء) و (النون)[٥٢].
فالتاء ، نحو : (هل تنقمون)[المائدة/ ٥٩]، و (بل تأتيهم)[الأنبياء/ ٤٠].
والثاء ، نحو : (هل ثوب)[المطففين/ ٣٦].
والزاي ، نحو : (بل زين)[الرعد/٣٣].
والسين ، نحو : (بل سولت)[يوسف/١٨].
والضاد ، نحو : (بل ضلوا)[الأحقاف/ ٢٨].
والطاء ، نحو : (بل طبع الله)[النساء/ ١٥٥].
والظاء ، نحو : (بل ظننتم)[الفتح/ ١٢].
والنون ، نحو : (هل نحن) [الشعراء/ ٢٠٣]،و (بل نتبع)[البقرة/ ١٧٠].
فأظهرها أبو عمرو في الجميع إلا في موضعين : (هل ترى)بالملك والحاقة .[الملك/ ٣، والحاقة /٨].
واتفقوا على إدغام لام (قل) و(بل) و(هل) في حرفين الراء واللام نحو :
(قل ربي) [الكهف/ ٢٢]،(قل للذين[آل عمران/ ١٢]،(بل لاتكرمون)[الفجر/ ١٧]،(بل ربكم)[الأنبياء/ ٥٦]،(هل لكم)[الروم/ ٢٨].

● **فصل: في حروف قربت مخارجها.**

المختلف في إدغامها وإظهاره منها ثمانية أحرف :

الأول، الباء:

إدغامها أبو عمرو في الفاء في خمسة مواضع:
(أو يغلب فسوف) [النساء/ ٧٤] ،(وإن

تعجب فعجب) [الرعد/٥]، (اذهب فمن) [الإسراء/٦٣]،(اذهب فان لك)[طه/ ٩٧]، (ومن لم يتب فأولئك)[الحجرات/١١]. [٥٣]
وفي الميم في موضعين : [٩ و]
(يُعَذِبُ من يشاء)[البقرة/٢٨٤] ،و (اركب معنا)[هود/٤٢]..[٥٤]

الثاني الثاء :
ادغمها في التاء في موضعين : (لبثت) [البقرة/٢٥٩]، و (لبثتم)[الإسراء/٥٢]. و (أورثتموها)[٥٥]. في الأعراف والزخرف [الأعراف/٤٣ والزخرف/٧٢].
وفي الذال :(يلهث ذلك) في الأعراف [الآية ١٧٦]. واختار بعضهم الإدغام في هذه للجميع للتجانس وهو ظاهر

الثالث الدال : ادغمها في الثاء في (من يرد ثواب) [٥٦][آل عمران/ ١٤٥] حيث وقع[٥٧] .

الرابع الذال : ادغمها في التاء في (لاتخذت) [الكهف/٧٧] وفي(اتخذتم) [البقرة/٥١] [٥٨] حيث وقع [٥٩].
وفي (فنبذتها) في طه [الآية ٩٦]. و(عذت) في غافر[الآية٢٧] والدخان[الآية ٢٠][٦٠]

الخامس الراء الساكنة: أدغمها في اللام نحو: (نغفر لكم)[البقرة/٥٨]، (واصبر لحكم ربك)[الطور/٤٨]، والخلاف للدوري.
فرع : الإظهار في الإدغام الكبير فمن أدغم عنه أدغم هذا وجهاً واحداً ومن أظهره أجرى الخلاف في هذا والله تعالى أعلم .

السادس الفاء :
أظهرها عند الباء من (نخسف بهم) في سبأ [الآية ٩].

السابع اللام :
أظهرها عند الذال في نحو (من يفعل ذلك). [البقرة/٢٣١].

الثامن النون :
أظهرها عند الواو من (يس والقرآن) [يس/١و٢] و (ن والقلم) [القلم/١] وادغمها في الميم من (طسم) [الشعراء/١، والقصص/١].

● **خاتمة:**
لم نجز الكلام على أحكام النون الساكنة والتنوين وما يتعلق بهما أردنا إرداف ذلك بشيء من الكلام على المد والقصر ولكثرة دورانهما في الكلام .
فالمد : زيادة المط [٩ ظ] في حروفه على أصل وضعها[٦١] .
والقصر :ترك تلك الزيادة .
ويسمى الأول مداً فرعياً . والثاني أصليا وطبيعياً [٦٢]لان الطبع يمده في غير كلفة بل الكلفة في تركه، لأنه لا يوصل إلى حقيقة النطق أو كماله إلا به .
وحيث أطلق المد فالمراد الأول غالباً [٦٣].
وحروفه ثلاثة :
الألف: ولا تكون إلا ساكنة وما قبلها مفتوح، ومن ثم لم تقيد بواحد منهما .
والواو الساكنة المضموم ما قبلها ، والياء الساكنة المكسور ما قبلها .
يجمعها قولك : (واي) أو (أوي) وقد اجتمعت في قوله تعالى (نوحيها)[٦٤][هود/٤٩].

● **تنبيه :**
الواو والياء إن تحركا بأي حركة كـ (وفاقا) [النبأ/٢٦] و (يعلم) [البقرة/٧٧]أو سكنا فحرفا علة .
وإن سكنا وإن لم تجانسهما حركة ما قبلهما كـ (الخوف)[البقرة/١٥٥]و(البيت) [البقرة/١٢٥] فحرفا لين.
وان جانستهما فحرفا مدّ ولين ، وهو المقصود هنا .



إذا تقـرر ذلـك فالمد لـه شرط يتوقـف عليه ، وسبب يقتضيه :
فالشرط : وجـود حرف المد ، أي الذي لا تقوم ذات المد إلا به ،ويسمى الحرف (قصراً) و (مداً طبيعياً) كما مر .
وهو إما لازم في كل حال نحو :(الشاكرين) [آل عمران/ ١٤٤]،و (الموفون)[البقرة/١٧٧]
وإما عارض يأتي في بعض الأحوال ، وهو على ضربين :
الأول نحـو: (موطئا)[التوبة/ ١٢٠]،(هـدى) [البقرة/٢]، و(أمْنا)[البقرة/١٢٥].
فإنك تنـون حالة الوصـل ، فيذهب شرط المد وهو حرفه من آخرها ،لأجـل التنوين ، وتبدل حالة الوقف ، فيعرض الشرط [١٠ و] .
الثانـي نحـو: (هـذه) [البقـرة/٣٥]،و (به) [البقرة/ ٢٥]،و(اسـمه)[البقرة/ ١١٤]، و(أمـه) [المائـدة/٧٥]. عكـس الأول يحذف الشرط منهما وقفا وتوصل بما بعدها فيطرأ.
والسـبب : وهو المقتضي لزيادة المد ، قسمان : معنوي ولفظـي :فالمعنوي ، هو قصد المبالغة في النفـي ،في نحـو (لا) التـي لنفـي الجنس، نحو: (لا ريب فيه)[البقرة/٢]،(لاشيَةَ فيها) [البقرة/٧١].
ولـم يمده من القـرّاء إلا القليـل ،ومن مده لم يبلـغ به الإشـباع ،وهو سـبب قـوي مقصود عنـد العـرب ،وإن كان دون اللفظـي عنـد القـرّاء. ومنـه مـدّ التعظيم في نحـو : (لا إله إلا اللـه) [الصافـات/٣٥]،(لا إلـه إلّا هـو) [البقرة/١٦٣]،(لا إله إلا أنت)[الأنبياء/٨٧].
وقـد ورد عن من قـصر المنفصل لهذا المعنى .
ويقال لـه مد المبالغة أيضاً ؛ لأنـه للمبالغة في نفي إلوهية سوى الله تعالى.
وقد اسـتحب العلماء مد الصوت بها إشـعارا بما ذكرنا .
قال النووي في الأذكار :
ولهذا كان المذهب الصحيح المختار اسـتحباب مـد الذاكر قوله (لا اله إلا الله) لما ورد فيه من التدبر انتهى.
وفي البخـاري وغـيره :(أفضـل مـا قلتـه أنـا والنبيّون من قبلي لا اله إلا الله)
وقد اشـتهر مـد التعظيم في الله تعـالى ، وقد اسـتحب الفقهاء مـده في تكبـير الانتقالات في الصلاة .
واللفظي ، نوعان همز وساكن :
النـوع الأول ، الهمز : وهو يكون بعد حرف المد وقبله.
فان كان بعده ومعه في كلمته فهو المتصل ، إن كان الهمز في أثناء كلمة نحو :
(أولئك)[البقـرة/٥]،و (سـيئت)[الملك/٢٧] [١٠ ظ] ،و (السـوأى)[الروم/١٠] ،و (نداء) [البقرة/ ١٧١]
ومتطـرف، إن كان في آخرهـا نحو:(جـاء) [النسـاء/٤٣]،و (من سوء)[يوسف/٥١]،و (جيء)[الزمر/٦٩]
وان كان حـرف المـد آخـر كلمـة والهمز أول أخرى ، فهو المنفصل[٦٥] .
والعـبرة بالنطـق رسـم حـرف المـد نحـو : (بمـا انزل)[البقـرة/٩٠]،و (قالـوا آمنـا) [البقرة/١٤] ،و (في أنفسكم)[البقرة/٢٣٥] أو لا نحـو :(يأيها)[البقرة/٢١] ،و (به إثما) [النساء/٥٠].
ووجـه المـد لأجل الهمـز أن حـرف المد خفي ضعيـف ، والهمز صعب شـديد ، فزيد في مد

الخفــي الضعيــف ليتمكــن النطــق بالصعب الشديد.

● **تنبيه :**

اجمــع القراء قاطبــة من لــدن النبي(ص) إلى زماننــا هذا على مد المتصــل ، ولا خلاف بينهم فيه وإنما الخلاف في مقدار مده طولاً وتوسطاً ودون ذلك وفوقه كما هو في التيسير.

بل لم يذكر الشاطبي رحمه الله تعالى خلافاً في مقــدار طول مده ، وهي طريقة العراقيين لكن لها حالتان طول المد وتوسطه فقط .

على أن بعضهم حكي فيــه طريقة ثالثة وهي التوسط فقط للكل ، ولا يجوز قصره .

ونقل بعــض من جمع بين صحيــح القراءة و شــاذها كالأهوازي [٦٦]. وقال بعضهم لم نعلم أحــدا جمع أكثر منه الإجمــاع على ذلك ، وزعم بعض من شــذ انه يجــوز ، وكلامــه مؤول أو غلط.

وأمــا المنفصل ، فاختلفوا في قصره ومده ، وهم في مقدار المد كالمتصل .

وان كان الهمــز قبــل حرف المــد ، وكان بعده سبب آخر يقتضي المد – إدغاما- كــ :

(آمِّين البيت الحرام)[المائدة/٢]

أو همزاً نحو :(وجاءوا أباهم) [يوسف/١٦] مُــدّ [١١ و] وإلا فلا اعتبار به عند غير ورش نحو :

(آدم)[البقرة/٣١]،و(أوتوا)[البقــرة/١٠١]، و(إيماناً) [آل عمران/١٧٣] .

ويسمى مد بدل ، لأنه بدل عن الهمزة .

فرعــان: الأول:(أنــا) إمــا أن يأتي بعــده همز نحــو :(أنا أُحيي) [البقــرة/٢٥٨]،(أنا أوّل) [الأنعام/١٦٣]،(أنا إلا)[الأعراف/١٨٨].

أولا، نحو : (أنا نذير)[العنكبوت/ ٥٠]

وقــد أجمعت العــشرة على حذف ألــف الثاني وصــلا، ومــد الأول بعضهم وحذفــه الباقون. واتفقوا على إثبات الألف في القسمين وقفاً.

الثاني:(آتــى) إمــا أن تكون بمعنــى (أعطى) نحــو: (ولقــد آتيناك)[الحجــر/٨٧] ،و(آتت أُكُلها) [الكهف/٣٣].

وأمــا بمعنى (جــاء) وهو إمــا أن يكون معناه مســتقبلاً ،نحو : (لآتينهــم) [الأعراف/١٧]، و(أنا آتيك به)[النمــل/٣٩] أو ماضياً ، نحو: (أتى أمــر الله)[النحــل/١]، (أَتينا طائعين) [فصلت/١١] .

فاجمع القراء على إثبات ألف بعد الهمز في الأول ومستقبل الثاني ، وعلى حذفها من ماضيه .

واختلفــوا بالنظــر إلى هــذه المعاني في ســبعة مواضــع وهــي : (مــا آتيتــم بالمعــروف) في البقــرة [الآية٢٣٣]،و(آتونــي زبــر الحديــد) [الكهــف/٩٦] ،و(آتونــي أفــرغ عليــه) [الكهــف/٩٦] في الكهف ،و(أَتوه داخرين) في النمل[الآيــة٨٧] ، و(ما آتيتم من ربا) في الروم [الآية ٣٩]، و(بما آتاكم) في الحديد[الآية٢٣].

ومن قصر حــرفي الكهف ســكن الهمزة وقال رَوْما : (أيتوني) قال: (ائتوني) .

ومن قصر حرف النمل فتح التاء .

النوع الثاني : الساكن :

وهــو إمــا لازم لا ينفك عن الســكون لا وصلا ولا وقفــا ,فيجــب مــده مثقــلا كان نحــو: (الضالِّــين) [الفاتحــة/٧]، و(دابّة)[٦٧] [البقرة/١٦٤]،و(تأمروني)[الزمــر/٦٤] أو حرفيــا نحو (ألم) [البقــرة/١]. وضابطه كل مــا كان هجاؤه (١١ و) عــلى ثلاثة أحرف أوسطها حرف مد.

وإما عــارض ، وهو الذي يعرض له الســكون ولا يلزم فلا يجب مده ,وله حالتان :

الأولى: الوقف ، نحو (العباد) [البقرة/ ٢٠٧]،

و(الرحيم)[٦٨][الفاتحة /٣] و(المؤمنون) [البقرة/٢٥٨].

الثانية : الإدغام عند أبي عمرو ومن وافقه مثلين كانا نحو:(قال لهم) [البقرة/٢٤٧] و(فيه هدى) [البقرة/٢]،و (لا أقول لكم)[الأنعام/٥٠] . أو متقاربين نحو: (قال رب)[آل عمران/٣٨]، و(لقد جئت شيئا)[الكهف/٧١] حالة الإبدال، و(داود جالوت)[البقرة/٢٥١].

ووجه المد للساكن أن حذف أحدهما يخل بالمعنى ، فزيد في مط حرف المد للتمكن من النطق بهما ، فكأن تلك الزيادة قامت مقام الحركة .

● **تنبيه :**

الساكن اللازم لا خلاف بين القراء في مده وسطا من غير إفراط ولا تفريط .وأما الساكن العارض فيجوز فيه لكل من القراء كل من المد والتوسط والقصر ، ومثله (عين)في الفواتح, والله تعالى أعلم .

● **تطريف :**

المد اسم جنس تحته أنواع أنهاها بعضهم إلى ستة عشر نوعاً :

مد تمكين : كـ : (أولئك)[البقرة/٥].

وبنية : كـ : (الأنباء)[القصص/٦٦].

وأصل : كـ :(جاءه)البقرة/٢٥٧].

وبسيط : كـ :(ما انتم)[هود/٣٣] وهو المشهور بالمنفصل .

وعدل :كـ : (تحاجوني)[الأنعام/٨٠] ويسمى لازماً مثقلاً وكلمياً.

ولازم : كـ :(ص) [الآية ١] ويسمى لازماً حرفياً .

وعارض في الوقف :كـ : (الدار)[البقرة /٩٤].

وفرق : كـ :(الآن)[البقرة/٧١].

وحجز : كـ :(ما أنتم) [هود/٣٣].

وروم: كـ : (ها أنتم) [آل عمران /٦٦] عند من سهل .

ومبالغة : كـ : (لا إله إلا الله) [الصافات/ ٣٥] عند من قصر في بعض طرقه .

وتعظيم : كـ: (الله) [البقرة/٧].

وعوض: كـ: (قال ربك) [البقرة/٣٠] عند من أدغم [١٢ و].

وبدل : كـ: (آمن) [البقرة/١٣].

وشبه بدل : كـ: (يؤوس)[هود /٧].

وأمعان: كـ :(هيئة)[آل عمران/ ٤٩]في مذهب ورش .

● **تتمة :**

الوقف أربعة أقسام: تام،وكاف،وحسن، وقبيح[٦٩].

فالتام : هو الذي انفصل عما بعده لفظا ومعنى فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ، إذ لا تعلق لما بعده به. ويوجد عند تمام القصص ، وأكثر ما يكون في رؤوس الآي ، إذ هي مقاطع وفواصل ،وقد يجيء بعد آيتين فأكثر [٧٠].

والكافي :ما اتصل بما بعده معنى فقط، فيحسن الوقف عليه أيضا والابتداء بما بعده إذ لا تعلق لما بعده به لفظا ،وإن تعلق به معنى نحو : (ومما رزقناهم ينفقون) [البقرة/٣] ويسمى مفهوما أيضا[٧١] .

والحسن : ما اتصل بما بعده لفظا ومعنى, فيحسن الوقف عليه لإفادته ويقبح الابتداء بما بعده مالم يكن رأس آية ، لعدم استقلاله، نحو (الحمد لله) من (الحمد لله رب العالمين) [الفاتحة / ١]. ألا ترى أن ما بعده مجرور, فهو يتعلق بما قبله لفظا ومعنى وليس رأس آية ، ويسمى صالحا وجائزا أيضا [٧٢].

والقبيح: هو الذي لا يعرف المراد منه، أو

يفهم من غيره ،نحو : (باسم)[٧٣]، و(رب) [الفاتحة /١]. إذ لم يعلم على أي شيء الإضافة ونحو: (يعودوا) من (وإن يعودوا فقد مضت) [الأنفال/٣٨] إذا وصله بما قبله، لإفهامه غير المراد، ويسمى وقف الضرورة، ولا يجوز إلا لمضطر ،بانقطاع نفس ونحوه وربما كفر مُتَعَمِّدُهُ[٧٤].

● **فرع : [١٢ ظ]**

لا يجوز أن نقف بين المتعلق و متعلقه، كالفعل وما عمل فيه من فاعل ومفعول وحال وظرف ومصدر،وكالشرط وجزائه ،والأمر وجوابه ، وكالمبتدأ وخبره، والصلة وموصولها ،والصفة وموصوفها، والبدل والمبدل منه ،والمؤكد وتأكيده ،وكحروف المعاني وما بعدها .

ولا يتمكن من معرفة هذا وما قبله إلا بنصيب وافرمن علم العربية فإذن كان من آكد ما يتعلم. والمختار الوقف التام ، والكافي حسن، والحسن جائز . هذا هو المشهور من تقسيم الوقف . وفيه تقسيمات أخر للقوم لا تحتملها هذه المقدمة وهي مذكورة في كتبهم المبسوطة في ذلك فلتطلب منها .

وهذا آخر ما أردنا إيراده هنا ،وهو نبذة يسيرة بالنسبة إلى ما في كتب القراء مما لا غنى للقارئ عنه، وقد يسر الله سبحانه وتعالى بها ، لا إله إلا هو عليه توكلت ، وإليه أنيب ، والحمد لله رب العالمين ، حمدا يوافي نعمه و يكافي مزيده وصلاته وسلامه الأتمان الأكملان الأفضلان على أشرف الخلق سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأنصاره وأطهاره وأشياعه وأتباعه وأهل بيته ومحبيهم ،وعلينا معهم أجمعين آمين .

علقه لنفسه ثم لمن شاء الله أحمد بن قاسم العبادي عفا الله عنه آمين .

● **هوامش البحث ومصادره:**

(١) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي(١٣٣٩هـ) ج٦/ص١٣٤ .

(٢)الضوء اللامع في أهل القرن التاسع للسخاوي (ت ٩٠٢هـ) ١١/ ٢٢٢

(٣) ينظر:هدية العارفين ج٢/ص ٢٤٧ ، وايضا المكنون في الذيل على كشف الظنون اسماعيل باشا بن محمد امين البغدادي ج١/ص١٦٨، الاعلام ج٦/ ص ١٣٤.

(٤) شذرات الذهب ج٨/ ص٣٤٨.

(٥) حق التلاوة ، للشيخ حسني شيخ عثمان ص١٤٣.

(٦) حق التلاوة : ص١٤٣.

(٧) ينظر: كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد (ت٣٢٤هـ)تحقيق د.شوقي ضيف:١٢٥،والرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، مكي بن أبي طالب القيسي(ت ٣٤٧هـ) تحقيق د.أحمد فرحات ٢٣٦،تحفة نجباء العصر في أحكام النون الساكنة والتنوين والمد والقصر، للشيخ زكريا بن محمد الأنصاري (ت ٩٢٦هـ) تحقيق د.محيي هلال السرحان : ص٥١ .

(٨)لسان العرب ، ابن منظور(ت٧١١هـ) :ج١٢/ ص٢٠٣.

(٩) ينظر :التحديد في الإتقان والتجويد ،أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني(ت ٤٤٤هـ) :ص١٠١.

(١٠)ينظر التمهيد في علم التجويد ،ابن الجزري(ت٨٣٣هـ) تحقيق غانم قدوري الحمد: ص٥٥_٥٧.

(١١) ينظر: حق التلاوة:ص١٤٥.

(١٢)أفاضت كتب النحو والقراءات والتجويد في الكلام عليها كثيرا ،ينظر: كتاب سيبويه (ت١٨٠هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون: ٢/ ٤١٤، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، مكي بن أبي طالب: ١/ ١٦١،والتمهيد :ص١٦٥_١٦١.

(١٣) ينظر:الإقناع في القراءات السبع ،لابن الباذش (ت ٥٤٠هـ) ج١/ص٢٤٩،والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ، تصحيح علي محمد الضباع:ج٢/ص٢٥.
(١٤)ينظر تفصيل ما تقدم في بهجة المقربين في معرفة أحكام النون الساكنة والتنوين لـ ،لابن يوسف الهيثمي القاهري الشافعي (ت ٨٨٦هـ) تحقيق د. إيمان صالح مهدي :ص١٣ـ١٤ .
(١٥)ينظر: مخارج الحروف وصفاتها ،لابن الطحان (ت بعد ٥٦٠هـ) تحقيق د. محمد يعقوب التركستاني: ص٨٠ ـ٨١.
(١٦) ينظر:كفاية المريد ،محمد نجيب خياطة: ص٩٥.
(١٧) هو أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة الكوفي الزيات أحد القراء السبع (ت ١٥٦هـ) (معرفة القراء الكبارعلى الطبقات والاعصار للذهبي(ت ٧٤٨هـ) تحقيق د.بشار عواد معروف، والشيخ الأرناؤوط وصالح مهدي عباس: ج١/ص٢٠٨).
(١٨) هو يزيد بن القعقاع المخزومي المدني وهو أحد القراء العشرة (ت ١٣٢هـ) (غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ،نشره برجستراسر:ج٢/ص٣٨٢ـ٣٨٤).
(١٩) ينظر:حق التلاوة:ص ١٤٥.
(٢٠) ينظر:شرح طيبة النشر لابن الجزري:ج١/ص١١٤.
(٢١) هو خلف بن هشام بن ثعلب البزار الأسدي (ت ٢٢٩هـ) ،أحد القراء العشرة ،روى عن سليم بن عيسى الكوفي عن حمزة بن حبيب الزيات (معرفة القراء الكبار: ج١/ص٢٠٨، وغاية النهاية ج١/ص٢٧٢).
(٢٢) أبو عمارة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الزيات أحد القراء السبعة المشهورين (ت ١٥٦هـ) معرفة القراء الكبار :ج١/ص٩٣ـ ٩٥ .
(٢٣) ينظر :بهجة المقربين في أحكام النون الساكنة والتنوين:ص١٤ .
(٢٤) هو حفص بن عمر بن عبد العزيز (ت ٢٤٦هـ) روى عن الكسائي وأبي عمرو بن العلاء(غاية النهاية ج١/ص ٢٥٥، والأعلام للزركلي(ت ١٩٧٦م): ج٢/ ص٢٦٤).
(٢٥) علي بن حمزة النحوي الكوفي رأس مدرسة الكوفة النحوية وأحد القراء السبعة المشهورين (ت ١٨٩هـ) ،ينظر: غاية النهاية : ج١/ص٥٣٥.
(٢٦) هو محمد بن عبد الرحمن المخزومي (ت ٢١٩هـ) روى عن ابن كثير (الإقناع في القراءات السبع لابن الباذش ج١/ص٧٩).
(٢٧) عبد الله بن كثير بن المطلب المكي القرشي من القراء السبعة المشهورين (ت ١٢٠هـ) . غاية النهاية ج١/ص ٤٣٣ .
(٢٨) أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان النحوي من القراء السبعة المشهورين وهو قارئ البصرة (ت ١٥٤هـ)، معرفة القراء الكبار: ص٨٣.
(٢٩) هو عيسى بن مينا المدني أحد رواة نافع الذي لقبه بهذا اللقب لجودة قراءته (ت ٢٢٠هـ) : معرفة القراء الكبار:ج ١/ص١٢٨.
(٣٠) أبو عمر حفص بن أبي داود سليمان بن المغيرة الأسدي (ت ١٨٠هـ) الإقناع لابن الباذش: ج ١/ ص١١٧.
(٣١) أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة (ت ٢٥٠هـ) روى عن ابن كثير (الإقناع في القراءات السبع: ج ١/ ص٨٠).
(٣٢) أبو عمرو عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان القرشي الدمشقي(ت ٢٤٢هـ) روى عن ابن عامر(الإقناع في القراءات السبع: ج ١/ص١٠٥).
(٣٣) ينظر: حق التلاوة :ص١٤٦ .
(٣٤) ينظر: العنوان في القراءات السبع لأبي طاهر إسماعيل بن خاف المقرئ تحقيق د. زهير زاهد ود. خليل العطية:ص ٥٨، والتمهيد في علم التجويد:ص١٦٧ .
(٣٥) ينظر:المصدر نفسه :ص١٦٥.
(٣٦) ينظر:حق التلاوة:ص١٢٢.
(٣٧) المصدر نفسه:ص١١٦.
(٣٨) ينظر:المصدر نفسه:ص١٢٨.
(٣٩) يجوز عند جميع القراء ترقيق الراء وتفخيمها ق«كل فرق كالطود العظيم»والترقيق أولى .ينظر:حق

التلاوة: ص١٢٩.
(٤٠)وهو إخـراج كل حرف من مخرجه من غير غنه، وذلـك لبعد مخرج الغنـة والنون مـن مخرج حروف الحلـق، وحقيقتـه :أن تنطـق بالنـون والتنويـن على حدهمـا ، ثـم تنطـق بحـرف الإظهار مـن غير فصل بينهما،وبيـان غنتهما من غير سـكت شـديد ولا قطع مـسرف مع إشـباع حركـة المحرك وإخلاص سـكون السـاكن بالإظهـار: بهجـة المقربين في أحـكام النون الساكنة والتنوين :ص١٢ .
(٤١) ينظر :التمهيد :ص١٦٥ـ١٦٦.
(٤٢) ينظر: بهجة المقربين ص١١ـ ١٢.
(٤٣) ينظـر: التحديـد :ص١١٧/والتمهيـد : ص٧٠ و١٦٨.
(٤٤) وهو في اللغة يعني السـتر، ينظر لسان العرب : ج١٤/ص٢٣٥ـ٢٣٦ .
(٤٥) ينظر النشر :ج٢/ص٢٧.
(٤٦) الحـواشي الأزهريـة في حـل ألفـاظ المقدمـة الجزريـة ـللشـيخ خالـد بـن عبـد اللـع الأزهـري (ت ٩٠٥هــ) :الورقة ٢٥ظ .
(٤٧) ينظر : التمهيد :ص١٧١.
(٤٨) ينظر في تفصيله : التمهيد :ص١١٤،وص١٤٤.
(٤٩) ينظر: العنوان :ص٥٦.
(٥٠) ينظر: العنوان :ص٥٦.
(٥١) المصدر نفسه: ص٥٧.
(٥٢) المصدر نفسه .
(٥٣) ينظر: حق التلاوة:ص١٥٧ هامش ١.
(٥٤) ينظر: حق التلاوة:ص١٥٧ هامش ١.
(٥٥) ينظر : حق التلاوة :ص١٥٩ هامش ١.
(٥٦) ينظر: حق التلاوة :ص١٥٩ هامش ٢.
(٥٧) وقعت في موضعين من آل عمران في الآية ١٤٥.
(٥٨) ينظر : حق التلاوة:ص١٦٠ هامش ١.
(٥٩) وقعـت صيغـة (اتخـذت) في [الفرقان/٢٧،و الكهف/٧٧،والشـعراء/٢٩] أمـا صيغـة (اتخذتم) فقـد جـاءت في [القـرة/٥١، ٩٢،٨٠، والرعـد ١٦، والعنكبوت/٢٥،والجاثية /٣٥]
(٦٠) ينظر: حق التلاوة: ص١٦٠ هامش ١.
(٦١) ينظر:مختـار الصحـاح ،محمـد بـن أبي بكر الرازي (ت ٦٦٦هـ) :ص٦١٨.
(٦٢) ويقصد به القصر.
(٦٣) ينظر حق التلاوة ص١٣٢هامش ٢.
(٦٤) ينظر: حق التلاوة :ص١٣٢ هامش ٣.
(٦٥) ينظر: التمهيد :ص ١٧٣.
(٦٦) أبـو علي الحسـن بن علي بن إبراهيـم بن يزداد المقرئ الأديب (ت ٤٤٦هـ) تتلمذ على شيوخ بغداد،وله مؤلفـات جليلة في القراءات .ينظـر ترجمته في النجوم الزاهـرة في ملوك مصر والقاهرة لابن التغري بردي :ج ٥/ص٥٦ وغاية النهاية : ج١/ص٢٢٠.
(٦٧) ينظر: التمهيد :ص١٧٤.
(٦٨) وفي البسملة من كل سورة .
(٦٩) ينظر: التمهيد :ص ١٧٩ـ ١٨٨ .
(٧٠) المصدر نفسه:ص ١٨٠ .
(٧١) المصدر نفسه: ص١٨٣ .
(٧٢) المصدر نفسه: ص١٨٦.
(٧٣) في أول البسملة .
(٧٤) التمهيد: ص١٨٧ـ ١٨٨.



Workers guidance in The Non-Voweled Nun and nunnation Rulings

For

Sheikh Nasser Al-Din Muhammad bin Salem Al-Masri Al-Azhari Al-Shafi'i known as Nasser Al-Tablawi (die 966 AH)

By: Dr. Eman Saleh Mahdi
(Center of revival of Arabian science Heritage)
University of Baghdad

Abstract

This manuscript dealt with one of the most important topics of Tajweed (phonetic rules of Qur'anic recitation) which is: The Non-Voweled Nun and nunnation Rulings And their definition And the statement of its provisions when they are connected to the lexicon letter, which are four famous rules : diphthong, demonstration, Turning, occulting.

Discussing each of these provisions in some detail and clarification, indicating the limits of each rule and its purposes, Explanation of the provisions of the letters in terms of: articulation and attribute, nasality and their -Non, A detailed statement of each lexical letter in case of contact with Non-Voweled Nun and nunnation, Pointing in some of them to what occurred between the readers of the difference in that.

As well as he referring to the placements of Non-Voweled Nun Which comes out: The name and the verb and the letter, In the last word and during it.

The author also imposes on the solar and moon letters, indicating a ruling to call them from the entry into the definition of it. All this is reinforced by the position of the examples from the Holy Qur'an.

إسهامات اليهود في تراث المقام العراقي

م. د. لقاء شاكر الشريفي*

● المقدمة:

يتناول البحث دراسة اليهود ودورهم وأسهاماتهم في تراث المقام العراقي ، من خلال تسليط الضوء على تعريف المقام العراقي وأهم أقسامه ، أضافة الى اليهود ودورهم في تراث المقام العراقي في حقبة مهمة من تاريخ العراق في العهد الملكي، تجسدت بالتعايش السلمي والتسامح الديني ، الذي القى بظلاله على النشاط الثقافي والفني في العراق عامة وبغداد خاصة ،مما أنعكس ذلك على النشاط الفني ليتجسد لنا في لوحة فنية شملت كافة أطياف المجتمع البغدادي ، أذ كان يضم الى جانب الفنانين اليهود مجموعة من أشهر الفنانين المسلمين والمسيحيين.

ومن هذا المنطلق كانت دراسة بعض الشخصيات اليهودية التي أرست وأصلت تراث المقام والاغنية العراقية والتي أسهمت بنشاطها الفني والموسيقي في وضع السس الحديثة للأغنية البغدادية الاصيلة ، ومنهم الموسيقار والفنان العراقي (صالح الكويتي) وأخوه (داود الكويتي) من ابناء الطائفة الموسوية في العراق ، والفنانة(سليمة مراد) وقارئ المقام (فلفل كرجي) .

وفي الوقت الذي لاننسى فيه دور اليهود العراقيين في الموسيقى العراقية امثال صالح الكويتي واخيه داود ويوسف حوريش وصالح شميل ويوسف بتو وغيرهم الا ان هذا الامر لايعني حصر تراث المقام العراقي باليهود دون أن يكون للمسلمين وأبناء الطوائف الاخرى دورا مماثل.



* جامعة بغداد – مركز احياء التراث العلمي العربي

أولا : تعريف المقام العراقي

هو لون من الغناء العراقي القديم تصاحبه الآلات الموسيقية ، وهو تراث موسيقي يتسم بصفة أو طبيعة ارتجالية في الغناء والعزف على مختلف السلالم الموسيقية التقليدية بطريقة مضبوطة [١] ، هذا إذا كانت المناسبة دنيوية ، اما اذا كانت دينية فيقتصر على استخدام الجزء الغنائي بدون آلات موسيقية كما في المولد والتهاليل والتواشيح والتحميد، والمقام العراقي قريب الشبه بكل من المقام الاذربيجاني والرديف الايراني ويقترب ايضا ببعض الصفات من المقام الطاجيكي والاوزبكي ولكنه يختلف عن كل هذه المقامات بصفات اخرى [٢] ،ان المقام العراقي يقتصر وجوده في العراق فقط وهو يمثل الفن الغنائي الخاص بالشفافية الموسيقية الحضرية لمدن العراق ، وقد برز وبصورة ملموسة في بغداد وتليها كل من كركوك والموصل، ومن ابرز السلالم النغمية المشتركة بين العالمين العربي والاسلامي هي الرست والبيات والحجاز واليكاه والصبا والحسيني والنوى والكرد والمخالف، وتتميز المقامات العراقية ما عدا خضوعها للقواعد التي تتحكم بالاجناس الموسيقية وتصويرها ، باحترام الخصوصية التي تفرضها صبغة المقام العراقي اضافة الى تمسكه بالميزات الجمالية الخاصة به على صعيد الاداء[٣] .

ثانيا: تاريخ نشأة المقام العراقي

أن اول ظهور للمقام العراقي كان في مدينة بغداد حيث كان للمقام العراقي مؤدوه الذين برعوا واشتهروا به خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر والذين اصبحوا فيما بعد مدارس للمقام العراقي يدارسون ويعلمون الشبان طريقة قراءة المقام .

ثم هؤلاء الشبان يصبحون مدارس جديدة لشبان جدد وهكذا، حتى وصلنا شفاها [٤].

ومع مطلع القرن العشرين ازدهر العراق على وجه العموم ومدينة بغداد على وجه الخصوص بالعديد من الاسماء اللامعة في عالم المقام العراقي [٥] في اوائل القرن العشرين كان الغناء العراقي مقتصراً على المقامات العراقية والاغاني الريفية وغناء المربعات(مفردها مربع هو نوع من انواع النظم الشعري الملحن) والبستات البغدادية (الاغاني البغدادية) وكانت المقامات العراقية تقدم وتغنى الى الجمهور من خلال :

١- غناء المقامات في البيوت : في الافراح وحفلات الختان والمواليد وفي الاذكار والتهاليل والمواليد الدينية كالمولد النبوي.

٢- المقامات في المقاهي الخاصة : حيث كان في بغداد عدد كبير من المقاهي الخاصة ، روادها من علية القوم ، مادتها الاساسية هي تقديم الحفلات الغنائية ليلياً حتى الصباح الباكر ، يشدو فيها كبار الفنانين من المقامات العراقية وبستاتها الغنائية ، وقد اشتهرت العديد من هذه المقاهي حتى اصبح اسمها علماً يستدل بها الى المناطق المجاورة لها [٦].

٣- المقامات في المقاهي العامة :حيث كانت تجمع قراء المقام وجمهورهم في جلسات نقاشية يتناقشون في المقامات وتحريرها وألوانها ومياناتها ، وكان يفد الى هذه المقاهي عشاق المقام من كل اطراف البلاد ليدرسوا ويتعلموا قواعده واصول ادائه ، وكان لكل جماعة مطرب يطربها ويرشدها ويدربها على فنون الغناء العراقي.

٤- المقامات على شواطئ دجلة : حيث كانت

تفد فرق الجالغي البغدادي (التخت البغدادي) الى نهر دجلة على طول شواطئها من جانب شارع ابو نواس تحيي الحفلات بمناسبة الاعياد الدينية والوطنية (٧) .

ولعل بين سامعي هذه المقامات من يظن ان قراء المقام انما يلغطون بألفاظهم وصيحاتهم على غير وجه واضح ولا خطة مدروسة في حين ان كل بنت شفة لهم تستند الى قانون يلتزمون بأحكامه وأصوله ويقفون عند حدوده ورسومه.

وعلى الرغم مما يغلب على قراء المقام من الأمية فقد عرفت فيهم خصائص جديرة بالاعجاب والتقدير ، فهم يتقنون ضبط الطبقات الصوتية اتقاناً عجيباً ويتنبهون بسهولة ظاهرة لمن يخرج عليها ، ويجدون ذلك من أسوء العيوب التي لا يغتفرونها.

لايزال حتى يومنا هذا يندفع العراقيون نحو سماع هذا اللون من الغناء مهما ابتعدوا عنه، ولا زالت الساحة العراقية تضم العديد من القراء الشباب الذين يتخرجون سنوياً من معهد الفنون الجميلة – قسم المقام العراقي والمنتشرة فروعه في بغداد وكافة محافظات العراق الشمالية والجنوبية والذي يرفد الساحة العراقية سنوياً بالعشرات من الشباب الخريجين والمثقفين في قراءة المقام(٨) .

المقام العراقي هو لون من ألوان الغناء الشعبي العراقي وهو عبارة عن مجموعة انغام مترابطة مع بعضها ومنسجمة فيما بينها ، ولربما يظن من يسمع بهذه التسمية ، ان المقام العراقي هو سلم موسيقي . ولكن في الحقيقة ان المقام العراقي هو تسمية لقالب غنائي وليست لسلالم ومقامات الموسيقى العربية (٩).

ان المقامات في الموسيقى العربية هي تسلسل نغمي لثماني نغمات (اذا اضفنا نغمة جواب النغمة الاولى)على السلم الموسيقي وتفصل بينها مسافات معينة ، من هذه المسافات تتكون الاجناس(كل اربعة نغمات متتالية في السلم الموسيقي تسمى جنس) لذلك غالباً ما تتكون المقامات في الموسيقى العربية من جنسين ، والتي تحدد هوية السلم ، حيث تسمى المقامات في الموسيقى العربية بأسماء جنسها الاول فهي اذن مقامات موسيقية سلمية وليست غنائية مثل مقام النوآثر ومقام الراست والفرحفزا والسوزناك والبيات وهذه تسمى مقامات موسيقية (١٠).

أما المقامات العراقية كمقام المنصوري والحديدي والخليلي والنوى والراست والجبوري والراشدي، فأنها مقامات غنائية (اي قوالب غنائية) ولا تغنى الا في العراق ولها اصولها وقواعدها التي دعت لتسميتها بهذا الاسم(١١). واحيانا يدخل في المقام الواحد اكثر من جنس من اجناس الموسيقى العربية.

● **البستة البغدادية:**

كلمة البستة فارسية وتعني الرابط، ان البستة البغدادية هي ليست جزءاً من اركان المقام ، الا ان العادة جرت في ان يتبع كل مقام عراقي بستة بغدادية (وهي الاغنية البغدادية الخفيفة) تكون من نفس نغم المقام الذي أنشد فيه القارئ، وهي من الاغاني الخفيفة المرحة وانغامها متلائمة مع نغم المقام (١٢) .

وان لكل مقام بستة ، وتؤدى بعد الانتهاء من قراءة المقام ، ولكل واحدة من هذه البستات العراقيه القديمة قصة اومناسبة نظمت من اجلها وتغنى المغنون بها في تلك المناسبة حتى شاعت ، وعادةً لا يغنيها قارئ المقام وانما يغنيها اعضاء فرقة الجالغي البغدادي



(العازفون) واحيانا كثيرة يشـاركهم جمهور المستمعين.
وسبب وجود البستة بعد كل مقام:
١- لتنويـع الغناء وجعل المجلـس اكثر فرحاً وطرباً.
٢- ليسـتريح قارئ المقام قبل أن يبدأ بقراءة مقام جديد [١٣].

● اليهود ودورهم في تراث المقام العراقي:

كان لليهـود دور كبير في مجـال الفن والتراث الموسيقى، كونها تلامس كافة شرائح المجتمع العراقـي بصـورة عامـة والبغـدادي بصورة خاصـة ، فكانـت فرقـة الإذاعـة أغلبهـا من اليهود ، وفرق الجالغي البغدادي، وموسـيقى المقام العراقـي، إضافـة إلى أن أغلب الملحنين العراقيـين كانوا كذلك من اليهود أمثال الاخوة كل من صالح الكويتي[١٤] وداود الكويتي [١٥] وسـليم داود[١٦] ،وكان دورهم في الموسـيقى بارزاً جـداً، وقد لعب أبنـاء الطائفة اليهودية دورا بـارزا في مجال الموسـيقى آنـذاك عندما كانـت الطوائف مـن غير اليهود تسـتعيب أو تحرم دخـول أبنائها إلى أجـواء الفن والعمل في عالم الموسيقى. لذلك برزت لنا مجموعة من اليهود الذين ساهموا في ترك بصمات واضحة في مجال الموسيقى وتراث المقام العراقي كان من اهم روادهم :

١- الاخوة صالح الكويتي وداود الكويتي:

حقق الاخوان الكويتي شـهرة فنية في الكويت فقررا على أثرها السفر الى البصرة عام ١٩٢٧، مع المطـرب الكويتـي عبد اللطيف لتسـجيل بعـض أغانيهمـا على أسـطوانات مـن جهة ، ولدراسـة فن المقام العراقـي من جهة أخرى، ومـع بدايـة عـام ١٩٢٩ ، أنتقلا مـع العائلة للعيش وبشـكل دائم في بغداد في منطقة عكد اليهود في بغداد ، لتكـون لهما محطة أنطلاق أخرى في دنيا الفن وعالم الشهرة[١٧].

وبدأ صالح الكويتي مشواره الفني ببغداد مع الفنانة المشـهورة سـليمة مراد[١٨] ، أذ طلبت الاخيرة من الكويتي تلحين بعض أغانيها، كما تعامل الكويتي مع شعراء معروفين أمثال عبد الكريـم العلاف وسـيف الدين ولائـي، ولحن خلال فـترة قصيرة عدة أغانٍ كان لها شـهرة واسـعة في المجتمع العراقي عامـة والبغدادي بشـكل خـاص مثـل : كلبك صخـر جلمود / هـوه البلانـي / أه ياسـليمة / ماحـن عليه/ يانبعة الريحان/ منك يالأسمر/ خدري الجاي خدري[١٩].

ولقيـت هذه الاغاني إقبـالا منقطع النظير من قبل الجمهور الأمر الذي شجع صالح الكويتي على أعطـاء التلحـين إهتمامـه الاول وخاصة في فـترة الثلاثينـات ، وكان من أهـم المطربين الذين لحن لهم صالح الكويتي أمثال سـليمة مراد ، زكية جورج ، منيرة الهوزوز ، سلطانة يوسف ، بدرية أنور ، جليلة أم سامي ، عفيفة أسـكندر ، زهور حسين ، نرجس شوقي ، كما وضع الكثير من المقدمات واللزمات الموسيقية للفنانين داخل حسن وحضيري أبو عزيز [٢٠].

وكان لصالـح الكويتـي دورٌ مهـمٌ في أعقـاب تأسيس الاذاعة العراقية عام ١٩٣٦ ، أذ كلفت الحكومة صالح الكويتي بتشكيل فرقة الاذاعة الموسـيقية ، وقـد عملت هذه الفرقة برئاسـة صالـح الكويتي حتى تاريخ تقديم إسـتقالته في عام ١٩٤٤ ، و كانت تبث نشـاطها وبشكل يومـي من خـلال إذاعة قـصر الزهـور التي أهداهـا الزعيم النـازي أدولف هتلـر الى الملك الشاب غازي [٢١] .

وفي الحقيقة فقـد كان صالح الكويتي يحظى

بتقدير وأحترام الحكومة العراقية لاسيما الملك غازي الذي أهداه ساعة ذهبية بختمه الشخصي تقديرا لفنه وللبرامج الموسيقية التي كان يقدمها من إذاعة قصر الزهور ، فضلا عن تلحينه المميز لجميع أغاني أول فيلم عراقي سينمائي المعروف بـ (عليا وعصام) في عام ١٩٤٧ ، وغنت الحانه المطربة الفنانة سليمة مراد ، التي كانت بطلة الفيلم (٢٢) كان صالح الكويتي شخصية تتمتع بالموهبة منذ الطفولة ، تلك الموهبة التي حرص على تنميتها من خلال الدراسة ليكون مع أخيه من أوائل خريجي معهد الفنون الجميلة في بغداد عام ١٩٣٠ ، وهو من أمهر العازفين على آلة الكمان ليس على مستوى العراق فحسب ، وانما على نطاق الوطن العربي والدول المجاورة للعراق وذلك بشهادة الكثير من فناني عصره (٢٣)، كما كان له دور بارز في نشر الثقافة الموسيقية في العراق من خلال إفتتاحه معهد موسيقى يعد من أوائل المعاهد الموسيقية في العراق لتدريس الموسيقى والعزف على الآلات الموسيقية (٢٤)، كما كان يتحلى بأخلاق عالية وروح متسامحة، فضلا عن أحساسه المرهف وروحه الموسيقية الرفيعة ، والتي تدلل عليها أعماله الرائعة فهو أول من أدخل الغناء الثنائي الى العراق (الدويتو) بين مطرب ومطربة ، كما في أغنية (وين رايح وين) وأغنية (كلبي خلص) وأغنية (تأذيني) وغيرها من الاغاني التي يظهر فيها صوت الفنان صالح الكويتي مغنيا الى جانب المطربة (٢٥) .

وأعطى داود الكويتي الفنانين والمواهب الجديدة الكثير من وقته ، وكان يدعمهم ماديا ومعنويا وذلك من خلال توفير فرص العمل في ملهى (أبو نواس) الذي كان يدار بإشرافه (٢٦) ولم يفترق عنه الا في عام ١٩٧٦ حيث وافته المنية ، وأفقدت هذه الصدمة أخاه صالح الكويتي بصره وجعلته طريح الفراش يعاني المرض حتى توفي في أسرائيل عام ١٩٨٦(٢٧) ، وبقيت أغانيه والحانه يرددها العراقيون حتى يومنا هذا وتجدر الاشارة الى أن رحيل صالح وداود الكويتي من الفنانين والموسيقيين من أبناء الطائفة اليهودية ، قد ترك فراغا في الساحة الفنية ، الامر الذي حاول رئيس الوزراء(نوري سعيد) تفاديه (٢٨)، لاسيما أن أغلب من شملهم قرار الهجرة كانوا من رواد وعازفي المقام العراقي أمثال (صالح شميل) عازف الجوزة و(يوسف بتو) عازف الة السنطور، أذ ألزمهما نوري السعيد المعروف بحبه للمقام العراقي ، بتعليم أثنين من الموسيقيين المسلمين العزف على آلات المقام، فتعلم قارئ المقام هاشم الرجب العزف على آلة السنطور ، وتعلم الموسيقي شعوبي ابراهيم العزف على آلة الجوزة ، وسارا الاثنان على الاسس والقواعد التي أتبعها صالح الكويتي في فن المقام العراقي(٢٩) ، وتخليدا لذكرى هذا الفنان الذي تعمدت الحكومات تناسيه ، أقيمت في مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية التابعة لجامعة لندن أحتفالية بالذكرى السنوية لوفاة صالح الكويتي بعنوان (صالح الكويتي الاب والانسان والملحن)وتسلم الجائزة ولده سليمان الكويتي ، والتي كانت عبارة عن درع حفر عليه رموز الكمان والعود وخريطة العراق(٣٠).

٢- الفنانة سليمة مراد: من مواليد ١٩٠٥ في بغداد بمحلة طاطران ، نشأت في بيئة بغدادية فقيرة وتعرفت على فرقة الجوق وعلى الجالغي البغدادي كما تعرفت على مشاهير المطربين والعازفين انذاك ، وبدأت بالغناء في

مرحلة مبكرة من حياتها اذ لحن لها اغلب اغانيها كل من الاخوين صالح الكويتي وداود الكويتي[٣١]. وكانت سليمة مراد قد اكتسبت شعبية واسعة في اوساط البغدادية واصبح لها حضور على مستوى الوسط السياسي ، اذ كان رئيس وزراء العهد الملكي(نوري السعيد) من اشد المعجبين بصوتها واطلق عليها لقب (سليمة باشا) وكانت تغني في صالة ملهى الهلال في منطقة الميدان ومن اشهر اغانيها (أيها الساقي اليك المشتكى) واغنية (قلبك صخر جلمود) واغنية (الهجر) وغيرها[٣٢]. ومن الجدير بالذكر ان سليمة مراد كانت بالرغم من تدينها بالديانة اليهودية الاانها لم تغادر العراق ايام حملة تهجير اليهود ،وذلك عندما عمدت الحكومة العراقية الملكية الى اسقاط الجنسية العراقية عن كل اليهود لأجبارهم على الرحيل عام ١٩٤٨، فمقابل ذلك اصرت سليمة مراد على البقاء في العراق وتزوجت من الفنان العراقي المعروف (ناظم الغزالي) واشهرت اسلامها ، واستمرت في الغناء حتى السنوات الاخيرة من عمرها [٣٣] ،اذ توفيت عام ١٩٧٤ في احدى مستشفيات بغداد عن عمر يناهز السبعين.

٣- الفنانة سلطانة يوسف : وهي يهودية من مواليد الموصل لعام ١٩١٠ من أسرة عراقية فقيرة أنتقلت مع عائلتها للعيش في بغداد عام ١٩٢٠ وبدأت الغناء في ملاهي بغداد حتى اصبحت مالكة لملهى (نزهة البدور) وتدرجت في الغناء فكانت مطربة معروفة في المقام العراقي ، فلحن لها كبار الملحنين في ذلك الوقت مثل الاخوين صالح الكويتي وداود الكويتي وكانت تمتلك صوتا قويا ورخيما ميزها عن بنات جيلها ، اذ حاولت سلطانة يوسف الوصول بفن المقامات لدرجة عالية من الحرفية الفنية، فقد كانت تشغل نفسها بإعداد الابوذيات والعتابات والمقامات التي كانت تؤديها بشكل بارع ، لاسيما مقام البهيرزاوي وكان صوتها يتمتع بالجوابات العالية مما جعلها في مقدمة مطربي المقام العراقي في ذلك الوقت ، وفي قمة مجدها اعتزلت سلطانة يوسف الفن وهي لم تصل الاربعين من عمرها فخسر الناس والمجتمع البغدادي واحدا من اجمل الاصوات التي يندر وجودها وقيل انها اتجهت للعبادة وتوفيت عام ١٩٩٥ [٣٤] .

٤- الفنانة نجاة العراقية : يهودية من مواليد ١٩٢٣ في بغداد وأسمها الحقيقي لويزا يعقوب وتنتمي لعائلة فقيرة تسكن في محلة التوراة ببغداد ، أكملت تعليمها في المدرسة الأهلية للبنات ثم درست التمريض وعملت في مستشفى المجيدية لتعيل أسرتها ، لكنها عشقت الفن وتركت التمريض لتتحول الى الغناء [٣٥] فغنت في ملهى الفارابي في بداية الامر ثم في ملهى الجواهري، الذي طردت منه بسبب الفنانة سليمة مراد التي أمتعضت من اعجاب الجمهور الحاضر في الملهى بصوت نجاة العراقية فكان قرار طردها من قبل ادارة الملهى كترضية للفنانة سليمة مراد التي كانت تغني في الملهى نفسه [٣٦].

٥- الفنانة روز تومة وليلو تومة:وهن يهوديات معروفات في بغداد ببنات تومة، اما بدايتهن كمغنيات فكانت عام ١٩١٦ في(ملهى الشط) على نهر دجلة بجانب الكرخ وقد مارسن الغناء فيه بشكل يومي وكن معروفات بجمال الشكل والصوت [٣٧] .

● اليهـود ودورهـم في فرقـة الجالغـي البغدادي

كان معظـم الموسـيقيين الذيـن تألفت منهم فـرق الجالغي البغـدادي منذ القرن التاسـع عشر وصولا الى منتصـف القرن العشرين من اليهود ويؤكد هذه الحقيقة المؤرخ الموسـيقي (حسـقيل كوجمان) [٣٨] موضحا أهتمام يهود العراق بشـكل خاص بالموسيقى ، فعلى سبيل المثال كانـت فرقـة الاذاعة أغلبها مـن اليهود وفـرق الجالغي البغـدادي وموسـيقي المقام العراقي أضافة الى أن أغلب الملحنين العراقيين كانوا من اليهود ، أمثال(صالح الكويتي،دواد أكرم ، داود الكويتي ، سليم داود) [٣٩].

أمـا عـن دورهم في الموسـيقى فيذكر حسـقيل كوجمان مانصه : " ودورهم في الموسـيقى كان بارزاً جـدا بل وكانت له الريـادة ، ولا أتصور بأن هناك طائفة يهودية بغير العراق قد لعبت هـذا الدور البـارز في مجال الموسـيقى التي لا توجد فيها إنتماءات عرقية أو دينية ... "[٤٠].

والحقيقـة أن سـبب إنفـراد يهـود العـراق بالموسـيقى يرجـع في بعـض أسـبابه الى أن الطوائـف الدينيـة الاخـرى كانـت تعيب على أبنائهـا الاشـتغال أو تعلم الموسـيقى في فترة الثلاثينـات والاربعينات من القـرن العشرين، لكنهـم في الوقت نفسـه لـم يعارضوا سـماع الموسـيقى والاغاني وخير مثال على ذلك أغنية (نبعة الريحان) للفنانة سليمة مراد والتي هي مـن الحان صالح الكويتـي ، فقد حققت هذه الاغنية شهرة منقطعة النظير حتى غناها أغلب مطربي العراق ورددها الشارع العراقي[٤١] .

وكانـت مهنة العزف على الآلات الموسـيقية في فرقـة الجالغـي البغدادي من المهـن والحرف التي تحتكرها بعض عوائل اليهود المحترفة في بغداد ، وكانت هذه المهنـة يتوارثها الابناء عن الاباء ومن أشـهر العوائل اليهودية التي عملت في مجـال الجالغي البغدادي المعروفة في بغداد ذلك الوقت هي :

١-فرقة جالغي حوكي بتو : وتتألف من عازف آلة السنطور ورئيس فرقة الجالغي حوكي بتو وهو من مواليد بغـداد عام (١٨٤٨ – ١٩٣٣) ، وعـازف الة الجوزة (ناحوم بن يونه الدرزي) من مواليد بغداد لعـام ١٨٧٧ وكان له العديد مـن البسـتات البغداديـة ، وعازف الـة الرق (يوسـف حمو)، وعازف الـة الطبلة (عبودي امعاطو) ، ولقد شـاركت فرقة (حوكي بتو) في مؤتمر الموسـيقى العربية الاول عام ١٩٣٢ المقام في القاهرة[٤٢] .

٢- فرقة جالغي يوسـف بتو: وهو أبن عازف الة السـنطور (حوكي بتو) مـن مواليد بغداد عام (١٨٨٦ – ١٩٧٥) ، اسـس فرقة جالغي بعد وفاة والده عام ١٩٣٣ ، وتتألف فرقته من عازف الة الجوزة (صالح بن شميل بن صالح شـمولي) ولد في بغداد عام ١٨٩٦، وعازف الة الطبلة (يهودا بن موشي بنيامين بن شـماش) من مواليد بغداد عام ١٨٨٥ [٤٣].

٣- فرقة جالغي شـاؤول بصون : وتتألف من عازف الة السـنطور ورئيس الفرقة شـاؤول بصـون بن داود بصون ، وعـازف آلة الجوزة (نسـيم بصون) وهـو من مواليـد بغداد عام (١٨٤٠ – ١٩٢١) ، وعازف آلة الرق (حسقيل شاؤول) وعازف آلة الطبلة (هارون زنكي بن روبين) من مواليد بغداد ١٨٤٤[٤٤] .

٤- فرقة جالغي سـلمان بصون : وتتألف من رئيس الفرقة وعازف الة السـنطور (سـلمان



بصون بن شــاؤول بصون بــن داود بصون) من مواليــد بغداد (١٩٠٠- ١٩٥٠) ، وعازف آلــة الجــوزة (فرايم بن شــاؤول بصون) من مواليــد بغداد عــام ١٨٩٨، وعــازف آلة الرق (حســقيل بن صيون بن يعقــوب) من مواليد بغــداد ١٨٩٥ ، وعــازف آلة الطبلة (شــاؤول زنكــي بن هارون زنكي بن روبين بن بقجي) من مواليد بغداد عام ١٨٩٠[٤٥].

٥- فرقة جالغي حســقيل شــمولي : وهي من أقــدم فــرق الجالغي البغــدادي ، التــي كانت معروفة في بغداد ذلك الوقت وتتألف من :

عازف آلة السنطور ورئيس الفرقة (حسقيل شــمولي)من مواليد بغداد (١٨٠٤-١٨٩٤) ، وعازف آلــة الجوزة (لطفي رزيــج المندلاوي) وعــازف آلة الرق (حســقيل شــوته مئير) من مواليد بغــداد (١٨٤٠ – ١٩١٧) ، وعازف آلة الطبلــة (هارون زنكي روبــين بقجي زنكي) من مواليد بغداد عام ١٨٤٣[٤٦] .

٦- فرقة محمد القبانجــي : وهي الفرقة التي رافقــت محمد القبانجي للمشــاركة في مؤتمر الموسيقى العربية الاول المنعقد في القاهرة عام ١٩٣٢ ، فكانت تتألف من عازف آلة السنطور (يوســف بتو) ، عــازف آلة الجــوزة (صالح شــميل)، وعازف آلــة الرق (أبراهيــم صالح) وعازف آلــة الطبلــة (يهودا موشي شــماش) وعــازف آلة العود (عــزرا أهــارون عزوري) وعازف آلة القانون (يوسف زعرور) [٤٧].

والحقيقــة فقــد كان هنــاك فــرق أخــرى للجالغي البغدادي مثل فرقة جالغي خضر بن طماشة من مواليد بغداد(١٨٣٢-١٩٠٩)، وفرقة جالغي شــميل صالح شمولي من مواليد بغداد (١٨٧٣ -١٩١٤) ، وغيرهــا مــن الجالغيات القديمة التي كانت معروفة في بغداد أنذاك[٤٨].

العديد من الجالغيات الأخرى مثل فرقة (جالغي خضر بن طماشة (بغداد ١٨٣٢م-١٩٠٩م) ، وفرقة (جالغي شُــمّيل صالح شمولي) (بغداد ١٨٣٧م-١٩١٤م) ، وغيرهــا مــن الجالغيات التي كانت معروفة في بغداد آنذاك.

وفي الحقيقة ، لا يزال المجتمع العراقي بصورة عامــة والبغدادي بصورة خاصــة محتفظا في ذاكرته الموسيقية لحد الان بالعديد من الاغاني البغداديــة التي غناها اليهود العراقيون أمثال ســليمة مراد فضــلا عن بعض أغانــي المقام العراقي للاخوين صالح وداود الكويتي حيث كان لليهــود دور كبير في تــراث المقام العراقي ممــا أنعكس ذلك عــلى تطور النشــاط الثقافي والفني .

الهوامش :

(١) أحمــد علي منصــور : الفن في العــراق ، ط١، بغداد ١٩٨٦، ص ٣٣.

(٢)مــازن رمضان محمــد : تاريخ الموســيقى العربية ، مصر ، ١٩٨٨، ص ٦٥.

(٣)أحمد علي منصور : المصدر السابق ، ص ٤٠.

(٤)علي أبراهيم علي : تراث الموســيقى في العراق ، بغداد ، ١٩٩٠، ص ٥٥.

(٥) فــردوس حســنين محمد : الحركة الفنيــة في بغداد، ١٩٧٦، ص ٥٣.

(٦) مازن رمضان محمد : المصدر السابق ، ص ٥٤.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) صبــاح عبــد الرحمن : النشــاط الاقتصــادي ليهود العراق (١٩١٧- ١٩٥٢) ، ط١ ، ٢٠٠٣ ، ص ٧٥.

(٩)حسقيل قوجمان : اليهود ودورهم في تراث الموسيقى ، الحوار المتمدن ، لسنة ٢٠١٠.

(١٠)علي أبراهيم علي : المصدر السابق ، ص ٣٠.

(١١) مازن لطيف : يهود العراق موسوعة شاملة لتاريخ يهود العــراق وشــخصياتهم ودورهم في تاريــخ العراق

الحديث ، ط١ بغداد ، ٢٠١١ ، ص١٢٢.
(١٢)سعيد أحمد: الطرب عند العرب، بغداد، ١٩٦٣، ص ٥١.
(١٣)حسقيل قوجمان: المصدر السابق، لسنة ٢٠١٠.
(١٤) صالح الكويتي: من عائلة يهودية ذات أصول عراقية ولد في الكويت الاول من مواليد ١٩٠٨ والثاني مواليد ١٩١٠ ،وقد أبدى شغفا بالموسيقى منذ الصغر وتلقي دروسا في العزف والغناء لدى الموسيقار الكويتي المعروف خالد البكر وتعلم الالحان الكويتية والبحرينية واليمانية و الحجازية . وفي عام ١٩٢٩ قرر الانتقال نهائيا الى بغداد ولحن العديد من الاغاني للفنانة سليمة مراد وكرمه الملك غازي ساعة ذهبية بختمة الشخصي عام ١٩٣٦ ولقد ترك العراق عام ١٩٥١ بعد ان اسقطت الجنسية العراقية عنه ورحل الى اسرائيل حيث توفي وهو يبكي على العراق ينظر : مازن لطيف،المدى ،صحيفة عراقية ،العدد ٢٠٤٦، شباط ٢٠١١ .
(١٥) داود الكويتي : الاخ الاصغر للفنان صالح الكويتي من مواليد الكويت لعام ١٩١٠، عمل مع أخاه في مجال الموسيقى والغناء حتى توفى عام ١٩٧٦.
(١٦)علي أبراهيم علي : المصدر السابق ، ص ٥٥.
(١٧) عزيز الحاج : بغداد ذلك الزمان ،ط٢، بغداد ٢٠١١، ص ٥٤.
(١٨)المصدر نفسه ، ص٤٧ .
(١٩)يوسف رزق الله غنيمة : نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ، ط٣، بيروت ، ٢٠٠٦، ص٣٠٥.
(٢٠) عزيز الحاج : المصدر السابق ، ص ٤٣.
(٢١) يوسف رزق الله غنيمة : المصدر السابق، ص ٣٠٠.
(٢٢) مازن لطيف : المدى ، صحيفة عراقية ، العدد ٢٠٤٦، شباط ٢٠١١.
(٢٣) موسوعة الديانات : يهود العراق بحث مصور مجلة الموسم في هولندا، ١٩٩٩، ص٣٣.
(٢٤) علي بدر: حارس التبغ، ط١، بيروت، ٢٠٠٨ ص١٨٠.
(٢٥) عبدالله خلف : الفن والطرب عند يهود العراق الحوار المتمدن، صحيفة عراقية، العدد، ٣٢٠، لسنة ٢٠٠٦.
(٢٦) أري الكسندر: يهود بغداد والصهيونية، (١٩٢٠-١٩٤٨)، ترجمة مصطفى نعمان أحمد ، بغداد ، ٢٠١٢، ص٧٧.
(٢٧) المصدر نفسه : ص ٦٥.
(٢٨) أري الكسندر : المصدر السابق ، ص٥٥.
(29)Cohen ,H:Anote on Social Change Among IraqiJews,19171951,Vol.V,London,1965 ,p.40.
(30) Kadduri:OP.Cit،p.205.
(٣١) رشيد الخيون :الاديان والمذاهب بالعراق،طبعة مزيدة ومنقحة،بغداد،٢٠٠٣، ص١١١ .
(٣٢) صابر طعمة :التاريخ اليهودي العام ،ج١ ،ط٢ بيروت ،١٩٧٥ ،ص١٤٨.
(٣٣) المصدر نفسه .
(٣٤) علي بدر : المصدر السابق ، ص ٣٢.
(35)Walid Khadduri:The Jewsof Iraq in The Ninetten Century , London , 1979, p.200.
(٣٦) خلدون ناجي معروف :الأقلية أليهودية في العراق بين سنة ١٩٢١ و١٩٥٢،ج١،ط١، بغداد ١٩٧٥، ص٢٥.
(٣٧) المصدر نفسه.
(٣٨) خلدون ناجي معروف: المصدر السابق، ص٥٦.
(٣٩) مازن لطيف : المصدر السابق ، ص ٦٦.
(٤٠) حسقيل قوجمان : تراث اليهود في المقام العراقي، الحوار المتمدن ، لسنة ٢٠٠٩ .
(٤١) علي بدر : المصدر السابق ، ص ٦٢.
(٤٢) أري الكسندر : المصدر السابق ، ص ١٢٧.
(٤٣)فيصل السامر: اليهود العراقيون (لمحات تأريخية) مركز الدراسات الفلسطينية ، بغداد ، ١٩٧٧، ص٤٤.
(٤٤) عزيز الحاج : المصدر السابق ، ص٥٤.
(٤٥) المصدر نفسه.
(٤٦)يوسف رزق الله غنيمة : المصدر السابق، ص ٦٨.
(٤٧) المصدر نفسه.
(٤٨)أحمد برهان علي : مستقبل اليهود في العراق ، مركز الدراسات الفلسطينية ،١٩٨٠ ،ص٣٥ .

Jewish contributions to the heritage of the Iraqi Maqam

By: Dr.leqaa Shaker Al- Sharifi
(Center of revival of Arabian science Heritage
/ Baghdad Documentation Department)
University of Baghdad

Abstract

The study deals with the study of Jews, their role and their contributions to the heritage of the Iraqi Maqam , By highlighting the definition of the Iraqi shrine and its most important sections, in addition to the Jews and their role in the heritage of the Iraqi Maqam in an important era in the history of Iraq in the monarchy, embodied by peaceful coexistence and religious tolerance, which cast a shadow on the cultural and artistic activity in Iraq in general and Baghdad in particular, Along with the Jewish artists a group of the virtues of the Iraqi Maqam and singing giants, who were mostly Muslims, such as Ahmed Zaidan, Mohammed Qabbanji, Hassan Khayokh, Nazem al-Ghazali and the friend of Malaya and Afifa Iskandar and Zakia George.

In this sense, the study of some of the Jewish personalities who established and established the heritage of the Maqam and the Iraqi song, which contributed to its artistic and musical activity in laying the groundwork for the original Baghdadi song, including the Iraqi musician and artist Saleh Al-Kuwaiti and his brother Dawood Al-Kuwaitei from the Mosaic sect in Iraq, Salima Murad) and the reader of the denominator (chilli pepper),At a time when the role of Iraqi Jews in Iraqi music, such as Salih and Dawood Al-Kuwaiti, Youssef Huraish, Saleh Shamil, Youssef Batu and others, is being forgotten, this does not mean limiting the heritage of the Iraqi Maqam to Jews without Muslims and other sects having a similar roll.



الأمراض الإنتقالية في كتاب الحاوي في الطب

لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي (ت٢٥١هـ - ٣١١هـ)

أ. م . د. أحلام محسن حسين *

● المقدمة :

انتشر التراث العربي في ثقافات الشعوب المختلفة من العالم وفي جميع ميادين العلوم والآداب والفنون وصارت علومهم واعمالهم عطاء لا ينضب من المعرفة استمر وجودها الى يومنا هذا.

وتكمن أهمية البحث في كون اعتقاد الكثير من الناس ان الطب العربي جميعه وصف للعقاقير، وهذا ما جاء في كتب ابن البيطار وتذكرة داود الانطاكي، الا اننا لابد ان نبين للعالم ان الطب العربي لم يكتف بالوصف بل تجاوزه الى الاهتمام بالأمراض منذ بدايتها ثم اسبابها وعلاماتها ودلائلها وتقديمه المعرفة فيها واخيرا علاجها، هذا ما قدمه اغلب العلماء العرب وفي مقدمتهم الرازي في كتاب(الحاوي في الطب) بشكل دقيق وحرص متناهٍ ، وهذا ما خالف به آراء الكثير من الناس في الطب العربي .

● السيرة والمكانة العلمية والاجتماعية للرازي:

هو ابو بكر بن محمد بن زكريا بن يحيى المعروف بالرازي نسبة الى مدينة الري التي تقع على بعد عدة اميال من طهران الحديثة التي ولد ونشأ وترعرع فيها [1].



* جامعة بغداد – مركز احياء التراث العلمي العربي

اما ولادته فقد ختلفت المصادر في تحديد تاريخ ولادته اذ يرى بعضٌ انه ولد حوالي عام ٢٣٥هـ وبعضهم الآخر يرى انه ولد في عام ٢٠٣ هـ في مدينة الري ، وهناك من قال كانت ولادته عام ٢٩١ هـ ، ومصدر اخر ذكر ولادته عام ٢٢٦ هـ وهنا ارجح الاقوال[٢] .

نشأ الرازي في مدينة الري التي تعد من المراكز العلمية والثقافية المهمة في وقتها وكانت الندوات الثقافية وحلقات العلم تعقد في اماكن عدة وهي تشبه مثيلاتها من المراكز العربية في جميع أمصار الوطن العربي . مما ادى بالرازي الى التأثر بهذا المحيط، وقد دفعه ذكاؤه ونبوغه وطموحه لان يتجه الى الدراسة والتعليم . ففي مدة صباه وشبابه تعلم بعض العلوم العقلية ، كما درس الفلسفة والأدب العربي ، وقال الشعر ، ومارس الموسيقى فتعلم الضرب على الة العود ووجد في نفسه القدرة على الغناء فغنى[٣].

وعند تقدمه بالعمر رأى في نفسه ميلا لتعلم الكيمياء والاكسير بعد ان استهوته التجارب التي شاهدها عند المشتغلين بها فكرس اكثر وقته لها وعمل على ان يلم بكل دقائقها نظريا وعلميا . ولكن الابخرة الناتجة عن التفاعلات الكيميائية المتأتية من خلط وتسخين وغلي بعض المواد اثرت على عينه فرمدت . وقيل انه ذهب الى الطبيب ليعالجه فطلب منه مبلغا كبيرا ، وهذا ما دفعه الى التفكير بتعليم صنعة الطب [٤]وقد اتصل بأطباء عصره لينهل من علمهم[٥].

وفي مدينة بغداد وجد متسعاً له فأخذ ينهل من ثقافتها العربية الاصلية ووجد في بيمار ستانها فيما يرضى طموحه العلمي .وفي مدينة الري مارس صناعة الطب وتفوق على اطبائه [٦] .وقد اصبح الرازي امام وقته واوحد دهره وفريد عصره [٧] .

وقد خط لنفسة منهجا خاصا في عمله سبق الاطباء اليونانيين وهو المنهج التجريبي الذي يقوم من خلاله باختبار المعلومات الطبية والنظرية وتدوين ما يحصل عليه من نتائج مفيدة ، وقد جمع ذلك في كتاب سماه قصص وحكايات المرضى[٨]. فضلا عن ذلك كان يفحص كل الاشياء والمواد التي استعملها الاطباء من قبله واشار الى ذلك في مقدمة كتابه الخواص[٩] .

وهناك بعض الانطباعات التي قدمها عن الامراض كتجربة عن عمله في هذا المجال كما يقول: (فمتى رأيت هذه العلامات فتقدم في الفصد ، فإني قد خلصت جماعة به وتركت متعمدا جماعة، استوى بذلك رايا فسر سواءً كلهم) [١٠].

وكذلك اورد ملاحظات علمية عن كيفية فحص المرضى منها فحص التنفس[١١] والبول[١٢] ونتيجة لهذا العمل الذي يقوم به واستمراره على القراءة والكتابة . وما اصاب عينه من رمد نتيجة تعرضها لأبخرة المواد الكيمياوية والعقاقير وتقدمه في العمر ضعف بصره تدريجيا حتى فقدة نهائيا قبل سنتين[١٣] من وفاته التي قيل انها في سنة ٣١١هـ وقريبا من سنه ٣٢٠ هـ [١٤].

● **مؤلفاته :**

نتيجة للخبرة العلمية التي كان عليها

ابـو بكر الرازي فقد ألف كتباً كثيره في الطب والمعارف الطبية نذكر منها في سبيل المثال لا الحصر :

١- (برء الساعة)في الطب [١٥].

٢- (الحاوي في الطب)في الطب [١٦] .

٣- (كتاب الجدري والحصبة) [١٧].

٤-(مقاله في الحصى المتولد في الكلى والمثانة) [١٨] .

٥- منافع الأغذية ودفع مضارها - قال رأيت ان أألـف كتابـا في دفـع مضـار الاغذية تاما مسـتقصى ابلـغ واشرح ممـا عمـل الفاضل جالينوس فانه سـها وغلط في كثير من كتابه .. الخ [١٩].

٦- الطب الروحاني ويعرف بطب النفوس[٢٠] .

٧- الترتيب في الكيمياء ألفه للمجربين وسماه ايضا كتاب الراحة [٢١].

٨- في كتاب ان للإنسان خالقا متقنا حكيما[٢٢].

● الامراض الانتقالية في كتاب الحاوي في الطب:

وقد برع العلماء العرب في تأليف افضل واروع الكتب التي اسـتمرت لوقتنا الحاضر على مر القرون نذكر منهم في سبيل المثال لا الحصر: (كتـاب القانون) لابـن سـينا ت٤٢٧هـ[٢٣] وكتاب التذكرة لعلي بن عيسى[٢٤].

وكتاب(زاد المسـافر وقـوت الحاضر) لابن الجـزار ٣٦٩ هـ [٢٥], وكتـاب (المنصوري في الطـب ت٣١١ هـ) للرازي [٢٦] . اما كتاب (الحاوي في الطب) الذي ألفه العالم والطبيب ابـي بكر محمد بن زكريا الـرازي ت ٣١١ هـ قـال عنـه: ان احداً لـم يسـبقه الى مثل هذا التأليف فهو في الحقيقة يختلف في تأليفه عن كل مـن سـبقه من المؤلفـات الطبية ، وحتى كتب الرازي نفسـها كالمنصـوري والفصول تختلف عنه فهو كتـاب اكلينيكي ، جمع كل خبراته التـي عرفها عن مرضاه نزلاء البيمار رسـتان . ويـرى الكثـير من اطلـع على هذا المؤلف انه مجموعة محاضرات اكلينيكية [٢٧] كان يدرسها الرازي لطلبته ومساعديه وقال عنه علي بـن العباس المجوسي ت٩٨٢هـ، في مقدمة كتابـه (كامل الصناعـة): ان محمد بـن زكريا الـرازي قد وضـع كتابه المعروف بالحاوي فوجدته قد ذكر فيه جميع ما يحتاج اليـه المتطببون مـن حفظ الصحـة ومداواة الامراض والعلل التي تكون بالتدبير بالأدوية والاغذيـة وعلاماتها ولـم يغفل عن ذكر شيء مما يحتـاج الية الطالب بهـذه الصناعة من تدبـير الامراض والعلل . غير انه لم يذكر فيه شـيئا من الامور الطبيعية كعلم الاستقصات والامزجة والاخلاط وتشريح الاعضاء والعلاج باليـد ولا ذكر ما ذكره من ذلـك على ترتيب ونظـام ولا على وجه من وجـوه التعاليم ولا جـزاه بالمقـالات والفصول والابـواب على ما يشبه علمه ومعرفته بصناعة الطب وتصنيف الكتب ويضيـف المجوسي بقوله عن الرازي : اذ كنت لا انكر فضله ولا ادفع علمه بصناعة الطب وحسـن تأليفه للكتب والذي استشفه من امره او توهمه على ما يوجبه القياس من علمـه وفهمه في هذا الكتـاب احدى الحالتين امـا ان يكـون وصفه وذكر فيه مـا ذكر من جميـع علم الطـب ليكون تذكـرة له خاصة، يرجـع اليـه عندمـا يحتـاج اليه مـن حفظ الصحة ومداواة الامراض عند الشـيخوخة او الهرم او النسـيان ، او خوفا مـن آفة تعرض

كتبه فيعتاض منها بهذا الكتاب [٢٨] .
وبحثنا هذا اقتصر على الامراض الانتقالية والمعدية ، انواعها واعراضها وعلاجها اذ قال عنها الرازي نقلا عن ابن العبري: "ينبغي ان يفر من البلاد التي يقع فيها الطاعون والموتان فان كان منزلا او عسكرا فليكن الموضوع فيه علو وفوق الريح[٢٩].
وذكر الرازي في كتابه الحاوي او محاضراته الامراض الانتقالية والمعدية نذكر منها الحصبة والجدري والجرب والسل والرمد وغيرها و بشكل عام يقول الرازي: (فكل علة لها نتن وريح فليتباعد عن صاحبها او يجلس منه فوق الريح) [٣٠].
وعرف المرض قائلا:) هو ما يضر بالفعل اذا وجد بلا انتظار لشيء ولا توسط وليس تكاثف البدن كذلك لان التكاثف انما يغير بالبدن بحدوث الحمى الا بنفسه)[٣١] .
سنتطرق الى الامراض الانتقالية او المعدية او الوبائية التي تطرق لها الرازي وهي :

● **الجدري والحصبة .**

في اغلب الاحيان يبدأ الرازي في كلامه عن الأمراض الانتقالية والمعدية في مرضي الجدري والحصبة وحسب اعتقادي كانت من الامراض الاكثر شيوعا في المجتمعات كافة والعربية خاصة لتهيئة الجو الملائم لها والبيئة الخصبة التي تكثر فيها . ولانه اول من تطرق لها ميز الرازي بين الجدري والحصبة ولم يكن قد سبقه احد بذلك فكان هذا فتحاً في عالم الطب حينها واشتهر الرازي بذلك وعرفه معاصروه واشاد به كل من درس تاريخ الطب بشكل عام ودرس هذين المرضين[٣٢]بشكل خاص.
ومقالته هذه صارت عنوان مجده ولايزال اسمه مقترنا بهذين المرضين .
اما الاطباء المحدثون فيرون ان هذين المرضين أمر هين وليس كما يعدهما القدماء اذ كانوا يعدون كل حمى يتبعها طفح جلدي مرضا واحدا على اختلاف هذه الحالات في شدتها وخطورتها .
لابد من اعطاء تعريف لكل من الجدري والحصبة وبشكل علمي اذ عرفت wikipebia الجدري على انه مرض تلوثي معد ينتقل من شخص الى اخر من اعراضه التي يتميز بها الطفح الجلدي بشكل فقاعات سود مليئة بسائل كدر [٣٣].
اما الحصبة: فهي مرض فيروسي شديد العدوى. والحصبة من امراض الطفولة، واكثر من ٩٠٪ من الاطفال يصابون بها قبل سن الخامسة عشر، ولكنها تصيب الانسان في كل عمره[٣٤]. ويتكرر وباء الحصبة كل سنتين او ثلاث ولاسيما في الربيع والشتاء [٣٥].

● **علامات الجدري والحصبة :-**

يرى الرازي في كتابه الحاوي في الطب ان علامات الجدري تظهر الحمى الحادة في اول الابتداء مع صداع وحمرة في العين، واكثر ما يظهر في اليوم الثالث في ابتداء الحمى وربما كان من اول او ثاني يوم، وان افضل العلامات وادلها على السلامة ان يثور في الثالث او في وقت تكون الحمى قد لانت ، " بالضد لو ثارت في اول يوم في شدة الحمى والوهج"[٣٦].
وذكر الرازي اعراضاً اخرى نقلها من الطبري

اذ قال : "اذا حمرت العين والوجه في حمى الدم وثقل البدن والرأس واحتك المنخران وجاء العطاس والغم والكرب فانه يدل على الجدري . فألق في العين كحلا محكوكا بماء المطر او الكزبرة" [٣٧] .
وهناك علامة واضحة اكد عليها الرازي في كتاب الحاوي لمرضى الجدري ويفرق بينهما وبين الحصبة هو وجع الظهر اذ يقول" : ان وجع الظهر لا يكاد يفارق مرضى الجدري وان الطفح ناتئ عن الجلد كالثآليل وان منه ما يغور في الجلد" [٣٨] وهو المعروف الان بالطفح السري (umbilicated)، وعني اكثر ما عني الرازي بعلاج العين في حالات الجدري وكانت هذه مضاعفة كثيرة الحدوث وكانت سببا في اصابه اكثر من مرضى الجدري بالعمى .
ويقسم الرازي الجدري حسب خطورته الى الوان فيقول:" الجدري الذي يكون بنفسجيا او اسود ويظهر مرة ويبطئ اخرى ويعرض مع ذلك غم شديد وبحة في الصوت وتغير في العقل فاهرب منه" [٣٩] .
ويصف الرازي ايضا انواع الجدري فيقول : الجدري اليابس الذي لا يجمع رطوبة لكنه كالآليل ويتشقق منه الجلد ويكون ذلك الشق شديد اليبس ثم يتبع ذلك غم شديد ونفس رديء واختلاط عقل وذهاب الصوت فانه قاتل وقد يكون جدري كبار في جوفه جدري صغار ويسمى المضاعف[٤٠] وهناك العديد من الاعراض التي تظهر في مرض الجدري لا يسعنا الوقت لذكرها جميعا .
ووضع الرازي علاجات مختلفة للجدري والحصبة كما يقول: "اذا رأيت قد ثار الجدري والحصبة وقد لانت الحمى فأنها علامة السلامة واذا اثار في عنفوان الحمى بانه مهلك" [٤١] لذا يرى ان المرء متى اكتحل به يوم ظهر الجدري والحصبة قوي الحدقة وحفظها وازال غلظها .
كما يقول في الجدري فضولاً كثيرة تحتاج الى ان تجذب بما يسقى لكي يسرع خروجه وهذا يجب ان ينظر فيه فان كان تعذر ما يخرج لسكون الحرارة فأعي على ذلك بالمسخنات وترك المطفئة القوية، ومتى كان اللسان اسود والحرارة زائدة فلا تفعل ذلك واعن بالحلق فان الخوانيق تكثر معه فغرغرة بالقوايض _ وبعد اذا اشتد الماء الحار وماء السكر[٤٢] ويؤكد كذلك على ضرورة ان تدثر صاحب الجدري في وقت خروجه جداً ويوقي البرد بالثياب، ولا ينشق هواء باردا لأنه يهلكه. اما اذ كان وقت صيف فينصح بعدم دخول الخيش* بل يكون في مكان يعربق فيه الا ان يصيبه غشي البسه مبطنة يكون بدنه فيها عرقا ، ثم يدخل الخيش ويشم الصندل وماء الورد والكافور ولا يبرد تبريدا شديدا حتى يظهر كله [٤٣].

● **ويقول الرازي في علاجه الجدري :**

"وانا استحب ان اخدش في ابتدائها عروق الانف ، فاني رأيت من رعف سلم منه اكثر لأنه اكثر ما يكون للصبيان لايتهيأ الفصد" [٤٤] .
وهناك علاج اخذه الرازي من النساء اذ يقول كن يستعملن في تخفيف الجدري ورق السوس ورأيته يحقق تجفيفاً بالغاً . والماء والملح ابلغ منه اذ لم يكن يهيج العليل ويلذع

الجلـد جدا وان كانـت كبـار وكان يلذع لأن تحته لحما احمر فلا [٤٥] .

ويـرى ان : "الدهن يحتـاج اليه ضرورة اذا صارت في مواضع الجدري خشكريشات فانه حينئذ نافع جدا لأنه يسقطها بسرعة، ....

وهنـاك ما يعين عـلى ظهور الجـدري لاجل تخفيـف حدته فيقـول الـرازي في الحاوي: "خمـس تينـات صفـر, سـبعة دراهـم من العـدس المقشر ثلاثة دراهـم من اللك , ثلاثة كثيراء , بذر الرازيانج درهمان ، يطبخ برطل ونصـف من الماء هذا يـسرع خروجه ويمنع ان يكـون خفقـان وحـرارة في نواحي القلب والصدر "[٤٦].

ولابد ان نقول ان أهم ما يميز مرض الجدري هو وجع الظهر مع الحمى ، فان رأيت ذلك في الخريف لابد ان نعرف بانه سـيخرج جدري دون الحصبـة اي ان مرض الجدري يثور في فصل الخريف .

● **المستعدون للجدري والحصبة :**

بمـا ان الصبيـان في اغلب الاحيـان من أكثر المسـتعدين للاصابـه بالجـدري والحصبـة نذكر منهم الابيض اللون والاحمر والخصيب والاصهب الشعر . فأما النحيف الاسود فبعيد عنه [٤٧].

امـا عن كيفية انتقال المـرض: يقول الرازي ان الجـدري والحصبـة من جنـس الامراض الوافـدة ويحدثـان ابدأ مع هبـوب الجنوب الكثيرة وخاصة ان هبت في الصيف [٤٨] .

وهذه أهـم اعراض مرض الجـدري وعلاجه وكيفية انتقاله كمـا وصفها الرازي في كتابه الحـاوي، ولا بد أن نذكر اقـرب مرض له الا وهو مرض الحصبة وكما يلي :

● **الحصبة هي :**

مرض فيروسي شـديد العدوى والحصبة من امراض الطفولة واكثر من ٩٠٪ من الاطفال يصابون بها قبل سـن الخامسـة عشرة [٤٩] ولكنها تصيب الانسـان في كل عمره، ويتكرر وباء الحصبة كل سنتين او ثلاث وبخاصة في الربيع والشتاء[٥٠].

● **أعراض الحصبة :**

تكون حمرة فقط في سـطح الجلد وليس لها عمـق البتة ويعني نتوء وعلـوا، ولا يصحبها وجـع في الظهر كما في الجدري وقد يصحبها طفح داخل الجوف وينشـأ عنه نزف معوي ويرى الرازي ان من علامـات الحصبة، "ان يغلظ الصوت ، وتحمـر العينان والوجنتان، ويجـد الوجع في الحنجـرة والصدر، ويجف اللسـان، وتنتفـخ الاصـداغ ويحمر الجسـد وتدمـع العينـان ويهيج النهـوع، فان رأيت هذه فانه سـتظهر الحصبـة" [٥١] والحصبة كما يقول تخرج بمرة اما الجدري شيئا بعد شيء[٥٢].

● **أما عن لون الحصبة وخطورتها :**

فيقول الرازي في الحاوي: "الحصبة الخضراء والبنفسـجية رديئة وخاصـة ان جاءت بغتة فانه يغشى عليـه ويقتل سريعا" [٥٣] واشرها البثور السود واهونها الاصفر اما اذ رأيت قد ثار الجدري والحصبة وقد لانت الحمى فأنها علامة السـلامة واذا اثار في عنفـوان الحمى فانه مهلك.

والحصبة لا يكون معها وجع الظهر وحسب اعتقـاد الرازي ان ذلك لشـدة تمـدد العرق

والاخـوف عـلى فقار الصلـب وفي الحصبة لا يتمدد لأنها من رداءة الدم بلا امتلاء كثير[٥٤].

● **أما عن علاج الحصبة**

فهـي لا تختلـف كثـيرا عن عـلاج الجدري كالعدس المقشر، ودهن اللوز والبقول الباردة والتين والكثيراء وبذور الرازيانج وغيرها . وهنـاك تشـابه في الاشـخاص المسـتعدين للحصبـة والجـدري سـبق ذكرهـم وكذلك طريقة انتقال المرض .

● **الرمد :**

لم يذكر الرازي في كتابـه الحاوي الكثير عن الرمـد بل ركز اكثـر شيء على العـلاج كونه تطرق الى الاعراض والاسباب وغيرها في كتابه المنصـوري في الطـب ، فقد اشـارة الى الرمد انـه ورم يحدث في الملتحـم والملتحم جزء من الغشاء المغشي على القحف من خارج ، ولذلك ربمـا رأيت الـورم في الرمد الشـديد مجاورا للعين الى حواليها حتى يبلغ الى الوجنة[٥٥].

● **ويمكن تعريف الرمد(Ophthaimia) :**

التهـاب ملتحمـة العين ، وهـذا الالتهاب اما ان يكون وقتيا بسـب دخول اجسـام غريبة داخل العين. واما ان يكـون التهابا جرثوميا يسـببه نوع مـن الجراثيم تدعـى (المكورات البنية(gonocoaues وهذه تعمل على تقبيح الملتحمة لذلك يسمون الرمد بالرمد الصديدي فالرمد اذا يحصل بعامل خارجي [٥٦].

● **أهـم أعراض المرض كما ذكرها الرازي في كتابه المنصوري في الطب هي:**

"احمـرار بيـاض العـين وسـيل الدمـوع ورمصت الرماق فان العين قد رمدت وبمقدار عظم هذه الاعراض تكون قوة الرمد اذا رأيت بياض العين قد انتفـخ وعلا حتى اطبق على السواد وانقلبت الاجفان" [٥٧] .

أمـا عن علاج الرمـد وضع الـرازي في كتابه الحاوي تفاصيل كثيرة لعلاجه نذكر منها : يقـول الرازي: " ... ينبغي ان يعالج بالعلاج العـام للورم من اجل انـه ورم ويزاد فيه من اجل العين لما هي عليه من شدة الحمى وسرعة التحلل... ويرى ان يعالج الرمد بأدوية تقمع وتمنع ولا تحدث في العين خشونة، ذلك يكون بان لا تكون قوية القبض لكن تكون مجففة بـلا لـذع ويكـون معهـا بعـض الرطوبات المسـكنة التي ذكرت كبيـاض البيض واللبن وطبيـخ الحلبـة ، ومتى ما اسـتعملت اللبن فاعـن ان يكـون لبن امرأة فتيـة ويحلب من الثدي على المسـن، الذي يحك عليه الشـياف يقطـر في العين فاتـرا... قال: وانمـا يحتاج الى ان يسـتعمل هـذا اذا كان الوجع شـديدا مبرحا.. ." [٥٨].

ويرى الرازي ايضا انه في اكثر الاحيان يكون علاج الرمـد باسـتعمال بيـاض البيض مع شـياف اليومية، تكحل العين بشياف السنبل ويقول اذا عالجت العين بالاشـياف السنبلية في عقب الرمد ان تخلط معه في اول الامر شيئا يسيراً من الشياف الحادة المسمى اصطفيان[٥٩]. ويـرى الـرازي ايضـا في كتابه الحـاوي ان يعالـج بالاشـياف اليوميـة فانه يقـع فيها افاقيا ، ونحاس محرق شيء يسير ويقع فيها الزعفـران والمـر والحضض والجندبادسـتر والكندر .... ويقول كمد العين بارد سفنج ان كان {الوجع}خفيفـا مرة او مرتين، وان كان الوجع شـديدا فكمده مرات كثيرة وخاصة في

ايام الصيف الطويل، ويكون التكميد بطبيخ اكليل الملك والحلبة وهــذا كاف في الرمد_ ان شاء الله (٦٠) .

● **ومــن الامــراض الانتقاليــة والمعديــة الاخــرى التــي ذكرهــا الــرازي في كتابه الحاوي في الطب هي :**

الظفرة والجرب:

هــو تهيج جلدي معد يســببه طفيلي شــبيه بالحشرة يسمى حمكة الرب. واكثر ما يظهر طفح الجرب عــلى طيات الجلــد مثل الاربية (خــن الورك) وتحــت الثديين وبــين اصابع القدمين واليدين على ان كل جزء من الجســم تقريبا قد تنوله الاصابع (٦١) .

سبق الرازي المحدثين من الاطباء في تشخيصه للحكة والجرب كما سماه في كتابه المنصوري في الطــب الا انه اطلق عليــة الظفرة والجرب في كتابــه الحاوي في الطب اذ قال عنه مرض انتقــالي ومعــد . ويرى الــرازي ان اســباب الإصابــة بالجرب والبثور كما يســميها هي : ان تزيد عند من يدمن الاغذية المفســدة للدم كالملــح والكواميــخ والتوابل الحــارة والثوم والعســل والــشراب العتيــق الــصرف . ولمن يتعب ويسهر ويقل الاستحمام (٦٢) .

ويــرى الــرازي في كتابــة الحــاوي في الطب والــذي اكثر ما ركز فيه العلاجات ان الظفرة والجرب:"يعالجان بأدويــة تجلو جلاء قويا وتطــرح فيهــا ادوية عفنــة تذهــب الظفرة وترفقها ان تكون قوية جدا"(٦٣) .

ويقــول ايضــا : وممــا يجلــو بقوة قشــور النحاس توباله والقلقطار المحرق فان غسلت ضعفت الا انها تجلو قليلا على حال ، والزاج والزنجــار يجلــو ان بقوة قويــة ويصلحان للجرب الصعب للصلابة .

وبعضهــم يلقــي مع هــذه الادويــة عفصا وبعضهــم يلقــي فلتقيا ، وهو اشــد الادوية كلها قبضا مع حدة قوية جدا (٦٤).

وهنــاك علاجات اخــرى لهذا المــرض يمكن الرجــوع لها في بحث ســابق من خلال كتاب المنصوري في الطب للرازي . ومعلومات قيمة اخرى تخص هذا المرض .

وهناك أمراض انتقالية اخرى ذكرها الرازي في كتابه الحاوي في الطب وهي :

الحميات: قســمها الــرازي في كتابه الحاوي الى قســمين اما ان تكون من اســباب نفسية: اذا افرطت كالغم والســهر والفكر .وأسباب طبيعيــة : مثــل اخذ شيء حار مــن داخل او خــارج او حركة حيوانيــة كالغضب ، او من فساد هواء كالموتان، او من امتلاء اومن تخم او اورام حارة او اكثار شراب(٦٥) .

ويرى الــرازي ان جميع الحميــات تكون في فصــل الصيف اكثــر حدة لانتشــار الاخلاط ورقتهــا وسرعة تحللها . وذلــك انه اذا كانت القوة قوية والاخــلاط متهيئة التحلل تحللت وسكن المرض وان كانت القوة ضعيفة فأنها تتحلل مع تحلل الاخــلاط فيكون الموت فيها لذلك اكثر (٦٦).

● **الحمى الوبائية (التيفوئيد)**

يرى الرازي انها من اردأ الحميات كلها عامة وهــي قوية ومــن اهم اعراضهــا تنفس عال شديد واعياء وغشى واسترخاء البدن وسعال يابــس وبثــر اشــقر واحمــر وقي الســوداء واختلافها زبدي كثير وهي تقتل سريعا وهي

قوية من اول امرها، ويضيف الرازي اعراضاً اخرى فيقول: "ومعها ضيق نفس ونبض صغير كثيف مختلف , ويتقلب صاحبها تقلبا شديدا ويرتعد في الرابع وتظهر بثور شقر وحمر ثم تغيب سريعا وتذهب ويعرض فيها سعال يابس ووجع في الشراسيف وقئ صفراء وربما تقيا سوداء وربما اختلف" [٦٧].

على الرغم من ان الرازي في كتابه الحاوي تطرق الى وصفات علاجية لأغلب الامراض اكثر من وصفه للأعراض المرضية الا انه لم يتطرق الى وصفة علاجية لهذا المرض الذي سبق وان تطرق اليه في كتابه المنصوري في الطب بشيء من التفصيل .

● **ذات الجنب :** ويسمى ايضا التهاب بالجنبة كما وردت فيwikipebia :

وهو التهاب في غشاء الجنب وعبارة عن غشاء مزدوج الطبقات الرطب الذي يحيط بالرئتين وخطوط القفص الصدري وهذا الالتهاب يجعل التنفس مؤلما للغاية واحيانا تترافق مع ذلك حاله اخرى تسمى الانصباب الجنبي وتكون الاصابة بهذا المرض عن طريق عدوى فايروسية .

● **لذات الجنب انواع منها الصحيحة وغير الصحيحة:**

الصحيحة: هي التي يكون الورم فيها في الغشاء الملبس على الاضلاع من داخل ، وغير الصحيحة : ما كان الورم فيها في العضل الذي فيما بين الاضلاع . والفرق بينهما ان الوجع في الصحيح ناخس حاد لأنه في غشاء ، والاخر غير الصحيح فانه لايحس معه بوجع ناخس حار بل ضربان لانه في اللحم لافي الغشاء ...الخ .

اما ذات الجنب الخالصة: وان لم ينفث صاحبها شيئاً فلا بد ان يكون معها سعال يابس ولا يكون للنبض في هذه تمدد ولا صلابة اصلا ولا حمى حادة . وضيق النفس فيه اقل ويوجعهم اذا غمزت على اضلاعهم وفي هؤلاء يميل الخراج الى خارج وان لم ينفتح يحتاج الى بسط .

ويقول الرازي: "هذا هو ذات الجنب الخالصة الذي الورم فيها في الفصل الملبس على الاضلاع "[٦٨].

أهم اعراض ذات الجنب : يرى الرازي[٦٩] في كتابه الحاوي[٧٠] ليس متى وجد انسان وجعا في الاضلاع وسعالا فانه ذات الجنب لكن ان كان مع ذلك نفث ملون فهو ذات الجنب[٧١]...الخ.

النبض في ذات الجنب صلب اما من ناحية السمنة والتدبير ونوع الوجع يكون اللون فيها احمر فانه يحدث بالذين يكثرون الشراب ويكثر فيهم الدم والوجع بنخس شديد ، والوجع اذا تنفس اشد كثيرا[٧٢].

في ذات الجنب ينصب القيح الى أحد تجويفي الصدر وأما من علل الرئة فالى(احد الجانبين).

العلاج الذي ذكره الرازي لذات الجنب: فهو الفصد في ذات الجنب اوجب منه في ذات الرئة ويرى ان جملة ما يحصل في باب ذات الجنب ليعمل عليه : ان كان الوجع والنخس والحمى ضعيفا فاسهل طبيعته ـ الا اذا كان لا يحتاج الى ذلك ـــ وهو لايحتاج الى فصد. وان كان الوجع في الناحية السفلى فاسهل وان كان في

العليا فأفصد...وتفقد النفث الرديء والجيد وشـدة الحميات وأسق النفث ما يسهله ،مثل ماء الشـعير واذا لم تكن ذات الجنب خالصة فضع محجمة[٧٣].

وذكر الـرازي ان لذات الجنب اوقاتا وحدودا اذا حـدث الورم ، ويـرى بقدر تقدم علامات النضـج يكون قصر مدة المرض ،وبقدر قوتها سـلامته [٧٤]ومن عرض لـه وجع ذات الجنب ونفـث مدة ان يـبرؤوا في أربعة عـشر يوما. كمـا يقول الرازي(:ليس هـذا هكذا او لكن صاحب ذات الجنب ان لم ينق بالنفث تقيح، واذا تقيح او لم ينـق الى اربعين يوما قرحت رئته)[٧٥].

●مرض السل :Tuberculosis

يرى الرازي في كتابه الحاوي في الطب السـل " لا يخلو من حمـى دقيقة لازمة وقد تركت معها حميـات منها الخمس ثم شـطر الغب والنائبـة كل يوم وشرها واقتلها بسرعة التي تتركـب معهـا لا الخمس ثم شـطر الغب ثم التي تنوب كل يوم"[٧٦].

ويمكن تعريف السـل كما جاء في الموسـوعة الطبية الحديثة هـو" مصطلح يطلق احيانا على التدرن الرئوي وقد كانت تسمى حالاته المتفاقمة ، بالسـل الراكض . والتدرن مرض معـدي ، والجراثيـم التـي تسـببه تسـمى عصيات التدرن وهي تنقل بواسـطه البساق الذي ينفثه المصاب بالعدوى بطريقة السعال بصفة اولية" [٧٧].

ويقول الرازي السـل يحدث اذ حدث خراج في الرئـة ابتـداء او في ذات الجنـب وانصبت المـدة الى الصدر ولم ينق اومـن نزله تنحدر الى الرأس ، او الربو مزمن ، او لنفث الدم[٧٨] ويـرى ممكن علاجها كلهـا فتبرأ مادام لم ـ يحـث ـ تآكل واذا يحدث تآكل فإنما تجفف فقط[٧٩].

● أعراض مرض السل كما يرى الرازي :

اذا وقع الانسـان في السـل كمـدت الوجنتان وذبل اللحم وتعقفت الاظافر وتكون العينان رسـمتين* الى البياض والصفرة واذا وقعوا في هذا السقم تكون قرقرة في البطن وينجذب مـادون الشرا سـيف الى فـوق ويعرض لهم عطش شـديد وذهاب شـهوة الطعام والذي يتقيؤونه رديء الريح جدا[٨٠] .

ومـن الاعـراض الاخـرى لـدى الـرازي ان صاحب السـل يزداد هزالا مادام لايقدر على ان يسـعل فتنقى رئته كذلك تسـاقط الشعر فيقول : (من تسـاقط شـعره مـن اصحاب السل ثم حدث به اختلاط فانه يموت ....انما يكون سقوط الشـعر لنقصان الغذاء وفساد في الجسم .....اما العرق فيعرض لهم بسبب ضعف القـوة لان غذاءهم يتحلل سريعا ..... وتغور اعينهم ...احمرار الوجنة فالسبب فيه حرارة الرئة والسعال وغيرها[٨١] .

● العلاج:

اعتاد الاطباء نقل من به قرحة في رئته الى بلد يابس وقد احسـنوا في ذلك ، اذ كانوا ينقلون من به سل من روما الى بلد النوبة .

قرحة الرئة تحتاج الى تجفيف قدر المستطاع، ولكن المسـلول كما يقـول الـرازي في كتابه الحـاوي يحتاج الى ما يرطـب بدنه ويحفظ على اعضائه الرطوبـات الاصلية ويمنع قلبه ان يغلب عليه المزاج اليابس، فاللبن موافق في

ذلك جدا ، وهو نافـع بإجماع الصدر والرئة ونواحيهـا[٨٢] ويرى الـرازي ان قروح الرئة اذا احتاجت الى تنقية بالعسـل وماء العسـل لأنه ينقي وهو غذاء لا يضر بالقروح الباطنة [٨٣]. كما ويذكـر ايضا العـلاج بالبـادروج الذي يجفـف الصدر والرئـة جدا فهـو يصلح ان يسـتعمل في المرتبـة الثانية من السـل بالذي يزاد به تجفيف القرحة [٨٤] .

● **الاشخاص المستعدون لمرض السل :**

يقول الرازي الذيـن يكثر انحدار النوازل الى صدورهم مستعدون للسل . وخاصة ان كانت النوازل فيها حدة، والصدر ضعيف... فانه في غاية الاستعداد للسل لأن هذه النوازل حريفة حارة [٨٥]. كذلك الابدان المسـتعدة للسل هي التـي الصـدر فيها ضيق قليل السـمك حتى نرى الكتفين فيهـا ناشرين بارزين الى خلف .... انما يورث من السـل ما هو في الغاية من الـرداءة ، كذلك الصبيان حـين يعظمون الى الانبات يتخلصون من الامراض الصعبة جدا القوية النشوة وخاصة في وقت الانبات [٨٦].

وهناك مرض معد اخر وخطير ذكره الرازي في كتابه الحاوي الا هو:

● **الهيضة :Chotera**

يعد مـن الامـراض المعدية والخطـيرة كون دورة حضانته قصيرة جـدا وتظهر اعراضه بصورة مفاجئة بقيء المرار وتتشنج مواضع من الجسـم وخاصة العضل الـذي في باطن الساق بسبب الاستفراغ* ، لا يصلح لصاحب الهيضة الـذي تخرج منه اشـياء حارة شيء حريـف ولا حار الغثي كثيرا قـد يبرا بالقيئ لان علاجـه كما يقول الرازي باسـتفراغ ذلك الخلـط او بإنضاجه وتغـير كيفيته اصلح او بمخرجه بما يصلحه [٨٧].

امـا تعريف الهيضـة كما عرفتها الموسـوعة الطبية الحديثة:" فهي عدوى معوية شديدة أهـم اعراضهـا اسـهال شـديد مصحـوب بقيـئ . وقد ادت الوسـائل الصحية الحديثة والتحصين الى اسـتئصال اوبئة الكوليرا كلية في اوروبا وامريـكا وان كانت ماتزال خطيرة في بعـض اجـزاء العالـم في المناطـق الحارة وخاصـة في الهند وقد حـدث وباء الكوليرا في مصر عام ١٩٤٧ كما حدثت اوبئة صغيرة في العراق وبعض البلاد العربية سنة ١٩٦٧[٨٨].

● **العلاج:**

يذكـر الـرازي في كتابه الحـاوي في الطب في عـلاج للهيضـة فيقول: (على مـا رأيت كتاب الاغذية من تغشى نفسـه بعد الطعام وتبادر الى القـيء فأعطه قبل الطعام اشـياء قابضة طبية وفواكـه وغيرها فان ذلـك يقوي اعالي المعـدة .... واعلم ان انطـلاق البطن عون عظيم على تسكين القيئ) [٨٩].

ويرى الرازي ان الهيضة تكون لرداءة الهضم القريـب امـا لكثـرة الطعـام أو لرداءته او لأخلاط رديئة في الجسـم فاذا صاحبها حس ثقل وسـوء هضم سقي ماء فاتر. ويعطي ان عسر عليه القيئ ما يلين بطنه ، حتى اذا جف بطنـه دهـن بدهن مصطـلي وشراب ودثرته بالثياب ونام نوما طويلا، وكما يقول الرازي هذا العلاج للتخمة والشفاء من الهيضة [٩٠] .

كمـا يضع اول علاج للهيضة من التخمة ، ثم القـئ لكل مـا يأكله فيقول:(فأسـتعن بباب المعدة فان فيه ضمـاداً لمن لا يحبس الطعام

من دقيق الحلبة وعسل باب زلق الامعاء فان فيه ضمادا من ثمر وثمار)[٩١] .

ويرى الـرازي انـه يجب ان تـبرد الاطراف والمعدة في الهيضة وينبغي ان تمسـك شرب الماء حتى يضعف القيء فاذا ضعف سـقي ماء حب الرمان الحامض قد طيب بمحروث وانجدان[٩٢].

ولابـد من القول ان الاطبـاء اجتمعوا على ان الهيضـة والاسـتفراغات القويـة تحتاج الى تغليظ اخلاطهم . ويسـقى ببعض ما يسكن العطـش والبسـه اقمصة منقعة بمـاء ثلج، وروحـة بالمـراوح حتـى تراه قد اسـتن من البرودة, وضمن واسـعة بعد سكونه من هذا ماء رمان وربياسـا قد انقع فيه خبز سميد، قليلا مـن مرات لئلا يقذفه ويصابرالعطش. ويشد اطرافه فانه يقطع الهيضة والغشي[٩٣].

والهيضـة التي تسـمى حاليـا بالكوليرا من الامـراض المعديـة والفتاكـة وهـي في اغلب الاحيـان تكون مـن الامراض التي يسـميها الـرازي بالأمراض الوافدة وهو الذي يعرض في وقـت واحـد لناس كثـير في بلد مـا, فان كان غير فعال سـمي مرضا واخذ وان كان قتالا سـمي موتانا وهذا ينطبق على بعض الامـراض المعديـة التـي ذكرها الـرازي في كتابه الحاوي في الطب وكذلك المنصوري في الطب .

ولابد لنا ان نذكر في الختام ان كتابه الحاوي في الطـب لم يذكر جميع الامراض الانتقالية و المعديـة التـي ذكرهـا الـرازي في كتابـه المنصـوري في الطـب اذ لم يذكر في سـبيل المثـال لا الحصر مرض الجـرب والجذام في كتاب الحاوي بين ما لها من تفصيلات كثيرة في المنصـوري في الطـب وكتـاب المنصوري هو كتاب تشـخيصي بينما كتاب الحاوي في الطب كان كتابـا إكلينيكيا اهتم في الحاوي اكثـر الاحيـان بالعلاجـات للأمـراض، اذ اعتـبره مرجعاً له عند كبره علما ان الحاوي كان مكتوبـا على شـكل محـاضرات عكس المنصـوري الذي ألفـه كتابـا منظما، وجه انتقـادات كثيرة لكتاب الحـاوي لاختلافات وجدت فيه ولكن كونـه كتابا اكلينيكيا لابد ان تحـدث فيه هذه الاختلافات وهذا لايوجد في كتابه المنصـوري والذي يطلع على هذين الكتابـين يرى بعـض الاختلافات من حيث اعـراض الامـراض وتشـخيصها وعلاجها. وهـذا الاختـلاف راجـع الى وقـت تأليـف الكتابين والعمر الذي كتبا فيهما .

● الهوامش:

(١) المسـعودي ، ابو الحسن بن علي (ت٣٤٥هـ) ، مـروج الذهب ومعادن الجوهر في التاريخ ، القاهرة ـ مكتبـة الاسـكندرية ، ج٨ ، ص١٧٧ .البيهقـي ، ظهـير الديـن علي بـن زيـد (ت ٥٦٥هـــ) ، تاريخ حكماء الاسـلام ، عني بنشره وتحقيقه : محمد كرد علي، دمشق ـ مطبعة الترقي، ١٩٤٦ ، ص٢١، ٢٢ ؛ابن ابـي اصيبعة، احمد بن القاسـم بن خليفة بن يونـس الخزرجـي (ت٦٦٨هـ) ، عيـون الانباء في طبقات الاطباء، القاهرة ـ مكتبة الاسـكندرية، بلا. ت ، ج١/ ص٣٠٩ ـ ٣٢١ زادة ، طـاش كـبري: احمـد بـن مصطفى(ت٩٦٨هـ) مفتاح السـعادة ومصباح السـيادة في موضوعـات العلوم ، بيروت ـ دار صادر العلمية، بلا . ت ، ج١ ، ص٢٦٨ ، ٢٦٩ .

(٢) د. فائـق ، فـرات ، ابو زكريا الـرازي ، بغداد ،

١٩٧٣ ، دراسة خصة عن حياة ابي بكر الرازي .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) المصدر نفسه .
(٥) ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ،ج١، ص٣٠٩ .
(٦) المنصوري في الطب ، ص ٢٢٥.
(٧) الرازي، ابو بكر زكريا (ت ٣١١ هـ) المنصوري في الطب ، تحقيق : د . حازم البكري الصديقي،الكويت ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ط١ ، ١٤٠٨ ، ١٩٨٧. ، ص ٢٢٥
(٨) ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ص١٠٨ .
(٩) المنصوري في الطب ، ص٥٢٧ .
(١٠) المصدر نفسه ، ص٥٢٧ ، كتاب خواص الاشياء نسخة مخطوطة
(١١) الرازي :ابو بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب (ت٣١١هـ - ٩٢٣م)، الحاوي في الطب، ط٢،طبع تحت مراقبة شرف الدين احمد مدير دائرة المعارف العثمانية، مطبعة مجلس المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن،الهند، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ج١ ، ص.٢١٦.
(١٢) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢٩٢ .
(١٣) المصدر نفسه ، ج٢٩ ، ص١٤.
(١٤) ابن النديم ، الفهرست ، ص٢٩٩ .
(١٥) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٢ ، ص١٠٣ .
(١٦)عني بنشره الدكتور زليك (اوجيج) مدرس الصيدلة في المكتب الطبي في بيروت ، ١٩٠٣، المصدر: يوسف اليان سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة ، القاهرة ، مطبعة سركيس ، ١٣٤٦هـ / ١٩٢٨ م ، ص٩١٤ .
(١٧) فينيسيا (البندقية) ١٥٠٤ و ١٥٠٩المصدر نفسه ، ص.٩١٤ .
(١٨) معه مقدمة باللغة اللاتينية للأستاذ يدهانس شاننج ، لندن ، ١٧٦٦ ، ص١٦و٢٧٦ / ثم اعاد طبعه الدكتور فنيذك يك ، ووسمه برسالة بمرض الجدري والحصبة ،المصدر نفسه .
(١٩) معها ترجمة باللغة الفرنسية للدكتور دي كوننج لندن ـ ١٨٩٦ ، ص٨ و٢٨٥ .
(٢٠) بهامشه دفع المضار الكلية لابن سينا ، م ط الخيرية ، ١٣٠٥ ، ص٦٨ كبير، سركيس: معجم المطبوعات، ص٩١٤ ـ ٩١٥ .
(٢١) المسعودي ، ابو الحسن بن علي (ت٣٤٥هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر في التاريخ ، القاهرة ـ مكتبة الاسكندرية ، ج٨، ص٧٧ .
(٢٢) ابن العماد الحنبلي، عبد الحي ين احمد بن محمد(ت١٨٩هـ) ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، اشرف على تحقيقه وتخرج احاديثه : عبد القادر الارناؤوطي ، حققه وعلق عليه: محمود الارناؤوطي ، ج٢، ص٢٦٣ .
(٢٣) مطبوع عدة طبعات منها ، ابن سينا ، الحسين بن علي (ت ٤٢٧ هـ)، القانون في الطب ، ط١ ، بيروت ـ دار الكتب العلمية ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م، في ثلاثة مجلدات .
(٢٤) الكحال ، علي بن عيسى ، ولد ببغداد (٤٣٠هـ) ويذكر ان هذا تاريخ وفاته ولا تعرف سنة وفاته، تذكرة الكحالين، كودكس ، ص ص ١ +١٦٢+ ١ ، يعود تاريخه الى ٦٩٠ ، اللغة او اللغات المستخدمة العربية ، النسخة الاصلية محفوظة في المكتبة البريطانية مخطوطات تشريعية .
(٢٥) زاد المسافر وقوت الحاضر ، ترجمة الى اللاتينية قسطنطين الافريقي وهو في مجلدين ، في الطب ، تحقيق : محمد سوسي ، الراضي الجازي ، المقاس ٣٤ x ١٦ ، عدد الصفحات : ج١ ، ٣٨٥ ، ج٢ ، ٣٩٠ .
(٢٦) المنصوري في الطب، اللغة العربية ، تاريخ النشر ١٩٩٩ م، ١٧٣٠ ورقة (١٨ سطر) ، مجلد: الورق ٢١ x ١٥ سنتمتر ، مجموعة المنصوري ، (مكتبة الكونكرس) .
(٢٧) مصطلح سريري اي مصطلح طبي مشتق

من السرير في المستشفى للاشارة الى فحص سريري او علامة سريرية او استخدام سريري او دراسة سريرية/ بوابة الطب orj .m wikipedia.ar .

(٢٨) طب الرازي (دراسة وتحليل لكتاب الحاوي، شرح وتعليق ا.د محمد كامل حسين ، ومحمد عبد الحليم العقبي، بيروت ـ دار الشروق ، بلا.ت،ص ١٠(ملاحظة والافضل الرجوع الى كتاب كامل الصناعة) لعلي بن العباس المجوسي ٩٩٤م.

(٢٩) ابن العبري غريغوريوس، ابو الفرج بن هارون المالطي (٦٢٣هـ)، تاريخ مختصر الدول،بلا.ت،ص ٢٧٤ ،٢٧٥.

(٣٠) الرازي ، المنصوري في الطب ص٢٢٥.

(٣١) الرازي ،الحاوي في الطب ،ج ١٤ص ٨٣.

(٣٢) طب الرازي ، محمد كامل حسين ،ج ٢،ص٢.

(٣٣) المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية ، بيروت ـ دار احياء التراث العلمي، ج١٠ ، ص٦ـ ٧ .

(٣٤) ابن العبري ، غريغوريوس، ابو الفرج ، بن هارون الملطي(ت٦٢٣هـ)، تاريخ مختصر الدول، بلا ت ، ص٢٧٤-٢٧٥.

(٣٥) تأليف مجموعة من علماء هيئة المطبعة الذهبية الموسوعة الطبية الحديثة، رئيس التحرير ،د. احمد عمار و. محمد احمد سليمان ، ترجمة ،د. ابراهيم ابو النجا وعيسى حمد بن المازني ، الناشر: مؤسسة سجل العرب – القاهرة ، بلا ت، ج٥، ص٧٣٤، (ت-٢).

(٣٦) المصدر نفسه .

(٣٧) الرازي، المنصوري في الطب ،ص٢٢٧.

(٣٨) الرازي، كتاب الحاوي في الطب ، (رقم ٨٠٦)، ج١٧، ص٥.

(٣٩) المصدر نفسه، ج١٧، ص٤.

(٤٠) الرازي، الحاوي ، ج١٧، ص١٧-١٨.

(٤١) المصدر نفسه، ج١٧،ص١٨.

(٤٢) الرازي, الحاوي, ج١٧, ص٣٤.

(٤٣) المصدر نفسه ,ج١٧, ص٢٤.

(*) الخيش :-جلباب من الكتان يسبل من وسط البير، ويحرك للترويج وخيشخانة بيته (الرازي، المصدر نفسه).

(٤٤) المصدر نفسه ،ج١٧، ص٢٠-٢١.

(٤٥) ا الرازي، الحاوي، ج١٧، ص٢٠.

(٤٦)لا يزال الماء والملح علاجاً يجذب القيح ولكنه لاذع جداً للجروح (طب الرازي، الحاوي،ج١١،ص٧-٨ .

(٤٧) الرازي، الحاوي، ج١٧،ص٣١.

(٤٨) المصدر نفسه ،ج١٧، ص٦.

(٤٩) تأليف مجموعة من علماء هيئة المطبعة الذهبية، الموسوعة الطبية ، ج٥، ص٧٣٤.

(٥٠) الرازي، المنصوري في الطب، ص٢٢٧.

(٥١) الرازي ، الحاوي ،ج١٧، ص٣٥٢.

(٥٢) ملاحظة لها قيمتها في التشخيص المقارن، وهو يعني ان طفح الحصبة يظهر دفعة واحدة بينما طفح الجدري يظهر في مجموعات يتلو بعضها بعضاً , طب الرازي، محمد كامل، ص٢٧١.

(٥٣) الرازي، الحاوي، ج١٧، ص٣٢٢.

(٥٤) المصدر نفسه، ص٢٣-٢٤.

(٥٥) الرازي ،الحاوي، ج٢، ص٧.

(٥٦) الرازي، المنصوري في الطب، ص٢٥٧.

(٥٧) الرازي، المنصوري في الطب ، ص٦٥٧.

(٥٨)الرازي، الحاوي، ج٢، ص٩.

(٥٩) المصدر نفسه، ج٢، ص٩.

(٦٠) المصدر نفسه، ج٢، ص١١.

(٦١) الموسوعة الطبية الحديثة، ج٥، ص٦٥٦، (ت٢).

(٦٢) الرازي، المنصوري في الطب، ص٢٥١.

(٦٣) الرازي، الحاوي في الطب، ج٢،ص١٢.

(٦٤) المصدر نفسه، ص١٤.
(٦٥) الرازي ، الحاوي في الطب ، ج١٤، ص٧١.
(٦٦) المصدر نفسه ، ص١٠٣-١٠٤.
(٦٧) الرازي الحاوي في الطب، ج١٦، ص١٦٦.
(٦٨) المصدر نفسه ، ج٤، ص١٦٨.
(٦٩) المصدر نفسه، ج٤، ص١٦٧.
(٧٠) المصدر نفسه، ج٤، ص١١٣-١٧٨.
(٧١) المصدر نفسه، ج٤، ص١٢٧.
(٧٢) المصدر نفسه ، ج٤، ص١٦٠.
(٧٣) المصدر نفسه، ج٤، ص١١٤.
(٧٤) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٩٦ .
(٧٥) الموسوعه الطبية الحديثة، ج ٨ ، ص١١٣، (ز-ص)
(٧٦) الرازي ،الحاوي في الطب، ج٤، ص١١٥.
(٧٧) المصدر نفسه، ج٤، ص١١٤.
(٧٨) الرازي ، الحاوي في الطب، ج٤، ص٩٦.
(*) هذا التعريف بين الاصابة المغلقة والاصابة المفتوحة وهو صحيح حتى اليوم وله اهمية رسم الشيء اغبر اغبراراً يميل الى السواد .
(٧٩) المصدر نفسه، طب الرازي، محمد كامل حسين، ج١، ص١٦٣.
(٨٠) المصدر نفسه ، ج٤، ص١٤٠،٨٦،٨٥.
(٨١) المصدر نفسه ، ج٤، ص٨١..
(٨٢) المصدر نفسه ، ج٤، ص٨٢.
(٨٣) المصدر نفسه ، ج٤، ص٤٦.
(٨٤) المصدر نفسه، ج٤، ص٨٨.
(٨٥) المصدر نفسه ، ج٤، ص١١٤.
(*)هذه ظاهرة معروفة جداً في حالات فقدان السوائل في الجسم فتتقلص من ذلك عضلات الساقين وتدل على دقة ملاحظة الرازي ومعرفته لهذه العلامة بين الهيضة وتقلص العضلات .
(٨٦) طب الرازي، محمد كامل حسين، ج١، ص٢٤٥.
(٨٧) الرازي ، الحاوي في الطب، ج٥، ص١٩٩-٢٠٠.
(٨٨) الموسوعة الطبية الحديثة، ج١١، ص١٦٣٣، (ق-م).
(٨٩) الرازي ،الحاوي، ج٥، ص٢٠٠.
(٩٠) الرازي , الحاوي ،ج٥، ص٢٠٣.
(٩١) المصدر نفسه، ج٥، ص٢٠٤.
(٩٢) المصدر نفسه، ج٥، ص٢٣١.
(٩٣) طب الرازي، محمد كامل حسين ، ج١، ص٢٤٦.



Communicable disease in book "Al-Hawi in Medicine"
for Abi Bakr Mohammed bin Zakaria Al-Razi (d. 303/521 .Ah)

Dr. Ahlam Mohsen Hussein
(Center of revival of Arabian science Heritage)
University of Baghdad

Abstract

The objective of the research is to provide an objective study aimed at restoring the Arab medicine, highlighting the role of Arab scientists and doctors, and referring to their books and works, including the book Al-Razi (Al-Hawi in Medicine) Being unique in its competence its added proud to the Arab library and the world According to its knowledge of medicine and the capacity of his education, It is considered one of the finest scientific ideas of the Greco-Arab sciences, which began with Hippocrates, Galenus, the third Razi, and finally Ibn Sina.

It can be said that Al-Razi is unique in the way of his authorship and his ability to benefit from all the medical sciences of the theories and the clinical way that characterized the book "Al-Hawi" based on the views And match them to the cases, so if you agree with his experience reassured her and that differed tried to illustrating cases, He preferred experience to what leads to information, All this was performed without excessive or reaction to opinion without the other and these are all qualities of the real doctor.

